

السيرة النبوية

للإمام أبي الفداء إسماعيل بن كثير

٧٠١ — ٧٧٤ هـ

تحقيق

مصطفى عبد الواحد

المجلد الثاني

١٣٩٦ هـ — ١٩٧٦ م

دار المعرفة

للطباعة والنشر والتوزيع

هاتف ٢٣٦٧٦٩ — ٢٤٦١٦١

ص.ب ٥٧٦٩

بيروت — لبنان

السيرة النبوية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

باب هجرة من هاجر من أصحاب رسول الله صلى عليه وسلم
من مكة إلى أرض الحبشة فراراً بدينهم من الفتنة

قد تقدّم ذكر أذية المشركين للمستضعفين من المؤمنين ، وما كانوا يعاملونهم به من
الضرب الشديد والإهانة البالغة .

وكان الله عز وجل قد حجّرهم عن رسوله صلى الله عليه وسلم ومنعه بعهه أبي طالب .
كما تقدم تفصيله . والله الحمد والمنة .

وروى الواقدي أن خروجهم إليها في رجب سنة خمس من البعثة ، وأن أول من
هاجر منهم أحد عشر رجلاً وأربع نسوة ، وأنهم انتهوا إلى البحر ما بين ماشٍ وراكب ،
فاستأجروا سفينة بنصف دينار إلى الحبشة .

وهم : عثمان بن عفان ، وامراته رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
وأبو حذيفة بن عتبة وامراته سهيلة بنت مهيّل ، والزيبر بن العوام ، ومضعب بن
عمير ، وعبد الرحمن بن عوف ، وأبو ساهة بن عبد الأسد ، وامراته أم سلمة بنت أبي
أمية ، وعثمان بن مظعون ، وعامر بن ربيعة العنزي ، وامراته ليلى بنت أبي حنمة ،
وأبو سبرة بن أبي رهم ، وحاطب^(١) بن عمرو ، وسهيل بن بيضاء ، وعبد الله بن
مسعود . رضى الله عنهم أجمعين .

قال ابن جرير : وقال آخرون : بل كانوا اثنين وثمانين رجلاً ، سوى نساءهم

(١) في ابن هشام : ويقال بل أبو حطب .

وأبنائهم ، وعَمَّار بن ياسر ، نَشَكُّ ، فإن كان فيهم فقد كانوا ثلاثة وثمانين رجلاً .

وقال محمد بن إسحاق : فلما رأى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ما يصيب أصحابه من البلاء ، وما هو فيه من العافية ، بمكانه من الله عز وجل ومن عمه أبي طالب ، وأنه لا يَقْدِر على أن يتمتعهم مما هم فيه من البلاء ، قال لهم : لو خرجتم إلى أرض الحبشة ، فإن بها مَلِكٌ لا يُظْلَم عنده أحد ، وهى أرضٌ صِدْق ، حتى يجعل الله لكم فَرَجًا مما أنتم فيه .

فخرج عند ذلك المسلمون من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أرض الحبشة مخافة الفتنة وفراراً إلى الله بدينهم .

فكانت أول هجرة كانت فى الإسلام .

فكان أول من خرج من المسلمين عثمان بن عفان وزوجته رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وكذا روى البيهقي من حديث يعقوب بن سفيان ، عن عباس العنبري ، عن بشر بن موسى ، عن الحسن بن زياد البرُّجُمي^(١) ، حدثنا قتادة ، قال : أول من هاجر إلى الله تعالى بأهله عثمان بن عفان رضى الله عنه .

سمعت النَّضْر بن أنس يقول سمعت أبا حمزة ، يعنى أنس بن مالك ، يقول : خرج عثمان بن عفان ومعه امرأته رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إلى أرض الحبشة ، فأبطأ على رسول الله صلى الله عليه وسلم خبرهما ، فقَدِمَت امرأة من قريش فقالت :

(١) نسبة إلى البراجم ، قبيلة من تميم ، وهو لقب لخمس بطون . الباب ١-١٠٧

يا محمد ، قد رأيتُ خَنَنَكَ^(١) ومعه امرأته . قال : على أى حال رأيتيهما ؟

قالت : رأيتُهُ قد حمل امرأته على حمار من هذه الدَّيَّابَةِ^(٢) وهو يسوقها .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : صحبهما الله ! إن عثمان أولُ من هاجر بأهله بعد لوط عليه السلام .

قال ابن إسحاق : وأبو حذيفة بن عُتْبَةَ ، وزوجته سهيلة بنت سهيل بن عمرو ، وولدت له بالحبشة محمد بن أبي حذيفة .

والزبير بن العوام ، ومُصْعَب بن عُمَيْر ، وعبد الرحمن بن عوف ، وأبو سلمة بن عبد الأسد ، وامرأته أم سلمة بنت أبي أمية بن المغيرة ، وولدت له بها زينب .

وعثمان بن مَظْعُون ، وعامر بن ربيعة حليف آل الخطاب ، وهو من بني عَزْر بن وائل ، وامرأته ليلي بنت أبي حَثْمَةَ ، وأبو سَبْرَةَ بن أبي رَهم العامري . وامرأته أم كلثوم بنت سهيل بن عمرو ، ويقال أبو حاطب بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حِسل بن عامر ، وهو أولُ من قدِمها فيما قيل . وسُهَيْلُ بن بيضاء .

فهؤلاء العشرة أولُ من خرج من المسلمين إلى أرض الحبشة ، فيما بلغنى .

قال ابن هشام : وكان عليهم عثمان بن مظعون ، فيما ذكر بعض أهل العلم .

قال ابن إسحاق : ثم خرج جعفر بن أبي طالب ومعه امرأته أسماء بنت عميس . وولدت له بها عبد الله بن جعفر .

وتتابع المسلمون حتى اجتمعوا بأرض الحبشة .

وقد زعم موسى بن عُقْبَةَ أن الهجرة الأولى إلى أرض الحبشة كانت حين دخل

أبو طالب ومن حالفه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الشعب .
وفي هذا نظر . والله أعلم .

وزعم أن خروج جعفر بن أبي طالب إنما كان في الهجرة الثانية إليها ، وذلك بعد
عَوْد بعض من كان خرج أولاً ، حين بلغهم أن المشركين أسلموا وصلّوا ، فلما قدموا
مكة ، وكان فيمن قدِم عثمان بن مظعون ، فلم يجدوا ما أُخبروا به من إسلام المشركين
صحيحاً ، فرجع من رجع منهم ومكث آخرون بمكة ، وخرج آخرون من المسلمين إلى أرض
الحبشة وهي الهجرة الثانية . كما سيأتى بيانه .

قال موسى بن عقبة : وكان جعفر بن أبي طالب فيمن خرج ثانياً .
وما ذكره ابن إسحاق من خروجه في الرّاعيل الأول أظهر كما سيأتى بيانه .
والله أعلم .

لكنه كان في زُمْرَةِ ثانية من المهاجرين أولاً ، وهو المقدم عليهم والمتّرجم عنهم
عند النجاشي وغيره . كما سنورده مبسوطاً .

* * *

ثم إن ابن إسحاق سردَ الخارجين صحبة جعفر رضى الله عنهم .
وهم : عمرو بن سعيد بن العاص ، وامرأته فاطمة بنت صفوان بن أمية بن مُحَرَّث
ابن شِقِّ الكنانى .

وأخوه خالد ، وامرأته أمينة بنت خلف بن أسعد الخزاعى ، وولدت له بها سعيدا
وأمةً التى تزوجها بعد ذلك الزبير فولدت له عمراً وخالداً .

قال : وعبدُ الله بن جحش بن رِثاب ، وأخوه عُبَيْدُ الله ، ومعه امرأته أم حبيبة
بنت أبي سفيان .

وقيسُ بن عبد الله من بنى أسد بن خزيمَةَ وامراته بركة بنت يسار مولاة أبي سفيان .

ومُعَيْقِب بن أبي فاطمة ، وهو من موالى سعيد بن العاص . قال ابن هشام : وهو من دؤس .

قال : وأبو موسى [الأشعري] عبد الله بن قيس حليف آل عتبة بن ربيعة . وسنتكلم معه في هذا .

وعُتْبَةُ بن غَزْوَان ، ويزيد بن زَمْعَةَ بن الأسود ، وعمر بن أمية بن الحارث بن أسد ، وطلّيب بن عُمَيْر بن وهب بن أبي كثير ^(١) بن عبد ، وسُوَيْبِط بن سعد بن حُرَيْمَلَةَ ^(٢) ، وجَهْم بن قيس العبْدَوِي ، ومعه امرأته أم حرملة بنت عبد الأسود بن خزيمَةَ ، وولدها عمرو بن جَهْم وخزيمَةَ بن جَهْم ، وأبو الرُّوم بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار ، وفِرَاس بن النضر بن الحارث بن كَلْدَةَ ، وعامر بن أبي وقاص أخو سعد ، والمطلب بن أَرْهَر بن عبد عوف الزُّهْرِي . وامراته رَمْلَةُ بنت أبي عوف بن ضُبَيْرَةَ ، وولدت بها عبد الله .

وعبدُ الله بن مسعود ، وأخوه عتبة ، والمقداد بن الأسود ، والحارث بن خالد بن صخر التَّيْمِي ، وامراته رَيْطَةُ بنت الحارث بن جُبَيْلَةَ ^(٣) ، وولدت له بها موسى وعائشة وزينب وفاطمة .

وعمر بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مُرَّة ، وشمَّاس بن عثمان بن الشَّريد الخزومي . قال : وإنما سمي شمساً لحسنه ، وأصلُ اسمه عثمان بن عثمان .

وهَبَّار بن سفيان بن عبد الأسد الخزومي ، وأخوه عبد الله ، وهشام بن أبي حذيفة

(١) وتروى : كبير .

(٢) وتروى : حرملة .

(٣) في الاستيعاب : ابن جبلة .

ابن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم ، وسلمة بن هشام بن المغيرة ، وعيَّاش بن أبي ربيعة بن المغيرة ، ومُعْتَب بن عوف بن عامر ، ويقال له عَيْهَامَة ، وهو من حلفاء بني مخزوم .

قال : وقُدَّامَة وعبد الله أخوا عثمان بن مَظْعُون ، والسائب بن عثمان بن مظعون ، وحاطب بن الحارث بن مَعْمَر ، ومعه امرأته فاطمة بنت المُجَلَّل ، وابناه منها محمد والحارث ، وأخوه خطاب ، وامرأته فُكَيْهَة بنت يَسَّار ، وسفيان بن مَعْمَر بن حبيب ، وامرأته حَسَنَة وابناه منها جابر وجُنَادَة ، وابنها من غيره ، وهو شُرْحَبِيل بن عبد الله ، أحد الفَوْث بن مزاحم بن تميم ، وهو الذي يقال له شُرْحَبِيل بن حَسَنَة .

وعثمان بن ربيعة بن أَهْبَان بن وهب بن حُدَافَة بن جُمَح ، وخُنَيْس بن حُدَافَة بن قيس بن عدى ، وعبد الله بن الحارث بن قيس بن عدى بن سعيد بن سهم ، وهشام بن العاص بن وائل بن سعيد ، وقيس بن حُدَافَة بن قيس بن عدى ، وأخوه عبد الله .

وأبو قيس بن الحارث بن قيس بن عدى ، وإخوته : الحارث ومَعْمَر والسائب وبِشْر وسعيد ، أبناء الحارث ، و [أخو] سعيد بن قيس بن عدى لأمِّه ، وهو سعيد بن عمرو التميمي .

ومُعْمِر بن رِثَاب بن حذيفة بن مُهَشِّم بن سعيد بن سَهْم ، وحليف لبني سهم وهو تَحْمِيَة بن جَزْء ^(١) ، الزُّبَيْدَى ومَعْمَر بن عبد الله العدَوِي ، وعروة بن عبد العزى ، وعدى بن نَضْلَة بن عبد العزى ، وابنه النعمان ، وعبد الله بن تَحْرَمَة العامري ، وعبد الله بن سهيل ابن عمرو ، وسَلِيط بن عمرو ، وأخوه السكران ، ومعه زوجته سَوْدَة بنت زَمْعَة ، ومالك بن ربيعة ، وامرأته عَمْرَة بنت السَّعْدَى ، وأبو حاطب ^(٢) بن عمرو العامري وحليفهم سعد بن خَوْلَة ، وهو من اليمن .

(١) ويروى كما في ابن هشام والاستيعاب : ابن جزاء .

(٢) ويروى كما في الاستيعاب : حاطب بن عمرو .

وأبو عبيدة عامر بن عبد الله بن الجراح الفهري ، وسُهَيْل بن بيضاء ، وهى أمه ،
واسمها دَعْد بنت جَعْدَم بن أمية بن ظَرِب بن الحارث بن فِهر ، وهو سهيل بن وهب
ابن ربيعة بن هلال [بن أهيب] ^(١) بن ضَبَّة ، وعمر بن أبي سَرْح بن ربيعة بن هلال
[بن أهيب] ^(١) بن مالك بن ضَبَّة بن الحارث ، وعِيَّاض بن زُهَيْر بن أبي شداد بن
ربيعة بن هلال بن مالك بن ضبة ، وعمر بن الحارث بن زهير بن أبي شداد بن ربيعة ،
وعثمان بن عبد غَنَم بن زهير أخوان ، وسعيد بن عبد قيس بن لقيط ، وأخوه
الحارث ، الفهريون .

قال ابن إسحق : فكان جميع من لَحِقَ بأرض الحبشة وهاجر إليها من المسلمين ،
سوى أبنائهم الذين خرجوا بهم صغاراً أو ولدوا بها ، : ثلاثة وثمانين رجلاً إن كان عمار
ابن ياسر فيهم ، وهو يُشَكُّ فيه .

قلت : وذِكْرُ ابن إسحق أبا موسى الأشعري فيمن هاجر من مكة إلى أرض الحبشة
غريب جداً .

وقد قال الإمام أحمد : حدثنا حسن بن موسى ، سمعت حُذَيْفًا ^(٢) أخا زُهَيْر بن
معاوية ، عن أبي إسحق ، عن عبد الله بن عَتْبَةَ ، عن ابن مسعود قال : بعثنا رسولُ
الله صلى الله عليه وسلم إلى النجاشي ونحن نحو ^(٣) من ثمانين رجلاً ، فيهم عبد الله بن
مسعود وجعفر ، وعبد الله بن عَرَفْطَةَ ، وعثمان بن مظعون وأبو موسى .
فأتوا النجاشي .

(١) الزيادة من ابن هشام . (٢) الأصل خديج بالخاء . وهو تحريف وما أثبتته عن المسند .

(٣) ط : نحوا . وما أثبتته عن المسند .

وبعثت قريش عمرو بن العاص وعمارة بن الوليد بهدية .

فلما دخلا على النجاشي سجدا له ثم ابتدراه عن يمينه وعن شماله ، ثم قالاه : إن نفرا من بني عمنا نزلوا أرضك ورغبوا عنا وعن ملتنا .

قال : فأين هم ؟ قالوا : في أرضك فابعث إليهم .

فبعث إليهم ، فقال جعفر : أنا خطيبكم اليوم . فاتبعوه .

فسلم ولم يسجد ، فقالوا له : مالك لا تسجد للملك ؟

قال : إنا لا نسجد إلا لله عز وجل .

قال : وما ذاك ؟

قال : إن الله بعث إلينا رسولا ، ثم أمرنا ألا نسجد لأحد إلا لله عز وجل ، وأمرنا بالصلاة والزكاة .

قال عمرو : فإنهم يخالفونك في عيسى بن مريم .

قال : فما تقولون في عيسى بن مريم وأمه .

قال : نقول كما قال الله : هو كلمته وروحه ألقاها إلى العذراء البتول التي لم يمسهما بشر ولم يقرضها ولد ^(١) .

قال : فرفع عودا من الأرض ثم قال : يامعشر الحبشة والقسيسين والرهبان ، والله ما يزيدون على الذي تقول ^(٢) فيه ماسوى ^(٣) هذا ، مرجبا بكم وبمن جئتم من عنده ، أشهد أنه رسول الله وأنه الذي نجد في الإنجيل ، وأنه الرسول الذي بشر به عيسى بن مريم ، انزلوا حيث شئتم ، والله لو لا ما أنا فيه من الملك لأتيتنه حتى أكون أنا الذي أحمل نعليه ^(٤) !

(١) رواية النهاية لابن الأثير : ولم يقرضها ولد . قال : أى لم يؤثر فيها ولم يحزها ، يعنى قبل المسيح . ورواية ابن الجوزى في الوفا : ولم يقرعها ذكر .

(٢) مسند أحمد : يقول . (٣) المسند : ما يسوى . (٤) زاد في المسند : وأوضه .

وأمر بهدية الآخرين فردّت إليهما .

ثم تعجّل عبدُ الله بن مسعود حتى أدرك بدرًا .

وزعم أن النبي صلى الله عليه وسلم استغفر له حين بلغه موته .

وهذا إسناد جيد قوى وسياق حسن ، وفيه ما يقتضى أن أبا موسى كان فيمن هاجر

من مكة إلى أرض الحبشة ، إن لم يكن مُدرجا من بعض الرواة . والله أعلم .

وقد روى عن أبي إسحق السَّبيعيّ من وجه آخر .

فقال الحافظ أبو نُعيم في الدلائل : حدثنا سليمان بن أحمد ، حدثنا محمد بن زكريا

الغُلَابيّ ، حدثنا عبد الله بن رجاء ، حدثنا إسرائيل .

وحدثنا سليمان بن أحمد ، حدثنا محمد بن زكريا ، حدثنا الحسن بن عُلوية القَطَّان ،

حدثنا عباد بن موسى الخُتليّ ، حدثنا إسماعيل بن جعفر ، حدثنا إسرائيل .

وحدثنا أبو أحمد ، حدثنا عبد الله بن محمد بن شيرويه ، حدثنا إسحق بن إبراهيم ،

هو ابن راهَوَبة ، حدثنا عبيد الله ^(١) بن موسى ، حدثنا إسرائيل ، عن أبي إسحق ،

عن أبي بُردة ، عن أبي موسى ، قال :

أمرنا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أن نطلق مع جعفر بن أبي طالب إلى

أرض النجاشي ^(٢) .

فبلغ ذلك قريشا فبعثوا عمرو بن العاص وعُمارة بن الوليد ، وجمعوا

للنجاشي هدية .

وقدما على النجاشي فأتياه بالهدية ، فقبلها ، وسجدا له .

(١) دلائل النبوة ٢٠٥ : عبد الله . (٢) الدلائل أرض الحبشة .

ثم قال عمرو بن العاص : إن ناسا من أرضنا رغبوا عن ديننا ، وهم في أرضك .
قال لهم النجاشي : في أرضي ؟ !
قالا : نعم .

فبعث إلينا ، فقال لنا جعفر : لا يتكلم منكم أحد ، أنا خطيبكم اليوم .
فانتهينا ^(١) إلى النجاشي وهو جالس في مجلسه وعمرو بن العاص عن يمينه وعمارة
عن يساره ، والقسيسون جلوس سباطين ، وقد قال له عمرو وعمارة : إنهم
لا يسجدون لك .

فلما انتهينا بَدَرْنَا مَنْ عنده من القسيسين والرهبان : اسجدوا للملك .
فقال جعفر : لا نسجد إلا لله عز وجل .

فاما انتهينا إلى النجاشي قال : ما منعك أن تسجد ؟
قال : لا نسجد إلا لله .

فقال له النجاشي : وما ذاك ؟

قال : إن الله بعث فينا رسولا ، وهو الرسول الذي بشر به عيسى بن مريم عليه
الصلاة والسلام من بعده ، اسمه أحمد ، فأمرنا أن نعبد الله ولا نشرك به شيئا ، ونقيم
الصلاة ونؤتي الزكاة ، وأمرنا بالمعروف ، ونهانا عن المنكر .
فأعجب النجاشي قوله .

فلما رأى ذلك عمرو بن العاص قال : أصلح الله الملك ، إنهم يخالفونك في
عيسى بن مريم .

فقال النجاشي لجعفر : ما يقول صاحبكم في ابن مريم .

قال : يقول فيه قولَ الله : هو روحُ الله وكلته ، أخرجهُ من العذراء البتول التي لم يَقْرَبْهَا بشرٌ ولم يَقْرَضْهَا ولد .

فتناول النجاشيُّ عوداً من الأرض فرفعه فقال : يامعشر القسيسين والرهباب : مايزيدون هؤلاء على ما تقول في ابن مريم ولا وزنَ هذه .

مرحباً بكم وبمن جئتم من عنده ، فأنا أشهد أنه رسول الله ، وأنه الذي بشر به عيسى ، ولولا ما أنا فيه من الملك لأنتيته حتى أقبل نعليه ، امكثوا في أرضي ماشئتم .

وأمر لنا بطعام وكسوة ، وقال : ردُّوا على هذين هديتهما .

وكان عمرو بن العاص رجلاً قصيراً ، وكان عمارة رجلاً جليلاً ، وكانا أقبلًا في البحر فشربا ، ومع عمرو امرأته ، فلما شربا قال عمارة لعمرو : مُرْ امرأتك فلتقبِّلني . فقال له عمرو : ألا تستحي ! فأخذ عمارة عمرأً فرمى به في البحر ، فجعل عمرو يناشد عمارة حتى أدخله السفينة .

لحقه عليه عمرو في ذلك ، فقال عمرو للنجاشي : إنك إذا خرجت خلفك عمارة في أهلك . فدعا النجاشيُّ بعبارة فنفخ في إحليله ، فطار مع الوحش ^(١) .

وهكذا رواه الحافظ البيهقي في الدلائل عن طريق أبي علي الحسن بن سلام السوَّاق ، عن عبيد الله بن موسى ، فذكر بإسناده مثله ، إلى قوله : « فأمر لنا بطعام وكسوة » . قال : وهذا إسناد صحيح ، وظاهره يدل على أن أبا موسى كان بمكة ، وأنه خرج مع جعفر بن أبي طالب إلى أرض الحبشة .

والصحيح عن يزيد بن عبد الله بن أبي بُرْدَة ، عن جده أبي بردة ، عن أبي موسى : أنهم بلغهم مَخْرَجُ رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم باليمن ، فخرجوا مهاجرين في بضع وخمسين

(١) الذي في دلائل النبوة لأبي نعيم ١٩٦ - ٢٠٧ عدة روايات عن الهجرة إلى الحبشة وليس فيه رواية واحدة كاملة بهذا السياق الذي ذكره ابن كثير ، ولعله أدمج بعضها في بعض .

رجلا في سفينة ، فألقتهم سفينتهم إلى النجاشي بأرض الحبشة ، فوافقوا جعفرَ بن أبي طالب وأصحابه عندهم ، فأمره جعفر بالإقامة ، فأقاموا عنده حتى قدموا على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم زمن خيبر .

قال : وأبو موسى شهد ماجرى بين جعفر وبين النجاشي فأخبر عنه .

قال : ولعل الراوى وَهَمَ في قوله : « أمرنا رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم أن ننطلق » . والله أعلم .

وهكذا رواه البخارى في باب هجرة الحبشة : حدثنا محمد بن العلاء ، حدثنا أبو أسامة ، حدثنا بُرَيْدٌ ^(١) بن عبد الله ، عن أبي بُرْدَةَ ، عن أبي موسى ، قال : بَلَفْنَا نَحْرُجُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَنَحْنُ بِالْيَمَنِ ، فَرَكَبْنَا سَفِينَةً ، فَأَلْقَتْنَا سَفِينَنَا إِلَى النَّجَاشِيِّ بِالْحَبْشَةِ فَوَاقَفَنَا جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فَأَقَمْنَا مَعَهُ حَتَّى قَدِمْنَا ، فَوَافَيْنَا ^(٢) النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ افْتَتَحَ خَيْبَرَ ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « لَكُمْ أَتَمُّ أَهْلِ السَّفِينَةِ هَجْرَتَانِ » .

وهكذا رواه مسلم عن أبي كُرَيْبٍ وَأَبِي عَامِرٍ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بَرَّادٍ ^(٣) ، كلاهما عن أبي أسامة به . وروياه في مواضع آخر مطولا . والله أعلم .

وأما قصة جعفر مع النجاشي فإن الحافظ ابن عساكر رواها في ترجمة جعفر بن أبي طالب من تاريخه ، من رواية نفسه ومن رواية عمرو بن العاص ، وعلى يديهما جرى الحديث ، ومن رواية ابن مسعود ، كما تقدم ، وأمَّ سَلَمَةَ كما سيأتى .

(١) خ ط : يزيد . وهو تحريف وما أثبتته من البخارى ١٨٦ / ٢ .

(٢) ابن يوسف بن أبي بردة بن أبي موسى .

(٣) البخارى : فوافقنا .

فأما رواية جعفر فإنها عزيزة جدا ، رواها ابن عساكر ، عن أبي القاسم السمرقندي ، عن أبي الحسين بن النُّقُور ، عن أبي طاهر الحائِص ، عن أبي القاسم بن البَغَوِي ، قال : حدثنا أبو عبد الرحمن الجعفي ، عن عبد الله بن عمر بن أبان ، حدثنا أسد بن عمرو البَجَلِي ، عن مُجَالِد بن سَعِيد ، عن الشَّعْبِي عن عبد الله بن جعفر ، عن أبيه قال :

بعثت قريش عمرو بن العاص وعمارة بن الوليد بهدية من أبي سفيان إلى النجاشي ، فقالوا له ، ونحن عنده : قد صار إليك ناس من سفلتنا وسفهاثنا ، فادفعهم إلينا .

قال : لا حتى أسمع كلامهم .

قال : فبعث إلينا فقال : ما يقول هؤلاء ؟

قال : قلنا هؤلاء قوم يعبدون الأوثان ، وإن الله بعث إلينا رسولا فآمنّا به وصدّقناه .

فقال لهم النجاشي : أعييذكم لكم ؟ قالوا : لا . فقال : فلكم عليهم دين ؟ . قالوا : لا .

قال : تخلّوا سبيلهم .

قال : نفرجنا من عنده ، فقال عمرو بن العاص : إن هؤلاء يقولون في عيسى غير ما تقول .

قال : إن لم يقولوا في عيسى مثلَ قولي لم أدعهم في أرضي ساعة من نهار .

فأرسل إلينا ، فكانت الدعوة الثانية أشدَّ علينا من الأولى .

قال : ما يقول صاحبكم في عيسى بن مريم ؟

قلنا : يقول : هو روح الله و كلمته ألقاها إلى عذراء بتُول .

قال : فأرسل فقال : ادعوا لي فلانَ القسّ وفلانَ الراهب ، فأتاه ناس منهم ، فقال :

ما تقولون في عيسى بن مريم ؟

فقالوا : أنت أعلمنا ، فما تقول ؟

! قال النجاشي ، وأخذ شيئاً من الأرض ، قال : ما عدّا عيسى ما قال هؤلاء .
مثل هذا .

ثم قال : أبؤذيكم أحداً ؟ قالوا : نعم .

فنادى منادٍ : من آذى أحداً منهم فأغرموه أربعة دراهم . ثم قال : أيكفيكم ؟
قلنا : لا . فأضعفها .

قال : فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة وظهر بها قلنا له : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ظهر وهاجر إلى المدينة وقتل الذين كفا حدّثناك عنهم ،
وقد أردنا الرحيل إليه ، فرُدّنا .

قال : نعم . حملنا وزودنا ، ثم قال : أخبر صاحبك بما صنعتُ إليكم ، وهذا
صاحبى معكم ، أشهد أن لا إله إلا الله وأنه رسول الله ، وقل له يستغفر لى .

قال جعفر : فخرجنا حتى أتينا المدينة ، فتلقانى رسول الله صلى الله عليه وسلم
واعتنقنى ، ثم قال : ما أدرى أنا بفتح خير أفرح أم بقدم جعفر !
ووافق ذلك فتح خير . ثم جلس .

فقال رسول النجاشي : هذا جعفر فسّله ما صنع به صاحبنا .

فقال : نعم ، فعل بنا كذا وكذا ، وحملنا وزودنا ، وشهد أن لا إله إلا الله وأنك
رسول الله ، وقال لى : قل له يستغفر لى .

فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فتوضأ ثم دعا ثلاث مرات : اللهم اغفر للنجاشي
فقال المسلمون : آمين .

ثم قال جعفر : فقلت للرسول : انطلق فأخبر صاحبك بما رأيت من رسول الله
صلى الله عليه وسلم .

ثم قال ابن عساكر : حسن غريب .

وأما رواية أم سلمة فقد قال يونس بن بُكَيْر ، عن محمد بن إسحق ، حدثني الزُّهري ، عن أبي بكر بن عبد الرحمن بن حارث بن هشام ، عن أم سلمة رضي الله عنها ، أنها قالت :

لما ضاقت مكة وأوذى أصحابُ رسول الله صلى الله عليه وسلم وفتنوا ورأوا ما يصيبهم من البلاء والفتنة في دينهم وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يستطيع دفع ذلك عنهم ، وكان رسول الله في منعةٍ من قومه ومن عمه ، لا يصل إليه شيء مما يكره . ومما ينال أصحابه ، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن بأرض الحبشة ملكاً لا يُظلم أحد عنده ، فالحقوا ببلاده حتى يجعل الله لكم فرجاً ومخرجاً مما أنتم فيه » .

فخرجنا إليها أرسالاً ، حتى اجتمعنا بها ، فنزلنا بجبر دار إلى خير جار آمنين على ديننا ، ولم نخشَ فيها ظلماً .

فلما رأت قريش أنا قد أصبنا داراً وأمننا غاروا منا ، فاجتمعوا على أن يبعثوا إلى النجاشي فينا ليخرجنا من بلاده وليردنا عليهم .

فبعثوا عمرو بن العاص وعبد الله بن أبي ربيعة ، فجمعوا له هدايا ولبطارقته ، فلم يدعوا منهم رجلاً إلا هَيَّأوا له هدية على حدة ، وقالوا لها : ادفعوا إلى كل بطريق هديته قبل أن تتكلموا فيهم ، ثم ادفعوا إليه هداياه ، فإن استطعتم أن يردَّهم عليكم قبل أن يكلمهم فافعلوا .

فقدما عليه ، فلم يبق بطريق من بطارقته إلا قدموا إليه هديته ، فكلّموه فقالوا له : إنما قدّمنا على هذا الملك في سفهائنا ، فارقوا أقوامهم في دينهم ولم يدخلوا في دينكم .

فبعثنا قومهم ليردّهم الملك عليهم ، فإذا نحن كلمناه فأشيروا عليه بأن يفعل .
فقالوا : نفعل .

ثم قدّموا إلى النجاشي هداياه ، وكان من أحب ما يهدون إليه من مكة الأدم^(١) ،
وذكر موسى بن عقبة أنهم أهدوا إليه فرسا وجبة ديباج .

فلما أدخلوا عليه هداياه قالوا له : أيها الملك ، إن فتيةً منا سفهاء فارقوا دين قومهم
ولم يدخلوا في دينك ، وجاءوا بدين مبتدع لا نعرفه ، وقد لجأوا إلى بلادك ، وقد بعثنا
إليك فيهم عشائرهم ، آبائهم وأعمامهم وقومهم لتردّهم عليهم ، فإنهم أعلى بهم عينا ،
فإنهم لن يدخلوا في دينك فتمنعهم لذلك .

فغضب ثم قال : لا لعمر الله ! لا أردّهم عليهم حتى أَدْعُوهم فأكلّمهم وأنظر ما أمرهم ،
قومٌ لجأوا إلى بلادى واختاروا جوارى على جوار غیری ، فإن كانوا كما يقولون رددتهم
عليهم ، وإن كانوا على غير ذلك منعّتهم ولم أدخل بينهم وبينهم ، ولم أنعم عينا .
وذكر موسى بن عقبة أن أمراءه أشاروا عليه بأن يردهم إليهم ، فقال : لا والله حتى
أسمع كلامهم وأعلم على أى شيء هم عليه .

فلما دخلوا عليه سلّموا ولم يسجدوا له ، فقال : أيها الرهط ألا تحدثوني مالكم
لا تحيوني كما يحييني من أئنانا من قومكم ؟ !
فأخبروني ماذا تقولون في عيسى ، وما دينكم ؟

أنصارى أنتم ؟

قالوا : لا .

قال : أفیهود أنتم ؟

(١) الأدم : الجلد ، أو المصوغ منه .

قالوا : لا .

قال : فعلى دين قومكم ؟

قالوا : لا .

قال : فما دينكم ؟

قالوا : الإسلام .

قال : وما الإسلام ؟

قالوا : نَعْبُدُ اللَّهَ ، لا نُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا .

قال : من جاءكم بهذا ؟

قالوا : جاءنا به رجل من أنفسنا ، قد عرفنا وجهه ونَسَبَهُ ، بعثه الله إلينا كما بَعَثَ الرسلَ إلى مَنْ قبلنا ، فأمرنا بالبرِّ والصدقة والوفاء وأداء الأمانة ، ونهانا أن نعبد الأوثان ، وأمرنا بعبادة الله وحده لا شريك له فصدَّقناه وعرفنا كلامَ الله ، وعلمنا أن الذى جاء به من عند الله ، فلما فعلنا ذلك عادانا قومنا وعادوا النبیَّ الصادق ، وكذَّبوه وأرادوا قتله ، وأرادونا على عبادة الأوثان ، ففرَرْنَا إليك بديننا ودمائنا من قومنا .

قال : والله إن هذا لمن المشكاة التى خرج منها أمرُ موسى .

قال جعفر : وأما التحيةُ : فإن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أخبرنا أن تحية أهل الجنة السلام ، وأمرنا بذلك فحيَّيْنَاكَ بالذى يحى بعضنا بعضا .

وأما عيسى بن مريم ، فعبدُ الله ورسولُه وكلته ألقاها إلى مريم وروحُ منه ، وابن العذراء البتُول .

فأخذ عودا وقال : والله ما زاد ابنُ مريم على هذا وزنَ هذا العود .

فقال عطاء الحبشة : والله لئن سمعت الحبشة لتخلعنك .

فقال : والله لا أقول في عيسى غيرَ هذا أبداً ، وما أطاع اللهُ الناسَ فيَّ حينَ ردِّ عليَّ مُلكي فأطيع^(١) الناسَ في دين الله ، معاذَ الله من ذلك .

وقال يونس عن ابن إسحاق : فأرسل إليهم النجاشي فجمعهم ، ولم يكن شيء أبغض لعمر بن العاص وعبد الله بن أبي ربيعة من أن يسمع كلامهم .

فلما جاءهم رسولُ النجاشي اجتمع القوم فقالوا : ماذا تقولون ؟ فقالوا : وماذا نقول ! نقول والله ما نعرف وما نحن عليه من أمر ديننا ، وما جاء به نبينا صلى الله عليه وسلم كائنٌ من ذلك ما كان .

فلما دخلوا عليه كان الذي يكلمه منهم جعفرُ بن أبي طالب رضى الله عنه .

فقال له النجاشي : ما هذا الدين الذي أنتم عليه ؟ فارقم دينَ قومكم ولم تدخلوا في يهودية ولا نصرانية .

فقال له جعفر : أيها الملك ، كنا قومًا على الشرك ، نعبد الأوثان ونأكل الميتة ونسئ الجوار ، يستحل المحارم بعضنا من بعض في سفك الدماء وغيرها ، لا نحل شيئاً ولا نحرِّمه ، فبعث الله إلينا نبياً من أنفسنا نعرف وفاءه وصدقه وأمانته ، فدعانا إلى أن نَعْبُدَ الله وحده لا شريك له ، ونَصِلَ الأرحام ونَحْمِيَ الجوار ، ونصلي الله عز وجل ونصوم له ولا نعبد غيره .

وقال زياد^(٢) عن ابن إسحاق : فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده ، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآبائنا من دونه من الحجارة والأوثان ، وأمرنا بصدق الحديث وأداء الأمانة ، وصلة الأرحام وحسن الجوار والكف عن المحارم والدماء ، ونهانا عن الفواحش وقول الزور

(١) المطبوعة : فاطم . وهو تحريف .

(٢) هو زياد البكائي راوى السيرة عن ابن إسحاق ، وروايته مقابلة لرواية يونس بن بكير .

وأكل مال اليتيم وقَذَفَ الْمُحْصَنَةَ ، وأمرنا أن نعبد الله ولا نشرك به شيئاً ، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام .

قال : فعَدَدٌ ^(١) عليه أمور الإسلام .

فصَدَّقْنَاهُ وَأَمَنَّا بِهِ وَاتَّبَعْنَاهُ عَلَى مَا جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ، فَعَبَدْنَا اللَّهَ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَلَمْ نَشْرِكْ بِهِ شَيْئاً ، وَحَرَّمْنَا مَا حَرَّمَ عَلَيْنَا وَأَحَلَّلْنَا مَا أَحَلَّ لَنَا .

فَعَدَّا عَلَيْنَا قَوْمَنَا فَعَدَّبُونَا لِيَقْتَنُونَا عَنْ دِينِنَا وَيُرْثُونَا إِلَى عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ مِنْ عِبَادَةِ اللَّهِ ، وَأَنْ نَسْتَحِلَّ مَا كُنَّا نَسْتَحِلُّ مِنَ الْخَبَائِثِ .

فَلَمَّا قَهَرُونَا وَظَلَمُونَا وَضَيَّقُوا عَلَيْنَا وَحَالُوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ دِينِنَا خَرَجْنَا إِلَى بِلَادِكَ وَاخْتَرْنَاكَ عَلَى مَنْ سِوَاكَ ، وَرَغِبْنَا فِي جَوَارِكَ وَرَجَوْنَا أَلَّا نُظَلَّمَ عِنْدَكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ .

قالت : فقال النجاشي : هل معك شيء مما جاء به ؟

فقرأ عليه صدرًا من « كهيعص » فبكى والله النجاشي حتى أخضلت لحيته ، وبكت أساقفته حتى أخضلوا مصاحفهم .

ثم قال : إن هذا الكلام ليخرج من المشكاة التي جاء بها موسى ، انطلقوا راشدين ، لا والله لا أردُّهم عليكم ولا أنعمُكم عَيْنًا .

فخرجنا من عنده ، وكان أَبْقَى الرَّجُلَيْنِ فِينَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَبِيعَةَ ، فقال عمرو بن العاص : والله لآتينه غدًا بما أستأصلُ به خَصْرَاءَهُمْ ، ولأخبرنه أنهم يزعمون أن إله الذي يعبد ، عيسى بن مريم ، عَبْدٌ !

فقال له عبد الله بن ربِيعَةَ : لا تفعل ، فإنهم وإن كانوا خالفونا فإن لهم رحماً ولهم حقًا .

(١) الأصل : فعدوا . محرفة ، وما أثبتته عن ابن هشام .
(٢) هو زياد البكائي راوى السيرة عن ابن إسحاق ، وروايته مقابلة لرواية يونس بن بكير .

فقال : والله لأفعلن .

فلما كان الغدُ دخل عليه فقال : أيها الملك إنهم يقولون في عيسى قولاً عظيماً ، فأرسل إليهم فسألهم عنه .

فبعث والله إليهم ، ولم ينزل بنا مثلها .

فقال بعضنا لبعض : ماذا تقولون له في عيسى إن هو يسألكم عنه ؟ فقالوا : نقول والله الذي قاله الله فيه ، والذي أمرنا نبينا أن نقوله فيه .

فدخلوا عليه وعنده بطارقه ، فقال : ما تقولون في عيسى بن مريم ؟

فقال له جعفر : نقول هو عبد الله ورسوله وروحه وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول .

فدلى النجاشي يده إلى الأرض فأخذ عوداً بين إصبعيه فقال : ما عدا عيسى بن مريم مما قلت هذا العويد .

فتناخرت بطارقه^(١) ، فقال : وإن تناخرتم والله ! اذهبوا فأنتم شيوم في الأرض . الشيوم : الآمنون في الأرض . من سبكم غريم ، من سبكم غرم ، من سبكم غرم ، ثلاثاً . ما أحب أن لي دبراً وأني آذيت رجلاً منكم ، والدبر بلسانهم : الذهب .

وقال زياد عن ابن إسحاق : ما أحب أن لي دبراً من ذهب . قال ابن هشام : ويقال : زبراً . وهو الجبل بلفتهم .

ثم قال النجاشي : فوالله ما أخذ الله مني الرشوة حين ردّ عليّ ملكي ، ولا أطاع الناس فيّ فأطيع الناس فيه ، ردّوا عليهما هداياهم فلا حاجة لي بها ، وأخرجنا من بلادى .

(١) ط : بطارقه وهو تحريف .

نُفِرَ جَا مَقْبُوحَيْنِ مُرَدُّو دَا عَلَيْهِمَا مَا جَاءَا بِهِ .

قالت : فَأَقْمِنَا مَعَ خَيْرِ جَارٍ فِي خَيْرِ دَارٍ .

فَلَمْ يَنْشَبْ^(١) أَنْ خَرَجَ عَلَيْهِ رَجُلٌ مِنَ الْحَبَشَةِ يَنَازِعُهُ فِي مَلِكِهِ .
فَوَاللَّهِ مَا عَلِمْتُنَا حَزَنًا حَزَنًا قَطُّ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ ، فَرَقَا مِنْ أَنْ يَظْهَرَ ذَلِكَ الْمَلِكُ عَلَيْهِ فَيَأْتِي
مَلِكٌ لَا يَعْرِفُ مِنْ حَقِّنَا مَا كَانَ يَعْرِفُهُ .

فَجَعَلْنَا نَدْعُو اللَّهَ وَنَسْتَنْصِرُهُ لِلنَّجَاشِيِّ ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ سَائِرًا .
فَقَالَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ : مَنْ يَخْرُجُ فَيَحْضُرُ الْوَقِيعَةَ
حَتَّى يَنْظُرَ عَلَى مَنْ تَكُونُ .

فَقَالَ الزَّيْبِرُ ، وَكَانَ مِنْ أَحَدِهِمْ سَنًا : أَنَا .
فَنَفَخُوا لَهُ قِرْبَةً فَجَعَلَهَا فِي صَدْرِهِ ، فَجَعَلَ يَسْبَحُ عَلَيْهَا فِي النَّيْلِ حَتَّى خَرَجَ مِنْ شَقِهِ
الْآخِرِ إِلَى حَيْثُ التَّقَى النَّاسَ ، فَحَضَرَ الْوَقِيعَةَ .

فَهَزَمَ اللَّهُ ذَلِكَ الْمَلِكَ وَقَتْلَهُ وَظَهَرَ النَّجَاشِيُّ عَلَيْهِ .
فَجَاءَنَا الزَّيْبِرُ ، فَجَعَلَ يُبْلِيحُ لَنَا بَرْدَانَهُ وَيَقُولُ : أَلَا فَأَبْشُرُوا ، فَقَدْ أَظْهَرَ
اللَّهُ النَّجَاشِيَّ .

قالت^(٢) : فَوَاللَّهِ مَا عَلِمْتُنَا فَرَحًا بِشَيْءٍ قَطُّ فَرَحْنَا بِظُهُورِ النَّجَاشِيِّ . ثُمَّ أَقْمِنَا عِنْدَهُ حَتَّى
خَرَجَ مِنَّا إِلَى مَكَّةَ وَأَقَامَ مِنْ أَقَامَ .

(١) ط : نشب . محرفة .

(٢) ط . قلت : محرفة .

قال الزهرى : فحدثتُ هذا الحديث عُرْوَةُ بْنُ الزَّيْرِ عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ ، فَقَالَ عُرْوَةُ :
أَتَدْرِي مَا قَوْلُهُ : مَا أَخَذَ اللَّهُ مِنِّي الرِّشْوَةَ حِينَ رَدَّ عَلَيَّ مُلْكِي فَأَخَذَ الرِّشْوَةَ فِيهِ ، وَلَا أَطَاعَ
النَّاسَ فِيَّ فَأَطَاعَ النَّاسَ فِيهِ ؟

فقلت : لا ، ما حدثتني ذلك أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام عن
أُمِّ سَلَمَةَ .

فقال عروة : فَإِنَّ عَائِشَةَ حَدَّثَتْنِي أَنَّ أَبَاهُ كَانَ مَلِكَ قَوْمِهِ ، وَكَانَ لَهُ أَخٌ لَهُ مِنْ صُلْبِهِ
اثْنَا عَشَرَ رَجُلًا ، وَلَمْ يَكُنْ لِأَبِي النَّجَاشِيِّ وَلَدٌ غَيْرَ النَّجَاشِيِّ ، فَأَدَارَتْ الْحَبْشَةُ رَأْيَهَا بَيْنَهَا
فَقَالُوا : لَوْ أَنَا قَتَلْنَا أَبَا النَّجَاشِيِّ وَمَلَّكْنَا أَخَاهُ ، فَإِنَّ لَهُ اثْنَيْ عَشَرَ رَجُلًا مِنْ صُلْبِهِ فَتَوَارَثُوا
الْمُلْكَ ، لَبَقِيتَ الْحَبْشَةَ عَلَيْهِمْ دَهْرًا طَوِيلًا لَا يَكُونُ بَيْنَهُمْ اخْتِلَافٌ .
فَعَدَوْا عَلَيْهِمْ فَقَتَلُوهُ وَمَلَّكُوا أَخَاهُ .

فدخل النجاشيُّ بعمه حتى غلب عليه ، فلا يُدِيرُ أَمْرَهُ غَيْرُهُ ، وَكَانَ لِيَبِئْسَ
حَازِمًا مِنَ الرِّجَالِ .

فلما رأت الحبشة مكانه من عمه ، قالوا : قد غلب هذا الغلامُ على أمر عمه ، فما نَأْمَنُ
أَنْ يَمْلِكَهُ عَلَيْنَا ، وَقَدْ عَرَفْنَا أَنَا قَتَلْنَا أَبَاهُ ، فَلَنْ نَفْعَلَ لَمْ يَدْعُ مِنَّا شَرِيفًا إِلَّا قَتَلَهُ ، فَكَلِّمُوهُ
فِيهِ فَلْيَقْتُلْهُ أَوْ لِيُخْرِجْهُ مِنْ بِلَادِنَا .

فمشوا إلى عمه فقالوا : قد رأينا مكان هذا الفتى منك ، وقد عرفت أننا قتلنا أباه
وجعلناك مكانه ، وإنا لا نَأْمَنُ أَنْ يَمْلِكَ عَلَيْنَا فَيَقْتُلَنَا ، فإِذَا أَنْ تَقْتُلَهُ وَإِذَا أَنْ تُخْرِجْهُ
مِنْ بِلَادِنَا . قَالَ : وَيَحْكُمُ ! قَتَلْتُمْ أَبَاهُ بِالْأَمْسِ وَأَقْتُلْتُمُوهُ الْيَوْمَ ! بَلْ أَخْرِجْهُ
مِنْ بِلَادِكُمْ .

فخرجوا به فوقفوه في السوق وباعوه من تاجر من التجار قذفه في سفينة بستمائة درهم
أو بسبعمائة فانطلق به .

فلما كان العشيّ هاجت سحابة من سحائب الخريف، فخرج عمه يتمطرّ تحتها فأصابته صاعقةٌ فقتلته .

ففرّ عوا إلى ولده، فإذا هم مُحْمِقُونَ ليس في أحد منهم خير . فرَجَ (١) على الحبشة أمرهم . فقال بعضهم لبعض : تعلمون والله إن مَلِككم الذى لا يُصْلح أمركم غيره لَلَّذى بَعَثَ الغَدَاةَ ، فإن كان لكم بأمر الحبشة حاجة فأدرِكوه قبل أن يذهب .

فخرجوا في طلبه ، فأدرِكوه فردُّوه ، فعمقوا عليه تاجَه وأجلسوه على سريره ومَلَكوه .

فقال التاجر : ردوا علىّ مالى كما أخذتم منى غلامى . فقالوا : لا نعطيك . فقال : إذا والله لأكلمنّه .

فمشى إليه فكلّمه فقال : أيها الملك ، إني ابتعتُ غلاما فقبض منى الذين باعوه ثمنه ، ثم عدّوا على غلامى فنزعوه من يدى ولم يرُدُّوا علىّ مالى .

فكان أولَ ماخبر من صلابة حُكْمه وعدّله أن قال : لتَرُدَّن عليه ماله أو لتَجْعَلَن يَدَ غلامه فى يده فليذهبن به حيث شاء .

فقالوا : بل نعطيه ماله . فأعطوه إياه .

فلذلك يقول : ما أخذ الله منى الرِّشوة فأخذ الرِّشوة حين ردَّ علىّ ملكى ، وما أطاع الناسَ فىّ فأطيع الناسَ فيه .

وقال موسى بن عُقبة : كان أبو النجاشى ملك الحبشة ، فمات والنجاشى غلام صغير ، فأوصى إلى أخيه أنَّ إليك مُلْكَ قومك حتى يَبْلُغَ ابْنى ، فإذا بلغ فله المُلْكُ .

(١) مرج : اضطرب واختلط .

فَرِغِبَ أَخُوهُ فِي الْمَلِكِ ، فَبَاعَ النِّجَاشِيَّ مِنْ بَعْضِ التَّجَارِ .
فَمَاتَ عُمُهُ مِنْ لَيْلَتِهِ وَقَضَى ، فَرَدَّتْ الْحَبِشَةُ النِّجَاشِيَّ حَتَّى وَضَعُوا التَّاجَ عَلَى رَأْسِهِ .
هَكَذَا ذَكَرَهُ مُخْتَصَرًا ، وَسَيَاقُ ابْنِ إِسْحَاقَ أَحْسَنَ وَأَبْسَطَ فَاللَّهُ أَعْلَمُ .

وَالَّذِي وَقَعَ فِي سَيَاقِ ابْنِ إِسْحَاقَ إِنَّمَا هُوَ ذِكْرُ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي رِبِيعَةَ .

وَالَّذِي ذَكَرَهُ مُوسَى بْنُ عُقْبَةَ وَالْأُمَوِيُّ وَغَيْرُهُ وَاحِدُ أَهْمَا عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ وَعُمَارَةَ ابْنِ الْوَلِيدِ بْنِ الْمَغِيرَةِ .

وَهُوَ أَحَدُ السَّبْعَةِ الَّذِينَ دَعَا عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ تَضَاحَكُوا يَوْمَ وَضَعَ سَلَا الْجَزُورِ عَلَى ظَهْرِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ سَاجِدٌ عِنْدَ الْكَعْبَةِ .
وَهَكَذَا ^(١) تَقْدِمُ فِي حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ وَأَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ .

وَالْمَقْصُودُ أَهْمَا حِينَ خَرَجَا مِنْ مَكَّةَ ، كَانَتْ زَوْجَةُ عَمْرِو مَعَهُ ، وَعُمَارَةُ كَانَتْ شَابَا حَسَنًا ، فَاصْطَحَبَا فِي السَّفِينَةِ ، وَكَانَ عُمَارَةُ طَمَعَ فِي امْرَأَةِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ ، فَأَلْقَى عَمْرًا فِي الْبَحْرِ لِيَهْلِكَ ، فَسَبَحَ حَتَّى رَجَعَ إِلَيْهَا ، فَقَالَ لَهُ عُمَارَةُ : لَوْ أَعْلَمُ أَنَّكَ تُحَسِّنُ السَّبَاحَةَ لَمَّا أَلْقَيْتُكَ . فَخَفَّدَ عَمْرُو عَلَيْهِ .

فَلَمَّا لَمْ يُقْضَ لَهُمَا حَاجَةٌ فِي الْمُهَاجِرِينَ مِنَ النِّجَاشِيِّ ، وَكَانَ عُمَارَةُ قَدْ تَوَصَّلَ إِلَى بَعْضِ أَهْلِ النِّجَاشِيِّ ، فَوَشَّى بِهِ عَمْرُو ، فَأَمَرَ بِهِ النِّجَاشِيُّ فَسُحِرَ حَتَّى ذَهَبَ عَقْلُهُ وَسَاحَ فِي الْبَرَبَةِ مَعَ الْوَحُوشِ .

وَقَدْ ذَكَرَ الْأُمَوِيُّ قِصَّتَهُ مَطُولَةً جَدًّا ، وَأَنَّهُ عَاشَ إِلَى زَمَنِ إِيمَارَةِ عَمْرِ بْنِ الْخَطَّابِ ، وَأَنَّهُ تَقَصَّدَهُ بَعْضُ الصَّحَابَةِ وَمَسَكَهُ ، فَجَعَلَ يَقُولُ : أَرْسَلْنِي أَرْسَلْنِي وَإِلَا مِتُّ . فَلَمَّا لَمْ يَرْسَلْهُ مَاتَ مِنْ سَاعَتِهِ فَاللَّهُ أَعْلَمُ .

(١) أَيْ كَوْنَهُمَا عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ وَعُمَارَةُ بْنُ الْوَلِيدِ .

وقد قيل : إن قريشا بعثت إلى النجاشي في أمر المهاجرين مرتين : الأولى مع عمرو ابن العاص وعُمارة ، والثانية مع عمرو وعبد الله بن أبي ربيعة .
نص عليه أبو نُعَيْمٍ في الدلائل . والله أعلم .
وقد قيل إن البعثة الثانية كانت بعد وقعة بدر . قاله الزُّهْرِيُّ . لينالوا من هناك ثأراً ، فلم ينجبهم النجاشي رضي الله عنه وأرضاه إلى شيء ، مما سألوا . فالله أعلم .

وقد ذكر زياد عن ابن إسحق أن أبا طالب لما رأى ذلك من صنيع قريش ، كتب إلى النجاشي أبياتاً يحضه فيها على العدل وعلى الإحسان إلى من نزل عنده من قومه :
أَلَا لَيْتَ شِعْرِي كَيْفَ فِي النَّأْيِ جَعْفَرُ ۖ وَعَمْرُو وَأَعْدَاءُ الْعَدُوِّ الْأَقَارِبُ
وَمَا نَالَتْ (١) أَفْعَالُ النَّجَاشِيِّ جَعْفَرًا وَأَصْحَابَهُ ، أَوْ عَاقَ ذَلِكَ شَاغِبُ
تَعْلَمُ أَيْتَ اللَّعْنِ أَنْكَ مَا جَدُّ ۖ كَرِيمٌ فَلَا يَشْقَى إِلَيْكَ (٢) الْجَانِبُ
وَنَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ زَادَكَ بَسْطَةً ۖ وَأَسْبَابَ خَيْرِ كُلِّهَا بِكَ لَا زِبُ (٣)

وقال يونس عن ابن إسحق : حدثني يزيد بن رومان ، عن عروة بن الزبير ، قال :
إنما كان يكلم النجاشيَّ عثمان بن عفان رضي الله عنه ، والمشهور أن جعفرًا هو المترجم
رضي الله عنه .

وقال زياد البكَّائي عن ابن إسحق : حدثني يزيد بن رومان عن عروة ، عن
عائشة رضي الله عنها ، قالت : لما مات النجاشي كان يُتحدث أنه لا يزال يُرى على
قبره نور .

(٢) وتروى : لديك .

(١) وتروى : وهل نالت .

(٣) لازب : لاصق ملازم .

ورواه أبو داود عن محمد بن عمرو الرازى ، عن سلمة بن الفضل ، عن محمد بن إسحق به : لما مات النجاشى رضى الله عنه كفا نتحدث أنه لا يزال يرى على قبره نور .

* * *

وقال زياد عن محمد بن إسحق : حدثنى جعفر بن محمد ، عن أبيه قال : اجتمعت الحبشة فقالوا للنجاشى : إنك فارقت ديننا . وخرجوا عليه .

فأرسل إلى جعفر وأصحابه فيها لهم سفنا وقال : اركبوا فيها وكونوا كما أنتم ، فإن هُزمت فامضوا حتى تلحقوا بحيث شئتم ، وإن ظفرت فاثبتوا .

ثم عمد إلى كتاب فكتب فيه : هو يشهد أن لا إله إلا الله ويشهد أن عيسى عبده ورسوله وروحه وكلته ألقاها إلى مريم . ثم جعله فى قبائه عند المنكب الأيمن .

وخرج إلى الحبشة وضموا له ، فقال : يامعشر الحبشة ، ألسن أحق الناس بكم ؟ قالوا : بلى .

قال : فكيف أنتم بسيرتى فيكم ؟ قالوا : خير سيرة .

قال : فما بكم ؟ قالوا : فارقت ديننا وزعمت أن عيسى عبده ورسوله .

قال : فما تقولون أنتم فى عيسى ؟

قالوا : نقول هو ابن الله .

فقال النجاشى ، ووضع يده على صدره على قبائه : وهو يشهد أن عيسى بن مريم لم يزد على هذا . وإنما يعنى ما كتب .

فرضوا وانصرفوا .

فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما مات النجاشي صلى الله عليه واستغفر له .

وقد ثبت في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نعى النجاشي في اليوم الذي مات فيه ، وخرج بهم إلى المصلى فصفا بهم وكبر أربع تكبيرات .

وقال البخارى : « موت النجاشي » حدثنا أبو الربيع ، حدثنا ابن عيينة ، عن ابن جريج ، عن عطاء ، عن جابر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين مات النجاشي : مات اليوم رجل صالح ، قوموا فصلوا على أخيكم أصحمة » .

وروى ذلك من حديث أنس بن مالك وابن مسعود وغير واحد .

وفي بعض الروايات تسميته أصحمة ، وفي رواية مصحمة ، وهو أصحمة بن بحر ^(١) . وكان عبدا صالحا ليبيبا ذكيا ، وكان عادلا عالما رضى الله عنه وأرضاه .

وقال يونس عن ابن إسحق : اسم النجاشي مَصْحَمَة . وفي نسخة صححها البيهقي : أصحم . وهو بالعربية عطية .

قال : وإنما النجاشي اسم الملك ، كقولك كسرى ، هرقل .

قلت : كذا ، ولعله يريد به قيصر ، فإنه علم لكل من ملك الشام مع الجزيرة من بلاد الروم ، وكسرى علم على من ملك الفرس ، وفرعون علم لمن ملك مصر كافة ، والمقوقس لمن ملك الإسكندرية ، وتبع لمن ملك اليمن والشحر ، والنجاشي لمن ملك الحبشة ، وبطيالموس لمن ملك اليونان ، وقيل الهند ، وخاقان لمن ملك الترك .

(١) الأصل : أصحمة بن أبحر . وما أثبتته من القاموس .

وقال بعض العلماء : إنما صَلَّى عليه لأنه كان يكتم إيمانه من قومه ، فلم يكن عنده يومَ ماتَ مَنْ يَصَلِّي عليه ، فلهذا صلى عليه .

قالوا : فالغائب إن كان قد صَلَّى عليه ببلده لا تُشرع الصلاة عليه ببلد أخرى ، ولهذا لم يَصَلِّ [على] النبي صلى الله عليه وسلم في غير المدينة ، لا أهل مكة ولا غيرهم ، وهكذا أبو بكر وعمر وعثمان وغيرهم من الصحابة ، لم يُنقل أنه صَلَّى على أحد منهم في غير البلدة التي صَلَّى عليه فيها . فإله أعلم .

قلت : وشهودُ أبي هريرة رضى الله عنه الصلاة على النجاشي دليل على أنه إنما مات بعد فتح خيبر [في السنة] التي قدم [فيها] بقية المهاجرين إلى الحبشة مع جعفر بن أبي طالب رضى الله عنه يوم فتح خيبر .

ولهذا روى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : والله ما أدرى بأيهما أنا أسرُّ ، بفتح خيبر أم بقدوم جعفر بن أبي طالب !

وقدموا معهم بهدايا وتحف من عند النجاشي رضى الله عنه إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، وصحبتهُم أهلُ السفينة اليمنية أصحاب أبي موسى الأشعري ، وقومه من الأشعريين رضى الله عنهم .

ومع جعفر وهدايا النجاشي : ابن أخى النجاشي ذو نحر أو ذو نخمر ، أرسله ليعلم النبي صلى الله عليه وسلم عوضاً عن عمه ، رضى الله عنهما وأرضاها .

وقال السهيلي : توفي النجاشي في رجب سنة تسع من الهجرة ، وفي هذا نظر والله أعلم .

وقال البيهقي : أنبأنا الفقيه أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن إبراهيم الطوسي ، حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب ، حدثنا هلال بن العلاء الرقي ، حدثنا أبي العلاء بن مُدْرِك ، حدثنا أبو هلال بن العلاء ، عن أبيه ، عن غالب ، عن أبي أمامة قال :
قدم وفدُ النجاشي على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام يخدمهم ، فقال أصحابه :
نحن نكفيك يا رسول الله . فقال : « إنهم كانوا لأصحابي مكرمين ، وإني أحب
أن أكافئهم » .

ثم قال : وأخبرنا أبو محمد عبد الله بن يوسف الأصبهاني ، أنبأنا أبو سعيد بن الأعرابي ، حدثنا هلال بن العلاء ، حدثنا أبي ، حدثنا طلحة بن يزيد ، عن الأوزاعي ، عن يحيى بن أبي كثير ، عن أبي سلمة ، عن أبي قتادة ، قال : قدم وفدُ النجاشي على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم يخدمهم ، فقال أصحابه :
نحن نكفيك يا رسول الله . فقال : « إنهم كانوا لأصحابنا مكرمين ، وإني أحب
أن أكافئهم » .

تفرَّد به طلحة بن زيد ، عن الأوزاعي .

وقال البيهقي : حدثنا أبو الحسين بن بشران ، حدثنا أبو عمرو بن السمَّك ، حدثنا حنبل بن إسحق ، حدثنا الحميدي ، حدثنا سفيان ، حدثنا عمرو ، قال : لما قدم عمرو ابن العاص من أرض الحبشة جلس في بيته فلم يخرج إليهم ، فقالوا : ما شأنه
ماله لا يخرج ؟

فقال عمرو : إن أصحمة يزعم أن صاحبكم نبي .

[إسلام عمر بن الخطاب]

قال ابن إسحق : ولما قدم عمرو بن العاص وعبد الله بن أبي ربيعة على قريش ، ولم يدركوا ما طلبوا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وردّهم النجاشي بما يكرهون وأسلم عمر بن الخطاب ، وكان رجلاً ذا شَكِيمَةٍ لا يُرَامُ ما وراء ظهره امتنع به أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وبجمزة ، حتى غاظوا ^(١) قريشا .

فكان عبد الله بن مسعود يقول : ما كنا نقدر على أن نصلي عند الكعبة حتى أسلم عمر ، فلما أسلم عمرُ قاتل قريشا حتى صلى عند الكعبة وصلينا معه .

قلت : وثبت في صحيح البخاري عن ابن مسعود أنه قال : « مازلنا أعزّة منذ أسلم عمر بن الخطاب » .

وقال زياد البكائي : حدثني مسعر بن كدام ، عن سعد بن إبراهيم قال : قال ابن مسعود : إن إسلام عمر كان فتحاً ، وإن هجرته كانت نصراً ، وإن إمارته كانت رحمة ، ولقد كنا وما نصلي عند الكعبة حتى أسلم عمر ، فلما أسلم عمر قاتل قريشاً حتى صلى عند الكعبة وصلينا معه .

قال ابن إسحق : وكان إسلام عمر بعد خروج من خرج من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الحبشة .

حدثني عبد الرحمن بن الحارث بن عبد الله بن عيّاش بن أبي ربيعة ، عن عبد العزيز ابن عبد الله بن عامر بن ربيعة ، عن أمه أم عبد الله بنت أبي حثمة قالت : والله إنا

(١) ابن هشام : حتى غاروا قريشا . أي غلبوهم .

لنترحل إلى أرض الحبشة ، وقد ذهب عامر في بعض حاجتنا ، إذ أقبل عمر فوقف وهو على شركه ، فقالت : وكنا نلقى منه أذى لنا وشدة غليتنا .

قالت : فقال : إنه للانطلاق يا أم عبد الله ؟ !

قلت : نعم ، والله لنخرجن في أرض من أرض الله ، إذ آذيتُمونا وقهرتُمونا ، حتى يجعل الله لنا مخرجاً .

قالت : فقال : صحبكم الله !

ورأيت له رقعة لم أكن أراها ، ثم انصرف وقد أحزنه فيما أرى خروجنا .

قالت : فجاء عامر بحاجتنا تلك ؛ فقلت له : يا أبا عبد الله لو رأيت عمر آتفا ورقته وحزنه عاينا !

قال : أطمعت في إسلامه ؟ قالت : قلت : نعم .

قال : لا يُسلم الذي رأيت حتى يُسلم حمارُ الخطاب !

قالت : يأساً منه ، لما كان يرى من غلظته وقسوته على الإسلام .

* * *

قلت : هذا يردُّ قولَ من زعم أنه كان تمام الأربعين من المسلمين . فإن المهاجرين إلى الحبشة كانوا فوق الثمانين .

اللهم إلا أن يقال : إنه كان تمام الأربعين بعد خروج المهاجرين .

ويؤيد هذا ما ذكره ابن إسحاق ههنا في قصة إسلام عمر وحده رضي الله عنه ، وسيأتيها ، فإنه قال :

وكان إسلام عمر فيما بلغني أن أخته فاطمة بنت الخطاب ، وكانت عند سعيد بن زيد ابن عمرو بن نفيل ، كانت قد أسلمت ، وأسلم زوجها سعيد بن زيد ، وهم مُستخفون بإسلامهم من عمر .

وكان نُعَيْمُ بن عبد الله النخَّام ، رجل من بني عَدِي ، قد أسلم أيضاً مستخفياً بإسلامه من قومه .

وكان خَبَّاب بن الأَرْتِ يختاف إلى فاطمة بنت الخطاب يقرئها القرآن ، فخرج عمر يوماً متوشحاً سيفه ، يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم ورهطاً من أصحابه قد ذُكروا ^(١) له أنهم قد اجتمعوا في بيت عند الصفا ، وهم قريب من أربعين ، من بين رجال ونساء ، ومع رسول الله صلى الله عليه وسلم عُمَةُ حمزة وأبو بكر بن أبي قحافة الصديق وعلى بن أبي طالب رضى الله عنهم ، في رجال من المسلمين ممن كان أقام مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمسكة ولم يخرج فيمن خرج إلى أرض الحبشة .

فأقبحه نُعَيْمُ بن عبد الله فقال : أين تريد يا عمر ؟

قال : أريد محمداً ، هذا الصابي الذي فرَّق أمر قريش ، وسفَّه أحلامها وعاب دينها وسبَّ آلهتها ، فأقتله .

فقال له نُعَيْم : والله لقد غرَّتك نفسك يا عمر ! أترى بنى عبد مناف تاركيك تمشي على الأرض وقد قتلت محمداً ؟ ! أفلا ترجع إلى أهل بيتك فتقيم أمرهم ؟

قال : وأى أهل بيتي ؟ قال : خمتك وابن عمك سعيد بن زيد وأختك فاطمة ، فقد والله أسلما وتابعا محمداً صلى الله عليه وسلم على دينه ، فعليك بهما .

فرجع عمر عائداً إلى أخته فاطمة ، وعندها خباب بن الأَرْتِ معه صحيفة فيها « طه » يُقرئها إياها .

فلما سمعوا حسَّ عمر تغيُّب خباب في مخدع لهم أو في بعض البيت ، وأخذت فاطمة

(١) الأصل : فذكروا . والتصويب من ابن هشام .

بذت الخطاب الصحيفة فجعلتها تحت نخذها ، وقد سمع عمر حين دنا إلى الباب قراءة خبَاب عليها .

فلما دخل قال : ما هذه المنيمة التي سمعت ؟ قالوا له : ما سمعت شيئا .

قال : بلى والله لقد أُخبرتُ أنكما تابعتما محمدا على دينه . وبطش بختنه سعيد بن زيد ، فقامت إليه أخته فاطمة بنت الخطاب لتسكفَه عن زوجها فضر بها فشجَّها . فلما فعل ذلك قالت له أخته وختنُه : نعم قد أسلمنا وآمنَّا بالله ورسوله ، فاصنع ما بدا لك .

فلما رأى عمر ما بأخته من الدم ندم على ما صنع وارعوى ، وقال لأخته : أعطيني هذه الصحيفة التي كنتم تقرأون آنفا ، أنظر ما هذا الذي جاء به محمد . وكان عمر كاتبًا .

فلما قال ذلك قالت له أخته : إنا نخشاك عليها . قال : لا تخافى . وحلف بأهله ليردَّنها إذا قرأها إليها .

فلما قال ذلك طمعت في إسلامه ، فقالت : يا أخى إنك نجس على شركك ، وإنه لا يمسُّه إلا المطهرون .

فقام عمر فاغتسل ، فأعطته الصحيفة ، وفيها « طه » . فلما قرأ منها صدرا قال : ما أحسنَ هذا الكلامَ وأكرمَه ! .

فلما سمع ذلك خبَّاب بن الأرت خرج إليه فقال له : والله يا عمر إنى لأرجو أن يكون الله قد خصَّك بدعوة نبيه صلى الله عليه وسلم ، فإنى سمعته أمس وهو يقول : اللهم أيد الإسلام بأبى الحكم بن هشام أو بعمر بن الخطاب . فأنشأ الله يا عمر .

فقال عند ذلك : فدلَّنى يا خباب على محمد حتى آتيه فأسلم . فقال له خباب : هو فى بيت عند الصفا معه نفر من أصحابه .

فأخذ عمر سيفه فتوشحه، ثم عمد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فضرب عليهم الباب ، فلما سمعوا صوته قام رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر من خَلَّ الباب فإذا هو بعمر متوشح بالسيف ، فرجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فزع فقال : يا رسول الله هذا عمر بن الخطاب متوشحا بالسيف .

فقال حمزة فَأَذَنُ له : فإن كان جاء يريد خيرا بذلناه ، وإن كان يريد شرا قتلناه بسيفه . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إيدن له .

فأذن له الرجل ، ونهض إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى لقيه في الحجرة ، فأخذ بجُحْزته أو بمجمع رداءه ثم جذبه جذبة شديدة ، فقال : ما جاء بك يا بن الخطاب ؟ فوالله ما أرى أن تنتهى حتى يُنزل الله بك قارعة .

فقال عمر : يا رسول الله ، جئتُك لأومن بالله ورسوله وبما جاء من عند الله .

قال : فكَبَّرَ رسول الله صلى الله عليه وسلم تكبيرة ، فعَرَفَ أهلُ البيت أن عمر قد أسلم .

فتفرق أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكانهم وقد عَزَّوْا في أنفسهم حين أسلم عمر مع إسلام حمزة، وعلموا أنهما سيمنعان رسول الله صلى الله عليه وسلم، وينتصفون بهما من عدوِّهم .

قال ابن إسحق : فهذا حديث الرواة من أهل المدينة عن إسلام عمر حين أسلم رضى الله عنه .

قال ابن إسحق : وحدثني عبد الله بن أبي نَجِيح المكي ، عن أصحابه عطاء ومجاهد وعن روى ذلك ، أن إسلام عمر فيما تحدثوا به عنه أنه كان يقول :

كنت للإسلام مُبَاعِداً ، وكنت صاحبَ خمر في الجاهلية أحبها وأشربها ، وكان لنا مجلس يجتمع فيه رجال من قريش بالخزْوَرة^(١)

فخرجت ليلة أريد جلسائى أولئك ، فلم أجد فيه منهم أحداً ، فقلت : لو أنى جئت فلانا الخمار لعلى أجد عنده خمرأ فأشرب منها .

فخرجت فخبثته فلم أجده . قال : فقلت : لو أنى جئت الكعبة فطُفْتُ سبعا أو سبعين .

قال : فجئت المسجد ، فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يصلى ، وكان إذا صلى استقبلَ الشامَ وجعل الكعبةَ بينه وبين الشام ، وكان مصلاه بين الركنين الأسود واليماني .

قال : فقلت حين رأيته : والله لو أنى استمعتُ لحمد الليلة حتى أسمع مايقول . فقلت : لئن دنوت منه لأستمع منه لأروِّعنه ، فخبثت من قِبَلِ الحِجْرِ ، فدخلتُ تحت ثيابها فجعلت أمشي وريداً ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يصلى يقرأ القرآن ، حتى قمت في قِبَلَتِهِ مُسْتَقْبِلَهُ مايبينى وبينه إلا ثياب الكعبة .

قال : فلما سمعت القرآن رَقَّ له قلبي وبكيتُ ودخلنى الإسلامُ . فلم أزل في مكاني قائماً حتى قضى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم صلاته ، ثم انصرف ، وكان إذا انصرف خرج على دار ابن أبي حسين ، وكان مسكنه في الدار الرقطاء التي كانت بيد معاوية .

قال عمر : فتبعتهُ ، حتى إذا دخل بين دار عباس ودار ابن أزهري أدركتهُ ، فلما سمع

(١) الخزورة : كانت سوق مكة ، ثم دخلت المسجد لما زيد فيه .

حسى عرفنى ، فظن أنى إنما اتبعته لأوذيهِ ، فَهَمَنِ ^(١) ثم قال : ما جاء بك يا ابن الخطاب هذه الساعة ؟

قال : قلت : جئتُ لأومن بالله وبرسوله وبما جاء من عند الله .

قال : فحمد الله رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ثم قال : « قد هداك الله يا عمر » ثم مسح صدرى ودعألى بالثبات .

ثم انصرفت ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بيته .

قال ابن إسحق : فالله أعلم أى ذلك كان .

قلت : وقد استقصيت كيفية إسلام عمر رضى الله عنه وماورد فى ذلك من الأحاديث والآثار مطولا فى أول سيرته التى أفردتها على حدة . والله الحمد والمنة .

قال ابن إسحق : وحدثنى نافع مولى ابن عمر ، عن ابن عمر قال : لما أسلم عمر قال : أى قریش أنقلُ للحديث ؟

فقل له : جميل بن معمر الجمحى .

فعدا عليه . قال عبد الله : وغدوتُ أتبع أثره وأنظر مايفعل وأنا غلام أعقل كلَّ ما رأيت .

حتى جاءه فقال له : أعلمت يا جميل أنى أسلمتُ ودخلتُ فى دين محمد صلى الله عليه وسلم ؟

قال : فوالله ما راجعه حتى قام يجرُّ رداءه ، واتبعه عمر واتبعته أنا ، حتى [إذا]

قام على باب المسجد صرخ بأعلى صوته : يامعشر قریش . وهم فى أنديتهم حول الكعبة . ألا إن ابن الخطاب قد صبأ .

(١) نهى : زجرنى .

قال : يقول عمر من خلفه : كذب ولكني قد أسلمتُ، وشهدت أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله .

وثاروا إليه ، فما برح يقاتلهم ويقاتلونهم ، حتى قامت الشمس على رؤوسهم .
قال : وطَلَحَ^(١) فقعده ، وقاموا على رأسه وهو يقول : افعلوا ما بدا لكم ، فأحلفُ بالله أن لو قد كنا ثلاثمائة رجل لقد تركناها لكم أو تركتموها لنا .
قال : فبينما هم على ذلك إذ أقبل شيخ من قريش عليه حلة حَبَرَة وقميص موشَّى ، حتى وقف عليهم .

فقال : ما شأنكم ؟

فقالوا : صبأ عمر .

قال : فمَهْ ، رجل اختار لنفسه أمراً فماذا تريدون ؟ أترون بني عَدِي يُسْلَمُونَ لكم صاحبكم هكذا ؟ ! خلُّوا عن الرجل .

قال : فوالله لكانما كانوا ثوباً كُشِطَ عنه .

قال : فقلت لأبي بعد أن هاجر إلى المدينة : يا أبت ، من الرجل الذي زجر القومَ عنك بمكة يومَ أسلمتَ وهم يقاتلونك .

قال : ذاك أيُّ بُنَيِّ العاصِ بنِ وائل السَّهمي .

وهذا إسناد جيد قوى ، وهو يدل على تأخر إسلام عمر ، لأن ابن عمر عُرِضَ يومَ أحد وهو ابن أربع عشرة سنة ، وكانت أحد في سنة ثلاث من الهجرة ، وقد كان مميزاً يومَ أسلمَ أبوه ، فيكون إسلامه قبل الهجرة بنحو من أربع سنين . وذلك بعد البعثة بنحو تسع سنين . والله أعلم .

وقال البيهقي : حدثنا الحاكم ، أخبرنا الأعمش ، أخبرنا أحمد بن عبد الجبار ، حدثنا يونس ، عن ابن إسحق قال :

ثم قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرون رجلا وهو بمكة ، أو قريب من ذلك ، من النصارى حين ظهر خبره من أرض الحبشة ، فوجدوه في المجلس ، فكلّموه وسألوه ، ورجال قريش في أندية حول الكعبة .

فلما فرغوا من مساءلتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عما أرادوا دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الله عز وجل وتلا عليهم القرآن ، فلما سمعوا فاضت أعينهم من الدمع ، ثم استجابوا له وآمنوا به وصدقوه وعرفوا منه ما كان يوصف لهم في كتابهم من أمره .

فلما قاموا من عنده اعتراضهم أبو جهل في نفر من قريش فقال : خيبتكم الله من ركب ! بعثكم من وراءكم من أهل دينكم ترتادون لهم فتأتونهم بخبر الرجل ، فلم تطمئن بحالكم عنده حتى فارقم دينكم وصدقتموه بما قال لكم ، ما نعلم ركباً أحق منكم ! أو كما قال .

قالوا لهم : لا نجأه لكم ، سلامٌ عليكم ، إنما أعمالنا ولكم أعمالكم لا نألون أنفسنا خيراً .

فيقال : إن نفر من نصارى نجران ، والله أعلم أى ذلك كان .

ويقال ، والله أعلم ، أن فيهم نزلت هذه الآيات : « الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون ، وإذا يُنلى عليهم قالوا آمنا به ، إنه الحق من ربنا ، إنا كنا من قبله مسلمين ، أولئك يؤتُونَ أجرهم مرتين بما صَبَرُوا وَيَذَرُونَ بالحسنة السيئة ومما رزقناهم ينفقون . وإذا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عنه ، وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم ، سلامٌ عليكم لا نبتغي الجاهلين ^(١) » .

فصل

قال البيهقي في الدلائل : باب ماجاء في كتاب النبي صلى الله عليه وسلم إلى النجاشي :

ثم روى عن الحاكم ، عن الأصم ، عن أحمد بن عبد الجبار ، عن يونس ، عن ابن إسحق ، قال : بسم الله الرحمن الرحيم « هذا كتاب من محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى النجاشي الأصم عظيم الحبشة ، سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله وشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، لم يتخذ صاحبة ولا ولدا ، وأن محمدا عبده ورسوله ، وأدعوك بدعاية الله ، فإني أنا رسوله ، فأثلم تسلم : « يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ، ولا تتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله ، فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون ^(١) » .

فإن أبيت فعليك إثم النصارى من قومك » .

هكذا ذكره البيهقي بعد قصة هجرة الحبشة ، وفي ذكره هاهنا نظر ، فإن الظاهر أن هذا الكتاب إنما هو إلى النجاشي الذي كان بعد المسلم صاحب جعفر وأصحابه .

وذلك حين كتب إلى ملوك الأرض يدعوهم إلى الله عز وجل قبيل الفتح ، كما كتب إلى هرقل عظيم الروم قيصر الشام ، وإلى كسرى ملك الفرس ، وإلى صاحب مصر ، وإلى النجاشي .

قال الزهري : كانت كتب النبي صلى الله عليه وسلم إليهم واحدة ، يعني نسخة واحدة ، وكلها فيها هذه الآية ، وهي من سورة آل عمران ، وهي مدنية بلا خلاف ، فإنها من صدر السورة .

وقد نزل ثلاث وثمانون آية من أولها في وفد نجران ، كما قررنا ذلك في التفسير ،
والله الحمد والمنة .

فهذا الكتاب إلى الثاني لا إلى الأول .

وقوله فيه : « إلى النجاشي الأصحح » لعل « الأصحح » مقحم من الراوى بحسب
ما فهم . والله أعلم .

وأنسب من هذا هاهنا ما ذكره البيهقي أيضا ، عن الحاكم ، عن أبي الحسن محمد بن
عبد الله الفقيه ، بمرؤ ، حدثنا حماد بن أحمد ، حدثنا محمد بن حميد ، حدثنا سلمة بن
الفضل ، عن محمد بن إسحق ، قال :

بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن أمية الضمريّ إلى النجاشي في شأن
جعفر بن أبي طالب وأصحابه ، وكتب معه كتابا :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد رسول الله إلى النجاشي الأصحح ملك الحبشة ،
سلام عليك ، إني أحمد إليك الله الملك القدوس المؤمن المهيمن ، وأشهد أن عيسى روح
الله وكلمته ألقاها إلى مريم البتول الطاهرة الطيبة الحصينة ، فحملت بعيسى ، فخلقته من
روحه ونفخته ، كما خلق آدم بيده ونفخه ، وإني أدعوك إلى الله وحده لا شريك له ، والموالاتة
على طاعته ، وأن تتبعني فتؤمن بي وبالذي جاءني ، إني رسول الله ، وقد بعثت إليك
ابن عمي جعفرًا ومعه نفر من المسلمين ، فإذا جاءوك فاقمهم ، ودع التجير فإني أدعوك
وجنودك إلى الله عز وجل ، وقد بلغت ونصحت ، فاقبلوا نصيحتي ، والسلام على
من اتبع الهدى » .

فكتب النجاشي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم : بسم الله الرحمن الرحيم ، إلى

محمد رسول الله من النجاشي الأصحم بن أبجر^(١) ، سلام عليك يا نبي الله من الله ورحمة الله وبركاته ، لا إله إلا هو الذي هداني إلى الإسلام ، فقد بلغني كتابك يا رسول الله فيما ذكرت من أمر عيسى ، فورب السماء والأرض إن عيسى ما يزيد على ما ذكرت ، وقد عرفنا ما بُعثت به إلينا ، وقرينا ابن عمك وأصحابه ، فأشهد أنك رسول الله صادقا ومصداقا ، وقد بايعتُك وبايعتُ ابن عمك وأسلمتُ على يديه لله رب العالمين ، وقد بعثت إليك يا نبي الله بأريحا بن الأصحم بن أبجر ، فإنني لا أملك إلا نفسي ، وإن شئت أن آتيك فعلتُ يا رسول الله ، فإنني أشهد أن ما تقول حق .

فصل

في ذكر مخالفة قبائل قريش بنى هاشم وبنى عبد المطلب

في نصر رسول الله صلى الله عليه وسلم

وحَصَرهم إياهم في شِعْب أبي طالب مدة طويلة ، وكتابتهم بذلك صحيفة ظالمة فاجرة ، وما ظهر في ذلك كله من آيات النبوة ودلائل الصدق .

قال موسى بن عُقبة عن الزهري : ثم إن المشركين اشتدوا على المسلمين كأشد ما كانوا ، حتى بلغ المسلمون^(٢) الجُهدَ واشتد عليهم البلاء ، وجمعت قريش في مكرها أن يقتلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم علانية .

فلما رأى أبو طالب عمل القوم جمع بنى عبد المطلب ، وأمرهم أن يُدْخِلُوا رسول الله صلى الله عليه وسلم شِعْبَهُمْ ، وأمرهم أن يمنعوه ممن أرادوا قتله .

فاجتمع على ذلك مسلمهم وكافرهم ، فمنهم من فعله حمية ، ومنهم من فعله إيمانا وبقينا .

(٢) ط : المسلمين .

(١) الذي في القاموس : ابن بجر .

فلما عرفت قريش أن القوم قد منعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأجمعوا على ذلك ، اجتمع المشركون من قريش ، فأجمعوا أمرهم ألا يجالسوه ولا يبايعوه ولا يدخلوا بيوتهم حتى يسلموا رسول الله صلى الله عليه وسلم للقتل ، وكتبوا في مكرهم صحيفة وعهودا ومواثيق : لا يقبلوا من بنى هاشم صاحباً أبداً ، ولا تأخذهم بهم رافة حتى يساموه للقتل .

فابث بنو هاشم في شعبهم ثلاث سنين ، واشتد عليهم البلاء والجهد ، وقطعوا عنهم الأسواق ، فلا يتركوا لهم طعاماً يقدم مكة ولا بيعاً إلا بادروهم إليه فاشتروه . يريدون بذلك أن يدركوا سفك دم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فكان أبو طالب إذا أخذ الناس مضاجعهم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فاضطجع على فراشه ، حتى يرى ذلك من أراد به مكرأ أو اغتيالاً له ، فإذا نام الناس أمر أحد بنيه أو إخوته أو بنى عمه فاضطجعوا على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأتي بعض فرشهم فينام عليه .

فما كان رأس ثلاث سنين تلاق رجال من بنى عبد مناف ومن قصي ، ورجال من سواهم من قريش قد ولدتهم نساء من بنى هاشم ، ورأوا أنهم قد قطعوا الرحم واستخفوا بالحق .

واجتمع أمرهم من ليلتهم على نقض ما تعاهدوا عليه من الغدر والبراءة منه . وبعث الله على صحيفتهم الأرضة فاحست كل ما كان فيها من عهد وميثاق . ويقال : كانت معائمة في سقف البيت ، فلم تترك أسماً لله فيها إلا لحسته ، وبقي ما كان فيها من شرك وظلم وقضيعة رحم .

وأطاع الله عز وجل رسوله على الذي صنع بصحيفتهم فذكر ذلك رسول الله صلى الله

عليه وسلم لأبي طالب ، فقال أبو طالب : لا والثواب ما كذبني .

فانطلق يمشى بعصافته من بني عبد المطلب ، حتى أتى المسجد وهو حافل من قريش ، فلما رأوهم عامدين لجماعتهم أنكروا ذلك وظنوا أنهم خرجوا من شدة البلاء ، فأتوهم ليعطوهم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فتمكم أبو طالب فقال : قد حدثت أمور بينكم لم نذكرها لكم ، فأتوا بصحيفتكم التي تعاهدتم عليها ، فعلم أنه أن يكون بيننا وبينكم صلح .

وإنما قال ذلك خشية أن ينظروا في الصحيفة قبل أن يأتوا بها .

فأتوا بصحيفتهم معجبين بها لا يشكون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مدفوع إليهم ، فوضعوها بينهم ، وقالوا : قد آن لكم أن تقبلوا وترجعوا إلى أمر يجمع قومكم ، فإنما قطع بيننا وبينكم رجل واحد ، جعلتموه خطرا لهلكة قومكم وعشيرتكم وفسادهم .

فقال أبو طالب : إنما أتيتكم لأعطيكم أمرا لكم فيه نصف ، إن ابن أخي أخيه لم يكذبني ، أن الله برئ من هذه الصحيفة التي في أيديكم ، ومحاكل اسم هو له فيها ، وترك فيها غدركم وقطيعةكم إيانا وتظاهركم علينا بالظلم .

فإن كان الحديث الذي قال ابن أخي كما قال فأفيقوا ، فوالله لا نُسلمه أبدا حتى يموت من عندنا آخرنا .

وإن كان الذي قال باطلا دفعناه إليكم فقتلتموه أو استحيتم .

قالوا : قد رضينا بالذي تقول .

ففتحوا الصحيفة ، فوجدوا الصادق المصدق صلى الله عليه وسلم قد أخبر خبرها .

فلما رأتها قريش كالذي قال أبو طالب قالوا : والله إن كان هذا قط إلا سحرا من صاحبكم .

فارتكسوا وعادوا بشرّ ما كانوا عليه من كفرهم والشدة على رسول الله صلى الله عليه وسلم والقيام على رهطه بما تعاهدوا عليه .

فقال أولئك النفر من بنى عبد المطلب : إن أُولَى بالكذب والسحر غيرُنا ، فكيف ترون ، فإننا نعلم أن الذى اجتمعتم عليه من قطيعتنا أَقْرَبُ إلى الجُبْتِ والسَّحَرِ مِن أمرنا ، ولولا أنكم اجتمعتم على السحر لم تفسد صحيفتكم وهى فى أيديكم ، طمس ما كان فيها من اسمه وما كان فيها من بغى تركه ، أفنحن السَّحرة أم أنتم .

* * *

فقال عند ذلك النفرُ من بنى عبد مناف وبنى قصى ورجالٌ من قريش ولدتهم نساء من بنى هاشم ، منهم أبو البَخْتَرى ، والمُطْعِم بن عَدِى ، وزُهَيْر بن أبى أمية بن المغيرة ، وزَمْعَةُ ابن الأسود ، وهشام بن عمرو ، وكانت الصحيفة عنده وهو من بنى عامر بن لؤى ، فى رجال من أشrafهم ووجوههم : نحن براء مما فى هذه الصحيفة .

فقال أبو جهل لعنه الله : هذا أمرٌ قِضى بليلى .

وأنشأ أبو طالب يقول الشعر فى شأن صحيفتهم ويمدح النفر الذين تبرأوا منها ونقضوا ما كان فيها من عهد ويمتدح النجاشى .

* * *

قال البيهقى : وهكذا روى شيخنا أبو عبد الله الحافظ ، يعنى من طريق ابن أبيه ، عن أبى الأسود ، عن عروة بن الزبير ، يعنى كسباق موسى بن عُقبة رحمه الله .

وقد تقدم عن موسى بن عُقبة أنه قال : إنما كانت هجرة الحبشة بعد دخولهم إلى الشَّعب ، عن أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم فى ذلك . فالله أعلم .

قلت : والأشبه أن أبا طالب إنما قال قصيدته اللامية التى قدمنا ذكرها بعد دخولهم الشَّعب أيضا ، فذكرها ههنا أنسب . والله أعلم .

ثم روى البيهقي من طريق يونس ، عن محمد بن إسحق قال :
لما مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم على الذي بُعث به وقامت بنو هاشم وبنو
المطلب دونه ، وأبوا أن يُسلموه ، وهم من خلافه على مثل ما قومهم عليه . إلا أنهم اتفقوا
أن يستذلوا ويساموا أخاهم لما قارفه من قومه .

فلما فعلت ذلك بنو هاشم وبنو المطلب . وعرفت قريش ألا سبيل إلى محمد ،
اجتمعوا على أن يكتبوا فيما بينهم على بنى هاشم وبنى عبدالمطلب : ألا ينأ كحومهم ولا
ينسكحوا إليهم وألا يسامعهم ولا يبتاعوا منهم ، وكتبوا صحيفة في ذلك
وعلقوها بالكعبة .

ثم عدوا على من أسلم فأوثقهم وأذوهم ، واشتدَّ عليهم البلاء وعظمت الفتنة وزلزلوا
زلزالا شديدا .

ثم ذكر القصة بطولها في دخولهم شعبَ أبي طالب وما بلغوا فيه من فتنة الجهد
الشديد ، حتى كان يُسمع أصواتُ صبيانهم يتضاغون من وراء الشعب من الجوع .

حتى كره عامة قريش ما أصابهم وأظهروا كراهيتهم لصحيفتهم الظالمة .
وذكروا أن الله برحمته أرسل على صحيفة قريش الأربعة ، فلم تدعُ فيها أسما هو الله
إلا أكلته ، وبقي فيها الظلم والقطيعة والبهتان ، فأخبر الله تعالى بذلك رسول الله صلى
الله عليه وسلم فأخبر بذلك عمه أبا طالب .

ثم ذكر بقية القصة كرواية موسى بن عُقبة وأتم .

وقال ابن هشام عن زياد عن محمد بن إسحق :
فلما رأت قريش أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قد نزلوا بلدا أصابوا منه^(١)

(١) ابن هشام : أصابوا به .

أمنًا وقرارًا ، وأن النجاشي قد منع من لجأ إليه منهم ، وأن عمر قد أسلم ، فكان هو وحزبه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، وجعل الإسلام يفشو في القبائل ، فاجتمعوا^(١) واثمروا على أن يكتبوا كتابا يتعاقدون فيه على بني هاشم وبني عبد المطلب ، على ألا يفكحوا إليهم ولا يُنكحوهم ، ولا يبيعوهم شيئًا ولا يبتاعوا منهم ، فلما اجتمعوا لذلك كتبوا في صحيفة ، ثم تعاقدوا وتواثقوا على ذلك ، ثم علقوا الصحيفة في جوف الكعبة توكيدا على أنفسهم .

وكان كاتب الصحيفة منصور بن عكرمة بن عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار ابن قصي .

قال ابن هشام : ويقال النضر بن الحارث . فدعا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فشُلَّ بعض أصابعه .

وقال الواقدي : كان الذي يكتب الصحيفة طلحة بن أبي طلحة العبدري .

قلت : والمشهور أنه منصور بن عكرمة ، كما ذكره ابن إسحق ، وهو الذي شُلَّت يده فما كان ينتفع بها ، وكانت قریش تقول بينها : انظروا إلى منصور بن عكرمة . قال الواقدي : وكانت الصحيفة معاقدة في جوف الكعبة .

قال ابن إسحق : فلما فعلت ذلك قریش أنحازت بنو هاشم وبني المطلب إلى أبي طالب ، فدخلوا معه في شِعبه واجتمعوا إليه .

وخرج من بني هاشم أبو لُب بن عبد العزَّى بن عبد المطلب إلى قریش فظاهرهم . وحدثني حسين بن عبد الله أن أبا لُب لقي هند بنت عتبة بن ربيعة حين فارق

(١) ابن هشام : اجتمعوا . وهو الصواب .

قومه وظاهر عليهم قريشاً فقال : يابنة عتبة ، هل نصرت اللات والعزى وفارقت من فارقتها^(١) وظاهر عليها .

قالت : نعم ، فجزاك الله خيراً يا أبا عتبة .

قال ابن إسحق : وحُذِث أنه كان يقول في بعض ما يقول : يَعدُّنى محمدُ أشياء لا أراها يزعم أنها كائنة بعد الموت ، فماذا وضع في يديَّ بعد ذلك ؟ !
ثم ينفخ في يديه فيقول : تبَّاً لكما ، لا أرى فيكما شيئاً مما يقول محمد .
فأنزل الله تعالى : « تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ » .

قال ابن اسحق : فلما اجتمعت على ذلك قريش وصنعوا فيه الذى صنعوا قال أبو طالب :

أَلَا أبلغاً عندَّ على ذاتِ بيننَا
ألمَ تعلموا أَنَّا وجدنا محمداً
وَأَنَّ عليه فى العبادِ محبةً
وَأَنَّ الذى أُلصقتم من كتابكم
أفيقوا أفيقوا قَبْلَ أنْ يُحْفَرَ التَّرى
ولا تتبعوا أمرَ الوشاةِ وتقطعوا
وتستجلبوا حرباً عواناً^(٣) وربما
فلستنا وربَّ البيتِ نُسلمُ أحداً
لَوْيَا وخُصَّام من لَوْيِ بنى كعبِ
نبيّاً كموسى خُطَّ فى أولِ الكتُبِ
ولا خيرَ ممَّن خصَّه الله بالحبِّ
لكم كائنٌ نحساً كراغية السَّقبِ^(٢)
ويُضح من لم يَحْنِ ذنباً كذى الذَّنْبِ
أواصرنا بعدَ المودَّةِ والقُرْبِ
أمرّاً على من ذاقه حَلْبُ الحربِ
لعرَّاء من عَضَّ الزمانِ ولا كَرَبِ

(١) ابن هشام : فارقهما .

(٢) راغية السقب : أراد ناقة صالح . والسقب : ولد الناقة : والراغية من الرغاء ، وهو صوت الإبل .

(٣) عوانا : مستمرة .

وَلَمَّا تَبَيَّنَ مِنَّا وَمِنْكُمْ سَوَالِفُ وَأَيْدٍ أُتِرَّتْ بِالْقُسَايَةِ الشُّهْبِ ^(١)
بِمُعْتَرِكٍ ضَيْقٍ تَرَى كِسْرَ الْقَفَا بِهِ وَالنُّسُورَ الطُّخْمَ يَعْكِفْنَ كَالشَّرْبِ ^(٢)
كَأَنَّ مَجَالَ ^(٣) الْخَيْلِ فِي حَجَرَاتِهِ وَمَعْمَعَةِ الْأَبْطَالِ مَعْرَكَةَ الْحَرْبِ ^(٣)
أَلَيْسَ أَبُونَا هَاشِمٌ شَدَّ أَرْزَهُ وَأَوْصَى بَنِيهِ بِالطُّعَانِ وَبِالضَّرْبِ
وَلَسْنَا نَمْلُ الْحَرْبَ حَتَّى تَمَلَّنَا وَلَا نَشْتَكِي مَا قَدْ يَنْوُبُ مِنَ النُّكْبِ
وَلَكِنَّا أَهْلُ الْحَفَاطِظِ وَالنُّهَى إِذَا طَارَ أَرْوَاحُ الْكِمَاةِ مِنَ الرُّعْبِ

قال ابن إسحق : فأقاموا على ذلك سنتين أو ثلاثا ، حتى جهدوا ولم يصل إليهم شيء إلا سرًّا مُستخفياً به من أراد صلتهم من قريش .

وقد كان أبو جهل بن هشام ، فيما يذكرون ، لقي حكيم بن حزام بن خويلد بن أسد معه غلام يحمل قمحا يريد به عمته خديجة بنت خويلد ، وهي عند رسول الله صلى الله عليه وسلم في الشعْب ، فتعلّق به وقال : أتذهب بالطعام إلى بني هاشم ؟ والله لا تذهب أنت وطعامك حتى أفضحك بمكة .

فجاءه أبو البَخْتَرِيّ بن هشام بن الحارث بن أسد فقال : مالك وله ؟ .

فقال : يحمل الطعام إلى بني هاشم .

فقال له أبو البَخْتَرِيّ : طعامك كان لعمته عنده بعثت به إليه ، أتمنعه أن يأتيها بطعامها ؟ خلّ سبيل الرجل .

قال : فأبى أبو جهل لعنه الله ، حتى نال أحدهما من صاحبه ، فأخذ أبو البختريّ لحىَ بغير فضر به به فشجّه ووطئه ووطئا شديداً .

(١) تين : تفصل ، والسوالف : صفعات الأعناق . وأترت : قصعت . والقساية : نوع من السيوف .

(٢) النُّسُور الطُّخْم : السود الرعوس . والشرب : الجماعة من القوم يشربون .

(٣) الأصل : صحال . ولا معنى لها . وما أثبتته عن نسخة من ابن هشام .

وحزّةُ بن عبد المطلب قريبٌ يرى ذلك ، وهم يكرهون أن يبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فيشتمون بهم .

[المستهزئون]

ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم على ذلك يدعو قومه ليلاً ونهاراً وسراً وجهاراً ، منادياً بأمر الله تعالى لا يتقى فيه أحداً من الناس .

فجعلت قريش حين منعه الله منها وقام عمّه وقومه من بنى هاشم وبنى عبد المطلب دونه ، وحالوا بينهم وبين ما أرادوا من البطش به يهْمزونه ويستهزئون به ويخاصمونّه . وجعل القرآن ينزل في قريش بأحداشهم ، وفيمن نصّب لعداوته .

منهم مَنْ سَمَّى لنا ، ومنهم من نزل القرآن في عامة مَنْ ذَكَرَ الله من الكفار . فذكر ابن إسحاق أبا لهب ونزول السورة فيه ، وأمّية بن خلف ونزول قوله تعالى : « ويلٌ لكلُّ هُمْزَةٍ لُْمَزَةٍ » السورة بكاملها فيه .

والعاص بن وائل ونزول قوله « أفرأيتَ الذي كَفَرَ بآياتنا وقال : لأوتينَّ مالاً وولداً »^(١) فيه . وقد تقدم شيء من ذلك .

وأبا جهل بن هشام ، وقوله للنبي صلى الله عليه وسلم : لتتركنَّ سبَّ آلهتنا أو لنسنَّ إلهك^(٢) [الذي تعبد]^(٣) ، ونزول قول الله فيه : « ولا تسبُّوا الذين يدعون من دون الله فيسبُّوا الله عدواً بغير علم »^(٤) الآية .

والنضر بن الحارث بن كَلْدَةَ بن علقمة ، ومنهم من يقول علقمة بن كَلْدَةَ ، قاله السهيلي ، وجلسه بعد النبي صلى الله عليه وسلم في مجالسه ، حيث يتلو القرآن ويدعوا إلى

(١) سورة مريم ٧٧ . (٢) الأصل : آلهتك . وهو تحريف وما أثبتته عن ابن هشام .

(٣) من ابن هشام . (٤) سورة الأنعام ١٠٨ .

الله ، فيتلو عليهم النضرُ شيئاً من أخبار رستم واسفنديار وما جرى بينهما من الحروب في زمن الفُرس ، ثم يقول : والله ما محمد بأحسن حديثاً مني ، وما حديثه إلا أساطيرُ الأولين اكتبتهَا كما اكتبتهَا .

فأنزل الله تعالى : « وقالوا أساطيرُ الأولين اكتبتهَا فهي تَمَلَّى عليه بُكْرَةً وأصيلاً^(١) » وقوله : « ويلٌ لكل أفاكٍ أتم^(٢) » .

* * *

قال ابن اسحق : وجلس رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فيما بلغنا ، يوماً مع الوليد بن المغيرة في المسجد .

فجاء النضرُ بن الحارث حتى جلس معهم ، وفي المجلس غيرُ واحد من رجال قريش .

فتكلم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فعرضَ له النضرُ ، فكلَّمه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حتى أخمَّه ، ثم تلا عليه وعليهم : « إنكم وما تعبدون مِن دونِ الله حَصَبُ جهنم أنتم لها واردون ، لو كان هؤلاء آلهةً ما وردوها وكلٌّ فيها خالدون ، لهم فيها زفيرٌ وهم فيها لا يسمعون^(٣) » .

ثم قام رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، وأقبلَ عبدُ الله بن الزُّبَيْرِ السَّهْمِيُّ حتى جلس .

فقال الوليد بن المغيرة له : والله ما قام النَّضرُ بن الحارث لابن عبد المطلب آفاً وما قعد ، وقد زعم محمد أنا وما نعبد من آلهتنا هذه حَصَبُ جهنم .

فقال عبد الله بن الزُّبَيْرِ : أما والله لو وجدته لخصمته ، فسألو محمداً : أكلُّ

(١) سورة الفرقان ٥ . (٢) سورة الجاثية ٧ . (٣) سورة الأنبياء ٩٨ - ١٠٠

من يعبد من دون الله حَصَبُ جَهَنَّمَ مع من عبده ؟ فنحن نعبد الملائكة ، واليهود تعبد عَزِيراً ، والنصارى تعبد عيسى .

فعجب الوليد ومن كان معه في المجلس من قول ابن الزُّبَيْرِ ، ورأوا أنه قد احتجَّ وخاضم .

فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « كلُّ من أحبَّ أن يُعبد من دون الله فهو مع مَنْ عبده في النار ، إنهم إنما يعبدون الشياطين ومَنْ أمرتهم بعبادته » .

فأنزل الله تعالى : « إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ . لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خَالِدُونَ » ^(١) .

أى عيسى وعزير ومن عبد من الأحرار والرهبان الذين مضوا على طاعة الله تعالى . ونزل فيما يذكرون أنهم يعبدون الملائكة وأنها بنات الله : « وقالوا اتخذ الرحمن ولداً ، سبحانه ، بل عبادٌ مُكْرَمُونَ » ^(٢) . والآيات بعدها .

ونزل في إعجاب المشركين بقول ابن الزُّبَيْرِ : « وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ . وقالوا أآلهتنا خيرٌ أم هو ؟ ما ضربوه لك إلاَّ جدلاً بل هم قومٌ خصِمُونَ » ^(٣) .

وهذا الجدل الذى سلكوه باطل .

وهم يعلمون ذلك ، لأنهم قوم عرب ، ومن لغتهم أن « ما » لما لا يعقل ، فقوله « إنكم وما تعبدون من دون الله حَصَبُ جَهَنَّمَ أنتم لها واردون » إنما أريد بذلك ما كانوا يعبدونه من الأحجار التى كانت صُورَ أصنام ، ولا يتناول ذلك الملائكة الذين

زعموا أنهم يعبدونهم في هذه الصور ، ولا المسيح ، ولا عُزَيْرًا ، ولا أحدا من الصالحين ، لأن اللفظ لا يتناولهم لا لفظاً ولا معنى .

فهم يعلمون أن ما ضربوه بعيسى بن مريم من المثل جدلٌ باطل ، كما قال الله تعالى : « ما ضربوه لك إلا جدلاً بل هم قومٌ خصمون » .

ثم قال : « إن هو » أى عيسى « إلا عبدٌ أنعمنا عليه » أى بنموتنا « وجعلناه مثلاً لبنى إسرائيل » أى دليلاً على تمام قدرتنا على ما نشاء ، حيث خلقناه من أنثى بلا ذكر ، وقد خلقنا حواء من ذكر بلا أنثى ، وخلقنا آدم لا من هذا ولا من هذا ، وخلقنا سائرَ بنى آدم من ذكر وأنثى .

كما قال في الآية الأخرى : « ولنَجْعَلَهُ آيَةً للناس » أى أمارَةً ودليلاً على قدرتنا الباهرة « ورحمة منا » نرحم بها من نشاء .

وذكر ابنُ إسحق الأحنس بن شَرِيق ونزول قوله تعالى فيه : « ولا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ » ^(١) الآيات .

وذكر الوليد بن المغيرة حيث قال : أُبْنِزَلْ على محمد وأترك وأنا كبير قريش وسيدُها ، ويُتْرَك أبو مسعود عمرو بن عمرو ^(٢) النَّفْقَى سيد ثقيف ، فنحن عظيمي القريتين ، ونزول قوله فيه : « وقالوا لولا نُزِّلَ هذا القرآنُ على رَجُلٍ من القريتين عظيمٍ » ^(٣) والتي بعدها .

وذكر أبي بن خلف حين قال لعقبة بن أبي معيط : ألم يبلُغني أنك جالستَ محمداً وسمعت منه ؟ وجهى من وجهك حرامٌ إلا أن تتفَلَّ في وجهه . ففعل ذلك عدوُّ الله عُقْبَةُ لعنه الله . فأنزل الله : « ويومَ يَعِضُّ الظالم على يديه يقول : يا ليتنى اتخذتُ مع الرسول سبيلاً ، يا ويْلَتنا ليتنى لم أُتَخَذَ فلاناً خليلاً » ^(٤) والتي بعدها .

(١) سورة نون ١٠ (٢) ابن هشام : عمرو بن عمير . (٣) سورة الزخرف ٣١ .

(٤) سورة الفرقان ٢٧ ، ٢٨ .

قال : ومشى أبى بن خلفٍ بعظمٍ بالٍ قد أرمَ فقال : يا محمد أنت تزعم أن الله يبعث هذا بعد ما أرمَ ؟ ! ثم فته بيده ، ثم نفخه فى الريح نحو رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال : نعم ، أنا أقول ذلك ، يبعثه الله وإياك بعد ما تكونان هكذا ، ثم يدخلك النار . وأنزل الله تعالى : « وضرب لنا مثلاً ونسى خلقه ، قال : من يُحْيِي الْعِظَامَ وهى رميم . قل : يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ^(١) » إلى آخر السورة .

قال : واعترض رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيما بلغنى وهو يطوف عند باب الكعبة ، الأسود بن المطلب والوليد بن المغيرة وأمية بن خلف والعاص بن وائل ، فقالوا : يا محمد ، هلم فلنعبد ما تعبد وتعبد ما نعبد ، فنشترك نحن وأنت فى الأمر . فأنزل الله فيهم : « قل يا أيها الكافرون . لا أعبد ما تعبدون » إلى آخرها . ولما سمع أبو جهل بشجرة الزقوم قال : أتدرون ما الزقوم ؟ هو تمر يُضرب بالزبد ! ثم قال : هلم فلنترقم .

فأنزل الله تعالى : « إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُومِ طَعَامُ الْأَثِيمِ ^(٢) » . قال : ووقف الوليد بن المغيرة فكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يكلمه وقد طمع فى إسلامه . فمرَّ به ابنُ أم مكتوم ، عاتكة بنت عبد الله بن عنكثة ، الأعمى ، فكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعل يستقرئه القرآن . فشق ذلك عليه حتى أضجَّره ، وذلك أنه شغله عما كان فيه من أمر الوليد وما طمع فيه من إسلامه . فلما أكثر عليه انصرف عنه عابساً وتركه . فأنزل الله تعالى : « عَبَسَ وَتَوَلَّى ، أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى » إلى قوله : « مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ » .

وقد قيل : إن الذي كان يحدث رسول الله صلى الله عليه وسلم حين جاءه ابن أم مكتوم : أمية بن خلف . فالله أعلم .

ثم ذكر ابن اسحق من عاد من مهاجرة الحبشة إلى مكة .
وذلك حين بلغهم إسلام أهل مكة ، وكان النقل ليس بصحيح ، ولكن كان له سبب .

وهو ما ثبت في الصحيح وغيره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جلس يوماً مع المشركين ، وأنزل الله عليه : « والنجم إذا هوى ، ما ضل صاحبكم » يقرؤها عليهم حتى ختمها وسجد ، فسجد من هناك من المسلمين والمشركين والجن والإنس .

وكان لذلك سبب ذكره كثير من المفسرين عند قوله تعالى : « وما أرسأنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته ، فيذسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم »^(١) .

وذكروا قصة القرأنيق ، وقد أحببنا الإضراب عن ذكرها صفحاً لئلا يسمعها من لا يضعها على مواضعها ، إلا أن أصل القصة في الصحيح .

قال البخاري : حدثنا أبو مَعْمَر ، حدثنا عبد الوارث ، حدثنا أيوب ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : سجد النبي صلى الله عليه وسلم بالنجم ، وسجد معه المسلمون والمشركون والجن والإنس .

انفرد به البخاري دون مسلم .

وقال البخاري : حدثنا محمد بن بشار ، حدثنا غُندَر ، حدثنا شُعْبَة ، عن أبي إسحاق ،

سمعت الأسود ، عن عبد الله قال : قرأ النبي صلى الله عليه وسلم « والنجم » بمكة ، فسجد فيها ، وسجد من معه غير شيخ أخذ كفاً من حصاً أو تراب فرفعه إلى جبهته وقال : يكفيني هذا ، فرأيتُه بعدُ قُتِلَ كافرًا .

ورواه مسلم ، وأبو داود ، والنسائي ، من حديث شُعبة .

وقال الإمام أحمد : حدثنا إبراهيم ، حدثنا رباح ، عن معمر ، عن ابن طاووس ، عن عكرمة بن خالد ، عن جعفر بن المطلب بن أبي وداعة ، عن أبيه قال : قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة سورة النجم ، فسجد وسجد من عنده ، فرفعتُ رأسي وأبيتُ أن أسجد ، ولم يكن أسلم يومئذ المطلب ، فكان بعد ذلك لا يسمع أحدا يقرأها إلا سجد معه .

وقد رواه النسائي ، عن عبد الملك بن عبد الحميد ، عن أحمد بن حنبل به . وقد يُجمع بين هذا والذي قبله بأن هذا سجد ولكنه رفع رأسه استكباراً ، وذلك الشيخ الذي استثناه ابن مسعود لم يسجد بالكلية . والله أعلم .

والمقصود أن الناقل لما رأى المشركين قد سجدوا متابعةً لرسول الله صلى الله عليه وسلم اعتقد أنهم قد أسلموا واصطلحوا معه ولم يبقَ نزاع بينهم .

فطار الخبرُ بذلك وانتشر حتى بلغ مهاجرة الحبشة بها ، فظنوا صحة ذلك . فأقبل منهم طائفة طامعين بذلك ، وثبتت جماعة ، وكلاهما مُحسن مصيب فيما فعل . فذكر ابن إسحق أسماء من رجع منهم :

عثمان بن عفان ، وامراته رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأبو حذيفة ابن عتبة بن ربيعة ، وامراته سهلة بنت سهيل ، وعبد الله بن جحش بن رئاب ، وعُتبة

ابن غَزْوَان ، والزبير بن العوام ، ومُضْعَب بن عُمير ، وسُوَيْبِط بن سعد ، وطليب بن عمير ، وعبد الرحمن بن عوف ، والمُقَدَّاد بن عمرو ، وعبد الله بن مسعود ، وأبو سَلَمَةَ بن عبد الأسد ، وامراته أم سلمة بنت أبي أمية بن المغيرة ، وشمَّاس بن عثمان .

وسلمة بن هشام ، وعَيَّاش بن أبي ربيعة ، وقد حُبِسَا بِمَكَّةَ حتى مضت بدرٌ وأُحْدِثُوا الخندق .

وعَمَّار بن ياسر ، وهو ممن شكَّ فيه : أخرج إلى الحبشة أم لا .
ومعتب بن عوف ، وعثمان بن مظعون ، وابنه السائب ، وأخواه قُدَّامَة وعبد الله ابنا مظعون ، وخُنَيْس بن حُذَافَة ، وهشام بن العاص بن وائل ، وقد حُبِسَ بِمَكَّةَ إلى بعد الخندق ، وعامر بن ربيعة وامراته ليلي بنت أبي حَثْمَة ، وعبد الله بن مَخْرَمَة .

وعبدُ الله بن سهيل بن عمرو ، وقد حُبِسَ حتى كان يوم بدر فأنحاز إلى المسلمين فشهد معهم بدرا .

وأبو سَيْرَة بن أبي رُهم ، وامراته أم كلثوم بنت سهيل .
والسَّكران بن عمرو بن عبد شمس ، وامراته سَوْدَة بنت زَمْعَة ، وقد مات بِمَكَّةَ قبل الهجرة وخلف على امراته رسولُ الله صلى الله عليه وسلم .

وسعد بن خَوْلَة ، وأبو عبيدة بن الجراح ، وعمرو بن الحارث بن زهير ، وسُهَيْل ابن بيضاء ، وعمرو بن أبي سرح .

فجميعهم : ثلاثةٌ وثلاثون رجلا ، رضى الله عنهم .

وقال البخارى : وقالت عائشة : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أُرِيتُ دَارَ هَجْرَتِكُمْ ذات نخل بين لابتين » .

فهاجرَ من هاجرَ قِبلَ المدينة ، ورجع عامة من كان هاجر إلى الحبشة إلى المدينة .

وفيه عن أبي موسى وأسماء رضى الله عنهما ، عن النبي صلى الله عليه وسلم .
وقد تقدم حديث أبي موسى ، وهو في الصحيحين ، وسيأتى حديث أسماء بنت
عميس ، بعد فتح خيبر حين قدم من كان تأخر من مهاجرة الحبشة ، إن شاء الله ،
وبه الثقة .

وقال البخارى : حدثنا يحيى بن حمّاد ، حدثنا أبو عوّانة ، عن سليمان بن إبراهيم ،
عن علقمة ، عن عبد الله ، قال : كنا نسلم على النبي صلى الله عليه وسلم وهو يصلى فيردّ
علينا ، فلما رجعنا من عند النجاشى سلمنا عليه فلم يردّ علينا ، فقلنا : يا رسول الله ، إنا كنا
نسلم عليك فترد علينا ، فلما رجعنا من عند النجاشى لم ترد علينا .
قال : « إِنَّ فِي الصَّلَاةِ شُغْلًا » .

وقد روى البخارى أيضا ومسلم وأبو داود والنسائى من طرق آخر ، عن سليمان بن
مهران ، عن الأعشى به :

وهو يقوى تأويل من تأوّل حديث زيد بن أرقم الثابت في الصحيحين : كنا نتكلم
في الصلاة ، حتى نزل قوله : « وقوموا لله قانتين » ^(١) فأمرنا بالسكوت ونهيننا عن الكلام .
على أن المراد جنس الصحابة ، فإن زيدا أنصارى مدنى ، وتحريم الكلام في الصلاة
ثبت بمكة ، فتعين الحمل على ما تقدم .

وأما ذكره الآية وهى مدينة فشكل ، ولعله اعتقد أنها الحرمة لذلك ، وإنما كان
الحرّم له غيرها معها . والله أعلم

قال ابن إسحق : وكان ممن دخل منهم بجوار ^(٢) [فيما سمى لنا ^(٣)] عثمان بن

(١) سورة البقرة ٢٣٨ (١) الأصل : وكان ممن دخل معهم بجوار . وهو تحريف ، وما أثبتته عن ابن هشام
(٣) من ابن هشام

مَظْعُونُ فِي جِوَارِ الْوَلِيدِ بْنِ الْغَيْرَةِ ، وَأَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الْأَسَدِ فِي جِوَارِ خَالِهِ أَبِي طَالِبٍ ،
فَإِنَّ أُمَّهُ بَرَّةَ بِنْتَ عَبْدِ الْمَطْلَبِ ^(١) .

فَأَمَّا عُمَانُ بْنُ مَظْعُونٍ فَإِنْ صَالِحُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ حَدَّثَنِي عَنْ
حَدَّثِهِ عَنْ عُمَانَ قَالَ : لَمَّا رَأَى عُمَانُ بْنُ مَظْعُونٍ مَا فِيهِ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ مِنَ الْبَلَاءِ وَهُوَ يَرُوحُ وَيَقْدُو فِي أَمَانٍ مِنَ الْوَلِيدِ بْنِ الْغَيْرَةِ قَالَ : وَاللَّهِ إِنَّ غُدُوِّي
وَرَوْاحِي فِي جِوَارِ رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الشَّرْكِ ، وَأَصْحَابِي وَأَهْلُ دِينِي يَلْقَوْنَ مِنَ الْبَلَاءِ وَالْأَذَى
فِي اللَّهِ مَا لَا يَصِيبُنِي لَنَقْصٍ كَثِيرٍ ^(٢) فِي نَفْسِي !

فَنَشَى إِلَى الْوَلِيدِ بْنِ الْغَيْرَةِ فَقَالَ لَهُ : يَا أَبَا عَبْدِ شَمْسٍ ، وَفَتَ ذِمَّتُكَ ، وَقَدْ رَدَدْتُ
إِلَيْكَ جِوَارَكَ .

قال : لم يابن أخى ؟ لعله آذاك أحدٌ من قومي ؟

قال : لا ، ولكنى أرضى بجوار الله عز وجل ، ولا أريد أن أستجير بغيره .

قال : فانطلقوا إلى المسجد فارددوا على جوارى علانية كما أجزتكم علانية .

قال : فانطلقا ، فخرجا حتى أتيا المسجد ، فقال الوليد بن الغيرة : هذا عثمان قد جاء
يردُّ على جوارى .

قال : صدق ، قد وجدته وفيًّا كريم الجوار ، ولكنى قد أحببت ألا أستجير
بغير الله ، فقد رددت عليه جواره .

ثم انصرف عثمان رضى الله عنه ، وكبيد بن ربعة بن مالك بن جعفر في مجلس من
قريش ينشدهم ، فجلس معهم عثمان فقال لبيد :

* أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَا اللَّهَ بَاطِلٌ *

(١) ابن هشام : وأم أبي سلمة برة بنت عبد المطلب (٢) ابن هشام : كبير .

فقال عثمان : صدقت .

فقال لبید :

* وكلُّ نعيمٍ لا محالةَ زائلٌ *

فقال عثمان : كذبت ، نعيمُ الجنة لا يزول .

فقال لبید : يامعشر قريش ، والله ما كان يؤذِي جليسُكم ، فمتى حدثَ

هذا فيكم ؟ !

فقال رجل من القوم : إن هذا سفينةٌ في سفهاءٍ معه ، قد فارقوا ديننا ، فلا تجدَنَّ

في نفسك من قوله .

فردَّ عليه عثمان حتى شَرى أمرُها ، فقام إليه ذلك الرجل ولطم عينه فَخَضَّرَها ،

والوليد بن المغيرة قريب يرى ما بلغ [من] ^(١) عثمان ، فقال : أما والله يابن أخى إن كانت عينُك عمّا أصابها لَغَنِيَّةٌ ، ولقد كنتَ في ذمة مَنِيعة .

قال : يقول عثمان : بل والله إنَّ عيني الصحيحة لفقيرةٌ إلى مثل ما أصاب أختها في

الله ! وإني لفي جوارٍ من هو أعزُّ منك وأقدرُ يا أبا عبد شمس .

فقال له الوليد : هلم يابن أخى إلى جوارك فَعُدْ . قال : لا .

* * *

قال ابن إسحق : وأما أبو سلمة بن عبد الأسد ؛ فحدثني أبي إسحق بن يسار ، عن

سلمة بن عبد الله بن أبي سلمة ، أنه حدّثه أن أبا سلمة لما استجار بأبي طالب مشى إليه رجال

من بني مخزوم فقالوا له : يا أبا طالب ، هذا منعتَ منا ابنَ أخيك محمداً ، فمالك

ولصاحبنا تمنعه منا ؟

(١) من ابن هشام .

قال : إنه استجار بي ، وهو ابن أختي ، وإن أنا لم أمنع ابن أختي لم أمنع ابن أختي .

فقام أبو لهب فقال : يامعشر قريش ، والله لقد أكثرتم على هذا الشيخ ، ماتزالون تتواثبون عليه في جواره من بين قومه ، والله لتنتهين أو لنقومن معه في كل مقام فيه حتى يبلغ ما أراد .

قالوا : بل ننصرف عما تكره يا أبا عتبة . وكان لهم ولياً وناصراً على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأبقوا على ذلك .

فطمع فيه أبو طالب حين سمعه يقول مايقول ، ورجا أن يقوم معه في شأن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فقال أبو طالب يحرّض أبا لهب على نصرته ونصرة رسول الله صلى الله عليه وسلم :

إِنَّ امْرَأًا أَبُو عْتَيْبَةَ عَنْهُ	لَنِي رَوْضَةٌ مَا إِن يُسَامُ الْمَظَالِمَا
أَقُولُ لَهُ وَأَيْنَ مِنْهُ نَصِيحَتِي	أَبَا مُعْتَبٍ ثَبَّتْ سَوَادُكَ قَائِمًا
وَلَا تَقْبَلَنَّ الدَّهْرَ مَا عَشَتْ خُطَّةً	تُسَبُّ بِهَا إِمَامًا هَبَطَتِ الْمَوَاسِمَا
وَوَلَّ سَبِيلَ الْعَجْزِ غَيْرَكَ مِنْهُمْ	فَإِنَّكَ لَمْ تُخْلَقْ عَلَى الْعَجْزِ لَازِمًا
وَحَارِبٍ فَإِنَّ الْحَرْبَ نَصْفٌ وَلَنْ تَرَى	أَخَا الْحَرْبِ يَعْطِي الْخُسْفَ حَتَّى يُسَالِمَا
وَكَيْفَ وَلَمْ يَجْنُوا عَلَيْكَ عَظِيمَةً	وَلَمْ يَخْذُلُوكَ غَائِمًا أَوْ مُغَارِمَا
جَزَى اللَّهُ عَنَّا عَبْدَ شَمْسٍ وَنُوفَلًا	وَتَيْمًا وَمُخْزُومًا عَقُوقًا وَمَأْتَمًا
بِتَفْرِيقِهِمْ مِنْ بَعْدِ وَدٍّ وَأَلْفَةٍ	جَامَعَتْنَا كَيْمَا يَنَالُوا الْحَارِمَا
كَذَبْتُمْ وَبَيْتَ اللَّهِ نُبْزَى ^(١) مُحَمَّدًا	وَلَمَّا تَرَوْا يَوْمًا لَدَى الشَّعْبِ قَائِمًا

قال ابن هشام : وبقي منها بيت تركناه .

ذكر غَزِم الصديق على الهجرة إلى أرض الحبشة

قال ابن إسحق : وقد كان أبو بكر الصديق رضى الله عنه ، كما حدثني محمد بن مسلم الزُّهْرِي ، عن عروة ، عن عائشة ، حين ضاقت عليه مكة وأصابه فيها الأذى ، ورأى من تظاهر قريش على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ما رأى ، استأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الهجرة فأذن له .

فخرج أبو بكر رضى الله عنه مهاجراً ، حتى إذا سار من مكة يوماً أو يومين ، لقيه ابنُ الدَّغِنَةِ ^(١) ، أخو بني الحارث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة ، وهو يومئذ سيدُ الأحابيش .

قال الواقدي : اسمه الحارث بن يزيد ، أحد بني بكر بن عبد مناة بن كنانة . وقال السُّهَيْلِي : اسمه مالك .

فقال : إلى أين يا أبا بكر ؟ قال : أخرجني قومي وآذوني وضيقوا عليّ . قال : ولم ؟ والله إنك لتزين العشيرة وتعين على النوائب وتفعل المعروف وتكسب العدوم ، ارجع فإنك في جوارى .

فرجع معه ، حتى إذا دخل مكة قام معه ابن الدَّغِنَةِ فقال : بامعشر قريش ، إني قد أجرتُ ابنَ أبي قحافة ، فلا يعرض له أحد إلا بخير . قال : فكفُّوا عنه .

(١) ابن الدغنة ، بفتح الدال المشددة وكسر الغين المعجمة والنون مخففة مفتوحة ، كذا ضبطه الزرقاني ، وهو ضبط الرواة ، وأهل اللغة يضبطونه بالدال مشددة مضمومة والغين مضمومة والنون مشددة مضمومة ومعنى الدغنة : المسترخية .

قالت : وكان لأبي بكر مسجد عند باب داره في بني تميم ، فكان يصلي فيه ، وكان رجلاً رقيقاً إذا قرأ القرآن استبكي .

قالت : فيقف عليه الصبيان والعبيد والنساء ، فيعجبون لما يرون من هيئته .
قال : فمشى رجال من قريش إلى ابن الدغنة فقالوا : يا ابن الدغنة ، إنك لم تجز هذا الرجل ليؤذينا ، إنه رجل إذا صلى وقرأ ماجأ به محمد يرقُّ وكانت له هيئة ، ونحن نتخوَّف على صبياننا ونسائنا وضعفائنا أن يفتنهم ، فآتته فمره أن يدخل بيته فليصنع فيه ما شاء .

قالت : فمشى ابن الدغنة إليه فقال : يا أبا بكر ، إني لم أجرك لتؤذي قومك ، وقد كرهوا مكانك الذي أنت به وتأذوا بذلك منك ، فادخل بيتك فاصنع فيه ما أحببت .

قال : أو أردُّ عليك جوارك وأرضى بجوار الله .

قال : فارددْ عليَّ جوارى . قال : قد رددته عليك .

قال : فقام ابن الدغنة فقال : يامعشر قريش ، إن ابن أبي قحافة قد ردَّ عليَّ جوارى ، فشأنكم بصاحبكم .

وقد روى الإمام البخارى هذا الحديث ^(١) متفرداً به ، وفيه زيادة حسنة .

فقال : حدثنا يحيى بن بُكَيْر ، حدثنا الليث ، عن عُقَيْل ، قال ابن شهاب ^(٢)

فأخبرني عروة بن الزبير أن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت :

لم أعقل أبوي ^(٣) قط إلا وهما يدرينان الدين ، ولم يمرَّ علينا يوم إلا يأتينا فيه

(١) صحيح البخارى باب هجرة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه إلى المدينة ١٩٠/٢

(٢) الأصل : قال ابن هشام : وهو تحريف وما أثبتته من صحيح البخارى ١٩٠/٢

(٣) الأصل : أبواى . وهو خطأ . وما أثبتته عن البخارى .

رسولُ الله صلى الله عليه وسلم طرفى النهار بكرة وعشية .

فلما ابتلى المسلمون خرج أبو بكر مهاجراً نحو أرض الحبشة ، حتى إذا بلغ برك الغماد ^(١) لقيه ابنُ الدغنة وهو سيد القارة ^(٢) ، فقال : أين تريد يا أبا بكر ؟ فقال أبو بكر : أخرجنى قومى فأريد أن أسبح فى الأرض فأعبد ربى .

فقال ابن الدغنة : فإن مثلك يا أبا بكر لا يخرج ولا يخرج مثله ، إنك تكسب المعدوم ، وتصل الرحم ، وتحمل الكل ، وتقرى الضيف ، وتعين على نوائب الحق ، وأنا لك جارٌ ، فارجع فأعبد ربك ببلدك .

فرجع ، وارتحل معه ابنُ الدغنة ، وطاف ابن الدغنة عشيةً فى أشراف قريش فقال لهم : إن أبا بكر لا يخرج مثله ولا يخرج ، أخرجون رجلاً يكسب المعدوم ، ويصل الرحم ويحمل الكل ويقرى الضيف ، ويعين على نوائب الحق ؟ !

فلم يكذب قريش بجوار ابن الدغنة ، وقالوا لابن الدغنة : مرُّ أبا بكر فليعبد ربه فى داره ويصل فيها ، وليقرأ ما شاء ، ولا يؤذينا بذلك ولا يستعلن به ، فإننا نخشى أن يفتن نساءنا وأبناءنا .

فقال ابنُ الدغنة ذلك لأبى بكر .

فأبى أبو بكر بذلك يعبد ربه فى داره ، ولا يستعلن بصلاته ولا يقرأ فى غير داره . ثم بدا لأبى بكر فابتنى مسجداً بفناء داره ، وكان يصلى فيه ويقرأ القرآن .

فيتقدّف ^(٣) نساء المشركين وأبنائهم يعجبون منه وينظرون إليه ، وكان أبو بكر رجلاً بكاءً لا يملك عيظه إذا قرأ القرآن .

(١) برك الغماد : موضع وراء مكة بخمس ليال مما يلى البحر . وقد حكى فى الباء الضم والكسر

(٢) قبيلة تشتهر بالزعم وهم ما يقال : قد أنصف القارة من رامها .

(٣) أى يتدافعون فيقفذ بعضهم بعضاً فيتساقطون عليه . ورواية المواهب : « فيقفص » أى يزدحم ورواية المروزى والمستمل : فيقفذ بالنون . شرح المواهب ٢٨٩/١

فأفرغ ذلك أشراف قريش من المشركين ، فأرسلوا إلى ابن الدغنة فقدم عليهم ، فقالوا : إنا كنا أجراً نأبأ بكر بجوارك على أن يعبد ربه في داره ، فقد جاوز ذلك فابتنى مسجداً بفناء داره فأعلن الصلاة والقراءة فيه ، وإنا قد خشينا أن يفتن أبنائنا ونساؤنا فانه ، فإن أحب أن يقتصر على أن يعبد ربه في داره فعل ، وإن أبي إلا أن يعلن ذلك فسله أن يرد عليك ذمتك ، فإنا قد كرهنا أن نخفرك ، ولسنا مقرين لأبي بكر الاستعلان .

قالت عائشة : فأتى ابن الدغنة إلى أبي بكر فقال : قد علمت الذي قد عاقدتك عليه ، فإما أن تقتصر على ذلك ، وإما أن ترد إلى ذمتي ، فإني لا أحب أن تسمع العرب أني أخفرت في رجل عقدت له .

فقال أبو بكر : فإني أردت عليك جوارك وأرضى بجوار الله عز وجل .

ثم ذكر تمام الحديث في هجرة أبي بكر رضى الله عنه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما سيأتي مبسوطاً .

قال ابن إسحاق : وحدثني عبد الرحمن بن القاسم ، عن أبيه القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق ، قال : لقيه ، يعني أبا بكر الصديق حين خرج من جوار ابن الدغنة ، سفيه من سفهاء قريش ، وهو عائد إلى الكعبة ، فحنا على رأسه تراباً ، فرَّ بأبي بكر الوليد ابن المغيرة أو العاص بن وائل ، فقال له أبو بكر رضى الله عنه : ألا ترى ما يصنع هذا السفيه ؟ ! فقال : أنت فعلت ذلك بنفسك . وهو يقول : أي رب ما أحلمك ، أي رب ما أحلمك ، أي رب ما أحلمك !

فصل

كل هذه القصص ذكرها ابن إسحاق معترضاً بها بين تعاقد قريش على بني هاشم وبني المطلب ، وكتابتهم عليهم الصحيفة الظالمة وحصرهم إياهم في الشعب ، وبين نقض

الصحيفة وما كان من أمرها ، وهى أمور مناسبة لهذا الوقت ، ولهذا قال الشافعى رحمه الله : من أراد المغازى فهو عيال على ابن إسحق .

قال ابن إسحق : هذا وبنو هاشم وبنو المطلب فى منزلهم الذى تعاقدت فيه قريش عليهم فى الصحيفة التى كتبوها .

ثم إنه قام فى نقض الصحيفة نفرٌ من قريش .

ولم يُبَلِّ فيها أحد أحسنَ من بلاء هشام بن عمرو بن الحارث بن حبيب بن نصر ابن مالك بن حِسل بن عامر بن لؤى ، وذلك أنه كان ابنَ أخى فضلة بن هشام بن عبد مناف لأمه . وكان هشام لبني هاشم واصلا ، وكان ذا شرف فى قومه .

فكان ، فيما بلغنى ، يأتى بالبعير ، وبنو هاشم وبنو المطلب فى الشعب ليلاً ، قد أوقره طعاما ، حتى إذا بلغ به فَمَ الشَّعْبِ خلع خطامه من رأسه ثم ضرب على جنبه فدخل الشَّعْبَ عليهم ، ثم يأتى به قد أوقره بُرًّا فيفعل به مثل ذلك .

ثم إنه مشى إلى زهير بن أبى أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم ، وكانت أمه عاتكة بنت عبد المطلب ، فقال : يا زهير أقد رضيت أن تأكل الطعام وتلبس الثياب وتنسك النساء ، وأخوالك حيث علمت لا يُباعون ولا يبتاع منهم ، ولا ينكحون ولا ينكح إليهم ؟ أما إنى أحلف بالله لو كانوا أخوالَ أبى الحكم بن هشام ، ثم دعوته إلى مثل ما دعاك إليه منهم ما أجابك إليه أبدا .

قال : ويحك يا هشام ، فماذا أصنع ؟ إنما أنا رجل واحد ، والله لو كان معى رجل آخر لقمْتُ فى نقضها .

قال : قد وجدت رجلا . قال : من هو ؟ قال : أنا . قال له زهير : ابغنا ثالثا .

فذهب إلى المطعم بن عديّ فقال له : يا مطعم ، أقد رضيت أن يهلك بطنان من

بنى عبد مناف وأنت شاهد على ذلك موافق لقريش فيه؟! أما والله لنن أمكنتموهم من هذه لتجدتهم إليها منكم سراعا .

قال : ويحك فماذا أصنع ؟ إنما أنا رجل واحد .

قال : وجدت لك ثانيا . قال : من ؟ قال : أنا . قال : ابغنا ثالثا . قال : قد فعلت قال : من هو ؟ قال : زهير بن أبي أمية . قال ابغنا رابعا . فذهب إلى أبي البختري بن هشام فقال نحو ما قال للطعم بن عدى ، فقال : وهل تجد أحدا يعين على هذا ؟ قال : نعم . قال : من هو ؟ قال : زهير بن أبي أمية والطعم بن عدى وأنا معك . قال : ابغنا خامسا .

فذهب إلى زَمْعَةَ بن الأسود بن المطلب بن أسد ، فكلّمه وذكر له قرابتهم وحقهم ، فقال له : وهل على هذا الأمر الذى تدعونى إليه من أحد ؟ قال : نعم . ثم سَمَّى القوم .

فأتعدوا حَطَمَ الحَجُونِ ليلا بأعلى مكة ، فاجتمعوا هنالك ، وأجمعوا أمرهم وتعاقدوا على القيام فى الصّحيفة حتى ينقضوها ، وقال زهير : أنا أبدوكم فأكون أول من يتكلم . فلما أصبحوا غدّوا إلى أنديتهم ، وغدا زهير بن أبي أمية عليه حُلة ، فطاف بالبيت سبيعا ، ثم أقبل الناس فقال : يا أهل مكة أنا كل الطعام ولبس الثياب ، وبنو هاشم هُكّى لا يبتاعون ولا يبتاع منهم ، والله لا أقعد حتى تُشَقَّ هذه الصّحيفة القاطعة الظالمة .

قال أبو جهل : وكان فى ناحية المسجد : والله لا تُشَقَّ .

قال زَمْعَةُ بن الأسود : أنت والله أكذب ، مارضينا كتابتها حين كتبت .

قال أبو البختري : صدق زَمْعَةُ ، لا نرضى ما كتب فيها ولا نقرّ به .

قال المطعم بن عدى : صدقما وكذب من قال غير ذلك ، نبأ إلى الله منها ومما كتب فيها .

وقال هشام بن عمرو نحواً من ذلك .

قال أبو جهل : هذا أمر قد قضى بليل وتشوور فيه بغير هذا المكان .

وأبو طالب جالس في ناحية المسجد .

وقام المطعم بن عدى إلى الصحيفة ليشقها فوجد الأرضة قد أكلتها إلا « باسمك اللهم »

وكان كاتب الصحيفة منصور بن عكرمة فشلت يده ، فيما يزعمون .

قال ابن هشام : وذكر بعض أهل العلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأبي

طالب : يا عم إن الله قد سَلَطَ الأرضة على صحيفة قريش ، فلم تدعَ فيها اسماً هو لله إلا أثبتته

فيها ، ونفَتَ منها الظلم والقطيعة والبهتان .

فقال : أربك أخبرك بهذا ؟ قال : نعم .

قال : فوالله ما يدخل عليك أحد .

ثم خرج إلى قريش فقال : يا معشر قريش ، إن ابن أخى قد أخبرنى بكذا وكذا ،

فهل صحيفةكم ، فإن كانت كما قال فانتبهوا عن قطيعتنا وانزلوا عنها ، وإن كان كاذباً

دفعْتُ إليكم ابن أخى .

فقال القوم : قد رضينا . فتعاقدوا على ذلك .

ثم نظروا فإذا هى كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فزادهم ذلك شراً .

فعند ذلك صنع الزهط من قريش فى نقض الصحيفة ما صنعوا .

قال ابن إسحاق : فلما مُرِّقَتْ وبطل ما فيها قال أبو طالب فيما كان من أمر أولئك

القوم الذين قاموا فى نقض الصحيفة يمدحهم :

الأهل أتى بحرينا صنع ربنا
 فيخبرهم أن الصحيفة مزقت
 تراوحها إفاك وسخر مجمع
 تداعى لها من ليس فيها بقرقر^(٢)
 وكانت كفاء وقمة بأئمة
 ويظن أهل المكثين فيهبوا
 ويترك حراث يقلب أمره
 فمن ينش من حضار مكة عزه
 نشأنا بها والناس فيها قلائل
 ونظم حتى يترك الناس فضلهم
 جزى الله رهطا بالحجون تجمعوا
 قعوداً لدى حطم الحجون كأنهم
 أعان عليهم كل صقر كأنه
 جرى على جل^(٥) الخطوب كأنه
 من الأكرمين من لؤي بن غالب
 طويل النجاد خارج نصف ساقه

على تأيهم والله بالناس أرود^(١)
 وأن كل ما لم يرضه الله مفسد
 ولم يلف سحر آخر الدهر يصعد
 فطائرهما في رأسها يتردد
 ليقطع منها ساعد ومقلد^(٣)
 فرائضهم من خشية الشر ترعد
 أيتهم فيها عند ذاك وينجد
 فعزتنا في بطن مكة أتلد
 فلم تنفكك زداد خيراً ونحمك
 إذا جعلت أيدي الفيضين ترعد
 على ملا يهدي لحزم ويرشد
 مقاول بل هم أعز وأجد
 إذا مامشي في رفرف الدرع أحر^(٤)
 شهاب بكفى قابس يتوقد
 إذا سم خسفاً وجهه يتردد
 على وجهه يسقى الغمام ويسعد

(١) بحرينا : أراد بهم الذين بأرض الحبشة ، نسبهم إلى البحر لركوبهم إياه . كما قال عليه السلام لأسماء بنت عميس حين قدمت من أرض الحبشة : « البحرية الحبشية » وأرود : أرفق .

(٢) القرقر : أراد الدليل ، والقرقر : الأرض الموطوءة التي لا تمنع سالكيها . ويجوز أن يريد به : ليس بنى هزل . الروض .

(٣) المقلد : العنق .

(٤) رفرف الدرع : فضولها . والأحر : الذي في مشيه تناقل ، وهو من الحرد ، وهو عيب في الرجل .

(٥) وتروى : جلى ..

عَظِيمُ الرَّمَادِ سَيِّدٌ وَابْنُ سَيِّدٍ يَحْضُ عَلَى مَقَرِّ الضِّيُوفِ وَيَحْسِدُ
وَيَبْنِي لِأَبْنَاءِ الْعَشِيرَةِ صَالِحًا إِذَا نَحْنُ طُفْنَا فِي الْبِلَادِ وَيَمُهِدُ
أَلْظَ^(١) هَذَا الصُّلَحَ كُلُّ مُبْرَأٍ عَظِيمُ اللِّوَاءِ أَمْرُهُ ثُمَّ يَحْمَدُ
قَضَوْا مَا قَضَوْا فِي لَيْلِهِمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا عَلَى مَهْلٍ وَسَائِرِ النَّاسِ رُقِدَ
هُمْ رَجَعُوا سَهْلٌ بَنُ بَيْضَاءَ رَاضِيًا وَسُرَّ أَبُو بَكْرٍ بِهَا وَمُحَمَّدُ
مَتَى شَرَكِ الْأَقْوَامُ فِي حَلٍّ أَمَرْنَا وَكُنَّا قَدِيمًا قَبْلَهُمَا نَتَوَدَّدُ
وَكَنَّا قَدِيمًا لَا نَقْرُ ظُلَامَةً وَنَدْرِكُ مَا شِئْنَا وَلَا نَتَشُدُّ
فِيَالِ قُصَيٍّ هَلْ لَكُمْ فِي نَفُوسِكُمْ وَهَلْ لَكُمْ فِيمَا يَجِيءُ بِهِ غَدُ
فَإِنِّي وَإِيَّاكُمْ كَمَا قَالَ قَائِلٌ لَدَيْكَ الْبَيَانُ لَوْ تَكَلَّمْتَ أَسْوَدُ

قال السهيلي : أسود اسم جبل قتل به قتيل ولم يعرف قاتله ، فقال أولياء المقتول :
لديك البيان لو تكلمت أسود . أى يا أسود لو تكلمت لأبنت لنا عن قتله^(٢) .

ثم ذكر ابن إسحاق شعرَ حسان يمدح المظعم بن عدى وهشام بن عمرو لقيامهما
في نقض الصحيفة الظالمة الفاجرة الغاشمة .

وقد ذكر الأموي هاهنا أشعاراً كثيرة اكتبناها بما أورده ابن إسحاق .

وقال الواقدي : سألت محمد بن صالح ، وعبد الرحمن بن عبد العزيز : متى خرج
بنو هاشم من الشعب ؟ قالوا : في السنة العاشرة ، يعنى من البعثة ، قبل الهجرة
بثلاث سنين .

قلت : وفي هذه السنة بعد خروجهم توفى أبو طالب عم رسول الله صلى الله عليه
وسلم ، وزوجته خديجة بنت خويلد رضى الله عنها . كما سيأتى بيان ذلك إن شاء
الله تعالى .

(١) أَلْظَ : أُلْحَ وطالب . (٢) السهيلي : فقال أولياء المقتول هذه المقالة فذهبت مثلاً .

فصل

وقد ذكر محمد بن إسحاق رحمه الله بعد إبطال الصحيفة قصصا كثيرة تتضمن نَصَبَ عداوة قريش لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتنفيذِ أحياء العرب والقادمين إلى مكة لحجٍّ أو عمرة أو غير ذلك منه ، وإظهارَ الله المعجزات على يديه ، دلالةً على صدقه فيما جاءهم به من البينات والهدى ، وتكذيباً لهم فيما يرمونه من البغي والعدوان والمكر والخداع ، ويرمونه من الجنون والسحر والكهانة والتفوُّل ، والله غالب على أمره .

فذكر قصة الطفيل بن عمرو الدؤسيّ رسالةً .

وكان سيداً مطاعاً شريفاً في دوس ، وكان قد قَدِمَ مكة فاجتمع به أشراف قريش وحذَّروه من رسول الله ونهوه أن يجتمع به أو يسمع كلامه .

قال : فوالله ما زالوا بي حتى أَجْمَعْتُ ألا أسمع منه شيئاً ولا أكله ، حتى حشَوْتُ أذنيّ حين غدوتُ إلى المسجد كُرْسُفاً ^(١) فَرَقاً مِنْ أَنْ يُبْلِغَنِي شَيْءٌ مِنْ قَوْلِهِ ، وأنا لا أريد أن أسمع .

قال فغدوت إلى المسجد ، فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يصلي عند الكعبة .

قال : فقمْتُ منه قريباً ، فأبَى الله إلا أن يُسْمِعَنِي بعضَ قَوْلِهِ .

قال : فسمعت كلاماً حسناً ، قال : فقلت في نفسي : وأتُكَلِّمُني ! والله إني لرجل لبيبٌ شاعرٌ ما يُخَفِّي عَلَى الْحَسَنِ مِنَ الْقَبِيحِ ، فما يمنعني أن أسمع من هذا الرجل ما يقول ، فإن كان الذي يأتي به حسناً قبلته ، وإن كان قبيحاً تركته .

(١) الكرسف : القطن

قال : فمكثت حتى انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بيته [فاتبعته حتى إذا دخل بيته ^(١)] دخلت عليه فقلت : يا محمد إن قومك قالوا لي كذا وكذا .
الذى قالوا .

قال : فوالله ما برحوا بي يخوفوني أمرك حتى سدّدت أذنيّ بكرسُفٍ لثلاث أسمع قولك ، ثم أبى الله إلا أن يُسمعى قولك ، فسمعت قولاً حسناً ، فاعرض على أمرك .

قال : فعرض على رسول الله صلى الله عليه وسلم الإسلام وتلا على القرآن ، فلا والله ما سمعت قولاً قط أحسن منه ، ولا أمراً أعدل منه .

قال : فأسألتُ وشهدت شهادة الحق ، وقلت : يا نبي الله إني امرؤ مُطاعٌ في قومي ، وإني راجع إليهم وداعيهم إلى الإسلام ، فادع الله أن يجعل لي آية تكون لي عوناً عليهم فيما أدعوههم إليه .

قال فقال : اللهم اجعل له آية .

قال فخرجت إلى قومي ، حتى إذا كنت بَثْنِيَّةٍ تطلّعي على الحاضر ، وقع بين عيني نورٌ مثل المصباح . قال : فقلت : اللهم في غير وجهي فإني أخشى أن يظنوا أنها ^(٢) مُثَلَّةٌ وقعت في وجهي لفراق دينهم .

قال : فتحوّل فوق في رأس سوطي . قال : فجعل الحاضرون ^(٣) يتراءون ذلك النور في رأس سوطي كالقنديل المعلق وأنا أنهبط ^(٤) عليهم من الثنّية ، حتى جثتهم فأصبحت فيهم .

(١) سقطت من المصبوعة . (٢) الأصل : يظنوا بها وما أثبتته من ابن هشام .

(٣) ابن هشام : الحاضر (٤) ابن هشام : أهبط

فلما نزلت أتانى أبى ، وكان شيخا كبيرا ، فقلت : إليك عنى يا أبتى ، فلست منك ولست منى .

قال : ولم يابنى ؟

قال : قلت أسلمتُ وتابعتُ دينَ محمد صلى الله عليه وسلم .

قال : أى بنى فدينك دينى . فقلت : فاذهب فاغتسل وطهر ثيابك ، ثم ائتنى حتى أعلمك مما علمت .

قال : فذهب فاغتسل وطهر ثيابه ، ثم جاء فعرضت عليه الإسلام فأسلم .

قال : ثم أتتني صاحبتى ، فقلت : إليك عنى ، فلستُ منك ولست منى .

قالت : ولم ؟ بأبى أنت وأمى .

قال : قلت : فرّق بينى وبينك الإسلام ، وتابعتُ دينَ محمد صلى الله عليه وسلم .

قالت : فدينى دينك .

قال : فقلت فاذهبنى إلى حمى ^(١) ذى الشرى فتطهّرى منه . وكان ذى الشرى صنماً

لدّوس ، وكان الحمى حمى تحمّوه حوله ، به وشل ^(٢) من ماء يهبط من جبل .

قالت : بأبى أنت وأمى ، أتخشى على الصّبية من ذى الشرى شيئا ؟

قلت : لا ، أنا ضامن لذلك .

قال : فذهبتُ فاغتسلت ، ثم جاءت فعرضتُ عليها الإسلام فأسلمت .

ثم دعوت دوساً إلى الإسلام فأبطاوا علىّ ، ثم جئتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم

بمكة . فقلت : يا رسول الله ، إنه قد غلبنى على دوس الزنا ، فادع الله عليهم .

قال : « اللهم اهدِ دوساً ، ارجع إلى قومك فادعهم وارفق بهم » .

(٢) الوشل : الماء القليل .

(١) ويقال له أيضاً : حمى

قال : فلم أزل بأرض دوس أدعوم إلى الإسلام ، حتى هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ، ومضى بدره وأحد والخندق ، ثم قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم بمن أسلم معي من قومي ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم بخير ، حتى نزلت المدينة بسبعين أو ثمانين بيتاً من دوس ، فلحقنا برسول الله صلى الله عليه وسلم بخير فأسهم لنا مع المسلمين .

ثم لم أزل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى فتح الله عليه مكة ، فقلت : يا رسول الله ابعتني إلى ذى الكفّين صنم عمرو بن حمّة حتى أحرقه .

قال ابن إسحاق : فخرج إليه ، فجعل الطفيل وهو يوقد عليه النار يقول :

يَا ذَا الْكَفَّينَ ^(١) لستُ مِنْ عُبَادِكَ مِلَادُنَا أَقْدَمُ مِنْ مِيلَادِكَ

إِنِّي حَشَوْتُ النَّارَ فِي فَوَادِكَ

قال : ثم رجع [إلى ^(٢)] رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان معه بالمدينة ، حتى قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فلما ارتدّت العربُ خرج الطفيل مع المسلمين ، فسار معهم حتى فرغوا من طليحة ومن أرض نجد كلها ، ثم سار مع المسلمين إلى اليمامة ومعه ابنه عمرو بن الطفيل .

فراى رؤيا وهو متوجه إلى اليمامة ، فقال لأصحابه : إني قد رأيت رؤيا فاعبروها لي ، رأيت أن رأسي حلق ، وأنه خرج من في طائر ، وأنه لقيتني امرأة فأدخلتني في فرجها ، وأرى ابني يطلبني طلبا حثيثا ثم رأيت حُبس عني .

قالوا : خيراً . قال : أمّا أنا والله فقد أولّتها .

(١) الكفّين : أراد الكفّين بالتشديد فخفف للضرورة . وذكر السهيلي أنه قد يخفف في غير الشعر ، فإن صح هذا فهو تثنية كفء من كفأت الإناء ثم سهلت الهمزة ونقلت حركتها إلى الفاء كالحب والحب .
الروض ٢٣٥/١ (٢) من ابن هشام .

قالوا : ماذا ؟ قال : أمّا حَلَقَ رَأْسِي فَوَضَعَهُ ، وأمّا الطائر الذى خرج منه فروجى ، وأمّا المرأة التى أدخلتني فى فرجها فالأرض تُخْفَرُ لى فأغْيَبَ فيها . وأمّا طلبُ ابْنى إِيَّايَ ثُمَّ حَبَسَهُ عَنى فَإِنى أَرَاهُ سَيَجْتَهِدُ أَنْ يَصِيبَهُ مَا أَصَابَنِى .

فَقَتَلَ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى شَهِيداً بِالْإِمَامَةِ ، وَجَرَحَ ابْنَهُ جِرَاحَةً شَدِيدَةً ، ثُمَّ اسْتَبَلَّ مِنْهَا ، ثُمَّ قَتَلَ عَامَ الْيَرْمُوكَ زَمَنَ عَمْرِو شَهِيداً . رَحِمَهُ اللهُ .

هَكَذَا ذَكَرَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ قِصَةَ الطُّفَيْلِ بْنِ عَمْرِو مَرْسَلَةً بِإِسْنَادٍ . وَخَبْرَهُ شَاهِدٌ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ .

قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ : حَدَّثَنَا وَكِيعٌ ، حَدَّثَنَا سَفْيَانٌ ، عَنْ أَبِي الزُّنَادِ ، عَنْ الْأَعْرَجِ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ؛ قَالَ : لَمَّا قَدِمَ الطُّفَيْلُ وَأَصْحَابُهُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : إِنْ دَوَّسًا قَدْ اسْتَعْصَمْتَ ، قَالَ : « اللَّهُمَّ اهْدِ دَوَّسًا وَائْتِ بِهِمْ » .

رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ ، عَنْ أَبِي نُعَيْمٍ ، عَنْ سَفْيَانَ الثَّوْرِيِّ .

وَقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ : حَدَّثَنَا يَزِيدٌ ، أَنبَأَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَدِمَ الطُّفَيْلُ بْنُ عَمْرِو الدَّوْسِيِّ وَأَصْحَابُهُ ، فَقَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنْ دَوَّسًا قَدْ عَصَتْ وَأَبَتْ فَادْعِ اللَّهَ عَلَيْهَا . قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ فَرَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدَيْهِ فَقَالَ : هَلَكْتَ دَوْس ! فَقَالَ : « اللَّهُمَّ اهْدِ دَوْسًا ، وَائْتِ بِهِمْ » .

إِسْنَادُهُ جَيِّدٌ وَلَمْ يَخْرُجْهُ .

وَقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ : حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ حَرْبٍ ، حَدَّثَنَا حَمَادُ بْنُ زَيْدٍ ، عَنْ حُجَّاجِ الصَّوَّافِ ، عَنْ أَبِي الزَّيْبَرِ ، عَنْ جَابِرٍ ، أَنَّ الطُّفَيْلَ بْنَ عَمْرِو الدَّوْسِيِّ أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ لَكَ فِي حِصْنٍ حَصِينٍ وَمَنْعَةٍ ؟ قَالَ : حِصْنٌ كَانَ لِدَوَّسٍ فِي الْجَاهِلِيَةِ .

فأبى ذلك رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، للذى ذَخَرَ الله للأَنْصار .

فلما هاجر النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة هاجر إليه الطُّفيل بن عمرو ، وهاجر معه رجل من قومه ، فاجتَوَا^(١) المدينة ، فمرض فجزع فأخذ مشاقص فقطع بها براجمه^(٢) ، فشخبت يدها فما رقا الدم حتى مات .

فراه الطفيل بن عمرو في منامه في هيئة حسنة ، ورآه مغطياً يديه ، فقال له : ما صنع ربك ؟ فقال : غفر لي بهجرتي إلى نبيه صلى الله عليه وسلم . قال : فما لي أراك مغطياً يديك ؟ قال : قيل لي لن يصلح منك ما أفسدت !

قال : فقصها الطفيل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اللهم وليديه فاغفر » .

رواه مسلم عن أبي بكر بن أبي شَيْبَةَ وإسحاق بن إبراهيم ، كلاهما عن سليمان ابن حرب به .

فإن قيل : فما الجمع بين هذا الحديث وبين ما ثبت في الصحيحين من طريق الحسن ، عن جُنْدُب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كان فيمن كان قبلكم رجل به جرح فجزع ، فأخذ سكيناً فخرَّ بها يده فما رقا الدم حتى مات ، فقال الله عز وجل عبدي بأدرني بنفسه فخرَّمت عليه الجنة » .

فالجواب من وجوه :

أحدها : أنه قد يكون ذاك مُشْرِكاً وهذا مؤمناً .

ويكون قد جعل هذا الصَّنِيع سبباً مستقلاً في دخوله النار ، وإن كان شِرْكَه مستقلاً إلا أنه نبّه على هذا لتعتبر أمته .

(١) اجتوا المدينة : كرهوا المقام بها لضجر وسقم .

(٢) المشاقص : جم مشقس وهو سهم فيه نصل عريض : والبراجم : مفاصل الأصابع

الثانى : قد يكون هَذَا عَلِيًّا بِالْتَحْرِيمِ ، وَهَذَا غَيْرِ عَالِمٍ لِحَدَاثَةِ عَهْدِهِ بِالْإِسْلَامِ .

الثالث : قد يكون ذَاكَ فَعَلَهُ مُسْتَحِلًّا لَهُ ، وَهَذَا لَمْ يَكُنْ مُسْتَحِلًّا بَلْ مَخْطِئًا .

الرابع : قد يكون أَرَادَ ذَاكَ بِصَنْعِهِ الْمَذْكُورِ أَنْ يَقْتُلَ نَفْسَهُ ، بِخِلَافِ هَذَا فَإِنَّهُ يَجُوزُ أَنَّهُ لَمْ يَقْصِدْ قَتْلَ نَفْسِهِ وَإِنَّمَا أَرَادَ غَيْرَ ذَلِكَ .

الخامس : قد يكون هَذَا كَلِيلَ الْحَسَنَاتِ فَلَمْ تَقَاوِمِ كِبَرَ ذَنْبِهِ الْمَذْكُورِ ، فَدَخَلَ النَّارَ وَهَذَا قَدْ يَكُونُ كَثِيرَ الْحَسَنَاتِ فَقَاوَمَتِ الذَّنْبَ فَلَمْ يَلَجِ النَّارَ ، بَلْ غُفِرَ لَهُ بِالْهَجْرَةِ إِلَى نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وَلَكِنْ بَقِيَ الشَّيْنُ فِي يَدِهِ فَقَطَّ وَحَسُنَتْ هَيْئَةُ سَائِرِهِ فَغَطَّى الشَّيْنُ مِنْهُ ، فَلَمَّا رَأَاهُ الطِّفِيلُ بْنُ عَمْرٍو مَغْطِيًا يَدَيْهِ قَالَ لَهُ : مَا لَكَ ؟ قَالَ : قِيلَ لِي لَنْ يَصْلَحَ مِنْكَ مَا أَفْسَدْتَ . فَلَمَّا قَصَّهَا الطِّفِيلُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَعَا لَهُ فَقَالَ : « اللَّهُمَّ وَلِيْدَيْهِ فَاغْفِرْ » أَى فَاصْلَحْ مِنْهَا مَا كَانَ فَاسِدًا .

وَالْحَقُّ أَنَّ اللَّهَ اسْتَجَابَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي صَاحِبِ الطِّفِيلِ ابْنِ عَمْرٍو .

قصة أَعْشَى بْنِ قَيْسٍ

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : حَدَّثَنِي خَلَادُ بْنُ قُرَّةَ بْنِ خَالِدِ الشُّدُوسِيِّ وَغَيْرُهُ مِنْ مَشَائِخِ بَكْرِ ابْنِ وَائِلٍ ، عَنْ (١) أَهْلِ الْعِلْمِ ، أَنَّ أَعْشَى بْنَ قَيْسٍ بْنَ ثَعْلَبَةَ بْنَ عُكَّابَةَ بْنَ صَعْبٍ بْنَ عَلِيٍّ ابْنِ بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ ، خَرَجَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَرِيدُ الْإِسْلَامَ ، فَقَالَ يَمْدَحُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

(١) ابْنُ هِشَامٍ : مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ .

أَلَمْ تَفْتَمِضْ عَيْنَكَ لَيْلَةَ أَرْمَدَا
وما ذاك مِنْ عِشْقِ النِّسَاءِ وَإِنَّمَا
وَلَكِنْ أَرَى الدَّهْرَ الَّذِي هُوَ خَائِنٌ
كَهَوْلًا وَشُبَّانًا فَقَدْتُ وَثْرَةً
وما زِلْتُ أَبْنَى الْمَالَ مُذُنًا يَافِعٌ
وَأَبْذُلُ الْعِيسَ الْمَرَاقِيلَ تَعْتَلِي
أَلَا أَيُّهَا هَذَا السَّائِلِي أَيْنَ يَمَمْتُ
فَإِنْ تَسْأَلِي عَنِّي فَيَارُبُّ سَائِلِي
أَجَدَّتْ بَرَجْلِيهَا النَّجَاءُ^(٣) وَرَاجَعَتْ
وَفِيهَا إِذَا مَا هَجَّرَتْ عَجْرَفِيَّةً
وَأَلَيْتُ لَا آوَى لَهَا مِنْ كِلَالَةٍ
مَتَى مَا تُتَخَاخَى عِنْدَ بَابِ ابْنِ هَاشِمٍ
نَبِيٌّ يَرَى مَا لَا تَرَوْنَ وَذِكْرُهُ
لَهُ صَدَقَاتُ مَا تَغِبُّ وَنَائِلٌ
أَجِدْكَ لَمْ تَسْمَعْ وَصَاةَ مُحَمَّدٍ

وَبَيْتٌ كَمَا بَاتَ السَّلِيمُ مُسَهَّدًا
تَنَاسَيْتُ قَبْلَ الْيَوْمِ خُلَّةً^(١) مَهْدَا
إِذَا أَصْلَحْتُ كَفَّأَى عَادَ فَاغْسَدَا
فَلَهُ هَذَا الدَّهْرُ كَيْفَ تَرَدَّدَا
وَلِيدًا وَكُهْلًا حِينَ شَبْتُ وَأَمْرَدَا
مَسَافَةً مَا بَيْنَ النَّجِيرِ فَصَرَّخَدَا^(٢)
فَإِنَّ لَهَا فِي أَهْلِ يَثْرِبٍ مَوْعِدَا
حَفِيٌّ عَنِ الْأَعَشَى بِهِ حَيْثُ أَصْعَدَا
يَدَاهَا خِنَافًا لَيْنًا غَيْرَ أَحْرَدَا^(٤)
إِذَا خِلْتُ حِرْبَاءَ الظُّهَيْرَةِ أَصِيدَا^(٥)
وَلَا مِنْ حَفِيٍّ حَتَّى تُلَاقِيَ مُحَمَّدَا
تُرَاحَى وَتَلْقَى مِنْ فَوَاضِلِهِ نَدَى
أَغَارَ لَعْمَرَى فِي الْبِلَادِ وَأَنْجَدَا^(٦)
فَلَيْسَ عَطَاءُ الْيَوْمِ مَانِعُهُ غَدَا
نَبِيُّ الْإِلَهِ حَيْثُ أَوْصَى وَأَشْهَدَا

(١) وتروى : صحبة . (٢) العيس المراقيل : الإبل المسرعة . والنجير وصرخد : بلدان .

(٣) ط : النجاء . وهو تحريف .

(٤) خفت الناقة ببيها في السير إذا مالت بهما نشاطا .

(٥) الحرباء : دويبة تستقبل الشمس برأسها ، والأصيد : المائل العنق ، والمقصود حين تكون الشمس في وسط السماء وذلك أحر ما تكون الرضاء ، يصف ناقته بالنشاط وقوة المشي في ذلك الوقت .

(٦) رواية ابن دريد في الاشتقاق ١/ ١٨ :

نبي يرى ما لا ترون وذكره لعمرى غار في البلاد وأنجدَا

قال : « ومن روى : « أغار لعمرى » فقد لحن وأخطأ » .

إذا أنت لم تَرَحَلْ بِزَادٍ مِنَ التَّقَى وَلَا قَيْتَ بَعْدَ الْمَوْتِ مَنْ قَدْ تَزَوَّدَا
 نَدِمْتَ عَلَى أَنْ لَا تَسْكُونُ كَمَثَلِهِ فَتُرْصِدَ لِلْأَمْرِ الَّذِي كَانَ أَرْصَدَا
 فَيَاكَ وَالْمِيتَاتِ لَا تَقْرَبَنَّهَا وَلَا تَأْخُذَنَّ سَهْمًا خَدِيدًا لَتُقْصِدَا
 وَذَا النُّصَبِ الْمَنْصُوبِ لَا تَنْسُكَنَّه وَلَا تَعْبُدِ الْأَوْثَانَ وَاللَّهُ فَاعْبُدَا
 وَلَا تَقْرَبَنَّ حُرَّةً ^(١) كَانَ سِرُّهَا عَلَيْكَ حَرَامًا فَانْكَحَنَّ أَوْ تَأْبَدَا ^(٢)
 وَذَا الرَّحِمِ الْقُرْبَى فَلَا تَقْطَعْهُ لِعَاقِبَةٍ وَلَا الْأَسِيرَ الْمُقَيَّدَا
 وَسَبِّحْ عَلَى حِينِ الْعِشِيِّ ^(٣) وَالضُّحَى وَلَا تَحْسَبَنَّ الْمَالَ لِلْعَرَى مُخْلَدَا
 وَلَا تَسْخَرَنَّ مِنْ بَأْسِ ذِي ضَرَارَةٍ

قال ابن هشام : فلما كان بمكة أو قريب منها ، اعترضه بعضُ المشركين من قريش فسأله عن أمره ، فأخبره أنه جاء يريد رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ليُسلم .
 فقال له : يا أبا بصير : إنه يحرمُ الزنا . فقال الأعشى : والله إن ذلك لأمر مالى فيه من أرب .

فقال : يا أبا بصير : إنه يحرم الخمر . فقال الأعشى : أما هذه فوالله إن فى نفسى منها العلالات ، ولكنى منصرف فأتروى منها عاى هذا ، ثم آتية فأسلم .
 فأنصرف فمات فى عامه ذلك ولم يعدْ إلى النبى صلى الله عليه وسلم .
 هكذا أورد ابن هشام هذه القصة هاهنا ، وهو كثير المؤاخذات لمحمد بن إسحاق رحمه الله ، وهذا مما يؤاخذ به ابن هشام رحمه الله !

فإن الخمر إنما حرمت بالمدينة بعد وقعة بنى النضير كما سيأتى بيانه .

(١) وتروى : جارة .

(٢) تأبَد : تهرب ، لأن الراهب أبدا أعزب ، فنيل له متأبد ، اشتق من لفظ الأبد .

(٣) ابن هشام : العشيات .

فالظاهر أن عَزَمَ الأعشى على القدوم للإسلام إنما كان بعد الهجرة ، وفي شعره ما يدل على ذلك ، وهو قوله :

ألا أيُّ هذا السائلِ أين يَمَمْتُ فإن لها في أهلِ يَثْرِبِ مَوْعِدًا

وكان الأنسب والأليق بابن هشام أن يؤخر ذكر هذه القصة إلى ما بعد الهجرة ولا يوردها هاهنا . والله أعلم .

قال الشَّهْبِيلِي : وهذه غفلة من ابن هشام ومَن تابعه ، فإن الناس مُجْمَعُونَ على أن الخمر لم ينزل تحريمها إلا في المدينة بعد أحد .

وقد قال : وقيل إن القائل للأعشى هو أبو جهل بن هشام في دار عتبة ابن ربيعة .

وذكر أبو عبيدة أن القائل له ذلك هو عامر بن الطفيل في بلاد قيس ، وهو مقبل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال : وقوله : ثم آتاه فأسلم لا يُخْرِجُهُ عن كفره بلا خلاف والله أعلم .

ثم ذكر ابن إسحاق هاهنا قصة الإراشى وكيف استعدى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من أبي جهل في ثمن الجمل الذي ابتاعه منه ، وكيف أذل الله أبا جهل وأرغم أنفه حتى أعطاه ثمنه في الساعة الراهنة .

وقد قدمنا ذلك في ابتداء الوحي ، وما كان من أذية المشركين عند ذلك .

قصة مصارعة رُكَّانة

وكيف أراه الشجرة التي دعاها فأقبات صلى الله عليه وسلم

قال ابن إسحاق : وحدثني أبي إسحاق بن يسار قال : كان رُكَّانة بن عبد يزيد ابن هاشم بن المطلب بن عبد مناف أشدَّ قريش .

نحلاً يوماً برسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض شعاب مكة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : يارُكَّانة ألا تتقي الله وتقبل ما أدعوك إليه .

قال : إني لو أعلم أن الذي تقول حق لا تبعثك .

فقال له رسول الله : « أفرأيتَ إن صرعتك أعلم أن ما أقول حق ؟ » . قال : نعم . قال : « فقم حتى أصارعك » .

قال : فقام ركَّانة إليه فصارعه ، فلما بطش به رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أضجعه لا يملك من نفسه شيئاً .

ثم قال : عُدَّ يا محمد . فعاد فصرعه . فقال : يا محمد والله إن هذا للعجب ، أتصرعني ؟!

قال : « وأعجب من ذلك إن شئت أريكه ، إن اتقيت الله واتبعت أمرى » .

قال : وما هو ؟ قال : « أدعوك هذه الشجرة التي ترى فتأتيني » . قال : فادعها .

فدعاها فأقبات حتى وقفت بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال لها :

ارجعي إلى مكانك ! فرجعت إلى مكانها .

قال : فذهب رُكَّانة إلى قومه فقال : يا بني عبد مناف ساحرُوا بصاحبكم أهل

الأرض ، فوالله ما رأيت أسحرَ منه قط ! ثم أخبرهم بالذي رأى والذي صنع .

هكذا روى ابن إسحاق هذه القصة مرسله بهذا البيان .

وقد روى أبو داود والترمذى من حديث أبي الحسن العسقلانى ، عن أبي جعفر بن محمد بن ركانة ، عن أبيه ، أن ركانة صارع النبي صلى الله عليه وسلم ، فصرعه النبي صلى الله عليه وسلم . ثم قال الترمذى : غريب . ولا نعرف أبا الحسن ولا ابن ركانة .

قلت : وقد روى أبو بكر الشافعى بإسناد جيد ، عن ابن عباس رضى الله عنهما : أن يزيد بن ركانة صارع النبي صلى الله عليه وسلم ، فصرعه النبي صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات ، كل مرة على مائة من الغنم ، فلما كان فى الثالثة قال : يا محمد ما وضع ظهرى إلى الأرض أحد قبلك ، وما كان أحد أبغض إلى منك ، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأنت رسول الله . فقام عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وردَّ عليه غنمه .

وأما قصة دعائه الشجرة فأقبلت ، فسيأتى فى كتاب دلائل النبوة بعد السيرة من طرق جيدة صحيحة فى مرات متعددة . إن شاء الله وبه الثقة .

وقد تقدم عن أبى الأشدين أنه صارع النبي صلى الله عليه وسلم فصرعه رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ثم ذكر ابن إسحاق قصة قدوم النصارى من أهل الحبشة نحواً من عشرين ركباً إلى مكة فأسلموا عن آخرهم ، وقد تقدم ذلك بعد قصة النجاشى . والله الحمد والمنة .

قال ابن إسحاق : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا جلس فى المسجد فجلس^(١) إليه المستضعفون من أصحابه ، خباب ، وعمار ، وأبو فكيهة يسار^(٢) مولى صفوان بن أمية ، وصهيب ، وأشباههم من المسلمين ، هزئت بهم قريش ، وقال بعضهم لبعض :

(١) الأصل : يجلس وهو تحريف لا يستقيم به المعنى ، وما أثبتته من ابن هشام .

(٢) الأصل : وأبو فكيهة ويسار . وهو خطأ . وما أثبتته من ابن هشام .

هؤلاء أصحابه كما ترون ، هؤلاء مَنْ الله عليهم من بيننا بالهدى ودين الحق ، لو كان ما جاء به محمد خيراً ما سبقنا هؤلاء إليه وما خصهم الله به دوننا .

فأنزل الله عز وجل فيهم : « وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ، مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ ، وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ ، فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ ، وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا . أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ . وَإِذَا جَاءُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءاً بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ^(١) » .

قال : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيراً ما يجلس عند المروة إلى مبيعة ^(٢) غلام نصراني يقال له جبر ، عبد لبني الحضرمي ، وكانوا يقولون : والله ما يعلم محمدًا كثيراً مما يأتي به إلا جبر .

فأنزل الله تعالى في ذلك من قولهم « إِنَّمَا يَعْلَمُهُ بَشَرٌ . لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمٌ ^(٣) » وهذا لسان عربي مبين .

ثم ذكر نزول سورة الكوثر في العاص بن وائل حين قال عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنه أبتر . أى لا عقب له . فإذا مات انقطع ذكره . فقال الله تعالى : « إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ » أى المقطوع الذكر بعده ، ولو خلف ألوفاً من النسل والذرية ، وليس الذكر والصيت ولسان الصدق بكثرة الأولاد والأنسال والعقب . وقد تكلمنا على هذه السورة في التفسير . والله الحمد .

(١) سورة الأنعام ٥٢-٥٤ . (٢) الأصل بيعة وما أثبتته عن ابن هشام . والمبيعة : مفعلة مثل المعيشة .

(٣) سورة النحل ١٠٣ .

وقد روى عن أبي جعفر الباقر : أن العاص بن وائل إنما قال ذلك حين مات القاسم ابن النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان قد بلغ أن يركب الدابة ويسير على النجبية .

ثم ذكر نزول قوله : « وقالوا لولا أنزل عليه ملكٌ ، ولو أنزلنا ملكاً لقضى الأمر^(١) » وذلك بسبب قول أبي بن خلف وزمعة بن الأسود ، والعاص بن وائل ، والنضر بن الحارث : لولا أنزل عليك ملك يكلم الناس عنك .

قال ابن إسحاق : ومرة رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بلغنا بالوليد بن المغيرة وأممية بن خلف وأبي جهل ابن هشام ، فهمزوه واستهزؤا به ، فغاضه ذلك فأنزل الله تعالى في ذلك من أمرهم « ولقد استهزئ برُسلٍ من قبلك لحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزئون »^(٢) .

قلت : وقال الله تعالى « ولقد كذبت رُسلٌ من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا ولا مبدل لكلمات الله ولقد جاءك من نبي المرسلين^(٣) » وقال تعالى « إنا كفيناك المستهزين^(٤) » .

قال سفيان : عن جعفر بن إياس ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس . قال : المستهزون : الوليد بن المغيرة ، والأسود بن عبد يغوث الزهري ، والأسود بن المطلب أبو زمعة ، والحارث بن عيطل^(٥) ، والعاص بن وائل السهمي .

فأتاه جبريل فشكاهم إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأراه الوليد فأشار جبريل إلى أمته وقال : كفيته .

ثم أراه الأسود بن المطلب ، فأومأ إلى عنقه وقال : كفيته .

ثم أراه الأسود بن عبد يغوث فأومأ إلى رأسه وقال : كفيته .

(١) سورة الأنعام (٢) سورة الحجر ٩٥ . (٣) سيأتي أنه ابن الطلائع . كما في ابن هشام

والروث .

ثم أراه الحارث بن عَيْطَل فأومأ إلى بطنه وقال : كُفَيْتِه .

ومرَّ به العاص بن وائل فأومأ إلى أخصه وقال : كُفَيْتِه .

فأما الوليد فمرَّ برجل من خزاعة وهو يَرِيش نَبَلاً له فأصاب أنمله فقطعها .

وأما الأسود بن عبد يغوث فخرج في رأسه قروح فمات منها .

وأما الأسود بن المطلب فعميَ . وكان سبب ذلك أنه نزل تحت سَمرة فجعل يقول :

يَا بَنِي أَلَا تَدْفَعُونَ عَنِّي ! قَدْ قُتِلْتُ . فَجَعَلُوا يَقُولُونَ : مَا نَرَى شَيْئاً . وَجَعَلَ يَقُولُ : يَا بَنِي

أَلَا تَمْنَعُونَ عَنِّي قَدْ هَلَكْتُ ، هَا هُوَ ذَا الطَّعْنُ بِالشُّوكِ فِي عَيْنِي . فَجَعَلُوا يَقُولُونَ : مَا نَرَى

شَيْئاً . فَلَمْ يَزَلْ كَذَلِكَ حَتَّى عَمِيَ عَيْنَاهُ .

وأما الحارث بن عَيْطَل فأخذ المَاءَ الْأَصْفَرَ فِي بَطْنِهِ حَتَّى خَرَجَ خُرُوءُهُ مِنْ فِيهِ

فَمَاتَ مِنْهَا .

وأما العاص بن وائل فبينما هو كذلك يوماً إِذْ دَخَلَ فِي رَأْسِهِ شِبْرُقَةٌ حَتَّى امْتَلَأَتْ

مِنْهَا فَمَاتَ مِنْهَا .

وَقَالَ غَيْرُهُ فِي هَذَا الْحَدِيثِ : فَركب إلى الطائف على حمار فربض به على شِبْرُقَةٍ ،

يَعْنِي شُوكَةً ، فَدَخَلَتْ فِي أَحْصَ قَدَمِهِ شُوكَةٌ فَقَتَلَتْهُ .

رواه البيهقي بنحو من هذا السياق .

وَقَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : وَكَانَ عِظَاءُ الْمُسْتَهْزِئِينَ كَمَا حَدَّثَنِي يَزِيدُ بْنُ رُوْمَانَ ، عَنْ

عُرْوَةَ بْنِ الزَّيْبِرِ خَمْسَةَ نَفَرٍ ، وَكَانُوا ذَوِي أَسْنَانٍ وَشَرَفٍ فِي قَوْمِهِمْ : الْأَسْوَدُ بْنُ

الْمَطْلَبِ أَبُو زَمْعَةَ ، دَعَا عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : « اللَّهُمَّ أَعْمِ بَصَرَهُ

وَأَسْكَلْهُ وَلَدَهُ » .

والأسود بن عبد يغوث ، والوليد بن المغيرة ، والعاص بن وائل ، والحارث ابن الطلائة .

وذكر أن الله تعالى أنزل فيهم « فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين ، إنا كنفيناك المستهزئين الذين يجعلون مع الله إلهاً آخر فسوف يعلمون » .

وذكر أن جبريل أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يطوفون بالبית ، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى جنبه ، فمر به الأسود بن المطلب فرمى في وجهه بورقة خضراء فعمى .

ومر به الأسود بن عبد يغوث فأشار إلى بطنه فاستسقى بطنه فمات منه حبناً .
ومر به الوليد بن المغيرة فأشار إلى أثر جرح بأسفل كعبه ، كان أصابه قبل ذلك بسنين ، من مروره برجل يريش نبلاً له من خزاعة ، فتعلق سهم بإزاره فخدشه خدشا يسيراً ، فانتقض بعد ذلك فمات .

ومر به العاص بن وائل فأشار إلى أخمص رجله فخرج على حمار له يريد الطائف فربض به على شبرقة فدخلت في أخمص رجله شوكة فقتلته .

ومر به الحارث بن الطلائع فأشار إلى رأسه فامتعض قيحا فقتله .

ثم ذكر ابن إسحاق : أن الوليد بن المغيرة لما حضره الموت أوصى بنيه الثلاثة وهم خالد وهشام والوليد . فقال لهم : أي بني ، أوصيكم بثلاث : دمي في خزاعة فلا تطلوه ^(١) ، والله إنى لأعلم أنهم منه براء ولكني أخشى أن تسبوا به بعد اليوم ، ورباى في ثقيف فلا تدعوه حتى تأخذوه ، وعقرى ^(٢) عند أبي أزيهر الدؤسى فلا يفوتنكم به . وكان

(١) لا تطلوه : لا تهدروه . وفي ابن هشام : فلا تطلنه .

(٢) العقر بالضم في الأصل : دية فرج المرأة إذا غضبت على نفسها ، ثم كثر ذلك حتى استعمل في المهر .

أبو أزيهر قد زوّج الوليد بنتاً له ثم أمسكها عنه فلم يدخاها عليه حتى مات ، وكان قد قبض عُقْرَهَا منه ، وهو صداقها .

فلما مات الوليد وثبتَ بنو مخزوم على خزاعة يلتمسون منهم عَقْلَ الوليد ، وقالوا إنما قتله سهمُ صاحبكم ، فأبتَ عليهم خزاعةُ ذلك ، حتى تقاولوا أشعاراً وغلظ بينهم الأمر . ثم أعطتهم خزاعة بعضَ العَقْلِ واصطلحوا وتحاجزوا .

قال ابن إسحاق : ثم عدّا هشامُ بن الوليد على أبي أزيهر وهو بسوق ذى المجاز فقتله ، وكان شريفاً في قومه ، وكانت ابنته تحت أبي سفيان ، وذلك بعد بدر ، فعمد يزيد بن أبي سفيان لجمع الناس لبني مخزوم وكان أبوه غائباً ، فلما جاء أبو سفيان غاضه ماصنع ابنه يزيد ، فلامه على ذلك وضربه وودى أبا أزيهر وقال لابنته : أعدتِ إلى أن تقتل قريشَ بعضها بعضاً في رجل من دوس ؟ !

وكتب حسانُ بن ثابت قصيدة له يحضُّ أبا سفيانَ في دم أبي أزيهر ، فقال : بئس ماظنَّ حسانُ أن يقتل بعضنا بعضاً وقد ذهب أشرافنا يوم بدر .

ولما أسلم خالدُ بن الوليد وشهد الطائفَ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سأله في رِبا أبيه من أهل الطائف .

قال ابن إسحاق : فذكر لي بعضُ أهل العلم أن هؤلاء الآيات نزلن في ذلك « يا أيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُّوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ ^(١) » وما بعدها .

قال ابن إسحاق : ولم يكن في بني أزيهر ثأر فعلمه حتى حجز الإسلامُ بين الناس ، إلا أن ضرارَ بن الخطاب بن مرداس الأسلمي ^(٢) خرج في نفر من قريش إلى أرض

(١) سورة البقرة ٢٧٨ . (٢) في ابن هشام : الدوسي . وهو ضرار بن الخطاب بن مرداس بن كبير بن عمرو بن حبيب بن عمرو بن شيبان بن محارب ، كان فارس قريش في الجاهلية وأدرك الإسلام ، وكان شاعراً فارساً ، وهو من رجال بني فهر أخذ مراءعهم في الجاهلية . الاشتقاق ١٠٣/١

دَوْس ، فنزلوا على امرأة يقال لها أم غَيْلان مولاة لدوس ، وكانت تمشط النساء وتجهز العرائس ، فأرادت دوس قتلهم بأبي أزيهر ، فقامت دونه أم غَيْلان ونسوة كنَّ معها حتى منعهم .

قال الشَّهيلي : يقال إنها أدخلته بين درعها وبدنها .

قال ابن هشام : فلما كانت أيام عمر بن الخطاب ، أته أم غيلان وهي ترى أن ضراراً أخوه ، فقال لها عمر : لستُ بأخيه إلا في الإسلام ، وقد عرفتُ مِنَّتكَ عليه . فأعطاهَا على أنها بنتُ سبيل .

قال ابن هشام : وكان ضرار بن الخطاب لَحِقَ عمرَ بن الخطاب يوم أحد ، فجعل يضربه بعَرَضِ الرمح ويقول : انجُ يا بن الخطاب لا أقتلك . فكان عمر يعرفها له بعد الإسلام . رضى الله عنهما .

فصل

وذكر البيهقي هاهنا دعاء النبي صلى الله عليه وسلم على قريش حين استعصت عليه بِسَمْعٍ مثل سَمْعِ يوسف .

وأورد ما أخرجاه في الصحيحين ^(١) من طريق الأعمش ، عن مسلم بن صبيح ، عن مسروق عن ابن مسعود . قال : خمسٌ مَضَيْنَ ؛ اللزَامُ ، والروم ، والدُّخَانُ ، والبَطْشَةُ ، والقمر .

وفي رواية عن ابن مسعود قال : إن قريشا ، لما استعصت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبطأوا عن الإسلام ، قال : « اللهم أعني عليهم بسبعٍ كسبع يوسف » .

(١) أورد البخارى هذه الروايات في تفسير سورة الفرقان والدخان في صحيحه ٣٤٧/٢ ، ٣٦١ ، ٣٦٢ . وهي مختلفة عما هنا

قال : فأصابهم سَنَةٌ حتى حَصَّتْ^(١) كلَّ شَيْءٍ ، حتى أكلوا الجيف والميتة ، وحتى أن أحدهم كان يرى ما بينه وبين السماء كهَيْئَةِ الدخان من الجوع ، ثم دعا فكشف الله عنهم ، ثم قرأ عبد الله هذه الآية « إنا كاشِفُو العذابِ قليلاً إنكم عائدون » قال فعادوا فكفروا فأخروا إلى يوم القيامة ، أو قال فأخروا إلى يوم بدر ، قال عبد الله : إن ذلك لو كان يوم القيامة كان لا يكشف عنهم « يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إنا مُنتَقِمُونَ » قال : يوم بدر .

وفي رواية عنه : قال : لما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم من الناس إِدْبَاراً قال : « اللهم سَبِّعْ كسيع يوسف » فأخذتهم سَنَةٌ حتى أكلوا الميتة والجلود والعظام ، فجاءه أبو سفيان وناس من أهل مكة فقالوا : يا محمد إنك تزعم أنك بُعثت رحمة وإن قومك قد هلكوا ، فادع الله لهم .

فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فسُقوا الغيث ، فأطبقت عليهم سَبْعاً فشكا الناس كثرة المطر ، فقال : « اللهم حوالينا ولا علينا » فأنجذب السحاب عن رأسه فسقى الناس حولهم .

قال : لقد مضت آية الدخان ، وهو الجوع الذي أصابهم ، وذلك قوله « إنا كاشفوا العذاب قليلاً إنكم عائدون » وآية الروم ، والبطشة الكبرى ، وانشقاق القمر ، وذلك كله يوم بدر .

قال البيهقي : يريد ، والله أعلم ، البطشة الكبرى والدخان وآية اللزَام كُلِّهَا حصلت ببدر .

(١) الأصل : فحَصَّت . وهو تحريف والتصويب من البخارى ٢٦٢/٢ ولفظ البخارى : فأصابهم سنة حصت كل شيء . وحصت : أهلكت . والحص : حلق الشعر .

قال : وقد أشار البخارى إلى هذه الرواية ، ثم أورد من طريق عبد الرزاق عن مَعْمَر ، عن أيوب ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال جاء : أبو سفيان إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يستغيث من الجوع لأنهم لم يجدوا شيئاً حتى أكلوا العهن ، فأنزل الله تعالى : « ولقد أخذناهم بالعذاب فما استكانوا لربهم وما يتضرعون » قال : فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى فرج الله عنهم . ثم قال الحافظ البيهقي : وقد روى في قصة أبي سفيان مادل على أن ذلك بعد الهجرة ، ولعله كان مرتين . والله أعلم .

فصل

ثم أورد البيهقي قصة فارس والروم ونزول قوله تعالى « آلهم . غلبت الروم في أدنى الأرض ، وهم من بعد غلبهم سيفعلون . في بضع سنين ، لله الأمر من قبل ومن بعد ، ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم » . ثم روى من طريق سفيان الثوري ، عن حبيب بن أبي عمرو ، عن سعيد بن جبيرة ، عن ابن عباس قال : كان المسلمون يحبون أن يظهر الروم على فارس لأنهم أهل كتاب ، وكان المشركون يحبون أن تظهر فارس على الروم لأنهم أهل أوثان ، فذكر ذلك المسلمون لأبي بكر ، فذكره أبو بكر للنبي صلى الله عليه وسلم فقال : « أما أنهم سيظهرون » فذكر أبو بكر ذلك للمشركين فقالوا : اجعل بيننا وبينك أجلاً ، إن ظهروا كان لك كذا وكذا ، وإن ظهرنا كان لنا كذا وكذا . فذكر ذلك أبو بكر للنبي صلى الله عليه وسلم فقال : « ألا جعلته أداة » . قال : دون العشر . فظهرت الروم بعد ذلك .

وقد أوردنا طرق هذا الحديث في التفسير وذكرنا أن المباحث - أى المراهن - لأبي بكر أمية بن خلف ، وأن الرهن كان على خمس قلائص ، وأنه كان إلى مدة ، فزاد

فيها الصديق عن أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي الرهن . وأن غلبة الروم على فارس كان يوم بدر ، أو كان يوم الحديبية ، فالله أعلم .

ثم روى من طريق الوليد بن مسلم ، حدثنا أسيد السكلابي ، أنه سمع العلاء بن الزبير السكلابي يحدث عن أبيه . قال : رأيت غلبة فارس الروم ، ثم رأيت غلبة الروم فارس ، ثم رأيت غلبة المسلمين فارس والروم ، وظهورهم على الشام والعراق .
كل ذلك في خمس عشرة سنة !

فصل

في الإسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة إلى بيت المقدس ، ثم عروجه
من هناك إلى السموات ، وما رأى هنالك من الآيات

ذكر ابن عساكر أحاديث الإسراء في أوائل البعثة ، وأما ابن إسحاق فذكرها في
هذا الموطن بعد البعثة بنحو من عشر سنين .
وروى البيهقي من طريق موسى بن عُقبة ، عن الزهري أنه قال : أسرى برسول الله
صلى الله عليه وسلم قبل خروجه إلى المدينة بسنة .

قال : وكذلك ذكره ابن لهيعة ، عن أبي الأسود ، عن عروة .

ثم روى الحاكم ، عن الأصم ، عن أحمد بن عبد الجبار ، عن يونس بن بكير ،
عن أسباط بن نصر ، عن إسماعيل الشدي . أنه قال : فرض على رسول الله صلى الله
عليه وسلم الخمسُ ببيت المقدس ليلة أُسرى به ، قبل مُهاجره بستة عشر شهراً .

فعلى قول السدي يكون الإسراء في شهر ذي القعدة ، وعلى قول الزهري وعروة
يكون في ربيع الأول .

وقال أبو بكر بن أبي شَيْبَةَ : حدثنا عثمان ، عن سعيد بن ميناء ، عن جابر وابن
عباس ، قالا : ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفيل يوم الاثنين الثاني عشر من
ربيع الأول ، وفيه بُعث ، وفيه عرج به إلى السماء ، وفيه هاجر ، وفيه مات .

فيه انقطاع . وقد اختاره الحافظ عبد الغني بن سرور المقدسي في سيرته ، وقد أورد
حديثاً لا يصح سنده ، ذكرناه في فضائل شهر رجب ، أن الاسراء كان ليلة السابع
والعشرين من رجب والله أعلم .

ومن الناس من يزعم أن الإسراء كان أول ليلة جمعة من شهر رجب ، وهى ليلة الرغائب التى أحدثت فيها الصلاة المشهورة ، ولا أصل لذلك . والله أعلم . وينشد بعضهم فى ذلك :

ليلة الجمعة عرج بالنبي ليلة الجمعة أول رجب

وهذا الشعر عليه رككة ، وإنما ذكرناه استشهاده لمن يقول به .
وقد ذكرنا الأحاديث الواردة فى ذلك مستقصاةً عند قوله تعالى : « سبحان الذى أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من من آياتنا ، إنه هو السميع البصير » .
فلتكتب من هناك على ماهى عليه من الأسانيد والعزو ، والكلام عليها ومعها .
ففيها مقنع وكفاية . والله الحمد والمنة .

ولنذكر ملخص كلام ابن إسحاق رحمه الله : فإنه قال بعد ذكر ماتقدم من الفصول .

« ثم أسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ، وهو بيت المقدس من إيلياء ، وقد فشا الإسلام بمكة فى قريش وفى القبائل كلها . »
قال : وكان من الحديث فيما بلغنى عن مسرّاه صلى الله عليه وسلم عن ابن مسعود ، وأبى سعيد ، وعائشة ، ومعاوية ، وأم هانئ بنت أبى طالب رضى الله عنهم ، والحسن بن أبى الحسن ، وابن شهاب الزهري ، وقتادة وغيرهم من أهل العلم ، ما اجتمع فى هذا الحديث ، كلّ يُحدث عنه بعض ما ذكر لى من أمره .

وكان فى مسرّاه صلى الله عليه وسلم وما ذكر لى منه بلاء وتمحيص ، وأمر من أمر الله

وقدّرت^(١) وسلطانة ، فيه عبرة لأولى الألباب ، وهُدّى ورحمة وثبات لمن آمن وصدّق وكان من أمر الله على يقين .

فأُسرّى به كيف شاء وكما شاء ، ليريه من آياته ما أراد ، حتى عاين ما عاين من أمره وسلطانة العظيم وقدّرت^(٢)ه التي يصنع بها ما يريد .

وكان عبد الله بن مسعود فيما بلغنى يقول : أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم : بالبراق ، وهى الدابة التى كانت تُحمل عليها الأنبياء قبله ، تضع حافرَها فى موضع منتهى طرفها ، فحمل عليها .

ثم خرج به صاحبه يرى الآيات فيما بين السماء والأرض .

حتى انتهى إلى بيت المقدس ، فوجد فيه إبراهيم وموسى وعيسى ، فى نفر من الأنبياء قد جُمعوا له ، فصلى بهم .

ثم أتى بثلاثة آية من لبن وخمر وماء . فذكر أنه شرب إناء اللبن ، فقال لى جبريل : هُديت وهديت أمتك .

وذكر ابن إسحاق فى سياق الحسن البصرى مُرسلاً أن جبريل أيقظه ، ثم خرج به إلى باب المسجد الحرام ، فأركبه ، البراق ، وهو دابة أبيض بين البغل والحمار ، وفى نغديه جناحان يحفّض بهما رجله ، يضع حافرَه فى منتهى طرفه ، ثم حملنى عليه ثم خرج معى لا يفوتنى ولا أفوته .

قلت : وفى الحديث ، وهو عن قتادة فيما ذكره ابن إسحاق ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أراد ركوب البراق شمس به ، فوضع جبريل يده على مَعْرِفته ثم قال

(١) ابن هشام : فى قدرته

ألا تستحي يا براق مما تصنع ! فوالله ما ركبك عبدٌ لله قبل محمد أكرم عليه منه . قال :
فاستحي حتى ارفض عرقا ، ثم قرَّ حتى ركبتُه .

قال الحسن في حديثه : فضى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومضى معه جبريل ،
حتى انتهى به إلى بيت المقدس فوجد فيه إبراهيم وموسى وعيسى في نفر من الأنبياء ،
فأمَّهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فصلى بهم .

ثم ذكر اختياره إناء اللبن على إناء الخمر ، وقول جبريل له : هديت وهديت أمتك ،
وحرَّمت عليكم الخمر .

قال : ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مكة ، فأصبح يخبر
قريشاً بذلك .

فذكر أنه كذَّب به أكثرُ الناس ، وارتدَّت طائفة بعد إسلامها .

وبادر الصديقُ إلى التصديق وقال : إني لأصدقُه في خبر السماء بُكرة وعيشة ، أفلا
أصدقُه في بيت المقدس !

وذكر أن الصديق سأله عن صفة بيت المقدس ، فذكرها له رسول الله صلى
الله عليه وسلم .

قال : فيومئذ سمي أبو بكر الصديق .

قال الحسن : وأنزل الله في ذلك « وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنةً
للناس » الآية .

وذكر ابن إسحاق فيما بلغه عن أم هانئ ، أنها قالت : ما أسرى برسول الله
صلى الله عليه وسلم إلا من بيتي ، نام عندي تلك الليلة بعد ما صلى العشاء الآخرة ، فلما

كان قبيل الفجر أهبنًا^(١) فلما كان الصبح وصلينا معه ، قال : « يأم هاني لقد صليت معكم العشاء الآخرة في هذا الوادي ، ثم جئت بيت المقدس فصليت فيه ، ثم قد صليت الغداة معكم الآن كما ترين » .

ثم قام ليخرج ، فأخذتُ بطرف رداءه فقلت : يا بني الله لا تحدث بهذا الحديث الناس فيكذبونك ويؤذونك .

قال : « والله لأحدنهموه » . فأخبرهم فكذبوه .

فقال : وآية ذلك أني مررتُ بعير بني فلان بوادي كذا وكذا ، فأنفرهم حسَّ الدابة ، فندَّ لهم بعير فدللتهم عليه وأنا متوجه إلى الشام ، ثم أقبلت حتى إذا كنت بضجَّان^(٢) مررت بعير بني فلان ، فوجدت القوم نياماً ولهم إناء فيه ماء قد غطوا عليه بشيء ، فكشفت غطاءه وشربت ما فيه ، ثم غطيت عليه كما كان ، وآية ذلك أن عيرهم تُصوب الآن من ثنية التنعيم البيضاء ، يقدِّمها جبل أُرُقَّ عليه غرارتان إحداها سوداء والأخرى برقاء . قال : فابتدر القوم الثنية فلم يلقهم أول من الجمل الذي وصف لهم وسألوهم عن الإناء وعن البعير ، فأخبروهم كما ذكر صلوات الله وسلامه عليه .

وذكر يونس بن بُكَيْر ، عن أسباط ، عن إسماعيل السُّدِّي ، أن الشمس كادت أن تغرب قبل أن يقدِّم ذلك العير ، فدعا الله عز وجل فخبسها حتى قدِّموا كما وصف لهم .

قال : فلم تحتبس الشمسُ على أحد إلا عليه ذلك اليوم وعلى يوشع بن نون .

رواه البيهقي .

(١) أهبنًا : أيقظنا . (٢) ضجَّان : جبل بناحية نهامة . وفي الأصل : صحنان محرفة .

قال ابن إسحاق : وأخبرني من لا أتهم عن أبي سعيد قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « لما فرغت مما كان في بيت المقدس أتى بالمعراج ، ولم أر شيئاً قط أحسن منه ، وهو الذي يمدُّ إليه ميتكم عينيه إذا حضر .

فأصعدني فيه صاحبي حتى انتهى بي إلى باب من أبواب السماء يقال له باب الحفظة عليه برید^(١) من الملائكة يقال له إسماعيل ، تحت يده اثنا عشر ألف ملك ، تحت يد كل ملك منهم اثنا عشر ألف ملك .

قال : يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إذا حدث بهذا الحديث : « وما يعلم جنود ربك إلا هو » .

ثم ذكر بقية الحديث وهو مطوّل جداً ، وقد سقناه بإسناده ولفظه بكامله في التفسير وتكلمنا عليه ، فإنه من غرائب الأحاديث وفي إسناده ضعف .

وكذا في سياق حديث أم هانئ ، فإن الثابت في الصحيحين من رواية شريك بن أبي نمر ، عن أنس ، أن الإسراء كان من المسجد من عند الحجر .

وفي سياقه غرابة أيضاً من وجوه قد تكلمنا عليها هناك . ومنها قوله : « وذلك قبل أن يوحى إليه » والجواب أن مجيئهم أول مرة كان قبل أن يوحى إليه ، فكانت تلك الليلة ولم يكن فيها شيء ، ثم جاء الملائكة ليلة أخرى ولم يقل في ذلك : « وذلك قبل أن يوحى إليه » بل جاء بعد ما أوحى إليه .

فكان الإسراء قطعاً بعد الإحياء ، إما بقليل كما زعمه طائفة ، أو بكثير نحو من عشر سنين كما زعمه آخرون ، وهو الأظهر .

وغسل صدره تلك الليلة قبل الإسراء غسلاً ثانياً ، أو ثالثاً على قول ، أنه مطلوب إلى الملائكة الأعلى والحضرة الإلهية .

(١) ابن هشام : ملك من الملائكة .

ثم ركب البراق رفعة له وتعظيماً وتكريماً ، فلما جاء بيت المقدس ربطه بالحلقة التي كانت ترتبط بها الأنبياء ، ثم دخل بيت المقدس فصلى في قبلته تحية المسجد .
وأنكر حذيفة رضى الله عنه دخوله إلى بيت المقدس وربطه الدابة وصلاته فيه .
وهذا غريب ، والنص الموثب مقدم على النافي .

ثم اختلفوا في اجتماعه بالأنبياء وصلاته بهم : أكان قبل عروجه إلى السماء كما دل عليه ما تقدم ، أو بعد نزوله منها كما دل عليه بعض السياقات . وهو أنسب . كما سذكه على قولين . فالله أعلم .

وقيل : إن صلاته بالأنبياء كانت في السماء .

وهكذا تخيظه من الآنية اللبن والحمر والماء ، هل كانت ببيت المقدس كما تقدم ؟ أوفى السماء كما ثبت في الحديث الصحيح .

والمقصود أنه صلى الله عليه وسلم لما فرغ من أمر بيت المقدس نصب له المعراج وهو السلم فصعد فيه إلى السماء ، ولم يكن الصعود على البراق كما قد يتوهمه بعض الناس ، بل كان البراق مربوطاً على باب مسجد بيت المقدس يرجع عليه إلى مكة .

فصعد من سماء إلى سماء في المعراج ، حتى جاوز السابعة ، وكلما جاء سماء تلقته منها مقرَّبوها ومن فيها من أكابر الملائكة والأنبياء .

وذكر أعيان من رآه من المرسلين ، كآدم في سماء الدنيا ، ويحيى وعيسى في الثانية وإدريس في الرابعة ، وموسى في السادسة^(١) على الصحيح ، وإبراهيم في السابعة مسنداً ظهره إلى البيت المعمور ، الذى يدخله كل يوم سبعون ألفاً من الملائكة يتعبدون فيه صلاةً وطوافاً ثم لا يعودون إليه إلى يوم القيامة .

(١) لم يذكر المؤلف من رأى في الثالثة والخامسة .

ثم جاوز مراتبهم كلهم ، حتى ظهر لمستوى يُسمع فيه صريف الأقدام ، ورفعت رسول الله صلى الله عليه وسلم سِدْرَةُ المنتهى ، وإذا ورقها كآذان الفيلة ، ونبتها كتملال حجر ، وغشيتها عند ذلك أمور عظيمة وألوان متعددة باهرة ، وركبتها الملائكة مثل الغربان على الشجرة كثرةً ، وفراشٌ من ذهب ، وغشيتها من نور الرب جل جلاله .

ورأى هناك جبريل عليه السلام ، له ستمائة جناح ما بين كل جناحين كما بين السماء والأرض ، وهو الذى يقول الله تعالى : « ولقد رآه نزلةً أخرى . عند سِدْرَةِ المنتهى عندها جنة المأوى . إذ يغشى السدرة ما يغشى . مازاغ البصرُ وما طغى » أى مازاغ يمينا ولا شمالا ولا ارتفع عن المكان الذى حُدَّ له النظر إليه .

وهذا هو الثبات العظيم والأدب الكريم .

وهذه الرؤيا الثانية لجبريل عليه السلام على الصفة التى خلقه الله تعالى عليها ، كما نقله ابن مسعود وأبو هريرة وأبو ذر وعائشة رضى الله عنهم أجمعين .

والأولى هى قوله تعالى : « علمه شديد القوى ذو مرة فاستوى . وهو بالأفق الأعلى . ثم دنا فتدلى . فكان قاب قوسين أو أدنى . فأوحى إلى عبده ما أوحى » وكان ذلك بالأبطح ، تدلى جبريل على رسول الله صلى الله عليه وسلم سادًا عِظَمُ خلقه ما بين السماء والأرض ، حتى كان بينه وبينه قاب قوسين أو أدنى .

هذا هو الصحيح فى التفسير ، كما دل عليه كلام أكابر الصحابة المتقدم ذكرهم رضى الله عنهم . فأما قول شريك عن أنس فى حديث الإسراء : « ثم دنا الجبارُ ربُّ العزة فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى » فقد يكون من فهم الراوى فأقحمه فى الحديث^(١) والله أعلم .

(١) قال السهيلي : « وهذا مع صحة نقله لا يكاد أحد من المفسرين يذكره ، لاستحالة ظاهره أو للغة عن موضعه . ولا استحالة فيه » انظر رأيه فى الروض ١ / ٢٤٩

وإن كان محفوظاً فليس بتفسير للآية الكريمة ، بل هو شيء آخر غير مادلت عليه الآية الكريمة والله أعلم .

وفرض الله سبحانه وتعالى على عبده محمد صلى الله عليه وسلم وعلى أمته الصلوات ليلتئذ ، خمسين صلاة في كل يوم وليلة ، ثم لم يزل يختلف بين موسى وبين ربه عز وجل حتى وضعها الرب ، جل جلاله وله الحمد والمنة ، إلى خمس ، وقال : « هي خمسٌ وهي خمسون الحسنه بعشر أمثالها » .

فحصل له التكليم من الرب عز وجل ليلتئذ . وأئمة السنة كالمُطبِّقين على هذا . واختلفوا في الرؤية فقال بعضهم : رآه بفؤاده مرتين . قاله ابن عباس وطائفة . وأطلق ابن عباس وغيره الرؤية ، وهو محمول على التقييد . ومن أطلق الرؤية أبو هريرة وأحمد بن حنبل رضى الله عنهما . وصرح بعضهم بالرؤية بالعينين .

واختاره ابن جرير ، وبالعَرف فيه ، وتبعه على ذلك آخرون من المتأخرين . ومن نص على الرؤية بعينَي رأسه الشيخ أبو الحسن الأشعري فيما نقله السهيلي عنه ، واختاره الشيخ أبو زكريا النووي في فتاويه .

وقالت طائفة : لم يقع ذلك ، لحديث أبي ذر في صحيح مسلم : قلت : يا رسول الله هل رأيت ربك ؟ فقال : « نورٌ أنَّى أراه » وفي رواية « رأيت نورا » .

قالوا : ولم يكن رؤية الباقي بالعين الفانية .

ولهذا قال الله تعالى لموسى فيما روى في بعض الكتب الإلهية : يا موسى إنه لا يرانى حتىَّ إلا مات ، ولا يابس إلا تدَّهده .

والخلاف في هذه المسئلة مشهور بين السلف والخلف . والله أعلم .

ثم هبط رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بيت المقدس . والظاهر أن الأنبياء هبطوا معه تكريماً له وتعظيماً عند رجوعه من الحضرة الإلهية العظيمة ، كما هي عادة الوافدين ، لا يجتمعون بأحد قبل الذى طلبوا إليه .

ولهذا كان كلما مرّ على واحد منهم يقول له جبريل عندما يتقدم ذاك للسلام عليه : هذا فلان فسلم عليه .

فلو كان قد اجتمع بهم قبل صعوده لما احتاج إلى تعرّف بهم مرة ثانية .
ومما يدل على ذلك أنه قال : « فلما حانت الصلاة : أمتّمهم » ولم يحنّ وقت إذ ذاك إلا صلاة الفجر ، فتقدّمهم إماماً بهم عن أمر جبريل ، فيما يرويه عن ربه عز وجل .
فاستفاد بعضهم من هذا أن الإمام الأعظم يقدّم فى الإمامة على ربّ المنزل ، حيث كان بيت المقدس محلّتهم ودار إقامتهم .
ثم خرج منه فركب البُراق وعاد إلى مكة ، فأصبح بها وهو فى غاية الثبات والسكينة والوقار .

وقد عاين فى تلك الليلة من الآيات والأمور التى لو رآها أو بعضها غيره لأصبح مندهشاً أو طائش العقل .

ولكنه صلى الله عليه وسلم أصبح واجماً ، أى ساكناً ، يخشى إن بدأ فأخبر قومه بما رأى أن يبادروا إلى تكذيبه .

فتلطّف بإخبارهم أولاً بأنه جاء بيت المقدس فى تلك الليلة .

وذلك أن أبا جهل لعنه الله ، رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المسجد الحرام وهو جالس واجمّ . فقال له : هل من خبر ؟ فقال : نعم . فقال : وما هو ؟

فَقَالَ : إِنِّي أُسْرِي بِي اللَّيْلَةُ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدَسِ .

قَالَ : إِلَى بَيْتِ الْمَقْدَسِ ؟ قَالَ : نَعَمْ .

قَالَ : أَرَأَيْتَ إِنْ دَعَوْتُ قَوْمَكَ لِكَتْخِبَهُمْ ، أَتُخْبِرُهُمْ بِمَا أَخْبَرْتَنِي بِهِ ؟ قَالَ : نَعَمْ .

فَأَرَادَ أَبُو جَهْلٌ جَمْعَ قُرَيْشٍ لِيَسْمَعُوا مِنْهُ ذَلِكَ ، وَأَرَادَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَمْعَهُمْ لِيُخْبِرَهُمْ ذَلِكَ وَيُبَلِّغَهُمْ .

فَقَالَ أَبُو جَهْلٌ : هَيَّا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ ، وَقَدْ اجْتَمَعُوا مِنْ أُنْدِيَتِهِمْ . فَقَالَ : أَخْبِرْ قَوْمَكَ بِمَا أَخْبَرْتَنِي بِهِ .

فَقَصَّ عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَبْرَ مَا رَأَى ، وَأَنَّهُ جَاءَ بَيْتَ الْمَقْدَسِ هَذِهِ اللَّيْلَةَ وَصَلَّى فِيهِ .

فَمِنْ بَيْنِ مَصْفُوقٍ وَبَيْنِ مَصْنُوعٍ تَكْذِيبًا لَهُ وَاسْتِعْجَالًا لِحَبْرِهِ ، وَطَارَ الْخَبْرُ بِمَكَّةَ . وَجَاءَ النَّاسُ إِلَى أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فَأَخْبَرُوهُ أَنَّ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ كَذَا وَكَذَا .

فَقَالَ : إِنَّكُمْ تَكْذِبُونَ عَلَيْهِ . فَقَالُوا : وَاللَّهِ إِنَّهُ لَيَقُولُهُ .

فَقَالَ : إِنْ كَانَ قَالَهُ فَلَقَدْ صَدَقَ .

ثُمَّ جَاءَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَحَوْلَهُ مُشْرِكُو قُرَيْشٍ ، فَسَأَلَهُ عَنْ ذَلِكَ ، فَأَخْبَرَهُ ، فَاسْتَعْلَمَهُ عَنْ صِفَاتِ بَيْتِ الْمَقْدَسِ ، لِيَسْمَعَ الْمُشْرِكُونَ وَيَعْلَمُوا صِدْقَهُ فِيمَا أَخْبَرَهُمْ بِهِ . وَفِي الصَّحِيحِ : أَنَّ الْمُشْرِكِينَ هُمُ الَّذِينَ سَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ ذَلِكَ .

قَالَ : لَجَعَلْتُ أَخْبِرَهُمْ عَنْ آيَاتِهِ ، فَالْتَبَسَ عَلَيَّ بَعْضُ الشَّيْءِ ، فَجَلَّى اللَّهُ لِي بَيْتَ الْمَقْدَسِ ، حَتَّى جَعَلْتُ أَنْظُرَ إِلَيْهِ دُونَ دَارِ عَقِيلٍ وَأَنْعَمْتُ لَهُمْ . فَقَالَ : أَمَّا الصِّفَةُ فَقَدْ أَصَابَ .

وذكر ابن إسحاق ما تقدم من إخباره لهم بمروره بعيرهم وما كان من شربه ماءهم .

فأقام الله عليهم الحجة واستنارت لهم المحجة ، فآمن من آمن على يقين من ربه ، وكفر من كفر بعد قيام الحجة عليه .

كما قال الله تعالى « وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس » أى اختباراً لهم وامتحاناً .

قال ابن عباس : هى رؤيا عين أريها رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وهذا مذهب جمهور السلف والخلف ، من أن الإسراء كان بيدنه وروحه صلوات الله وسلامه عليه ، كما دل على ذلك ظاهر السياقات من ركوبه وصعوده في المعراج وغير ذلك . ولهذا قال : « سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ » والتسبيح إنما يكون عند الآيات العظيمة الخارقة ، فدلّ على أنه بالروح والجسد ، والعبدُ عبارةٌ عنهما .

وأيضاً فلو كان مناماً لما بادر كفار قريش إلى التكذيب به والاستبعاد له ، إذ ليس في ذلك كبيرُ أمر ، فدلّ على أنه أخبرهم بأنه أُسرى به يقظةً لا مناماً .

وقوله في حديث شريك عن أنس : « ثم استيقظت فإذا أنا في الحجر » معدود في غلطات شريك ، أو محمول على أن الانتقال من حال إلى حال يسمى يقظة .

كما سيأتى في حديث عائشة رضى الله عنها حين ذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الطائف فكذبوه ، قال : « فرجعت مهموما فلم أستفق إلا بقرن الثعالب » .

وفى حديث أبى أسيد حين جاء بابنه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليحسّكه فوضعه على نخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واشتغل رسول الله صلى الله عليه وسلم

بالحديث مع الناس ، فرفع أبو أسيد ابنه ، ثم استيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يجد الصبي ، فسأل عنه فقالوا رُفع فسماه المُنذر .

وهذا الحُملُ أحسنُ من التغليط . والله أعلم .

وقد حكى ابن إسحاق فقال : حدثني بعض آل أبي بكر ، عن عائشة أم المؤمنين أنها كانت تقول : ما فقدُ جسدُ رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن الله أسرى بروحه .

قال : وحدثني يعقوب بن عتبة : أن معاوية كان إذا سئل عن مسرى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : كانت رؤيا من الله صادقة .

قال ابن إسحاق : فلم يُنكر ذلك من قولها ، لقول الحسن : إن هذه الآية نزلت في ذلك « وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس » وكما قال إبراهيم عليه السلام « يا بني إني أرى في المنام أني أذبحك » وفي الحديث : « تنام عيناي ^(١) وقلبي يقظان » .

قال ابن إسحاق : فالله أعلم أي ذلك كان قد جاءه وعين فيه مناعين من أمر الله تعالى ، على أي حالة كان نائماً أو يقظان ^(٢) ، كل ذلك حقٌ وصدق .

قلت : وقد توقف ابنُ إسحاق في ذلك وجوزَ كلاً من الأمرين من حيث الجملة ، ولكن الذي لا يُشك فيهِ ولا يُتمارى أنه كان يقظان لا محالة ، لما تقدم .

وليس مقتضى كلام عائشة رضي الله عنها أن جسده صلى الله عليه وسلم ما فقد وإنما كان الإسراء بروحه ، أن يكون مناماً كما فهمه ابن إسحاق ، بل قد يكون وقع

(١) الأصل : عيني : وما أنبته من ابن هشام . (٢) ط : يقظانا . وهو خطأ

الإسراء بروحه حقيقة وهو يقظان لا نائم ، وركب البراق وجاء بيت المقدس وصعد السموات وعاین ماعین حقيقة ويقظة لا مناما .

لعل هذا مراد عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها ، ومراد من تابعها على ذلك ، لاما فهمه ابن إسحاق من أنهم أرادوا بذلك المنام . والله أعلم .

تنبيه : ونحن لا ننكر وقوع منام قبل الإسراء طبق ما وقع بعد ذلك ، فإنه صلى الله عليه وسلم كان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ، وقد تقدم مثل ذلك في حديث بدء الوحي ، أنه رأى مثل ما وقع له يقظة مناما قبله ، ليكون ذلك من باب الإرهاس والتوطئة والتثبت والإيناس . والله أعلم .

ثم قد اختلف العلماء في أن الإسراء والمعراج هل كانا في ليلة واحدة أو كل في ليلة على حدة ؟ فمنهم من يزعم أن الإسراء في اليقظة ، والمعراج في المنام .

وقد حكى المهلب بن أبي صفرة^(١) في شرحه البخارى عن طائفة أنهم ذهبوا إلى أن الإسراء [وقع] مرتين ؛ مرة بروحه مناما ، ومرة ببدنه وروحه يقظة .

وقد حكاها الحافظ أبو القاسم السهيلي عن شيخه أبى بكر بن العربى الفقيه .

قال السهيلي : وهذا القول يجمع الأحاديث ، فإن في حديث شريك عن أنس : وذلك فيما يرى قلبه وتنام عيناه ولا ينام قلبه ، وقال في آخره : « ثم استيقظت فإذا أنا في الحجر » وهذا منام . ودل غيره على اليقظة .

ومنهم من يدعى تعدد الإسراء في اليقظة أيضاً ، حتى قال بعضهم : إنها أربع إسرائات . وزعم بعضهم أن بعضها كان بالمدينة .

وقد حاول الشيخ شهاب الدين أبو شامة رحمه الله أن يوفق بين اختلاف ما وقع

(١) الذى فى السهيلي : « ورأيت المهلب فى شرح البخارى » وليس هو المهلب بن أبى صفرة الأزدي أمير خراسان

في روايات حديث الإسراء بالجمع المتعدد ، فجعل ثلاث إسرائيات ، مرة من مكة إلى بيت المقدس فقط على البراق ، ومرة من مكة إلى السماء على البراق أيضا لحديث حذيفة ، ومرة من مكة إلى بيت المقدس ثم إلى السموات .

فنقول : إن كان إنما حمله على القول بهذه الثلاث اختلاف الروايات ، فقد اختلف لفظ الحديث في ذلك على أكثر من هذه الثلاث صفات .

ومن أراد الوقوف على ذلك فليُنظر فيما جمعناه مستقصى في كتابنا التفسير عند قوله تعالى « سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا » .

وإن كان إنما حمله أن التقسيم انحصر في ثلاث صفات بالنسبة إلى بيت المقدس وإلى السموات ، فلا يلزم من الحصر العقلي الوقوع كذلك في الخارج إلا بدليل . والله أعلم .

والعجب أن الإمام أبا عبد الله البخاري رحمه الله ذكر الإسراء بعد ذكره موت أبي طالب ، فوافق ابن إسحاق في ذكره المعراج في أواخر الأمر ، وخالفه في ذكره بعد موت أبي طالب .

وابنُ إسحاق آخر ذكر موت أبي طالب على الإسراء . فإله أعلم أي ذلك كان .

والمقصود أن البخاري فرّق بين الإسراء وبين المعراج ، فبوّب لكل واحد منهما بابا على حدة .

فقال : « باب حديث الإسراء » وقول الله سبحانه وتعالى « سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا » حدثنا يحيى بن بُكير ، حدثنا الليث ، عن عُقيل ، عن ابن شهاب ، حدثني

أبو سلمة بن عبد الرحمن ، قال : سمعت جابر بن عبد الله أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « لما كذبتني قریش كنت ^(١) في الحجر ، فحَلَّى الله لى بيت المقدس ، فطفت أحدثهم ^(٢) عن آياته وأنا أنظر إليه » .

وقد رواه مسلم والترمذى والنسائى من حديث الزهرى ، عن أبى سلمة ، عن جابر به .
ورواه مسلم والنسائى والترمذى من حديث عبد الله بن الفضل ، عن أبى سلمة ، عن أبى هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحوه .

ثم قال البخارى : باب حديث المعراج : حدثنا هُذَيْبُ بْنُ خَالِدٍ ، حدثنا هَمَّامٌ ، حدثنا قتادة ، عن أنس بن مالك ، عن مالك بن صَعَصَعَةَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَدَّثَهُمْ عَنْ لَيْلَةِ أُسْرَى بِهِ قَالَ : « بَيْنَا أَنَا فِي الْحَطِيمِ ، وَرَبَّمَا قَالَ فِي الْحِجْرِ ، مُضْطَجِعًا ^(٣) إِذْ أَتَانِي آتٌ ، فَقَدَّ ، قَالَ ^(٤) : وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ : فَشَقَّ ، مَا بَيْنَ هَذِهِ إِلَى هَذِهِ ، فَقُلْتُ لِلْجَارُودِ وَهُوَ إِلَى جَنْبِي ، مَا يَعْنِي بِهِ ؟ قَالَ : مِنْ نُقْرَةٍ ^(٥) نَحَرَهُ إِلَى شَعْرَتِهِ ، وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ مِنْ قَصِهِ إِلَى شَعْرَتِهِ .

« فاستخرج قلبي ، ثم أتيت بطست من ذهب مملوءة إيماناً ، فغسل قلبي ثم حُشِيَ ، ثم أعيد ، ثم أتيت بدابة دون البغل وفوق الحمار أبيض » .
فقال الجارود : وهو البراق يا أبا حمزة ؟ قال أنس : نعم .

« يضع خطوه عند أقصى طرفه . فحُمِلَتْ عَلَيْهِ ، فَانْطَلَقَ بِي جِبْرَائِيلُ حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ الدُّنْيَا فَاسْتَفْتَحَ قِيلَ : مَنْ هَذَا ؟ قَالَ : جِبْرَائِيلُ . قِيلَ : وَمَنْ مَعَكَ ؟ قَالَ : مُحَمَّدٌ . قِيلَ : وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ ؟ قَالَ نَعَمْ . قِيلَ : مَرْحَبًا بِهِ ، فَنَعَمْ الْحَيَّءُ جَاءَ .

(١) البخارى : قمت . (٢) البخارى : أخبرهم . (٣) الأصل : مضجعا . وما أثبتته من البخارى .

(٤) الأصل : فقال وسمعه . وما أثبتته من صحيح البخارى ١٨٧/٢

(٥) البخارى : نقرة . وهى بمعنى نقرة .

ففتح ، فلما خلصت فإذا فيها آدم ، فقال : هذا أبوك آدم فسلم عليه . فسلمت عليه فرد السلام ثم قال : مرحبا بالابن الصالح والنبي الصالح .

ثم صعد بي إلى السماء الثانية ، فاستفتح قيل من هذا ؟ قال : جبرائيل . قيل : من ومعك ؟ قال : محمد . قيل : وقد أرسل إليه ؟ [قال : نعم :] قيل : مرحبا به فنعم الحجيء جاء .

ففتح فلما خلصت إذا يحيى وعيسى وهما ابنا خالة . قال : هذا يحيى وعيسى فسلم عليهما . فسلمت عليهما فردا ثم قال : مرحبا بالأخ الصالح والنبي الصالح .

ثم صعد بي إلى السماء الثالثة ، فاستفتح جبرائيل قيل : من هذا ؟ قال : جبرائيل . قال : ومن معك ؟ قال : محمد . قيل : وقد أرسل إليه ؟ قال : نعم . قيل : مرحبا به . فنعم الحجيء جاء .

ففتح فلما خلصت إذا يوسف ، قال : هذا يوسف فسلم عليه . فسلمت عليه فرد ، ثم قال : مرحبا بالأخ الصالح والنبي الصالح .

ثم صعد بي حتى أتى السماء الرابعة ، فاستفتح قيل : من هذا ؟ قال : جبرائيل . قال : ومن معك ؟ قال : محمد . قيل : وقد أرسل إليه ؟ قال : نعم . قيل : مرحبا به ، فنعم الحجيء جاء .

فلما خلصت إذا إدريس ، قال : هذا إدريس فسلم عليه . فسلمت عليه فرد ، ثم قال : مرحبا بالأخ الصالح والنبي الصالح .

ثم صعد بي حتى أتى السماء الخامسة ، فاستفتح قيل : من هذا ؟ قال : جبرائيل . قيل : ومن معك ؟ قال : محمد . قيل : وقد أرسل إليه ؟ قال : نعم . قيل : مرحبا به ، فنعم الحجيء جاء .

فلما خلصت إذا هارون ، قال : هذا هارون فسلم عليه . فسلمت عليه فرد ثم قال : مرحبا بالأخ الصالح والنبي الصالح .

ثم صعد بي حتى أتى السماء السادسة ، فاستفتح فقيل : من هذا ؟ قال : جبرائيل .
قيل : ومن معك ؟ قال : محمد . قيل : وقد أرسل إليه ؟ قال : نعم . قيل : مرحبا به ،
فنعم المجيء جاء .

فلما خلصت إذا موسى ، قال : هذا موسى فسلم عليه ، فسلمت عليه فردّ ، ثم قال :
مرحبا بالأخ الصالح والنبي الصالح .

فلما تجاوزت بكى ، فقيل له : ما يبكيك ؟ قال : أبكى لأن غلاما بُعث بعدى يدخل
الجنة من أمته أكثر ممّن يدخلها من أمتي .

ثم صعد بي إلى السماء السابعة ، فاستفتح جبرائيل قيل : من هذا ؟ قال : جبرائيل .
قيل : ومن معك ؟ قال : محمد . قيل : وقد بُعث إليه ؟ قال : نعم . قيل : مرحبا به ،
فنعم المجيء جاء .

فلما خلصت إذا إبراهيم ، قال : هذا أبوك إبراهيم فسلم عليه ، فسلمت عليه فرد
السلام ثم قال : مرحبا بالابن الصالح والنبي الصالح .

ثم رُفعت إلى سِدْرَةِ المنتهى ، وإذا أربعة أنهار : نهران ظاهران ، ونهران باطنان .
فقلت : ما هذا يا جبرائيل ؟ قال : أما الباطنان فنهران في الجنة ، وأما الظاهران
فالنيل والفرات .

ثم رفع لى البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ، ثم أُتيت بإناء من
خمر وإناء من لبن وإناء من غسل ، فأخذت اللبن . قال : هي الفِطْرَةُ التي أنت
عليها وأمتك .

ثم فرض على الصلوات ، خمسون صلاة كل يوم ، فرجعت فمررت على موسى
فقال : بم أمرت ؟ قال : أمرت بخمسين صلاة كل يوم . قال : إن أمتك لا تستطيع خمسين

صلاة كل يوم ، وإني والله قد جربت الناس قبلك وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة ؛
فارجع إلى ربك فسله التخفيف لأمتك .

فرجعت فوضع عنى عَشْرًا . .

فرجعت إلى موسى فقال مثله فرجعت فوضع عنى عَشْرًا .

فرجعت إلى موسى فقال مثله ، فرجعت فوضع عنى عَشْرًا .

فرجعت إلى موسى فقال مثله ، فرجعت فأمرت بعشر صلوات كل يوم ،

فقال مثله .

فرجعت فأمرت بخمس صلوات كل يوم .

فرجعت إلى موسى فقال : بم أمرت ؟ فقلت : بخمس صلوات كل يوم .

قال : إن أمتك لا تستطيع خمس صلوات كل يوم ، وإني قد جربت الناس قبلك

وعالجت بني إسرائيل أشدَّ المعالجة فارجع إلى ربك فسله التخفيف لأمتك .

قال : سألت ربي حتى استحيت ولكن أرضى وأسلم .

قال : فلما جاوزت ناداني مناد : أمضيتُ فريضتي ، وخففتُ عن عبادي .

هكذا روى البخاري هذا الحديث ههنا . وقد رواه في مواضع آخر من صحيحه ،

ومسلم والترمذي والنسائي من طرق ، عن قتادة ، عن أنس ، عن مالك بن صعصعة .

ورويناه من حديث أنس بن مالك عن أبي بن كعب . ومن حديث أنس عن

أبي ذر . ومن طرق كثيرة عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم .

وقد ذكرنا ذلك مستقصى بطرقه وألفاظه في التفسير .

ولم يقع في هذا السياق ذِكْرُ بيت المقدس ، وكأن بعض الرواة يحذف بعض

الخبر للعلم به ، أو ينساه أو يذكر ما هو الأهم عنده ، أو يبسط تارة فيسوقه كله ، وتارة

يحذف عن مخاطبه بما هو الأنفع عنده .

وَمَنْ جَعَلَ كُلَّ رَوَايَةِ إِسْرَاءٍ عَلَى حِدَةٍ كَمَا تَقْدَمُ عَنْ بَعْضِهِمْ فَقَدْ أَبْعَدَ جَدًّا .
وذلك أن كل السياقات فيها السلام على الأنبياء ، وفي كل منها يعرفه بهم ، وفي
كلها يُفَرِّضُ عليه الصلوات ، فكيف يمكن أن يُدَّعى تعدُّد ذلك ؟ !
هذا في غاية البعد والاستحالة .. والله أعلم .

ثم قال البخارى : حدثنا الحميدى ، حدثنا سفيان ، عن عمرو ، عن عكرمة ، عن ابن
عباس في قوله تعالى : « وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس » . قال : هي رؤيا
عين أريها رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة أسرى به إلى بيت المقدس . « والشجرة
الملعونة في القرآن » قال : هي شجرة الزقوم .

فصل

ولما أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم من صبيحة ليلة الإسراء جاءه جبرائيل
عند الزوال ، فبين له كيفية الصلاة وأوقاتها .
وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه فاجتمعوا ، وصلى به جبرائيل في ذلك
اليوم إلى الغد والمسلمون يأتئون بالنبي صلى الله عليه وسلم وهو يقتدى بجبرائيل ، كما
جاء في الحديث عن ابن عباس وجابر : « أُمْنَى جبرائيل عند البيت مرتين » .
فبين له الوقتين الأول والآخر ، فهما وما بينهما الوقت الموسَّع ، ولم يذكر توسعة
في وقت المغرب .

وقد ثبت ذلك في حديث أبي موسى وبريدة وعبد الله بن عمرو ، وكلها في صحيح
مسلم . وموضع بسط ذلك في كتابنا « الأحكام » والله الحمد .
فأما ما ثبت في صحيح البخارى عن معمر ، عن الزُّهْرِي ، عن عروة ، عن عائشة
قالت : « فرضت الصلاة أول ما فرضت ركعتين ، فأقرت صلاة السفر وزيد في
صلاة الحضر » .

وكذا رواه الأوزاعي ، عن الزُّهري ، ورواه الشَّعْبِيُّ عن مسروق عنها .
وهذا مُشْكَلٌ من جهة أن عائشة كانت تُتِمُّ الصَّلَاةَ فِي السَّفَرِ ، وكذا
عثمان بن عفان ، وقد تكلمنا على ذلك عند قوله تعالى : « وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ
فَإِيسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا » ^(١) .
قال البيهقي : وقد ذهب الحسنُ البصريُّ إلى أن صلاةَ الحضرِ أولَ ما فُرِضَتْ أربعا ،
كما ذكره مُرسِلا من صلاته عليه السلام صبيحةَ الإسراء : الظهرَ أربعا ، والعصرَ
أربعا ، والمغربَ ثلاثا يُجْهَرُ فِي الْأَوَّلِينَ ، والعشاءَ أربعا يُجْهَرُ فِي الْأَوَّلِينَ ، والصبحَ
ركعتين يُجْهَرُ فِيهِمَا .

قلت : فلعن عائشة أرادت أن الصلاة كانت قبل الإسراء تكون ركعتين ركعتين ،
ثم لما فرضت الخمس فرضت حضرا على ما هي عليه ، ورخص في السفر أن يصلي ركعتين
كما كان الأمر عليه قديما ، وعلى هذا لا يبقى إشكال بالكلية . والله أعلم .

فصل

[في] انشقاق القمر في زمان النبي صلى الله عليه وسلم

وجعل الله له آية على صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما جاء به من الهدى ودين
الحق ، حيث كان ذلك وقت إشارته الكريمة .

قال الله تعالى في مُحْكَمِ كتابه العزيز : « اقتربت الساعةُ وانشقَّ القمرُ ، وإنَّ يَرَوْا
آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ ، وكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقَرٌّ » ^(٢) .

(١) سورة النساء ١٠١ (٢) سورة القمر ١-٣

وقد أجمع المسلمون على وقوع ذلك في زمنه عليه الصلاة والسلام ، وجاءت بذلك الأحاديث المتواترة من طرق متعددة تفيد القطع عند من أحاط بها ونظر فيها .

ونحن نذكر من ذلك ما تيسر إن شاء الله وبه الثقة وعليه التكلان ، وقد تقصينا ذلك في كتابنا التفسير ، فذكرنا الطرق والألفاظ محررة ، ونحن نشير هاهنا إلى أطراف من طرقها ونعزوها إلى الكتب المشهورة بحول الله وقوته .

وذلك مروى عن أنس بن مالك ، وجُبَيْر بن مُطْعَم ، وحُذَيْفَة ، وعبد الله بن عباس ، وعبد الله بن عمر ، وعبد الله بن مسعود رضى الله عنهم أجمعين .

أما أنس فقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرزاق ، حدثنا مَعْمَر ، عن قَتَادَة ، عن أنس بن مالك قال : سأل أهل مكة النبي صلى الله عليه وسلم آيةً ، فانشق القمر بمكة مرتين . فقال : « اقتربت الساعة وانشق القمر » .

ورواه مُسْلِم ، عن محمد بن رافع ، عن عبد الرزاق به .

وهذا من مراسلات الصحابة ، والظاهر أنه تلقاه عن الجُمِّ الغفير من الصحابة ، أو عن النبي صلى الله عليه وسلم ، أو عن الجميع .

وقد روى البخارى ومسلم هذا الحديث من طريق شيبان . زاد البخارى : وسعيد ابن أبي عروبة ، وزاد مسلم : وشُعْبَة ، ثلاثهم عن قَتَادَة عن أنس : أن أهل مكة سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يريهم آيةً فأراهم القمرَ شقتين حتى رأوا حراءَ بينهما . لفظ البخارى .

وأما جُبَيْر بن مطعم فقال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن كَثِير ، حدثنا سليمان بن كثير ، عن حُصَيْن بن عبد الرحمن ، عن محمد بن جبير بن مطعم ، [عن أبيه] . قال : انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فصار فرقتين ، فرقة على هذا الجبل ،

وفرقه على هذا الجبل . فقالوا : سحرنا محمد ، فقالوا : إن كان سحرنا فإنه لا يستطيع أن يسحر الناس كلهم .
تفرد به أحمد .

وهكذا رواه ابن جرير من حديث محمد بن فضيل وغيره ، عن حصين به .
وقد رواه البيهقي من طريق إبراهيم بن طهمان وهشيم كلاهما عن حصين بن عبد الرحمن ، عن جبير بن محمد بن جبير بن مطعم ، عن أبيه عن جده به ، فزاد رجلا في الإسناد .

وأما حذيفة بن اليمان فروى أبو نعيم في « الدلائل » ^(١) من طريق عن عطاء بن السائب عن أبي عبد الرحمن السلمي . قال : خطبنا حذيفة بن اليمان بالمداين فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : « اقتربت الساعة وانشق القمر » ألا وإن الساعة قد اقتربت ، ألا وإن القمر قد انشق ، ألا وإن الدنيا قد آذنت بفراق ، ألا وإن اليوم المضمار وغدا السباق .

فلما كانت الجمعة الثانية انطلقت مع أبي إلى الجمعة ، فحمد الله وقال مثله وزاد : ألا وإن السابق من سبق إلى الجمعة .

فلما كنا في الطريق قلت لأبي : ما يعني بقوله - « غداً السباق » قال : من سبق إلى الجنة .

وأما ابن عباس فقال البخاري : حدثنا يحيى بن بكير ^(٢) ، حدثنا بكر ، عن جعفر ، عن عراك بن مالك ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، عن ابن عباس ، قال : إن القمر انشق في زمان النبي صلى الله عليه وسلم .

(١) ليس في دلائل النبوة المطبوع . وفيها روايات أخرى عن ابن مسعود وابن عمر وابن عباس ٢٣٣ - ٢٣٦ . (٢) الأصل : ابن كثير . وهو تحريف وما أثبتته عن صحيح البخاري ٢٦٩/٢ باب التفسير .

ورواه البخارى أيضا ومسلم من حديث بكر ، وهو ابن نصر ، عن جعفر قوله :
« اقتربت الساعة وانشقَّ القمرُ ، وإن يَرَوْا آيَةً يُعْرَضُوا ويقولوا سحرٌ مُستمر » . قال :
قد مضى ذلك ، كان قبل الهجرة ، انشقَّ القمرُ حتى رأوا شِقَّيه .

وهكذا رواه العوفى عن ابن عباس رضى الله عنه وهو من مراسلاته .

وقال الحافظ أبو نُعَيْم : حدثنا سليمان بن أحمد ، حدثنا بكر بن سُهيل ، حدثنا
عبد الغنى بن سعيد ، حدثنا موسى بن عبد الرحمن ، عن ابن جُرَيْج ، عن عطاء عن ابن
عباس . وعن مقاتل ، عن الضحَّاك ، عن ابن عباس فى قوله : « اقتربت الساعةُ وانشقَّ
القمرُ » . قال ابن عباس : اجتمع المشركون إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم
الوليد بن المغيرة ، وأبو جهل بن هشام ، والعاص بن وائل ، والعاص بن هشام ، والأسود
ابن عبد يَعْفُوث ، والأسود بن المطلب [بن أسد بن عبد العزَّى] ^(١) ، وزَمْعَةُ بن
الأسود ، والنضر بن الحارث ، ونظراؤهم [كثير] ^(٢) .

فقالوا للنبي صلى الله عليه وسلم : إن كنتَ صادقا فشقَّ لنا القمرَ فرقتين نصفًا على
أبى قُبَيْسٍ ونصفًا على قُعَيْقَعَانَ . فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم : « إن فعلتُ
تؤمنوا ؟ » قالوا : نعم . وكانت ليلة بدر ، فسأل الله عز وجل أن يعطيه ماسألوا ، فأمسى
القمرُ قد سلب ^(٣) نصفًا على أبى قُبَيْسٍ ونصفًا على قُعَيْقَعَانَ ، ورسول الله صلى الله عليه
وسلم ينادى : يا أبا سلمة بن عبد الأسد والأرقم بن الأرقم اشهدوا .

ثم قال أبو نُعَيْم : وحدثنا ^(٤) سليمان بن أحمد ، حدثنا الحسن بن العباس الرازى ،
عن الهيثم بن الثَّمان ، حدثنا إسماعيل بن زياد ، عن ابن جريج ، عن عطاء ، عن ابن
عباس ، قال : انتهى أهلُ مكة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : هل من آيةٍ
نعرف بها أنك رسول الله .

(١) من دلائل النبوة ٢٣٤ . (٢) دلائل النبوة : قد مثل نصفًا (٣) ليس فى دلائل
النبوة المطبوع .

فَهِبطَ جِبْرَائِيلُ فَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ قُلْ لِأَهْلِ مَكَّةَ أَنْ يَحْتَفِلُوا هَذِهِ اللَّيْلَةَ فَسَيَرُوا آيَةً إِنْ
انْتَفَعُوا بِهَا .

فَأَخْبَرَهُمُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَقَالَةِ جِبْرَائِيلَ ، فَخَرَجُوا لَيْلَةَ الشَّقِّ لَيْلَةَ أَرْبَعِ
عَشْرَةٍ ، فَانْشَقَّ الْقَمَرُ نِصْفَيْنِ ، نِصْفًا عَلَى الصِّفَا وَنِصْفًا عَلَى الْمُرْوَةِ فَنَظَرُوا ، ثُمَّ قَالُوا بِأَبْصَارِهِمْ
فَمَسَحُوهَا ، ثُمَّ أَعَادُوا النَّظَرَ فَنَظَرُوا ، ثُمَّ مَسَحُوا أَعْيُنَهُمْ ثُمَّ نَظَرُوا ، فَقَالُوا : يَا مُحَمَّدُ مَا هَذَا
إِلَّا سِحْرُ رَاهِبٍ .

فَأَنْزَلَ اللَّهُ : « اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ » .

ثُمَّ رَوَى الضَّحَّاكُ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ . قَالَ : جَاءَتْ أَحْبَارُ الْيَهُودِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالُوا : أَرْنَا آيَةً حَتَّى نُؤْمِنَ بِهَا .

فَسَأَلَ رَبَّهُ ، فَأَرَاهُمُ الْقَمَرَ قَدْ انْشَقَّ بِحُزْنَيْنِ ؛ أَحَدُهُمَا عَلَى الصِّفَا وَالْآخَرُ عَلَى الْمُرْوَةِ ،
قَدَرِ مَا بَيْنَ الْعَصْرِ إِلَى اللَّيْلِ يَنْظُرُونَ إِلَيْهِ ثُمَّ غَابَ . فَقَالُوا : هَذَا سِحْرُ مُفْتَرٍ .

وَقَالَ الْحَافِظُ أَبُو الْقَاسِمِ الطَّبْرَانِيُّ : حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ عَمْرٍو الرِّزَّازُ ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى
الْقِطْعِيُّ ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَكْرٍ ، حَدَّثَنَا ابْنُ جُرَيْجٍ ، عَنْ عَمْرٍو بْنِ دِينَارٍ ، عَنْ عِكْرَمَةَ ، عَنْ
ابْنِ عَبَّاسٍ . قَالَ : كُفِّ الْقَمَرُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالُوا : سِحْرُ الْقَمَرِ
فَنَزَلَتْ : « اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ » ، وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرَضُوا وَيَقُولُوا
سِحْرُ مُسْتَمِرٍّ .

وهذا إسناد جيد، وفيه أنه كسف تلك الليلة ، فلعله حصل له انشقاق في ليلة كسوفه ،
ولهذا خفي أمره على كثير من أهل الأرض ، ومع هذا قد شوهد ذلك في كثير من بقاع
الأرض ، ويقال : إنه أُرْخِ ذلك في بعض بلاد الهند ، وبنى بناء تلك الليلة وأُرْخِ بليلة
انشقاق القمر .

وأما ابن عمر ، فقال الحافظ البيهقي : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، وأبو بكر أحمد ابن الحسن القاضي ، قالا : حدثنا أبو العباس الأصم ، حدثنا العباس بن محمد الدوري ، حدثنا وهب بن جرير ، عن شعبة ، عن الأعشى ، عن مجاهد به .

قال مسلم : كرواية مجاهد عن أبي معمر عن ابن مسعود .

وقال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح .

وأما عبد الله بن مسعود فقال الإمام أحمد : حدثنا سفيان ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، عن أبي معمر ، عن ابن مسعود . قال : انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم شقتين حتى نظروا إليه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اشهدوا . وهكذا أخرجاه من حديث سفيان ، وهو ابن عيينة ، به . ومن حديث الأعشى عن إبراهيم ، عن أبي معمر ، عن عبد الله بن سكرة ، عن ابن مسعود قال : انشق القمر ونحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « اشهدوا » وذهبت فرقة نحو الجبل . افظ البخاري (١) .

ثم قال البخاري : وقال أبو الضحَّاك ، عن مسروق ، عن عبد الله بمكة ، وتابعه محمد بن مسلم ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، عن أبي معمر ، عن عبد الله رضى الله عنه .

وقد أسند أبو داود الطيالسي حديث أبي الضحى ، عن مسروق ، عن عبد الله بن مسعود ، قال : انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالت قریش : هذا سحر ابن أبي كبشة .

فقالوا : انظروا ما يأتيكم به السفار ، فإن محمدا لا يستطيع أن يسحر الناس كلهم .

(١) ليس بلفظ البخاري .

قال : نجاء السفّار فقالوا ذلك .

وقال البيهقي : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، حدثنا أبو العباس ، حدثنا العباس بن محمد الدوري ، حدثنا سعيد بن سليمان ، حدثنا هُشيم ، حدثنا مغيرة ، عن أبي الضُّحى ، عن مسروق ، عن عبد الله ، قال : انشق القمر بمكة حتى صار فرقتين .

فقال كفار قريش لأهل مكة : هذا سحرٌ سحرَكم به ابنُ أبي كبشة ، انظروا السّفّار ، فإن كانوا رأوا ما رأيتم فقد صدّق ، وإن كانوا لم يروا مثلَ ما رأيتم فهو سحرٌ سحرَكم به .

قال : فسئل السّفّار قال ، وقدموا من كل وجهة ، فقالوا : رأينا . وهكذا رواه أبو نُعيم من حديث جابر ، عن الأعمش ، عن أبي الضُّحى ، عن مسروق عن عبد الله به .

وقال الإمام أحمد : حدثنا مُوَمِّل ، حدثنا إسرائيل ، عن سِمَاك ، عن إبراهيم ، عن الأسود ، عن عبد الله ، وهو ابن مسعود ، قال : انشق القمرُ على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى رأيتَ الجبلَ بين فرُجتي القمر .

وهكذا رواه ابن جرير من حديث أسباط عن سِمَاك به .

وقال الحافظ أبو نُعيم : حدثنا أبو بكر الطَّلُحِي ، حدثنا أبو حُصَيْن محمد بن الحسين الوادِعيّ ، حدثنا يحيى الحِمَّاني ، حدثنا يزيد ، عن عطاء ، عن سِمَاك ، عن إبراهيم ، عن علقمة ، عن عبد الله . قال : كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم بمنى وانشق القمر حتى صار فرقتين ، فرقة خلف الجبل . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « اشهدوا ، اشهدوا » .

وقال أبو نُعيم : حدثنا سليمان بن أحمد ، حدثنا جعفر بن محمد القَلَانِسِيّ ، حدثنا

آدم بن أبي إياس ، حدثنا الليث بن سعد ، حدثنا هشام بن سعد ، عن عتبة ، عن عبد الله ابن عتبة ، عن ابن مسعود . قال : انشق القمر ونحن بمكة ، فاقدر رأيت أحداً شقيّه على الجبل الذى بمنى ونحن بمكة .

وحدثنا أحمد بن إسحاق ، حدثنا أبو بكر بن أبي عاصم ، حدثنا محمد بن حاتم ، حدثنا معاوية بن عمرو ، عن زائدة ، عن عاصم ، عن زِرِّ ، عن عبد الله ، قال : انشق القمر بمكة فرأيتاه فرقتين .

ثم روى من حديث على بن سعيد بن مسروق ، حدثنا موسى بن عمير ، عن منصور ابن المعتمر ، عن زيد بن وهب ، عن عبد الله بن مسعود ، قال : رأيت القمر والله منشقاً باثنتين بينهما حراء .

وروى أبو نعيم من طريق السدّي الصغير ، عن الكلبي ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس قال : انشق القمر فلقنتين ، فلقة ذهب ، وفلقة بقيت .

قال ابن مسعود : لقد رأيت جبلَ حراء بين فَلَقتَي القمر ، فذهب فلقة ، فتعجب أهل مكة من ذلك ، وقالوا : هذا سحر مصنوع سيذهب .

وقال إيث بن أبي سُلَيم ، عن مجاهد قال : انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فصار فرقتين . فقال النبي صلى الله عليه وسلم لأبي بكر : « فاشهد يا أبا بكر » .

وقال المشركون : سحر القمر حتى انشق .

فهذه طرق متعددة قوية الأسانيد تفيد القطع لمن تأملها وعرف عدالة رجالها . وما يذكره بعضُ القصاص من أن القمر سقط إلى الأرض حتى دخل في كم النبي

صلى الله عليه وسلم وخرج من السكم الآخر ، فلا أصل له ، وهو كذب مفتري
ليس بصحيح .

والقمر حين انشق لم يزايل السماء ، غير أنه حين أشار إليه النبي صلى الله عليه وسلم
انشق عن إشارته فصار فرقتين ، فسارت واحدة حتى صارت من وراء حراء ، ونظروا
إلى الجبل بين هذه وهذه . كما أخبر بذلك ابن مسعود أنه شاهد ذلك .
وما وقع في رواية أنس في مسند أحمد : « فانشق القمر بمكة مرتين » فيه نظر ،
والظاهر أنه أراد فرقتين . والله أعلم .

فصل

في وفاة أبي طالب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم

ثم من بعده خديجة بنت خويلد زوجة رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي الله عنها .

وقيل : بل هي توفيت قبله . والمشهور الأول .

وهذان المشفقان ؛ هذا في الظاهر ، وهذه في الباطن ، هناك كافر ، وهذه مؤمنة صديقة رضي الله عنها وأرضاها .

قال ابن إسحاق : ثم إن خديجة وأبا طالب هلكا في عام واحد .

فتتابعت على رسول الله صلى الله عليه وسلم المصائب بهلك خديجة ، وكانت له وزير صدق على الابتلاء يسكن إليها^(١) ، وبهلك عمه أبي طالب ، وكان له عضداً وحزناً في أمره ، ومنعة وناصر على قومه .

وذلك قبل مهاجره إلى المدينة بثلاث سنين .

فلما هلك أبو طالب ، نالت قريش من رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأذى ما لم تكن تطمع به في حياة أبي طالب ، حتى اعترضه سفيه من سفهاء قريش فنثر على رأسه تراباً .

فحدثني هشام بن عروة عن أبيه ، قال : فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بيته والتراب على رأسه ، فقامت إليه إحدى بناته تغسله وتبكي ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) ابن هشام : وكانت له وزير صدق على الإسلام يسكن إليها .

يقول : « لا تبكى يا بُنية ، فإن الله مانع أباك » ويقول بين ذلك : « مانالت مني ^(١) قريش شيئاً أكرهه حتى مات أبو طالب » .

وذكر ابن إسحاق قبل ذلك : أن أحدهم ربما طرح الأذى في بُرْمته صلى الله عليه وسلم إذا نُصبت له .

قال : فكان إذا فعلوا ذلك ، كما حدثني عمر بن عبد الله عن عروة ، يخرج بذلك الشيء على العود فيقذفه على بابه ثم يقول : « يا بني عبد مناف أيُّ جِوارٍ هذا ؟! » ثم يلقيه في الطريق .

قال ابن إسحاق : ولما اشتكى أبو طالب ، وبلغ قريشاً ثَقْلَهُ ، قالت قريش بعضها لبعض : إن حمزة وعمر قد أسلما ، وقد فشا أمرُ محمد في قبائل قريش كلها ، فانطلقوا بنا إلى أبي طالب فليأخذ لنا على ابن أخيه وليعطه منّا ، فإننا والله ما نأمن أن يَبْتَزونا أمرنا .

قال ابن إسحاق : وحدثني العباس بن عبد الله بن مَعْبُد ، عن بعض أهله ، عن ابن عباس قال : لما مشوا إلى أبي طالب وكلوه ، وهم أشراف قومه عَتَبَةُ بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، وأبو جهل بن هشام ، وأمّية بن خلف ، وأبو سفيان بن حرب ، في رجال من أشرافهم ، فقالوا : يا أبا طالب إنك منّا حيث قد علمت ، وقد حضرك ما ترى ، وتخوّفنا عليك ، وقد علمت الذي بيننا وبين ابن أخيك فادعُه فخذْنا منه وخُذْ له منّا لِيَكُفَّ عَنَّا وَلِنَكْفِ عَنْهُ ، وَلِيَدَعَنَا وَدِينَنَا وَلِنَدَّعِهِ وَدِينَهُ .

فبعث إليه أبو طالب فجاءه فقال : يا ابن أخي ، هؤلاء أشرافُ قومك قد اجتمعوا إليك ليعطوك وليأخذوا منك .

(١) الأصل : ما نالتني . وما أثبتته عن ابن هشام .

قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا عم ، كلمة واحدة تعطونها تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم » .

فقال أبو جهل : نعم وأبيك وعشر كلمات .

قال : « تقولون لا إله إلا الله . وتخلعون ما تعبدون من دونه » .

فصبقوا بأيديهم . ثم قالوا : يا محمد أتريد أن تجعل الآلهة إلهاً واحداً ؟ إن أمرك لعجب .

قال : ثم قال بعضهم لبعض : إنه والله ما هذا الرجل بمعطيك شيئاً مما تريدون ، فانطلقوا وامضوا على دين آبائكم حتى يحكم الله بينكم وبينه . ثم تفرقوا .

قال : فقال أبو طالب : والله يابن أخي ما رأيتك سألتهم شططا .

قال : فطمع رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه ، فجعل يقول له : « أى عم فأنت فقئها أستحل لك بها الشفاعة يوم القيامة » .

فلما رأى حرص رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : يابن أخي والله لولا مخافة الشبهة عليك وعلى بنى أبيك من بعدى ، وأن تظن قريش أنى إنما قلتها جزعاً من الموت لقلتها ، لا أقولها إلا لأسررك بها .

قال : فلما تقارب من أبى طالب الموت نظر العباس إليه يحرك شفتيه ، فأصغى إليه بأذنه .

قال : فقال : يابن أخي والله لقد قال أخى الكلمة التى أمرته أن يقولها .

قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لم أسمع » .

قال : وأنزل الله تعالى فى أولئك الرهط « ص والقرآن ذى الذِّكْرِ بل الذين كفروا

فى عزّة وشقاق » الآيات :

وقد تكلمنا على ذلك فى التفسير والله الحمد والمنة .

وقد استدلل بعض من ذهب من الشيعة وغيرهم من الغلاة إلى أن أبا طالب مات مسلماً بقول العباس [فى] هذا الحديث ؛ يابن أخى لقد قال أخى الكلمة التى أمرته أن يقولها .
يعنى لا إله إلا الله .

والجواب عن هذا من وجوه :

أحدها : أن فى السند مُبْهَمًا لا يُعرف حاله وهو قوله : « عن بعض أهله » وهذا إيهام فى الاسم والحال ، ومثله يُتَوَقَّف فيه لو انفرد .

وقد روى الإمام أحمد والنسائى وابن جرير نحوه من هذا السياق من طريق أبى أسامة ، عن الأعمش ، حدثنا عبّاد ، عن سعيد بن جُبَيْر . فذكره ولم يذكر قول العباس .

ورواه الثورى أيضا ، عن الأعمش ، عن يحيى بن عمار السكونى ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس . فذكره بغير زيادة قول العباس .

ورواه الترمذى وحسنه ، والنسائى وابن جرير أيضا .

ولفظ الحديث من سياق البيهقى ، فيما رواه من طريق الثورى ، عن الأعمش ، عن يحيى بن عمار ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : مرض أبو طالب ، فجاءت قریش وجاء النبى صلى الله عليه وسلم [و] عند رأس أبى طالب مجلس رجل ، فقام أبو جهل كى يمنعه ذاك ، وشكّوه إلى أبى طالب ، فقال : يابن أخى ماتريد من قومك ؟

فقال : « يا عم إنما أريد منهم كلمة تَدِلُّ لهم بها العرب ، وتودى إليهم بها الجزية العجم ، كلمة واحدة » .

قال : : ماهي ؟

قال : « لا إله إلا الله » .

قال : فقالوا : أجعل الآلهة إلهاً واحداً ؟ إن هذا شيءٌ عَجَاب .

قال : ونزل فيهم : « ص والقرآن ذى الذِّكْر » الآيات إلى قوله : « إلا اختلاق » .

ثم قد عارضه ، أعني سَيَاقَ ابن إسحاق ، ماهو أصحُّ منه ، وهو ما رواه البخارى قائلا :

حدثنا محمود ، حدثنا عبد الرزاق ، أخبرنا مَعْمَر ، عن الزُّهْرِي ، عن ابن المسيَّب ، عن أبيه رضى الله عنه . أن أبا طالب لما حضرته الوفاة دخل عليه النبي صلى الله عليه وسلم وعنده أبو جهل . فقال : « أى عم ، قل لا إله إلا الله ، كلمةٌ أحاجُّ لك بها عند الله » .

فقال أبو جهل وعبد الله بن أبى أمية : يا أبا طالب أترغب عن ملة عبد المطلب ؟ ! فلم يزالا يكلماناه حتى قال آخر ما كلمهم به : على ملة عبد المطلب .

فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « لأستغفرنَّ^(١) لك ما لم أنه عنك » .

فنزلت : « ما كان للنبيِّ والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولىٰ قرْبى مِنْ بَعْدِ ماتينَّ لهم أنهم أصحابُ الجحيم^(٢) » ونزلت : « إنك لا تهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ »^(٣) ورواه مسلم ، عن إسحاق بن إبراهيم وعبد الله ، عن عبد الرزاق .

وأخرجاه أيضاً من حديث الزُّهْرِي ، عن سعيد بن المسيَّب ، عن أبيه بنحوه . وقال فيه : فلم يزل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يعرضها عليه ، ويعودان له بتلك المقالة ، حتى قال آخر ما قال : على ملة عبد المطلب . وأبى أن يقول : لا إله إلا الله .

فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « أما لأستغفرنَّ لك ما لم أنه عنك » فأنزل الله

(١) الأصل : لأستغفر . وهو تحريف . (٢) سورة التوبة ١١٣ (٣) سورة القصص ٥٦ .

يعنى بعد ذلك : « ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قرى » .

ونزل في أبي طالب : « إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء وهو أعلم بالمهتدين » .

وهكذا روى الإمام أحمد ومسلم والترمذي والنسائي ، من حديث يزيد بن كيسان عن أبي حازم ، عن أبي هريرة ، قال : لما حضرت وفاة أبي طالب أتاه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : « يا عمّاه ، قل لا إله إلا الله أشهد لك بها يوم القيامة » . فقال : لولا أن تعيرني قريش ، يقولون ما حملته عليه إلا فرغ الموت ، لأقررت بها عينك ولا أقولها إلا لأقرّ بها عينك .

فأنزل الله عز وجل : « إنك لا تهدي من أحببت ، ولكن الله يهدي من يشاء وهو أعلم بالمهتدين » .

وهكذا قال عبد الله بن عباس وابن عمر ومجاهد والشَّعْبِي وقتادة : أنها نزلت في أبي طالب حين عرض عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقول : لا إله إلا الله . فأبى أن يقولها ، وقال : هو على ملة الأشياخ . وكان آخر ما قال : هو على ملة عبد المطلب .

ويؤكد هذا كله ما قال البخاري : حدثنا مُسَدَّد ، حدثنا يحيى ، عن سفيان ، عن عبد الملك بن عُمر ، حدثني عبد الله بن الحارث ، قال : حدثنا العباس بن عبد المطلب أنه قال : قلت للنبي صلى الله عليه وسلم : ما أغنيت عن عمك ، فإنه كان يحوطك ويفضلك ؟

قال : « [هو] في ضَحَضَاح من نار ، ولولا أنا لكان في الدَّرَك الأسفل ^(١) » .

(١) زاد في البخاري : من النار .

ورواه مسلم في صحيحه من طرق ، عن عبد الملك بن عمير به .

[و] أخرجاه في الصحيحين من حديث الليث ، حدثني ابن الهاد ، عن عبد الله بن خباب ، عن أبي سعيد ، أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم وذُكر عنده عمه فقال : « لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة ، فيجعل في ضحضاح من النار يبلغ كعبه يَغلي منه دماغه » .

لفظ البخاري . وفي رواية « تغلي منه أم دماغه » .

وروى مسلم ، عن أبي بكر بن أبي شَيْبَةَ ، عن عَفَّان ، عن حماد بن سلمة ، عن ثابت ، عن أبي عثمان ، عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « أهون أهل النار عذاباً أبو طالب ، مُنتعل بنعلين من نار يغلي منهما دماغه » .

وفي معاني يونس بن بُكَيْر « يغلي منهما دماغه حتى يسيل على قدميه » ذكره السهيلي .

وقال الحافظ أبو بكر البزار في مسنده : حدثنا عمرو ، هو ابن اسماعيل بن مُجَالِد ، حدثنا أبي ، عن مجالد ، عن الشعبي ، عن جابر ، قال : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أوقيل له : هل نفعت أبا طالب ؟

قال : « أخرجته من النار إلى ضحضاح منها » .

تفرد به البزار .

قال السهيلي : وإنما لم يقبل النبي صلى الله عليه وسلم شهادة العباس أخيه أنه قال الكلمة وقال : « لم أسمع » لأن العباس كان إذ ذاك كافراً غير مقبول الشهادة .

قلت : وعندى أن الخبر بذلك ما صحَّ لضعف سنده . كما تقدم .

ومما يدل على ذلك أنه سأل النبي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك عن أبي طالب فذكر له ما تقدم .

وبتعليل صحته لعله قال ذلك عند معاينة الملك بعد الغرغرة ، حين لا ينفع نفساً
إيمانها . والله أعلم .

وقال أبو داود الطيالسي : حدثنا شعبة ، عن أبي إسحاق ، سمعت ناجية بن كعب
يقول : سمعت علياً يقول : لما توفي أبي أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت : إن
عمك قد توفي . فقال : « اذهب فواره » فقلت : إنه مات مشركاً ، فقال : « اذهب
فواره ولا تُحدثن شيئاً حتى تأتي » .
فعلت فأتيته ، فأمرني أن أغتسل .

ورواه النسائي عن محمد بن المثنى ، عن غُندَر ، عن شعبة .

ورواه أبو داود والنسائي من حديث سفيان ، عن أبي إسحاق ، عن ناجية ، عن
علي : لما مات أبو طالب قلت : يا رسول الله إن عمك الشيخ الضالّ قد مات ،
فمن يواريه ؟

قال : « اذهب فوارِ أباك ولا تُحدثن شيئاً حتى تأتيني » .

فأتيته فأمرني فاغتسلت ، ثم دعا لي بدعوات ما يسرني أن لي يهن ما على
الأرض من شيء .

وقال الحافظ البيهقي : أخبرنا أبو سعد الماليني ، حدثنا أبو أحمد بن عدي ، حدثنا
محمد بن هارون بن حميد ، حدثنا محمد بن عبد العزيز بن أبي رزمة ، حدثنا الفضل ، عن
إبراهيم بن عبد الرحمن ، عن ابن جريج ، عن عطاء ، عن ابن عباس : أن النبي صلى الله
عليه وسلم عاد من ^(١) جنازة أبي طالب فقال : وصلتكَ رَحِم ، وجُزيت خيراً يا عم .

(١) في الوفا لابن الجوزي : عارض جنازة . وهذا ما يتفق مع قوله بعد : « ولم يقم على قبره » .

قال : وروى عن أبي النيمان الهوزنى ، عن النبي صلى الله عليه وسلم مرسلًا وزاد :
ولم يبق على قبره .

قال : وإبراهيم بن عبد الرحمن هذا هو الخوارزمي تكلموا فيه .
قلت : قدروى عنه غير واحد منهم الفضل بن موسى السينانى^(١) ، ومحمد بن سلام
البيكندى^(٢) . ومع هذا قال ابن عدى : ليس بمعروف ، وأحاديثه عن كل من روى عنه
ليست بمستقيمة .

وقد قدمنا ما كان يتعاطاه أبو طالب من الحماسة والحاجة والممانعة عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم والدفع عنه وعن أصحابه ، وما قاله فيه من المادح والثناء ، وما أظهره له
ولأصحابه من المودة والمحبة والشفقة في أشعاره التي أسلفناها ، وما تضمنته من العيب
والتنقيص لمن خالفه وكذبه ، بتلك العبارة الفصيحة البليغة الهاشمية المطلية التي لا تدانى
ولا تسامى ، ولا يمكن عريبًا مقارنتها ولا معارضتها .

وهو في ذلك كله يعلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صادقٌ بآرائه راشدٌ ، ولكن مع
هذا لم يؤمن قلبه .

وفرق بين علم القلب وتصديقه . كما قررنا ذلك في شرح كتاب الإيمان من
صحيح البخارى .

وشاهد ذلك قوله تعالى : « الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم ،
وإن فريقاً منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون » .

وقال تعالى في قوم فرعون : « وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم » وقال موسى

(١) كان من أقران ابن المبارك في السن والعلم ، ولد سنة ١١٥ ومات سنة ١٩١ . ونسب إلى
سينان إحدى قرى مرو . (٢) نسبة إلى بيكند ، بلدة بين بخارى وجيجون .

لفرعون : « لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السموات والأرض بصائر وإنى لأظنك يافرعون مشبوراً » .

وقول بعض السلف في قوله تعالى : « وهم يَهْهَوْنَ عنه وَيَنَافُونَ عنه » أنها نزلت في أبي طالب حيث كان ينهى الناس عن أذية رسول الله صلى الله عليه وسلم وينأى هو عما جاء به الرسول من الهدى ودين الحق .

فقد روى عن ابن عباس ، والقاسم بن مخيمرة ، وحبيب بن أبي ثابت ، وعطاء بن دينار ، ومحمد بن كعب ، وغيرهم ، ففيه نظر . والله أعلم .

والأظهر والله أعلم ، الرواية الأخرى عن ابن عباس ؛ وهم يَهْهَوْنَ الناس عن محمد أن يؤمنوا به . وبهذا قال مجاهد وقتادة والضحاك وغير واحد . وهو اختيار ابن جرير . وتوجيهه : أن هذا الكلام سيق لتمام ذم المشركين ، حيث كانوا يصدُّون الناس عن اتباعه ولا ينتفعون هم أيضاً به .

ولهذا قال : « وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعْ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا ، وَإِنْ يَرَوْا كَلَّآيَةً لَا يُؤْمِنُوا بِهَا ، حَتَّى إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا أسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ، وَهُمْ يَهْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ وَإِنْ يُهْلَكُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ » .

وهذا اللفظ وهو قوله « وَهُمْ » يدلُّ على أن المراد بهذا جماعة ، وهم المذكورون في سياق الكلام وقوله : « وَإِنْ يُهْلَكُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ » يدلُّ على تمام الذم .

وأبو طالب لم يكن بهذه الثابتة ، بل كان يصدُّ الناس عن أذية رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه بكل ما يقدر عليه من فعال ومقال ، ونفس ومال .

ولكن مع هذا لم يقدّر الله له الإيمان ، لئله تعالى فى ذلك من الحكمة العظيمة ،
والحجة القاطعة البالغة الدامغة التى يجب الإيمان بها والتسليم لها .
ولولا ما نهانا الله عنه من الاستغفار للمشركين ، لاستغفرنا لأبى طالب
وترجّنا عليه !

فصل

فى موت خديجة بنت خويلد

وذِكرُ شىء من فضائلها ومناقبها رضى الله عنها وأرضاها ، وجعل جنات الفردوس
منقلبها ومشواها . وقد فصل ذلك لا محالة بخبر الصادق المصدوق ، حيث بشرها بيت فى
الجنة من قصَب لا صخب فيه ولا نصَب .

قال يعقوب بن سفيان : حدثنا أبو صالح ، حدثنا الليث ، حدثنى عُقَيْل ، عن ابن
شهاب قال : قال عروة بن الزبير : وقد كانت خديجة توفيت قبل أن تفرض الصلاة .
ثم روى من وجه آخر عن الزهري أنه قال : توفيت خديجة بمكة قبل خروج رسول
الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ، وقبل أن تفرض الصلاة .

وقال محمد بن إسحاق : ماتت خديجة وأبو طالب فى عام واحد .

وقال البيهقى : بلغنى أن خديجة توفيت بعد موت أبى طالب بثلاثة أيام . ذكره
عبدالله بن منده فى كتاب المعرفة ، وشيخنا أبو عبد الله الحافظ .

قال البيهقى : وزعم الواقدى أن خديجة وأبا طالب ماتا قبل الهجرة بثلاث سنين عام
خرجوا من الشعب ، وأن خديجة توفيت قبل أبى طالب بخمس وثلاثين ليلة .
قلت : مرادهم قبل أن تُفرض الصلوات الخمس ليلة الإسراء .

وكان الأنسبُ بنا أن نذكر وفاة أبي طالب وخديجة قبل الإسراء ، كما ذكره البيهقي وغير واحد ، ولكن أخرنا ذلك عن الإسراء لمقصد ستطلع عليه بعد ذلك ، فإن الكلام به ينتظم ويتسق الباب . كما تقف على ذلك إن شاء الله .

وقال البخارى : حدثنا قتيبة ، حدثنا محمد بن فضيل بن غزوان ، عن عمارة ، عن أبي زرعة ، عن أبي هريرة . قال : أتى جبرائيل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله هذه خديجة قد أتت معها إناء فيه إدام ، أو طعام أو شراب ، فإذا هي أتتك فاقرأ عليها السلام من ربها ومني ، وبشّرْها ببيت في الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب .

وقد رواه مسلم من حديث محمد بن فضيل به .

وقال البخارى : حدثنا مسدد ، حدثنا يحيى ، عن إسماعيل ، قال : قلت لعبد الله بن أبي أوفى : بشّر النبي صلى الله عليه وسلم خديجة ؟ قال : نعم ، بيت من قصب لا صخب فيه ولا نصب .

ورواه البخارى أيضا ومسلم من طرق عن إسماعيل بن أبي خالد به .

قال السهيلي : وإنما بشّرْها « بيت في الجنة من قصب » ، يعنى قصب اللؤلؤ ، لأنها حازت قصب السبق إلى الإيمان « لا صخب فيه ولا نصب » لأنها لم ترفع صوتها على النبي صلى الله عليه وسلم ولم تتعبه يوماً من الدهر ، فلم تصخب عليه يوماً ولا آذته أبداً .

وأخرجاه في الصحيحين ، من حديث هشام بن عروة عن أبيه ، عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت : ما غرّت على امرأة للنبي صلى الله عليه وسلم ما غرّت على خديجة - وهلكت قبل أن يتزوجني - لما كنت أسمع به يذكرها .

وأمره الله أن يبشّرها بيت في الجنة من قصب ، وإن كان لِيَذْبَحِ الشاةَ فيُهْدَى في
خَلَائِلِهَا منها ما يَسْعُن .

لفظ البخارى .

وفي لفظ عن عائشة : ما غرّت على امرأةٍ ما غرّت على خديجة ، من كثرة ذِكْرِ
رسول الله صلى الله عليه وسلم إياها ، وتزوجني بعدها بثلاث سنين ، وأمره ربه ، أو
جبرائيل ، أن يبشّرها بيت في الجنة من قصب .

وفي لفظ له قالت : ما غرّت على أحد من نساء النبي صلى الله عليه وسلم ما غرّت على
خديجة ، وما رأيتها ، ولكن كان يُكثِرُ ذِكْرُهَا ، وربما ذبح الشاة فيقطعها أعضاء ثم
يبيعها في صدائق خديجة ، فربما قلت : كأنه لم يكن في الدنيا امرأة إلا خديجة ! فيقول :
« إنها كانت وكانت ، وكان لى منها ولد » .

ثم قال البخارى : حدثنا إسماعيل بن خليل ، أخبرنا على بن مُسْهِرٍ ، عن هشام بن
عروة ، عن أبيه ، عن عائشة قالت : استأذنت هالة بنت خويلد أخت خديجة
على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فعرف استئذان خديجة ، فارتاع فقال :
اللهم هالة !

[قالت^(١)] فغرتُ قُلت : ما تَذْكُرُ مِنْ عَجَازٍ قريش حمراء الشّدقين
هَلِكْتَ في الدهر [قد^(١)] أبدلك الله خيراً منها .

وهكذا رواه مسلم ، عن سُويد بن سعيد ، عن على بن مُسْهِرٍ به .

وهذا ظاهر في التقرير على أن عائشة خير من خديجة ، إما فضلاً وإما عشرةً ، إذ
لم يُنْكَرْ عليها ولا ردّ عليها ذلك ، كما هو ظاهر سياق البخارى رحمه الله .

ولكن قال الإمام أحمد : حدثنا مؤمل أبو عبد الرحمن ، حدثنا حماد بن سلمة ، عن عبد الملك - هو ابن عمير - عن موسى بن طلحة ، عن عائشة قالت : ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً خديجة فأطنب في الثناء عليها ، فأدركني ما يدرك النساء من الغيرة ، فقلت : لقد أعقبك الله يا رسول الله من عجوزٍ من عجايز قريش حمراء الشدين .

قال : فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم تغيراً لم أراه تغير عند شيء قط إلا عند نزول الوحي أو عند الخيلة حتى يعلم رحمة أو عذاباً .

وكذا رواه عن بهز بن أسد ، وعثمان بن مسلم ، كلاهما عن حماد بن سلمة ، عن عبد الملك بن عمير به .

وزاد بعد قوله : « حمراء الشدين » : « هلك في الدهر الأول » . قال : قالت : فتمعر وجهه تمعراً ما كنت أراه إلا عند نزول الوحي أو عند الخيلة حتى ينظر رحمة أو عذاباً .

تفرد به أحمد . وهذا إسناد جيد .

وقال الإمام أحمد أيضاً : عن ابن إسحاق ، أخبرنا مجالد ، عن الشعبي ، عن مسروق ، عن عائشة قالت : كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا ذكر خديجة أثني عليها بأحسن الثناء .

قالت : فغرت يوماً فقلت : ما أكثر ما تذكرها حمراء الشدين ، قد أبدلك الله خيراً منها .

قال : « ما أبدلني الله خيراً منها ، وقد آمنت بي إذ كفر بي الناس ، وصدقتني إذ كذبتني [الناس] ، وآستني بما لها إذ حرمني الناس ، ورزقني الله ولدها إذ حرمني أولاد النساء » .

تفرد به أحد أيضا . وإسناده لا بأس به . ومُجَالِدٌ رَوَى له مسلم مُتَابِعَةً ، وفيه كلام مشهور . والله أعلم .

ولعل هذا، أعنى قوله : « ورزقني الله ولدها إذ حرمني أولاد النساء » كان قبل أن يولد إبراهيم بن النبي صلى الله عليه وسلم من مارية ، وقبل مَقْدَمِها بالكَلْبَةِ وهذا مُتَمِّين فإن جميع أولاد النبي صلى الله عليه وسلم ، كما تقدم وكما سيأتي ، من خديجة إلا إبراهيم ، فمن مارية القبطية المصرية رضى الله عنها .

وقد استدلل بهذا الحديث جماعة من أهل العلم على تفضيل خديجة على عائشة رضى الله عنها وأرضاها .

وتكلم آخرون في إسناده .

وتأولّه آخرون على أنها كانت خيراً عشرةً ، وهو محتمل أو ظاهر ، وسببه أن عائشة تمت بشبابها وحُسْنِها وجميل عَشْرَتِها ، وليس مرادها بقولها : « قد أبدلك الله خيراً منها » أنها تزوّج نفسها وتفضّلها على خديجة ، فإن هذا أمرٌ مرّجعه إلى الله عز وجل ، كما قال : « فلا تزكّوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى^(١) » وقال تعالى : « ألم ترّ إلى الذين يزكّون أنفسهم ، بل الله يزكّي من يشاء^(٢) » الآية .

وهذه مسألة وقع النزاعُ فيها بين العلماء قديما وحديثا ، وبجانها طرقٌ يقتصر عليها أهل التشيع وغيرهم ، لا يعدلون بخديجة أحداً من النساء : لسلام الربّ عليها ، وكون ولدِ النبي صلى الله عليه وسلم جميعهم ، إلا إبراهيم ، منها ، وكونه لم يتزوج عليها حتى ماتت إكراماً لها وتقدير إسلامها ، وكونها من الصّدّيقات ، ولها مقامُ صِدْقٍ في أول البعثة ، وبذلت نفسها وما لها لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

وأما أهل السنة فهم من يفلو أيضاً ويثبت لكل واحدة منهما من الفضائل ما هو معروف ، ولكن تحمّلهم قوة التسنّن على تفضيل عائشة لكونها ابنة الصديق ، ولكونها أعلم من خديجة ، فإنه لم يكن في الأمم مثل عائشة في حفظها وعلمها وفصاحتها وعقلها ، ولم يكن الرسول يحب أحداً من نسائه كمحبته إياها ، ونزلت براءتها من فوق سبع سموات ، وروّت بعده عنه عليه السلام علماً جماً كثيراً طيباً مباركاً فيه ، حتى قد ذكر كثير من الناس الحديث المشهور « خذوا شطر دينكم عن الحميراء » .

والحق أن كلا منهما لها من الفضائل ما لو نظر الناظر فيه لبهره وحيره .
والأحسن التوقّف في ذلك إلى الله عز وجل .
ومن ظهر له دليل يقطع به ، أو يغلب على ظنه في هذا الباب ، فذاك الذي يجب عليه أن يقول بما عنده من العلم .
ومن حصل له توقف في هذه المسألة أو في غيرها ، فالطريق الأقوم والمسلوك الأسلم أن يقول : الله أعلم .

وقد روى الإمام أحمد والبخارى ومسلم والترمذى والنسائى ، من طريق هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عبد الله بن جعفر ، عن علي بن أبي طالب رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « خير نساءها مريم بنت عمران ، وخير نساءها خديجة بنت خويلد » أى خير زمانهما .

وروى شعبة ، عن معاوية بن قرة ، عن أبيه قرة بن إياس ، رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا ثلاث : مريم بنت عمران ، وآسية امرأة فرعون ، وخديجة بنت خويلد ، وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام » .

رواه ابن مردويه في تفسيره ، وهذا إسناد صحيح إلى شعبة وبعده .

قالوا : والقَدْر المشترك بين الثلاث نسوة ؛ آسية ومريم وخديجة ، أن كلاًّ منهن كَفَلَتْ نبياً مرسلًا ، وأحسنَت الصُّحبة في كفالتها وصدَّقته حين بُعث .
ومريم كفلت ولدها أئِمَّ كِفالة وأعظَمها وصدَّقته حين أرسل .
وخديجة رغبت في تزويج رسول الله صلى الله عليه وسلم بها وبذلت في ذلك أموالها ، كما تقدم ، وصدَّقته حين نزل عليه الوحي من الله عز وجل .

وقوله : « وفضلُ عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام » هو ثابت في الصحيحين من طريق شعبة أيضاً ، عن عمرو بن مُرَّة ، عن مرة الطيب الهمداني ، عن أبي موسى الأشعري ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كَمُلْ من الرجال كثير ، ولم يكمل من النساء إلا آسية امرأة فرعون ، ومريم بنت عمران ، وإن فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام » والثريد هو الخبز واللحم جميعاً ، وهو أنفَر طعام العرب ، كما قال بعض الشعراء :

إذا ما أُلْخِزَ تَأَدِمَهُ بلحمٍ فذاك أمانة الله الثريدُ

ويحمل قوله : « وفضل عائشة على النساء » أن يكون محفوظاً فيعم النساء المذكورات وغيرهن ، ويحتمل أن يكون عاماً فيما عداهن ويبقى الكلام فيها وفيهن موقوفاً يحتمل التسوية بينهما ، فيحتاج من رجح واحدة منهن على غيرها إلى دليل من خارج . والله أعلم .

فصل

فى تزويجه عليه السلام بعد خديجة رضى الله عنها بعائشة

بنت الصديق ، وسودة بنت زمعة رضى الله عنهما

والصحيح أن عائشة تزوجها أولاً كما سيأتى .

قال البخارى فى باب تزويج عائشة ، حدثنا مُعلّى بن أسد ، حدثنا وَهيب ، عن هشام ابن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لها : « أريتك فى المنام مرتين ، أرى أنك فى سرقة^(١) من حرير ، ويقول^(٢) : هذه امرأتك . فأكشف عنها فإذا هى أنت ، فأقول إن كان هذا^(٣) من عند الله يُخْضِه » .

قال البخارى : باب نكاح الأبكار . وقال ابن أبى مُليكة : قال ابن عباس لعائشة : لم ينكح النبى صلى الله عليه وسلم بكرةً غيرك .

حدثنا إسماعيل بن عبدالله ، حدثنى أخى ، عن سليمان بن بلال ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة قالت : قلت : يا رسول الله ، أرايت لو نزلت وادياً وفيه شجرة قد أكل منها ، ووجدت شجرة لم يؤكل منها ، فى أيها كنت تُرتع بعيرك؟ قال : « فى التى لم يُرتع منها » معنى أن النبى صلى الله عليه وسلم لم يتزوج بكرةً غيرها . انفراد به البخارى .

ثم قال : حدثنا عبيد بن إسماعيل ، حدثنا أبو أسامة ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة . قالت : قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أريتك فى المنام فيجىء

(٢) أى جبريل . وفى رواية : ويقال .

(١) السرقة : القطعة .

(٣) البخارى : إن يك هذا .

بك الملك في سرقة من حرير فقال لي هذه امرأتك ، فكشفت عن وجهك الثوب فإذا أنت هي ، فقلت : إن يكن هذا من عند الله يُمْنُبه .

وفي رواية : « أريتك في المنام ثلاث ليال » .

وعند الترمذي أن جبريل جاءه بصورتها في خرقة من حرير خضراء فقال : هذه زوجتك في الدنيا والآخرة .

وقال البخاري : [باب] تزويج الصغار من الكبار ؛ حدثنا عبد الله بن يوسف ، حدثنا الليث عن يزيد ، عن عراك ، عن عروة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب عائشة إلى أبي بكر ، فقال له أبو بكر : إنما أنا أخوك . فقال : « أنت أخي في دين الله وكتابه ، وهي لي حلال » .

هذا الحديث ظاهر سياقه كأنه مُرْسَل ، وهو عند البخاري والمحققين مُتَّصِل ، لأنه من حديث عروة عن عائشة رضي الله عنها ، وهذا من أفراد البخاري رحمه الله .

وقال يونس بن بُكَيْر ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه . قال : تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم عائشة بعد خديجة بثلاث سنين ، وعائشة يومئذ ابنة ست سنين ، وبنى بها وهي ابنة تسع ، ومات رسول الله صلى الله عليه وسلم وعائشة ابنة ثمانى عشرة سنة .

وهذا غريب .

وقد روى البخاري عن عبيد بن إسماعيل ، عن أبي أسامة ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، قال : توفيت خديجة قبل تخرج النبي صلى الله عليه وسلم بثلاث سنين ، فلبث سنين أو قريباً من ذلك ، ونكح عائشة وهي بنت ست سنين ، ثم بنى بها وهي بنت تسع سنين .

وهذا الذى قاله عروة مرسل فى ظاهر السياق كما قدمنا ، ولكنه فى حكم المتصل فى نفس الأمر .

وقوله : « تزوّجها وهى ابنة ست سنين ، وبني بها وهى ابنة تسع » مالا خلاف فيه بين الناس ، وقد ثبت فى الصحاح وغيرها .

وكان بناؤه بها عليه السلام فى السنة الثانية من الهجرة إلى المدينة .

وأما كَوْنُ تزويجها كان بعد موت خديجة بنحوٍ من ثلاث سنين ففيه نظر .

فإن يعقوب بن سفيان الحافظ قال : حدثنا الحجاج ، حدثنا حمّاد ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة قالت : تزوجني رسول الله صلى الله عليه وسلم متوفى خديجة قبل مخرجه من مكة وأنا ابنة سبع أو ست سنين ، فلما قدمنا المدينة جاءني نسوة وأنا ألب فى أرجوحة وأنا مجّمة ، فهأنتى وصنّعتنى ثم أتين بي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم [فبني بي] . وأنا ابنة تسع سنين .

فقوله فى هذا الحديث : « متوفى خديجة » . يقتضى أنه على أثر ذلك قريباً ، اللهم إلا أن يكون قد سقط من النسخة بعد متوفى خديجة ، فلا ينفي ما ذكره يونس بن بكير وأبو أسامة عن هشام بن عروة عن أبيه . والله أعلم .

وقال البخارى : حدثنا فروة بن أبى المغراء ، حدثنا على بن مُسهر ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة . قالت : تزوجني النبي صلى الله عليه وسلم وأنا بنت ست سنين ، فقدمنا المدينة فنزلنا فى بنى الحارث بن الخزرج ، فوعكت فتمزق شعرى وقد وفّت لى جُميمة ، فأتني أمى أم رومان وإني لنى أرجوحة ومعى صواحب لى ، فصرخت بى فأتيتها ما أدرى ما تريد منى ، فأخذت بيدي حتى أوقفتنى على باب الدار ، وإني لأنهج حتى سكن بعضُ نفسى ، ثم أخذت شيئاً من ماء فمسّت به وجهى ورأسى ، ثم أدخلتنى

الدار . قال : فإذا نسوة من الأنصار في البيت ، فقلن : على الخير والبركة وعلى خير طائر . فأسلمتني إليهن فأصلحن من شأنى ، فلم يرعنى إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم ضحى ، فأسلمتني إليه وأنا يومئذ بنت تسع سنين .

وقال الإمام أحمد في مسند عائشة أم المؤمنين : حدثنا محمد بن بشر ، حدثنا بشر ، حدثنا محمد بن عمرو [حدثنا] أبو سلمة ويحيى ، قالوا : لما هلكت خديجة جاءت خولة بنت حكيم امرأة عثمان بن مظعون فقالت : يا رسول الله ألا تزوج ؟ قال : من ؟ قالت : إن شئت بكراً ، وإن شئت ثيباً .

قال : فمن البكر ؟ قالت أحب خلق الله إليك عائشة ابنة أبي بكر .

قال : ومن الثيب ؟ قالت سودة بنت زمعة ، قد آمنت بك واتبعتك . قال : فاذهي فاذكريهما على .

فدخلت بيت أبي بكر فقالت : يا أم رومان ماذا أدخل الله عليك من الخير والبركة ! قالت : وما ذاك ؟ قالت : أرسلني رسول الله صلى الله عليه وسلم أخطب عليه عائشة ، قالت : انظري أبا بكر حتى يأتى .

فجاء أبو بكر فقلت : يا أبا بكر ماذا أدخل الله عليكم من الخير والبركة ! قال : وما ذاك ؟ قالت : أرسلني رسول الله صلى الله عليه وسلم أخطب عليه عائشة . قال : وهل تصلح له ؟ إنما هي ابنة أخيه .

فرجعت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له قال : « ارجعى إليه فقولى له : أنا أخوك وأنت أختى في الإسلام وابنتك تصلح لى » .

فرجعت فذكرت ذلك له قال : انتظرى ، وخرج . قالت أم رومان : إن مطعم بن عدى قد ذكرها على ابنه ، والله ما وعد أبو بكر وعداً قط فأخلفه .

فدخل أبو بكر على مطعم بن عدى وعنده امرأته أم الصبي . فقالت : يا ابن أبي قحافة لعلك مُصْنِيءٌ صاحبنا تَدْخُلُه في دينك الذى أنت عليه إن تزوّج إليك ؟ ! فقال أبو بكر للمطعم بن عدى أقول هذه تقول ؟ [قال : ^(١)] إنها تقول ذلك . فخرج من عنده وقد أذهب الله ما كان في نفسه من عِدَتِه التى وعده .

فرجع فقال لخولة : ادعى لى رسول الله صلى الله عليه وسلم . فدعته فزوجها إياه ، وعائشة يومئذ بنت ست سنين .

ثم خرجت فدخلت على سودة بنت زمعة فقالت : ما أدخل الله عليك من الخير والبركة ؟ ! قالت : وما ذاك ؟ قالت : أرسلنى رسول الله صلى الله عليه وسلم أخطبك إليه . قالت : وددتُ ، ادخلنى إلى أبى بكر فاذا كرى ذلك له ، وكان شيخاً كبيراً قد أدركه السن قد تحلف عن الحج ، فدخلت عليه فحبيته بتحية الجاهلية ، فقال : من هذه ؟ قالت : خولة بنت حكيم . قال : فما شأنك ؟ قالت : أرسلنى محمد بن عبد الله أخطب عليه سودة . فقال : كفء كريم ، ما تقول صاحبك ؟ قالت : تحب ذلك . قال : ادعها إلى . فدعها . قال : أى بُنية ، إن هذه تزعم أن محمد بن عبد الله بن عبد المطلب قد أرسل يخطبك ، وهو كفء كريم ، أتخبين أن أزوجك به ؟ قالت : نعم . قال : ادعها لى .

فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فزوجها إياه .

فجاء أخوها عبد بن زمعة من الحج ، فجاء يَحْنِى على رأسه التراب . فقال بعد أن أسلم : لعمرُك إني لسفيه يوم أحنى فى رأسى التراب أن تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم سودة بنت زمعة !

قالت عائشة : فقدمنا المدينة فزلنا فى بنى الحارث بن الخزرج فى السُّنْح .

قالت : فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل بيتنا واجتمع إليه رجال من الأنصار

ونساء ، فجاءتني أمي وإني لفي أرجوحة بين عذقين يرجح بي ، فأنزلتني من الأرجوحة ولى جُميمة ففرقتها ومسحت وجهي بشيء من ماء ، ثم أقبلت تقودني حتى وقفت بي عند الباب ، وإني لأنهج حتى سكن من نفسي ، ثم دخلت بي فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس على سرير في بيتنا وعنده رجال ونساء من الأنصار ، فأجلستني في حجره ثم قالت : هؤلاء أهلك ، فبارك الله لك فيهم ، وبارك لهم فيك . فوثب الرجال والنساء فخرجوا ، وبني بي رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيتنا مانحرت على جزور ، ولا ذبحت على شاة ، حتى أرسل إلينا سعد بن عبادَة بجفنة كان يرسل بها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دار إلى نسائه . وأنا يومئذ ابنة تسع سنين .

وهذا السياق كأنه مُرسل ، وهو متصل .

لما رواه البيهقي من طريق أحمد بن عبد الجبار ، حدثنا عبد الله بن إدريس الأزدي ، عن محمد بن عمرو ، عن يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب ، قال : قالت عائشة : لما ماتت خديجة جاءت خولة بنت حكيم فقالت : يا رسول الله ألا تزوج ؟ قال : ومن ؟ قالت : إن شئت بكرة وإن شئت ثيباً . قال : من البكر ومن الثيب ؟ قالت : أما البكر فابنة أحب خلق الله إليك ، وأما الثيب فسودة بنت زمعة ، قد آمنت بك واتبعك . قال فاذكريهما على .

وذكر تمام الحديث نحو ما تقدم .

وهذا يقتضى أن عقده على عائشة كان متقدماً على تزويجه بسودة بنت زمعة .

ولسكن دخوله على سودة كان بمكة ، وأما دخوله على عائشة فتأخر إلى المدينة في السنة الثانية كما تقدم وكما سيأتى .

وقال الإمام أحمد : حدثنا أسود ، حدثنا شريك ، عن هشام ، عن أبيه ، عن عائشة

قالت : لما كبرت سودة وهبت يومها لى ، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم لى بيومها مع نسائه . قالت : وكانت أول امرأة تزوجها بعدى .

وقال الإمام أحمد : حدثنا أبو النضر ، حدثنا عبد الحميد ، حدثنى شهر ، حدثنى عبد الله بن عباس ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب امرأة من قومه يقال لها سودة وكانت مُصْبِيَّة ، كان لها خمس صبية أوست من بعائها مات : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما يمنعك منى ؟ » قالت : والله يابى الله ما يمنعنى منك أن لا تكون أحب البرية لى ، ولكنى أكرمك أن يمنعوا هؤلاء الصبية عند رأسك بكرة وعشية . قال : فهل منعك منى غير ذلك ؟ قالت : لا والله . قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم : يرحمك الله ! إن خير نساء ركبى أعجاز الإبل ؛ صالح ؟ نساء قریش ، أجنأه لى ولد فى صغره ، وأرعاه لى بعل بذات يده .

قلت : وكان زوجها قبله عليه السلام السكران بن عمرو أخو سمهيل بن عمرو ، وكان ممن أسلم وهاجر إلى الحبشة كما تقدم ، ثم رجع إلى مكة فمات بها قبل الهجرة رضى الله عنه .

هذه السياقات كلها دالة على أن العقد على عائشة كان متقدما على العقد بسودة ، وهو قول عبد الله بن محمد بن عقيل . ورواه يونس عن الزهرى .

واختار ابن عبد البر أن العقد على سودة قبل عائشة ، وحكاها عن قتادة وأبى عبيد . قال : ورواه عقيل عن الزهرى .

فصل

قد تقدم ذكر موت أبي طالب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأنه كان ناصراً له وقائماً في صفه ومدافعاً عنه بكل ما يقدر عليه من نفس ومال ومقال وفعال .

فلما مات اجتراً سفهاء قريش على رسول الله صلى الله عليه وسلم ونالوا منه ما لم يكونوا يصلون إليه ولا يقدرون عليه .

كما قد رواه البيهقي ، عن الحاكم ، عن الأصم ، حدثنا محمد بن إسحاق الصنعاني ، حدثنا يوسف بن بهلول ، حدثنا عبد الله بن إدريس ، حدثنا محمد بن إسحاق ، عن حدثه ، عن عروة بن الزبير ، عن عبد الله بن جعفر قال : لما مات أبو طالب عرض لرسول الله صلى الله عليه وسلم سفيه من سفهاء قريش فألقى عليه تراباً ، فرجع إلى بيته فأتت امرأة من بناته تمسح عن وجهه التراب وتبكي ، فجعل يقول : « أي بنية لا تبكي ، فإن الله مانع أباك » .

ويقول ما بين ذلك : « مانالت قريش شيئاً أكرهه حتى مات أبو طالب ثم شرعوا » .

وقد رواه زياد البكائي ، عن محمد بن إسحاق ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه مرسلًا . والله أعلم .

وروى البيهقي أيضاً عن الحاكم وغيره ، عن الأصم ، عن أحمد بن عبد الجبار ، عن يونس بن بكير ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « مازالت قريش كاعين^(١) حتى مات أبو طالب » .

(١) كاعين : جنباء

ثم رواه عن الحاكم ، عن الأصم ، عن عباس الدؤرى ، عن يحيى بن مَعِين ، حدثنا عقبة الجدر ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « مازالت قريش كاعّة حتى توفي أبو طالب .

وقد روى الحافظ أبو الفرج ابن الجوزى بسنده عن ثعلبة بن صُقَيْر^(١) وحكيم بن حزام ، أنهما قالا : لما توفي أبو طالب وخديجة ، وكان بينهما خمسة أيام ، اجتمع على رسول الله صلى الله عليه وسلم مصيبتان ، ولزم بيته وأقلّ الخروج ، ونالت منه قريش ما لم تكن تنال ولا تطعم فيه .

فبلغ ذلك أبا لهب فجاء فقال : يا محمد امضِ لما أردت ، وما كنت صانعاً إذ كان أبو طالب حيّاً فاصنعه ، لا واللّات لا يُوصَل إليك حتى أموت .
وسبّ ابنُ الغَيْطَلَة رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فأقبل إليه أبو لهب فنال منه ، فوالى يصيح : يامعشر قريش صبا أبو عتبة . فأقبلت قريش حتى وقفوا على أبي لهب فقال : ما فارقتُ دينَ عبدِ المطلب . ولكنى أ منع ابنَ أخى أن يُضامَ حتى يمضى لما يريد .

فقالوا : لقد أحسنتَ وأنجَلتَ ووصلتَ الرحم .
فمكث رسول الله صلى الله عليه وسلم كذلك أياما يأتى ويذهب لا يعرض له أحد من قريش ، وهابوا أبا لهب ، إذ جاء عقبة بن أبى مُعَيْط وأبو جهل إلى أبى لهب فقالا له : أخبرك ابنُ أخيك أين مُدْخَلُ أبيك ؟
فقال له أبو لهب : يا محمد أين مدخل عبد المطلب ؟ قال : مع قومه . فخرج إليهما فقال : قد سألتُه فقال : مع قومه .
فقالا : يزعم أنه في النار !

(١) الأصل : صغير . وهو تحريف . وما أثبتته من الوفا لابن الجوزى ٢١٠ .

فقال : يا محمد أيدخل عبد المطلب النار ؟

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ومن مات على مامات عليه عبد المطلب دخل النار .

فقال أبو لهب - لعنه الله - : والله لا برحت لك إلا عدوا ^(١) أبداً وأنت تزعم أن عبد المطلب في النار .

واشتد عند ذلك أبو لهب وسائر قريش عليه .

قال ابن إسحاق : وكان نفر الذين يؤذون رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيته : أبو لهب ، والحكم بن أبي العاص بن أمية ، وعقبة بن أبي معيط ، وعدى بن الحمراء ، وابن الأصداء الهذلي .

وكانوا جيرانه ، لم يُسلم منهم أحد إلا الحكم بن أبي العاص . وكان أحدهم ، فيما ذكر لي ، يطرح عليه رحم الشاة وهو يصلي ، وكان أحدهم يطرحها في برمته إذا نصبت له ، حتى اتخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم حجراً يستتر به منهم إذا صلى ، فكان إذا طرحوا شيئاً من ذلك يحمله على عود ثم يقف به على بابه ثم يقول : يا بني عبد مناف أي جوار هذا ؟ ! ثم يلقيه في الطريق .

قلت : وعندي أن غالب ما روى مما تقدم - من طرّحهم سلا الجزور بين كتفيه وهو يصلي ، كما رواه ابن مسعود ، وفيه أن فاطمة جاءت فطرحته عنه وأقبلت عليهم فشتمتهم ، ثم لما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا على سبعة منهم كما تقدم . وكذلك ما أخبر به عبد الله بن عمرو بن العاص من خنقهم له عليه السلام خنقاً شديداً ،

(١) ابن الجوزي : لا برحت لك عدوا ، وهي كذلك في طبقات ابن سعد .

حتى حال دونه أبو بكر الصديق قائلاً : أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله ! وكذلك عزم أبي جهل ، لعنه الله ، على أن يطاء على عنقه وهو يصلي فخيل بينه وبين ذلك ، وما أشبه ذلك - كان بعد وفاة أبي طالب والله أعلم . فذكرها ههنا أنسب وأشبه .

فصل^٦

في ذهابه عليه السلام إلى أهل الطائف يدعوهم إلى الله تعالى ، وإلى نصرته دينه ، فردوا عليه ذلك ولم يقبلوا ، فرجع عنهم إلى مكة

قال ابن إسحاق : فلما هلك أبو طالب نالت قريش من رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأذى ما لم تكن نالته منه في حياة عمه أبي طالب .
فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الطائف يلتمس من ثقيف النصرة والمنعة بهم من قومه ، ورجا أن يقبلوا منه ما جاءهم به من الله تعالى .
فخرج إليهم وحده .

فحدثني يزيد بن أبي زياد ، عن محمد بن كعب القرظي ، قال : انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الطائف ، وعمد إلى نفر من ثقيف وهم سادة ثقيف وأشrafهم وهم إخوة ثلاثة : عبد ياليل ، ومسعود ، وحبيب ، بنو عمرو بن عمير بن عوف بن عقدة بن غيرة ابن عوف بن ثقيف . وعند أحدهم امرأة من قريش من بني جُمح .

فجلس إليهم فدعاهم إلى الله وكلهم لما جاءهم له من نصرته على الإسلام والقيام معه على من خالفه من قومه ، فقال أحدهم : هو يَمْرُط ثياب الكعبة إن كان الله أرسلك . وقال الآخر : أما وجد الله أحداً أرسله غيرك ؟ وقال الثالث : والله لا أكلمك أبداً لأن كنت رسولاً من الله كما تقول لأنك أعظم خطراً من أن أرد عليك الكلام ولئن كنت تكذب على الله ما ينبغي لي أن أكلمك .

فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم من عندهم وقد يؤس من خير ثقيف ، وقد قال لهم ، فيما ذكر لي ، إذ فعلتم ما فعلتم فاكتموا عليّ . وكره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبلغ قومَه عنه فيذُثّرهم ذلك عليه .

فلم يفعلوا ، وأغروا به سفهاءهم وعبيدهم يسبّونه ويصيحون به حتى اجتمع عليه الناس وأجأوه إلى حائط لعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وهما فيه ، ورجع عنه من سفهاء ثقيف من كان يتبعه .

فعمد إلى ظل حُبلة^(١) من عنب فجلس فيه ، وابنا ربيعة ينظران إليه ويريان ما يلقى من سفهاء أهل الطائف .

وقد لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيما ذكر لي ، المرأة التي من بني جمح ، فقال لها : ماذا لقينا من أمّحائك !

فلما اطمأن قال فيما ذكر : « اللهم إليك أشكو ضَعْفَ قوَّتِي وهواني على الناس ، يا أرحم الراحمين ، أنت ربُّ المستضعفين ، وأنت ربِّي ، إلى من تكلّني ، إلى بعيدٍ يتجهّمني ، أم إلى عدوٍ ملّكته أمري ؟! إن لم يكن بك غضبٌ عليّ فلا أبالي ، ولكن عافيتك هي أوسع لي .

أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات ، وصَلِّحْ عليه أمر الدنيا والآخرة من أن تُنزل بي غضبك أو تُحِلَّ عليّ سخطك ، لك العُتْبَى حتى ترضى ، لا حول ولا قوة إلا بك » .

قال : فلما رآه ابنا ربيعة عتبة وشيبة وما لقي تحركت له رِجْهُمَا ، فدعّوا غلاماً لهما نصرانياً يقال له عدّاس [وقالاه] خذ قطعاً من هذا العنب فضعه في هذا الطبق ، ثم اذهب به إلى ذلك الرجل فقل له يأكل منه .

(١) الحبلّة : الكرمة .

فَفَعَلَ عَدَّاسٌ، ثُمَّ ذَهَبَ بِهِ حَتَّى وَضَعَهُ بَيْنَ يَدَي رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ قَالَ لَهُ كُلْ .

فَلَمَّا وَضَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدَهُ فِيهِ قَالَ : « بِسْمِ اللَّهِ » ثُمَّ أَكَلَ ، ثُمَّ نَظَرَ عَدَّاسٌ فِي وَجْهِهِ ، ثُمَّ قَالَ : وَاللَّهِ إِنْ هَذَا الْكَلَامُ مَا يَقُولُهُ أَهْلُ هَذِهِ الْبِلَادِ . فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : وَمَنْ أَهْلُ أَى بِلَادٍ أَنْتَ يَا عَدَّاسُ وَمَا دِينُكَ ؟ قَالَ : نَصْرَانِي وَأَنَا رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ نَيْنَوَى .

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : مِنْ قَرْيَةِ الرَّجُلِ الصَّالِحِ يُونُسَ بْنِ مَتَّى ؟

فَقَالَ لَهُ عَدَّاسٌ : وَمَا يَدْرِيكَ مَا يُونُسَ بْنِ مَتَّى ؟

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ذَلِكَ أَخِي كَانَ نَبِيًّا وَأَنَا نَبِيٌّ .

فَأَكَبَّ عَدَّاسٌ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْبَلُ رَأْسَهُ وَيَدِيهِ وَقَدَمِيهِ .

قَالَ : يَقُولُ ابْنَا رَبِيعَةَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ : أَمَّا غَلَامُكَ فَقَدْ أَفْسَدَهُ عَلَيْكَ .

فَلَمَّا جَاءَ عَدَّاسٌ قَالَا لَهُ : وَيْلَكَ يَا عَدَّاسُ ! مَا لَكَ تَقْبَلُ رَأْسَ هَذَا الرَّجُلِ

وَيَدِيهِ وَقَدَمِيهِ ؟

قَالَ : يَا سَيِّدِي مَا فِي الْأَرْضِ شَيْءٌ خَيْرٌ مِنْ هَذَا ، لَقَدْ أَخْبَرَنِي بِأَمْرِ مَا يَعْلَمُهُ إِلَّا نَبِيٌّ .

قَالَا لَهُ : وَيْحَكَ يَا عَدَّاسُ لَا يَصْرَفُكَ عَنْ دِينِكَ ، فَإِنْ دِينُكَ خَيْرٌ مِنْ دِينِهِ .

وَقَدْ ذَكَرَ مُوسَى بْنُ عُقْبَةَ نَحْوًا مِنْ هَذَا السِّيَاقِ ، إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يَذْكُرِ الدَّعَاءَ وَزَادَ :

وَقَعْدَ لَهُ أَهْلُ الطَّائِفِ صَقَّيْنِ عَلَى طَرِيقِهِ ، فَلَمَّا مَرَّ جَعَلُوا لَا يَرِفَعُ رَجْلِيهِ وَلَا يَضَعُهُمَا إِلَّا رَضَخَوْهَا بِالْحِجَارَةِ حَتَّى أَدْمَوْهُ ، فَخَلَصَ مِنْهُمْ وَهَمَا يَسِيلَانِ الدَّمَاءَ ، فَعَمِدَ إِلَى ظِلِّ نَخْلَةٍ

وهو مكروب ، وفي ذلك الحائط عُتْبَة وشَيْبَة ابنا ربيعة فكره مكانهما لعداوتهما
الله ورسوله .

ثم ذكر قصة عَدَّاس النصراني ، كنعو ماتقدم .

وقد روى الإمام أحمد ، عن أبي بكر ابن أبي شَيْبَة ، حدثنا مروان بن معاوية
الفزاري ، عن عبد الله بن عبد الرحمن الطائفي ، عن عبد الرحمن بن خالد بن أبي جبل
العدواني ، عن أبيه ، أنه أبصر رسول الله صلى الله عليه وسلم في مَشْرِق ثَقِيف وهو
قائم على قوس أو عصي ، حين أتاهم يبتغي عندهم النصر ، فسمعتة يقول : « والسماء
والطارق » حتى ختمها .

قال : فوعيتها في الجاهلية وأنا مشرك ، ثم قرأتها في الإسلام . قال : فدعنتي ثقيف
فقالوا : ماذا سمعت من هذا الرجل ؟ فقرأتها عليهم ، فقال من معهم من قريش : نحن
أعلم بصاحبنا ، لو كنا نعلم ما يقول حقاً لاتبعناه .

وثبت في الصحيحين ، من طريق عبد الله بن وهب ، أخبرني يونس بن يزيد ،
عن ابن شهاب قال : أخبرني عروة بن الزبير ، أن عائشة حدثته أنها قالت لرسول الله
صلى الله عليه وسلم : هل أتى عليك يوم كان أشدَّ عليك من يوم أحد ؟

قال : « ما لقيتُ من قومك كان أشدَّ منه يومُ العقبة ، إذ عَرَضْتُ نفسي على ابن
عبد ياليل بن عبد كلال فلم يجنني إلى ما أردت ، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي فلم
أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب ، فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أطلتني ، فنظرت فإذا
فيها جبريل عليه السلام ، فناداني فقال : إن الله قد سمع قول قومك لك وما ردُّوا
عليك ، وقد بعث لك ملكَ الجبال ، لتأمره بما شئتَ فيهم .

ثم ناداني ملك الجبال فسلم على ثم قال : يا محمد قد بعثني الله ، إن الله قد سمع قول

قومك لك ، وأنا ملك الجبال قد بعثني إليك ربك لتأمرني ماشئت ، إن شئت تطبق عليهم الأخشبين ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله لا يشرك به شيئا » .

فصل^٦

وقد ذكر محمد بن اسحاق سماع الجن لقراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذلك مرّجعه من الطائف حين بات بنخلة وصلى بأصحابه الصبح ، فاستمع الجن الذين صُرفوا اليه قراءته هنالك .

قال ابن إسحاق : وكانوا سبعة نفر ، وأنزل الله تعالى فيهم قوله : « وإذ صرفنا إليك نفراً من الجن » .

قلت : وقد تكلمنا على ذلك مستقصى في التفسير ، وتقدم قطعة من ذلك ، والله أعلم .

ثم دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة مرّجعه من الطائف في جوار المطعم بن عدى ، وازداد قومه عليه حنقاً وغيظاً وجرأة وتكديبا وعناداً . والله المستعان وعليه التكلان .

وقد ذكر الأموي في مغازيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث أريقط إلى الأخنس بن شريق ، فطلب منه أن يحيره بمكة ، فقال : إن حليف قريش لا يجير على صميمها .

ثم بعثه إلى سُهَيْل بن عمرو ليحيره فقال : إن بني عامر بن لؤى لا تجير على بني كعب بن لؤى .

فبعثه إلى المطعم بن عديّ ليجيره فقال : نعم ، قل له فليأت .

فذهب إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فبات عنده تلك الليلة ، فلما أصبح خرج معه هو وبنوه ستة أو سبعة ، متقلدّى السيوف جميعاً ، فدخلوا المسجد وقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : طُفّ . واحتبّوا بحمائل سيوفهم في المطاف .

فأقبل أبو سفيان إلى مطعم فقال : أمجيرٌ أو تابع ؟ قال : لا بل مجير . قال : إذا لا تُخفّر .

فجلس معه حتى قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم طوافه ، فلما انصرف انصرفوا معه . وذهب أبو سفيان إلى مجلسه .

قال : فكث أياماً ثم أذن له في الهجرة .

فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة توفي مطعم بن عدي بعده ييسير ، فقال حسان بن ثابت : والله لأرثينه . فقال فيما قال :

فلو كان مجدّدٌ مَخْلَدَ اليومِ واحداً من الناس نَحَى مجْدُهُ اليومَ مُطْعِماً
أجرتَ رسولَ الله منهم فأصبحوا عبادك مالِىَ مُحِلٌّ وأحرماً
فلو سُئِلت عنه مَعَدٌّ بأَسْرِها وقحطانُ أو باقى بَقِيَةِ جُرْها
لقالوا : هو المُوَفِّ بِخَفَرَةٍ جارِه وذمّتِ يوماً إذا ما تجشّما
وما تَطْلُعُ الشمسُ المنيرة فوقهم على مثله فيهم أعزٌّ وأكرمّا
إباء إذا يَأْبَى وألين شِمةً وأنومُ عن جارٍ إذا الليلُ أظلمّا

قلت : ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم يوم أسارى بدر : « لو كان المطعم بن عدي حياً ثم سألتني في هؤلاء النتنى ^(١) لوهبتهم له » .

(١) المطبوعة : النقباء . وهو تحريف شنيع أعان عليه كتابتها في الأصل بالألف بلا نقط والرواية كما في الوفا والمواهب : ثم كلمني في هؤلاء النتنى لأطلقهم له . وسماهم نتنى لكفرهم . كما في النهاية .

فصل

في عرض رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه الكريمة على أحياء العرب
في مواسم الحج أن يؤووه وينصروه ويمنعوه من كذبه وخالفه ،
فلم يجبه أحد منهم لما ذكره الله تعالى للأَنْصار
من الكرامة العظيمة رضى الله عنهم

قال ابن إسحاق : ثم قَدِم رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة ، وقومه أشد ما كانوا
عليه من خلافه وفراق دينه ، إلا قليلا مستضعفين من آمن به .

فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرض نفسه في المواسم ، إذا كانت ، على
قبائل العرب يدعوه إلى الله عز وجل ، ويخبرهم أنه نبي مرسل ، ويسألهم أن يصدّقوه
ويمنعوه حتى يبين عن الله مابعثه به .

قال ابن إسحاق : فحدثني من أصحابنا من لا أتهم ، عن زيد بن أسلم ، عن ربيعة
بن عباد الدؤلي^(١) ، ومن حدثه أبو الزناد عنه ، وحدثني حسين بن عبد الله بن عبيد
الله بن عباس قال : سمعت ربيعة بن عباد يحدثه أبي ، قال : إني لفلان شاب مع أبي
بمَنَى ، ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم يقف على منازل القبائل من العرب فيقول :
« يا بني فلان إني رسول الله إليكم ، أمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا ، وأن
تخلعوا ما تعبدون من دونه من هذه الأنداد ، وأن تؤمنوا بي وتصدّقوا بي ، وتمنعوني
حتى أبين عن الله مابعثني به » .

(١) ويقال فيه الديلي .

قال : وخلفه رجل أحول وضىء له غدیرتان ، عليه حُلَّةٌ عَدَنِيَّةٌ ، فإذا فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من قوله وما دعا إليه ، قال ذلك الرجل : يا بني فلان إن هذا إنما يدعوكم إلى أن تَسْلُخُوا اللات والعزى من أعناقكم وحلفاءكم من الجن من بنى مالك بن أقيش ، إلى ما جاء به من البدعة والضلالة فلا تطيعوه ولا تسمعوا منه .

قال : فقلت لأبي : يا أبت من هذا الرجل الذى يَتَّبِعُهُ ويردُّ عليه ما يقول ؟
قال : هذا عمه عبد العزى بن عبد المطلب أبو لهب .

وقد روى الإمام أحمد هذا الحديث ، عن إبراهيم بن أبي العباس ، حدثنا عبد الرحمن بن أبي الزناد ، عن أبيه أخبرنى رجل يقال له ربيعة بن عباد من بنى الدَّيْلِ ، وكان جاهلياً فأسلم ، قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الجاهلية فى سوق ذى الحِجَاز وهو يقول : « يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا » والناس مجتمعون عليه ، ووراءه رجل وضىء الوجه أحول ذو غدیرتين يقول : إنه صابىء كاذب . يتبعه حيث ذهب . فسألت عنه فقالوا : هذا عمه أبو لهب .

ورواه البيهقى ، من طريق محمد بن عبد الله الأنصارى ، عن محمد بن عمرو ، عن محمد ابن المنكدر ، عن ربيعة الدَّيْلِي : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم بسوق ذى الحِجَاز يتبع الناس فى منازلهم يدعوهم إلى الله ، ووراءه رجل أحول تَقْد وَجَنَّتاه وهو يقول : أيها الناس لا يغررَنَّكم هذا عن دينكم ودين آبائكم . قلت : من هذا ؟ قالوا هذا أبو لهب .

وكذا رواه أبو نُعَيْم فى الدلائل من طريق ابن أبي ذئب وسعيد بن سَلَمَةَ بن أبى الحُسام ، كلاهما عن محمد بن المنكدر به نحوه .

* ثم رواه البيهقى من طريق شعبة ، عن الأشعث بن سليم ، عن رجل من كنانة

قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم بسوق ذى المجاز وهو يقول : « يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا » وإذا رجل خلفه يسنفي عليه التراب ، فإذا هو أبو جهل وهو يقول : يا أيها الناس لا يغيرنكم هذا عن دينكم ، فإنما يريد أن تتركوا عبادة اللات والعزى .

كذا قال في هذا السياق : « أبو جهل » وقد يكون وهماً ، ويحتمل أن يكون تارة يكون ذا وتارة يكون ذا ، وأنهما كانا يتناوبان على إيذائه صلى الله عليه وسلم

قال ابن إسحاق : وحدثني ابن شهاب الزهري أنه عليه السلام أتى كِنْدَةَ في منازلهم وفيهم سيد لهم يقال له مُلَيْح ، فدعاهم إلى الله عز وجل وعرض عليهم نفسه فأبوا عليه .

قال ابن إسحاق : وحدثني محمد بن عبد الرحمن بن [عبد الله بن] ^(١) حصين أنه أتى كَلْبًا في منازلهم إلى بطن منهم يقال لهم بنو عبد الله ، فدعاهم إلى الله وعرض عليهم نفسه ، حتى إنه ليقول : « يا بني عبد الله إن الله قد أحسن اسمَ أبيكم » فلم يقبلوا منه ماعرض عليهم .

وحدثني بعض أصحابنا عن عبد الله بن كعب بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى بني حنيفة في منازلهم ، فدعاهم إلى الله وعرض عليهم نفسه فلم يك أحد من العرب أقبح ردًّا عليه منهم .

وحدثني الزهري أنه أتى بني عامر بن صَفْصَعة ، فدعاهم إلى الله وعرض عليهم نفسه . فقال له رجل منهم يقال له بَيْحَرَة ^(٢) بن فراس : والله لو أتى أخذت هذا الفتى

(١) من ابن هشام . (٢) الأصل بحيرة . وما أثبتته من ابن هشام والروض الأتف .

من قريش لأكلت به العرب ، ثم قال له : أرأيتَ إن نحن تابعنك على أمرك ، ثم أظهرك الله على من يخالفك أ يكون لنا الأمر من بعدك ؟

قال : « الأمر لله يضعه حيث يشاء » .

قال : فقال له : أفنهذف نحورنا للعرب دونك ، فإذا أظهرك الله كان الأمر لغيرنا !
لاحاجة لنا بأمرك . فأبوا عليه .

فلما صدر الناس رجعت بنو عامر إلى شيخ لهم قد كان أدركه السن حتى لا يقدر أن يوافي معهم المواسم ، فكانوا إذا رجعوا إليه حدثوه بما يكون في ذلك الموسم ، فلما قدموا عليه ذلك العام سألهم عما كان في موسمهم ، فقالوا : جاءنا فتى من قريش ، ثم أخذ بنى عبد المطلب ، يزعم أنه نبيٌّ يدعونا إلى أن نمنعه ونقوم معه ونخرج به إلى بلادنا .

قال : فوضع الشيخ يده على رأسه ثم قال : يا بنى عامر هل لها من تلافٍ ؟ هل لذنابها من مطلب ؟ والذى نفس فلان بيده ماتتوها إسماعيلي قط ، وإنها لحقٌّ ، فأين رأيكم كان عنكم !

وقال موسى بن عقبة عن الزهرى : فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم في تلك السنين يمرض نفسه على قبائل العرب في كل موسم ، ويكلم كل شريف قوم ، لا يسألهم مع ذلك إلا أن يؤثروه ويمنعوه ، ويقول : « لا أكره أحداً منكم على شيء ، من رضى منكم بالذى أدعوه إليه فذلك ، ومن كره لم أكرهه ، إنما أريد أن تحزرونى فيما يرادى من القتل حتى أبلغ رسالة ربى ، وحتى يقضى الله لى ولن صحبى بما شاء .

فلم يقبله أحد منهم ، وما يأتى أحداً من تلك القبائل إلا قال : قوم الرجل أعلم به ، أتروز أن رجلاً يصلحنا وقد أفسد قومه ولفظوه !

وكان ذلك مما ذخره الله للأنصار وأكرمهم به .

وقد روى الحافظ أبو نعيم من طريق عبد الله بن الأجلح ويحيى بن سعيد الأموى ، كلاهما عن محمد بن السائب الكلبي ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس ، عن العباس . قال : قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لأرى لى عندك ولا عند أخيك منعة ، فهل أنت تُخرجى إلى السوق غداً حتى نقرّ فى منازل قبائل الناس » وكانت تجتمع العرب .

قال : فقلت : هذه كِنْدَةٌ ولُقْها ، وهى أفضل من يحج البيت من اليمن ، وهذه منازل بكر بن وائل ، وهذه منازل بنى عامر بن صعصعة ، فاختر لنفسك .

قال : فبدأ بكندة فاتاهم فقال : ممن القوم ؟ قالوا : من أهل اليمن . قال : من أى اليمن ؟ قالوا : من كندة . قال : من أى كندة ؟ قالوا : من بنى عمرو بن معاوية .

قال : فهل لكم إلى خير ؟ قالوا : وما هو ؟

قال : « تشهدون أن لا إله إلا الله وتقيمون الصلاة وتؤمنون بما جاء من عند الله » .

قال عبد الله بن الأجلح : وحدثنى أبى عن أشياخ قومه ، أن كندة قالت له : إن ظفرتَ تجعل لنا الملكَ من بعدك ؟

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الملك لله يجعله حيث يشاء » .

فقالوا : لا حاجة لنا فيما جئتنا به .

وقال الكلبي : فقالوا : أجتئنا لتصدّنا عن آلهتنا ونناخذ العرب ؛ الحقّ بقومك فلا حاجة لنا بك .

فانصرف من عندهم فأتى بكر بن وائل فقال : ممن القوم ؟ قالوا : من بكر بن وائل . فقال : من أى بكر بن وائل ؟ قالوا : من بنى قيس بن ثعلبة . قال : كيف العدد ؟ قالوا : كثير مثل الثرى .

قال : فكيف المنعة ؟ قالوا : لامنعة ، جاورنا فارس ، فنحن لامتنع منهم ولا نجير عليهم .

قال : « فتجملون الله عليكم إن هو أبقاكم حتى تنزلوا منازلهم ، وتستنكحوا نساءهم ، وتستعبدوا أبناءهم أن تسبّحوا الله ثلاثا وثلاثين ، وتحمدوه ثلاثا وثلاثين ، وتكبروه أربعاً وثلاثين ؟ » .

قالوا : ومن أنت ؟

قال : أنا رسول الله . ثم انطلق .

فلما ولى عنهم ، قال الكلبي : وكان عمه أبو لهب يتبعه ، فيقول للناس لا تقبلوا قوله . ثم مر أبو لهب فقالوا : هل تعرف هذا الرجل ؟ قال : نعم ، هذا فى الذروة منا ، فعن أى شأنه تسألون ؟ فأخبروه بما دعاهم إليه وقالوا : زعم أنه رسول الله .

قال : ألا لاترفعوا برأسه قولاً ، فإنه مجنون يهذى من أم رأسه .

قالوا : قد رأينا ذلك حين ذكر من أمر فارس ماذا ؟ !

قال الكلبي : فأخبرني عبد الرحمن العامري ^(١) ، عن أشياخ من قومه قالوا : أتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن بسوق عكاظ ، فقال : ممن القوم ؟ قلنا :

(١) الأصل : المايرى . وما أثبتته من دلائل النبوة لأبى نعيم ٢٤٣ .

من بنى عامر بن صعصعة . قال : من أى بنى عامر بن صعصعة ؟ قالوا ^(١) : بنو كعب بن ربيعة . قال كيف المنعة [فيكم] ^(٢) ؟ قلنا : لا يرام ما قبلنا ، ولا يصطلى بنارنا . قال : فقال لهم : إني رسول الله ، وآتيكم لتمنعوني حتى أبلغ رسالة ربي ، ولا أكره أحداً منكم على شيء .

قالوا : ومن أى قریش أنت ؟ قال : من بنى عبد المطلب . قالوا : فأين أنت من عبد مناف ؟ قال : هم أول من كذبني وطردي .

قالوا : ولكننا لا نطردك ولا نؤمن بك ، وسنمنعك حتى تبلغ رسالة ربك .

قال : فنزل إليهم والقوم يتسوقون ، إذ أتاهم بئجرة ^(٣) بن فراس القشيري ، فقال : من هذا الرجل أراه عندكم أنكره ؟

قالوا : محمد بن عبد الله القرشي . قال : فما لكم وله ؟

قالوا : زعم لنا أنه رسول الله فطلب إلينا أن نمنعه حتى يبلغ رسالة ربه .

قال : ماذا رددتكم عليه ؟

قالوا : بالترحيب والسعة ، نخرجك إلى بلادنا ونمنعك ما نمنع به أنفسنا .

قال بئجرة ^(٣) : ما أعلم أحداً من أهل هذه السوق يرجع بشيء أشد من شيء نرجعون به ، بدائم ^(٤) لتنابدوا الناس وترميكم العرب عن قوس واحدة ، قومه أعلم به ، لو آتسوا منه خيراً لكانوا أسعد الناس به ، أتعمدون إني زهيق قد طرده قومه وكذبوه فتؤوونه وتنصرونه ؟ فبئس الرأي رأيتم .

(١) الدلائل : قلنا (٢) من الدلائل . (٣) الأصل : بئجرة . وما أثبتته عن ابن هشام والسهيلي والنضري . (٤) المطبوعة : بدائم . وهو تحريف وما أثبتته من الدلائل .

ثم أقبل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : قم فالحق بقومك ، فوالله لولا أنك عند قومي لضربت عنقك .

قال : فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ناقته فركبها ، ففمر الخبيثُ بيحرة شاكلتها فقصت برسول الله صلى الله عليه وسلم قائلته .

وعند بني عامر يومئذ ضباعة ابنة عامر بن قرط ، كانت من النسوة اللاتي أسلن مع رسول الله بمكة ، جاءت زائرة إلى بني عمها ، فقالت : يا آل عامر ، ولا عامر لي ! أيصنع هذا برسول الله بين أظهركم لا يمنعه أحد منكم !

فقام ثلاثة من بني عمها إلى بيحرة واثنين أعاناه ، فأخذ كل رجل منهم رجلاً فجلد به الأرض ثم جلس على صدره ، ثم علوا وجوههم لطاً .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اللهم بارك على هؤلاء والعن هؤلاء » .

قال : فأسلم الثلاثة الذين نصرّوه وقتلوا شهداء ، وهم : غطيف^(١) وغطفان ابنا سهل ، وعروة ، أو عذرة بن عبد الله بن سلمة . رضى الله عنهم .

وقد روى هذا الحديث بتمامه الحافظ سعيد بن يحيى بن سعيد الأموي في مغازيه ، عن أبيه به .

وهلك الآخرون وهم ؛ بيحرة بن فراس ، وحزن بن عبد الله بن سلمة بن قشير ، ومعاوية بن عباد أحد بني عقيل ، لعنهم الله لعناً كثيراً .

وهذا أثر غريب كتبناه لغرابته . والله أعلم .

وقد روى أبو نعيم له شاهداً من حديث كعب بن مالك رضى الله عنه ، في قصة عامر ابن صعصعة وقبيح ردّهم عليه .

وأغربُ من ذلك وأطولُ مارواه أبو نعيم والحاكم والبيهقي ، والسيق لأبي نعيم رحمهم الله ، من حديث أبان بن عبد الله البجلي ، عن أبان بن تغلب ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، حدثني علي بن أبي طالب ؛ قال :

لما أمر الله رسوله أن يعرض نفسه على قبائل العرب ، خرج وأنا معه وأبو بكر إلى منى ، حتى دَفَعْنَا إلى مجلس من مجالس العرب .

فتقدم أبو بكر رضى الله عنه فسلم ، وكان أبو بكر مقدماً في كل خير ، وكان رجلاً نَسَابَةً ، فقال : ممن القوم ؟ قالوا : من ربيعة .

قال : وأى ربيعة أنتم أمن هَامِهَا أم لَهَا زِمَهَا ؟ قالوا : بل من هَامِهَا العظمى .

قال أبو بكر : فمن أى هَامَتِهَا العظمى ؟ فقال : ذَهْلُ الأَكْبَرِ .

قال لهم أبو بكر : منكم عوف الذى كان يقال : لا حَرَّ بوادى عَوْف ؟ قالوا : لا .

قال : فننكم بسطام بن قيس أبو اللواء^(١) ومنتهى الأحياء ؟ قالوا : لا . قال : فننكم الحَوْفَزَانُ بن شَرِيك قاتل الملوك وسالباها أنفسها ؟ قالوا : لا .

قال : فننكم جَسَّاس بن مُرَّة بن ذُهَل ، حامى الذُّمَار ومَانِع الجَار ؟ قالوا : لا .

قال : فممنكم المُرْزَدَلَف صاحب العامة الفردة ؟ قالوا : لا .

قال : فأنتم أخوال الملوك من كِنْدَةَ ؟ قالوا : لا .

قال : فأنتم أصهار الملوك من نَحْم ؟ قالوا : لا .

قال لهم أبو بكر رضى الله عنه : فليستم بذُهَلُ الأَكْبَرِ ، بل أنتم ذَهْلُ الأصغر .

(١) دلائل النبوة لأبي نعيم : أبو الملوك .

قال: فوثب إليه منهم غلام يدعى دَغْفَل بن حنظلة الذهلي ، حين بَقَلَ وجهُهُ ، فأخذ بزمام ناقة أبي بكر وهو يقول :

إن على سائلنا أن نَسْأله والعبد لا تعرفه أو نَحْمَله

يا هذا إنك سألتنا فأخبرناك ولم نكتفك شيئاً ، ونحن نريد أن نسألك ، فمن أنت ؟
قال : رجل من قريش .

فقال الغلام : بنح بنح : أهل السؤدد والرئاسة ، قادمة العرب وهاديها ^(١) فمن أنت من قريش ؟ فقال له : رجل من بني تيم بن مُرَّة . فقال له الغلام : أمكنت والله الراحم من سواء الثغرة ! أفضنكم قصي بن كلاب الذي قتل بمكة المتغلبين عليها ، وأجلى بقيتهم وجمع قومه من كل أوب حتى أوطنهم مكة ، ثم استولى على الدار وأنزل قريشا منازلها ، فسمته العرب بذلك مُجْعَمًا ، وفيه يقول الشاعر :

أليس أبوكم كان يُدعى مُجْعَمًا به جمع الله القبائل من قُهرٍ
فقال أبو بكر : لا .

قال : فمنكم عبد مناف الذي انتهت إليه الوصايا وأبو الغطريف السادة ؟ فقال أبو بكر : لا .

قال : فمنكم عمرو بن عبد مناف هاشم ، الذي هشم الثريد لقومه ولأهل مكة ، ففيه يقول الشاعر :

عمرو العُلا هشم الثريد لقومه ورجال مكة مُسننون عجافُ
سنوا إليه الرحلتين كليهما عند الشتاء ورحلة الأضيافِ
كانت قريشُ بيضةً فتفَلقت فالبحُ خالصةٌ لعبدِ مناف

(١) الدلائل : أزمة العرب وهداتها .

الرَّائِشِينَ وَلَيْسَ يُعْرِفُ رَأْسُ^١ وَالْقَائِلِينَ هَلُمَّ لِلْأَضْيَافِ
وَالضَّارِبِينَ الْكَبْشَ يَبْرُقُ بَيْضُهُ وَالْمَانِعِينَ الْبَيْضَ بِالْأَسْيَافِ
لَهُ دَرَكٌ لَوْ نَزَلَتْ بِدَارِهِمْ مَنَعُوكَ مِنْ أَرْزُلٍ وَمِنْ إِقْرَافٍ^(١)
فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : لَا .

قال : فَمَنْكُم عَبْدُ الْمَطْبِ شَيْبَةُ الْحَمْدِ ، وَصَاحِبُ عَيْرِ مَكَّةَ ، وَمُطْعَمُ طَيْرِ السَّمَاءِ
وَالْوَحُوشِ وَالسَّبَاعِ فِي الْفَلَاحِ ، الَّذِي كَانَ وَجْهُهُ قَمَرًا يَتَلَأَلُ فِي اللَّيْلَةِ الظُّلُمَاءِ ؟ قال : لَا .
قال : أَفَمِنْ أَهْلِ الْإِفَاضَةِ أَنْتَ ؟ قال : لَا . قال : أَفَمِنْ أَهْلِ الْحِجَابَةِ أَنْتَ ؟ قال : لَا .
قال : أَفَمِنْ أَهْلِ النَّدْوَةِ أَنْتَ ؟ قال : لَا . قال : أَفَمِنْ أَهْلِ السَّقَايَةِ أَنْتَ ؟ قال : لَا .
قال : أَفَمِنْ أَهْلِ الرَّفَادَةِ أَنْتَ ؟ قال : لَا .
قال : فَمِنْ الْمُفِيزِينَ أَنْتَ ؟ قال : لَا .

ثمَّ جَذَبَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ زِمَامَ نَاقَتِهِ مِنْ يَدِهِ ، فَقَالَ لَهُ الْغَلَامُ :
صَادَفَ دَرًّا السَّيْلَ دَرًّا يَدْفَعُهُ يَهِيضُهُ حِينًا وَحِينًا يَرْفَعُهُ^(٢)
ثمَّ قَالَ : أَمَا وَاللَّهِ يَا أَخَا قُرَيْشٍ لَوْ ثَبَتَ لَخَبَرْتُكَ أَنَّكَ مِنْ زَمَعَاتِ قُرَيْشٍ وَلَسْتَ
مِنَ الذَّوَائِبِ .

قال : فَأَقْبَلَ إِلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَبَسَّمُ ، قَالَ عَلِيٌّ : فَقُلْتُ لَهُ : يَا أَبَا بَكْرٍ
لَقَدْ وَقَعْتَ مِنَ الْأَعْرَابِ عَلَى بَاقِعَةٍ^(٣) : فَقَالَ : أَجَلُ يَا أَبَا الْحَسَنِ ، إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ طَائِمَةٍ
إِلَّا وَفَوْقَهَا طَائِمَةٌ ، وَالْبَلَاءُ مُوَكَّلٌ بِالْقَوْلِ .

(١) الْأَرْزُلُ : الضَّيْقُ وَالشَّدَّةُ . وَالْإِقْرَافُ : التَّهْمَةُ .

(٢) الدَّلَائِلُ : صَادَفَ دَرًّا السَّيْلَ سَيْلًا يَدْفَعُهُ يَهِيضُهُ حِينًا وَحِينًا يَصْدَعُهُ

(٣) الْبَاقِعَةُ : الرَّجُلُ الدَّاهِيَةُ .

قال : ثم انتهينا إلى مجلس عليه السكينة والوقار ، وإذا مشايخ لهم أقدار وهيئات ، فتقدم أبو بكر فسلم . قال علي : وكان أبو بكر مقدماً في كل خير .

فقال لهم أبو بكر : ممن القوم ؟ قالوا من بنى شيبان بن ثعلبة ، فالتفت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : بأبي أنت وأمي ليس بعد هؤلاء من عزّ في قومهم . وفي رواية : ليس وراء هؤلاء عذر من قومهم ، وهؤلاء غرّ في قومهم ، وهؤلاء غرر الناس . وكان في القوم مفروق بن عمرو ، وهاني بن قبيصة ، والمثنى بن حارثة ، والنعمان بن شريك .

وكان أقرب القوم إلى أبي بكر مفروق بن عمرو ، وكان مفروق بن عمرو قد غلب عليهم بيانا ولسانا ، وكانت له غديرتان تسقطان على صدره ، فكان أدنى القوم مجلسا من أبي بكر .

فقال له أبو بكر : كيف العدد فيكم ؟ فقال له : إنا لنزيد على ألف ، ولن نغاب ألف من قلة .

فقال له : فكيف المنعة فيكم ؟ فقال : علينا الجهد ولكل قوم جدّ .

فقال أبو بكر : فكيف الحرب بينكم وبين عدوكم ؟

فقال مفروق : إنا أشدّ مانكون لقاء حين نغضب ، وإنا لنؤثر الجياد على الأولاد ، والسلاح على اللقاح ، والنصر من عند الله ، يُدِيننا مرةً ويُدِيل علينا [مرة] ^(١) ، لعلك أخو قريش ؟

فقال أبو بكر : إن كان بلغكم أنه رسول الله فهذا هو هذا .

فقال مفروق : قد بلغنا أنه يدّكر ذلك .

ثم التفت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم [فقال : إلام تدعو يا أخا قريش ؟ ^(١)]
فتقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم [فجلس وقام أبو بكر يُظله بثوبه فقال صلى الله
عليه وسلم : « أدعوكم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأناى رسول الله ،
وأن تُؤوؤنى وتنصرونى حتى أؤدّى عن الله الذى أمرنى به ، فإن قريشا قد تظاهرت
على أمر الله ، وكذّبت رسوله ، واستغنت بالباطل عن الحق ، والله هو الغنى الحميد » .
قال له : وإلام ماتدعو أيضا يا أخا قريش ؟

فتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم « قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّيَ عَلَيْكُمْ : أَلَا
تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا » إلى قوله « ذَلِكَُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ » .
فقال له مفروق : وإلام ماتدعو أيضا يا أخا قريش ؟ فوالله ما هذا من كلام أهل
الأرض ، ولو كان من كلامهم لعرفناه .

فتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِنْ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِى
الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغَى ، يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ » .
فقال له مفروق : دعوتَ والله يا أخا قريش إلى مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال ،
ولقد أفكّ قومٌ كذّبوك وظاهروا عليك .

وكانه أحبّ أن يشركه فى الكلام هانىء بن قبيصة فقال : وهذا هانىء بن قبيصة
شيخنا وصاحب ديننا .

فقال له هانىء : قد سمعتُ مقاتلك يا أخا قريش وصدّقت قولك ، وإنى أرى أن
تتركَنا ديننا واتباعنا إياك على دينك لجلّس جلسته إلينا ليس له أول ولا آخر ، لم
تتفكر فى أمرك وننظر فى عاقبة ما تدعو إليه ، زلّة فى الرأى ، وطيشة فى العقل ،

(١) سقطت من الأصل ، وأثبتها من دلائل النبوة .

وقلةُ نظر في العاقبة ، وإنما تكون الزلة مع العجلة ، وإنَّ من ورائنا قوماً نكُفُّه أن نَعْقِدَ عليهم عَقْداً . ولكن ترجعُ وترجع وتنظر وتنظر .

وكأنه أحب أن يَشْرَكَه في الكلام المثنى بن حارثة فقال : وهذا المثنى شيخنا وصاحب حربنا .

فقال المثنى : قد سمعتُ مقاتلك واستحسنيت قولك يا أخا قریش ، وأعجبني ماتكلمت به ، والجواب هو جوابُ هاني بن قبيصة ، وترَكُّنا ديننا واتباعنا إياك لمجلس جلسته إلينا ، وإنما نزلنا بين صَرَّيْن أحدهما اليمامة ، والآخر السماوة ^(١) .

فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : وما هذان الصريان ؟
فقال له : أما أحدهما فطفوف البر وأرض العرب ، وأما الآخر فأرض فارس وأنهار كسرى ، وإنما نزلنا على عهدٍ أخذَه علينا كسرى أن لا تُحْدِث حدثاً ، ولا تُؤْوِي مُحدثاً . ولعل هذا الأمر الذي تدعوننا إليه مما تكبره الملوك ، فأما ما كان مما يلي بلاد العرب فذنبُ صاحبه مغفور ، وعذره مقبول ، وأما ما كان [مما] يلي بلاد فارس فذنبُ صاحبه غير مغفور ، وعذره غير مقبول . فإن أردت أن ننصرَكَ ونمنعَكَ مما يلي العرب فَعَلْنَا .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما أسأتم الردَّ إذ أفصحتُم بالصدق ، إنه لا يقوم بدين الله إلا من حاطه من جميع جوانبه .

ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أرأيتم إن لم تلبثوا إلا يسيراً حتى يمنحكم الله بلادهم وأموالهم ويُفَرِّشَكُم بناتهم ، أنسَبِحون الله وتقدسونه ؟

فقال له النعمان بن شريك : اللهم وإن ذلك لك يا أخا قریش !
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً » .

(١) اللسان ١٩٢/١٩ : « وإنما نزلنا الصريين اليمامة والسماوة هما تشبة صرى .. وهو كل ماء مجتمع »

ثم نهض رسول الله صلى الله عليه وسلم قابضاً على يدي أبي بكر .
قال علي : ثم التفت إلينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا علي أية أخلاق
للعرب كانت في الجاهلية ، ما أشرفها ! بها يتحاجزون في الحياة الدنيا .
قال : ثم دفعنا إلى مجلس الأوس والخزرج ، فما نهضنا حتى بايعوا النبي صلى الله
عليه وسلم .

قال علي : وكانوا صدقاء صُبراء ، فسرَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم من معرفة
أبي بكر رضى الله عنه بأنسابهم .

قال : فلم يلبث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا يسيراً حتى خرج إلى أصحابه
فقال لهم : « احمدا الله كثيراً ، فقد ظفرت اليوم أبناء ربيعة بأهل فارس ، قتلوا
ملوكهم وأستباحوا عسكرهم وبى نصروا » . قال : وكانت الواقعة بقرقر إلى جنب ذى قار ،
وفيها يقول الأعشى :

فدئى لبنى ذُهل بن شيبان ناقتى وراكبها عند اللقاء وقلتِ
همُ ضربوا بالخنو خنوقراًقر^(١) مقدمة الهامُرزِ حتى تولتِ
فله عينا من رأى من فوارسٍ كذُهل بن شيبان بها حين ولتِ
فصاروا وثُرنا والمودة بيننا وكانت علينا غمرة فتجلتِ

هذا حديث غريب جداً ، كتبناه لما فيه من دلائل النبوة ومحاسن الأخلاق
ومكارم الشيم وفصاحة العرب .

وقد ورد هذا من طريق أخرى ، وفيه أنهم لما تحاربوا هم وفارس والتقوا معهم
بقرقر ، مكان قريب من الفرات ، جعلوا شعارهم اسم محمد صلى الله عليه وسلم فنصروا
على فارس بذلك ، وقد دخلوا بعد ذلك في الإسلام .

(١) الخنو : كل من عرج وكل شيء فيه اعوجاج . ويوم اخنو من أيام العرب .

وقال الواقدي : أخبرنا عبد الله بن وائصة العبسي ، عن أبيه ، عن جده قال :
جاءنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في منازلنا بمنى ، ونحن نازلون بإزاء الجمرة الأولى التي
تلى مسجد أخيف وهو على راحلته مردفا خلفه زيد بن حارثة ، فدعانا فوالله ما استجبنا
له ولا خير لنا .

قال : وقد كنا سمعنا به وبدعائه في المواسم ، فوقف علينا يدعوننا فلم نستجب له وكان
معنا ميسرة بن مسروق العبسي ، فقال لنا : أحلف بالله لو قد صدّقنا هذا الرجل وحملناه
حتى نحلّ به وسط بلادنا لكان الرأي ، فأختلف بالله ليظهرن أمره حتى يبلغ
كلّ مَبْلَغ .

فقال القوم : دَعْنَا مِنْكَ لَا تَعْرِضْنَا لِمَا لَا قِبَلَ لَنَا بِهِ .

وطمع رسول الله صلى الله عليه وسلم في ميسرة ، فكلمه ، فقال ميسرة : ما أحسن
كلامك وأنوره ، ولكن قومي يخالفونني ، وإنما الرجل بقومه ، فاذا لم يعضدوه
فالعدي أبعد .

فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم وخرج القوم صادرين إلى أهلهم . فقال
لهم ميسرة : ميلوا نأتي فذك فإن بها يهوداً نسائهم عن هذا الرجل . فقالوا إلى يهود
فأخرجوا سفراً لهم فوضعوه ثم درسوا ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم النبي الأمي
العربي يركب الحمار ويحتزئ بالكسرة ، ليس بالطويل ولا بالقصير ولا بالجعد ولا
بالسبط ، في عينيه حمرة ، مشرق اللون . فإن كان هو الذي دعاكم فأجيئوه وادخلوا في
دينه ، فإننا نحسده ولا نتبعه ، وإنا [منه] في مواطن بلاء عظيم ولا يبقى أحد من العرب
إلا اتبعه وإلا قاتله فكونوا ممن يتبعه .

فقال ميسرة : يا قوم ألا [إن] هذا الأمر بين .

فقال القوم : ترجع إلى الموسم ونلقاه فرجعوا إلى بلادهم وأبى ذلك عليهم رجالهم ، فلم يتبعه أحد منهم .

فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة مهاجرا وحجَّ حجة الوداع لقاه ميسرة فعرفه . فقال : يا رسول الله والله ما زلتُ حريصا على اتباعك من يوم أنحتَ بنا حتى كان ما كان ، وأبى الله إلا ماترى من تأخر إسلامي ، وقد مات عامة النفر الذين كانوا معي ، فأين مذخلهم يا رسول الله ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كل من مات على غير دين الإسلام فهو في النار .

فقال : الحمد لله الذي أنقذني . فأسلم وحسن إسلامه ، وكان له عند أبي بكر مكان .

وقد استقصى الإمام محمد بن عمر الواقدي فقص [خبر] القبائل واحدة واحدة فذكر عرضه عليه السلام نفسه على بني عامر وعَسَّان وبني فزارة وبني مُرَّة وبني حنيفة وبني سُليم وبني عبس وبني نَضْر بن هوازن ، وبني ثعابة بن عكابة ، وكندة وكعب وبني الحارث بن كعب وبني عُذرة وقيس بن الخطيم وغيرهم .

وسياق أخبارها مطولة ، وقد ذكرنا من ذلك طرفا صالحا والله الحمد والمنة .

وقال الإمام أحمد : حدثنا أسود بن عامر ، أخبرنا إسرائيل ، عن عثمان ، يعني ابن المغيرة ، عن سالم بن أبي الجعد ، عن جابر بن عبد الله قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم يعرض نفسه على الناس بانوقف ^(١) ، فيقول : « هل مِنْ رجلٍ يحماني إلى قومه فإن قريشا قد منعوني أن أبلغ كلامَ ربِّي عز وجل ؟ » .

(١) أى موقف الناس بعرفة .

فأتاه رجل من همدان فقال : ممن أنت ؟ قال الرجل : من همدان . قال : فهل
عند قومك من منعة ؟ قال : نعم !

ثم إن الرجل خشى أن يخفّره قومه ، فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال :
آتيهم فأخبرهم ثم آتيك من عام قابل . قال نعم .

فانطلق ، وجاء وفد الأنصار في رجب .

وقد رواه أهل السنن الأربعة من طرق ، عن إسرائيل به ، وقال الترمذى :

حسن صحيح .

فصلٌ

[فى] قدوم وفد الأنصار عاماً بعد عام حتى بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
بيعة بعد بيعة ، ثم بعد ذلك تحول إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة
فنزّل بين أظهرهم كما سيأتى بيانه وتفصيله إن شاء الله وبه الثقة .

حديث سُويّد بن صامت الأنصارى

وهو سُويّد بن الصامت بن عطية بن حوط بن حبيب بن عمرو بن عوف بن مالك
ابن الأوس وأمه ليلي بنت عمرو النجارية أخت سلمى بنت عمرو أم عبد المطلب بن هاشم .
فسُويّد هذا ابن خالة عبد المطلب جد رسول الله صلى الله عليه وسلم .
قال محمد بن إسحاق بن يسار : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك من
أمره ، كلما اجتمع الناس بالموسم أتاهم يدعو القبائل إلى الله وإلى الإسلام ، ويَعرض عليهم
نفسه وما جاء به من الهدى والرحمة ، ولا يسمع بقادم يقدّم مسكة من العرب له اسم
وشرف إلا تصدّى له ودعاه إلى الله تعالى ، وعرض عليه ما عنده .

قال ابن إسحاق : حدثنى عاصم بن عمر بن قتادة عن أشياخ من قومه . قالوا : قدم
سُويّد بن الصامت أخو بنى عمرو بن عوف مكة حاجاً أو معتمراً ، وكان سُويّد إنما
يسميه قومه فيهم الكامل لجلده وشعره وشرفه ونسبه ، وهو الذى يقول :

أَلَا رَبِّ مَنْ تَدْعُو صَدِيقًا وَلَوْ تَرَى مَقَالَتَهُ بِالْغَيْبِ سَاءَ مَا يَفْرِى
مَقَالَتُهُ كَالشَّهَادِ مَا كَانَ شَاهِدًا وَبِالْغَيْبِ مَأْثُورٌ عَلَى ثَغْرِ النَّحْرِ
يَسْرُكُ بِأَدْيِهِ وَتَحْتَ أَدِيمِهِ تَمِيمَةٌ غَشِيَتْ تَبْتَرِي عَقِبَ الظَّهِيرِ

تُبَيِّنُ لَكَ الْعَيْنَانِ مَا هُوَ كَاتَمٌ مِنْ الْغِلِّ وَالْبَغْضَاءِ بِالنَّظَرِ الشَّرِّ
فَرِشْنِي بِخَيْرٍ طَالَمَا قَدْ بَرَيْتَنِي وَخَيْرُ الْمَوَالِي مَنْ يَرِيشُ وَلَا يَبْرِي

قال : فتصدى له رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سمع به ، فدعاه إلى الله والإسلام ، فقال له سويد : فاعل الذي معك مثل الذي معي .

فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : وما الذي معك ؟ قال مجالة لقمان . يعنى حكمة لقمان .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اعرضها عليّ . فعرضها عليه ، فقال : « إن هذا الكلام حسن ، والذي معي أفضل من هذا ؛ قرآن أنزله الله عليّ هو هدى ونور » .
فتلا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن ودعاه إلى الإسلام ، فلم يبعد منه وقال : إن هذا القول حسن .

ثم انصرف عنه فقدم المدينة على قومه فلم يلبث أن قتله الخزرج ، فإن كان رجالاً من قومه ليقولون : إنا لراه قُتل وهو مسلم . وكان قتله قبل بُعث .

وقد رواه البيهقي ، عن الحاكم ، عن الأصم ، عن أحمد بن عبد الجبار ، عن يونس بن بُكير ، عن ابن إسحاق بأخصر من هذا .

إسلام إياس بن معاذ

قال ابن إسحاق : وحدثني الحَصِين بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ ، عن محمود بن لَبِيد قال : لما قدم أبو الحَيْسَر أنس بن رافع مكة ، ومعه فتية من بني عبد الأشهل ، فيهم إياس بن معاذ يلتمسون الحلف من قريش على قومهم من الخزرج ،

— سمع بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتاهم فجلس إليهم فقال : « هل لكم في خير مما جئتم له » ؟ قال قالوا : وما ذاك ؟

قال : أنا رسول الله إلى العباد ، أدعوهم إلى أن يعبدوا الله ولا يشركوا به شيئا ، وأنزل علي الكتاب . ثم ذكر لهم الإسلام وتلا عليهم القرآن .

قال : فقال إياس بن معاذ ، وكان غلاما حدثا : يا قوم هذا والله خير مما جئتم له .

فأخذ أبو الحخير أنس بن رافع حفنة من تراب البطحاء فضرب بها وجه إياس بن معاذ وقال : دعنا منك ، فلعمري لقد جئنا لغير هذا .

قال : فصمت إياس ، وقام رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهم ، وانصرفوا إلى مدينة وكانت وقعة بعث بين الأوس والخزرج .

قال ثم لم يلبث إياس بن معاذ أن هلك .

// قال محمود بن لبيد : فأخبرني من حضرني من قومه أنهم لم يزالوا يسمعون يهلل الله ويكبره ويحمده ويسبحه حتى مات ، فما كانوا يشكون أنه قد مات مساهما ، لقد كان استشعر الإسلام في ذلك المجلس حين سمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما سمع .

قات : كان يوم بعث ، وبعث موضع بالمدينة ، كانت فيه وقعة عظيمة قتل فيها خاق من أشراف الأوس والخزرج وكبرائهم ، ولم يبق من شيوخهم إلا القليل .

وقد روى البخارى في صحيحه ، عن عبيد بن إسماعيل ، عن أبي أمامة ، عن هشام ، عن أبيه عن عائشة قالت : كان يوم بعث يوماً قدمه الله لرسوله ، قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة وقد افترق ملأهم وقتل سرائهم .

باب

بدء إسلام الأنصار رضى الله عنهم

قال ابن إسحاق : فلما أراد الله إظهار دينه وإعزاز نبيه ، وإنجاز موعده ، خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في الموسم الذي لقيه فيه النفر من الأنصار ، فعرض نفسه على قبائل العرب كما كان يصنع في كل موسم .

فبينما هو عند العقبة لقي رهطاً من الخزرج أراد الله بهم خيراً .

فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة عن أشياخ من قومه . قالوا : لما لقيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهم : « من أنتم ؟ » . قالوا : نفر من الخزرج قال : أمن موالى يهود ؟ قالوا : نعم .

قال : أفلا تجلسون أكلكم ؟ . قالوا : بلى .

فجلسوا معه فدعاهم إلى الله وعرض عليهم الإسلام ، وتلا عليهم القرآن .

قال : وكان مما صنع الله بهم في الإسلام أن يهود كانوا معهم في بلادهم ، وكانوا أهل كتاب وعلم ، وكانوا هم أهل شرك أصحاب أوثان ، وكانوا قد غزوه في بلادهم ، فكانوا إذا كان بينهم شيء قالوا : إن نبياً مبعوث الآن قد أظلل زمانه نتبعه ، فنقلكم معه قتل عاد وإرم .

فلما كلم رسول الله صلى الله عليه وسلم أولئك النفر ودعاهم إلى الله ، قال بعضهم لبعض يا قوم تعلمون والله إنه النبي الذي توعدكم به يهود ، فلا يسبقنكم إليه .

فأجابوه فيما دعاهم إليه ، بأن صدقوه وقبلوا منه ما عرض عليهم من الإسلام وقبـ

إنّا قد تركنا قومنا ولا قومَ بينهم من العداوة والشر ما بينهم ، وعسى أن يجمعهم الله بك ، فسندّم عليهم فندعوهم إلى أمرك ونعرض عليهم الذى أجبتك إليه من هذا الدين ، فإن يجمعهم الله عليك فلا رجلَ أعز منك . ثم انصرفوا راجعين إلى بلادهم قد آمنوا وصدقوا .

قال ابن إسحاق : وهم فيما ذكر لى ستة نفر كلهم من الخزرج ، وهم : أبو أمامة أسعد بن زرارة بن عُدس بن عُبَيْد بن ثعلبة بن غَنَم بن مالك بن النجار .

قال أبو نعيم : وقد قيل إنه أول من أسلم من الأنصار من الخزرج .

ومن الأوس : أبو الهيثم بن التَّيَّهَان ، وقيل إن أول من أسلم رافع بن مالك ، ومعاذ ابن عفراء والله أعلم .

وعوف بن الحارث بن رفاعة بن سَوَاد بن مالك بن غَنَم بن مالك بن النجار ، وهو ابن عفراء ، النَجَّاريان ، ورافع بن مالك بن العَجَلان بن عمرو بن زُرَيْق الزُرُقِي . وقُطَيْبَة بن عامر بن حَدِيدَة بن عمرو بن غَنَم بن سَوَاد بن غَنَم بن كعب بن سلمة بن سعد بن علي بن أسد بن ساردة بن يزيد ^(١) بن جُشَم بن الخزرج السلمي ، ثم من بني سواد ، وعُقْبَة بن عامر بن نابي بن زيد بن حرام بن كعب بن سلمة السلمي أيضاً ، ثم من بني حَرَام . وجابر بن عبد الله بن رِثَاب بن النعمان بن سِنَان بن عُبَيْد بن عدى ابن غَنَم بن كعب بن سلمة السلمي أيضاً ، ثم من بني عُبَيْد رضى الله عنهم .

وهكذا روى عن الشَّعْبِي والزهرى وغيرهما أنهم كانوا ليلئذ ستة نفر من الخزرج .

وذكر موسى بن عقبة فيما رواه عن الزهرى وعروة بن الزبير أن أول اجتماعه عليه

السلام بهم كانوا ثمانية وهم : مُعَاذ بن عفراء ، وأسعد بن زُرارة ، ورافع بن مالك ،

(١) ابن هشام : يزيد بالتاء .

وَذَكْوَان ، وهو ابن عبد قيس ، وعبادة بن الصامت ، وأبو عبد الرحمن يزيد بن ثعلبة ، وأبو الهيثم بن التيهان ، وعُوَيْم بن ساعدة . فأسلّموا وواعدوه إلى قابل .
 فرجعوا إلى قومهم فدعّوهم إلى الإسلام ، وأرسلوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم معاذ بن عفراء ورافع بن مالك أن ابعث إلينا رجلاً يفقهنا .
 فبعث إليهم مُصْعَب بن عُمَيْر فنزل على أسعد بن زُرارة .
 وذكر تمام القصة كما سيوردها ابن إسحاق أتم من سياق موسى بن عقبة .
 والله أعلم .

قال ابن إسحاق : فلما قدّموا المدينة إلى قومهم ذكروا لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعّوهم إلى الإسلام ، حتى فشا فيهم فلم تَبَقْ دار من دور الأنصار إلا وفيها ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم .

حتى إذا كلن العام المقبل وافى الموسم من الأنصار اثنا عشر رجلاً وهم : أبو أمامة أسعد بن زُرارة المتقدم ذكره ، وعوف بن الحارث المتقدم ، وأخوه معاذ وهما ابنا عفراء ، ورافع بن مالك المتقدم أيضاً . وَذَكْوَان بن عبد قيس بن خَلْدَة بن مُخَلَّد بن عامر ابن زُرَيْق الزُرُقِي . قال ابن هشام : وهو أنصاري مهاجري . وعبادة بن الصامت بن قيس ابن أَصْرَم بن فِهْر بن ثعلبة بن غَنَم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج ، وحليفهم أبو عبد الرحمن يزيد بن ثعلبة بن خَزْمة بن أَصْرَم البَلَوِي ، والعباس بن عبادة بن نَضْلَة بن مالك بن العَجْلَان بن يزيد بن غَنَم بن سالم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج العَجْلَانِي ، وعقبة بن عامر بن نابي المتقدم ، وقُطَيْبَة بن عامر بن حديدة المتقدم .

فهؤلاء عشرة من الخزرج .

ومن الأوس اثنان وهما : عُوَيْم بن ساعدة ، وأبو الهيثم مالك بن التيهان .
قال ابن هشام التَّيْهَانُ يخفف ويثقل كَمِيت ومِيت .

قال السهيلي : أبو الهيثم بن التيهان اسمه مالك بن مالك بن عَتِيك بن عمرو بن عبد الأعم بن عامر بن زعور بن جُشَم بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس . قال : وقيل إنه إراشى وقيل بَلَوَى . وهذا لم ينسبه ابن إسحاق ولا ابن هشام .
قال : والهيثم فرخ العقاب ، وضرب من النبات .

والمقصود أن هؤلاء الاثنى عشر رجلاً شهدوا الموسم عامئذ ، وعزموا على الاجتماع برسول الله صلى الله عليه وسلم فلقوه بالعقبة فبايعوه عندها بيعة النساء وهي العقبة الأولى .

وروى أبو نُعَيْم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ عليهم من قوله في سورة إبراهيم « وإذ قال إبراهيمُ رَبِّ اجعل هذا البلد آمناً » إلى آخرها .

وقال ابن إسحاق : حدثني يزيد بن أبي حبيب ، عن مَرُثَد بن عبد الله اليزني ، عن عبد الرحمن بن عُسَيْلَةَ الصَّنَابِجِي ، عن عبادة ، وهو ابن الصامت ، قال : كفت ممن حضر العقبة الأولى ، وكنا اثني عشر رجلاً : فبايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على بيعة النساء ، وذلك قبل أن تُفْتَرَض الحربُ ، على ألا نشرك بالله شيئاً ، ولا نسرق ولا نزنى ولا نقتل أولادنا ، ولا نأتى بهتان نفتريه بين أيدينا وأرجلنا ، ولا نعصيه في معروف . فإن وفيتم فلکم الجنة ، وإن غشيتم من ذلك شيئاً فأمرُكم إلى الله ، إن شاء عذب وإن شاء غفر .

وقد روى البخاري ومسلم هذا الحديث من طريق الليث بن سعد ، عن يزيد بن أبي حبيب به نحوه .

قال ابن إسحاق : وذكر ابن شهاب الزهري عن عائذ الله أبي إدريس الخولاني ، أن عبادة بن الصامت حدثه قال : بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة الأولى ألاّ نشرك بالله شيئاً ، ولا نسرق ولا ننزى ولا نقتل أولادنا ، ولا نأتى بهتاناً نفتريه بين أيدينا وأرجلنا ، ولا نعصيه في معروف ، فإن وقّيتم فلکم الجنة ، وإن غشيتم من ذلك شيئاً فأخذتم بحمدّه في الدنيا فهو كفارة له ، وإن سترتم عايه إلى يوم القيامة فأمركم إلى الله إن شاء عذب وإن شاء غفر .

وهذا الحديث مخرّج في الصحيحين وغيرها من طرق عن الزهري به نحوه .
وقوله : « على بيعة النساء » يعنى على وفق ما نزلت عليه بيعة النساء بعد ذلك عام الحديبية ، وكان هذا مما نزل على وفق ما بايع عليه أصحابه ليلة العقبة . وليس هذا عجيباً ، فإن القرآن نزل بموافقة عمر بن الخطاب في غير ما موطن ، كما بيناه في سيرته وفي التفسير . وإن كانت هذه البيعة وقعت عن وحى غير متلوف هو أظهر . والله أعلم .

قال ابن إسحاق : فلما انصرف عنه القوم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم معهم مُصْعَب بن عُمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي ، وأمره أن يُقرّهم القرآن ، ويعلمهم الإسلام ويفقههم في الدين .

وقد روى البيهقي عن ابن إسحاق قال : لحدثني عاصم بن عمر بن قتادة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما بعث مصعباً حين كتبوا إليه أن يبعثه إليهم ، وهو الذي ذكره موسى بن عقبة كما تقدم ، إلا أنه جعل المرة الثانية هي الأولى .

قال البيهقي : وسياق ابن إسحاق أتم .

وقال ابن إسحاق : فكان عبد الله بن أبي بكر يقول : لأدرى ما العقبة الأولى .

ثم يقول ابن إسحاق : بلى لعمرى قد كانت عَقْبَةٌ وعَقْبَةٌ .

قالوا كلهم : فنزل مُصعبُ على أسعد بن زُرارة ، فكان يسمى بالمدينة المُقرئ .

قال ابن إسحاق : فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة أنه كان يصلي بهم ، وذلك أن الأوس والخزرج كره بعضهم أن يؤمَّه بعضُ رضى الله عنهم أجمعين .

قال ابن إسحاق : وحدثني محمد بن أبي أمامة بن سَهْل بن حُنيف ، عن أبيه ، عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك قال : كنت قائدَ أبي حين ذهب بصره ، فكنت إذا خرجت به إلى الجمعة فسمع الأذان بها صلى على أبي أمامة . أسعد بن زرارَة .

قال : فكث حيناً على ذلك ، لا يسمع لأذان الجمعة إلا صلى عليه واستغفر له .

قال : فقلت في نفسي والله إن هذا بنى لَعَجَز ، ألا أسأله ؟ فقلت : يا أبت مالك إذا سمعت الأذانَ للجمعة صليت على أبي أمامة ؟ فقال : أى بنى كان أولَ من جمع بنا بالمدينة في هَزمِ النبيت ^(١) من حَرَّةِ بنى بَياضة في بقيع يقال له : بقيع ^(٢) الخضات . قال : قلت : وكم أنتم يومئذ ؟ قال : أربعون رجلاً .

وقد روى هذا الحديث أبو داود وابن ماجه من طريق محمد بن إسحاق رحمه الله .

وقد روى الدارقطنى عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب إلى مصعب بن عمير يأمره بإقامة الجمعة ، وفي إسناده غرابة والله أعلم .

قال ابن إسحاق : وحدثني عبيد الله بن المغيرة بن مُعَيْقِب ، وعبد الله بن أبي بكر ابن محمد بن عمرو بن حَزَم ، أن أسعد بن زُرارة خرج بمصعب بن عمير يريد به دارَ بنى عبد الأشهل ودار بنى ظفر ، وكان سعد بن معاذ ابن خالة أسعد بن زرارَة ، فدخل

(١) : هزم الحرة . وهزم النبيت : جبل على يريد من المدينة . (٢) ابن هشام : بقيع وهى رواية أصوب .

به حائطا من حوائط بني ظفر على بُر يقال لها : بُر مَرَق ، فجلسا في الحائط واجتمع إليهما رجال ممن أسلم .

وسعد بن معاذ وأسيد بن الحُضَيْر يومئذ سيدا قومهما من بني عبد الأشهل ، وكلاهما مُشْرِك على دين قومه .

فلما سمعا به قال سعد لأسيد : لا أبالك ! أنطلق إلى هذين الرجلين اللذين قد أتيا دارينا لیسفها ضعفاءنا فازجرهما وانهما أن يأتيا دارينا ، فإنه لولا أسعد بن زرارة مني حيث قد علمت كفيْتُكَ ذلك ، هو ابن خالتي ولا أجد عليه مَقْدَمًا .

قال : فأخذ أسيد بن حضير حربته ثم أقبل إليهما ، فلما رآه أسعد بن زرارة قال لمصعب : هذا سيد قومه ، وقد جاءك ، فاصدُق الله فيه .
قال مصعب : إن يجلس أكله .

قال فوقف عليهما متشمتا فقال : ما جاء بكما إلينا تسفهان ضعفاءنا ؟ اعتزلانا إن كانت لكما بأنفسكما حاجة .

وقال موسى بن عقبة : فقال له غلام : أتيتكما في دارنا بهذا الرَّعِيد^(١) الغريب الطريد ليتسفه ضعفاءنا بالباطل ويدعوهم إليه .

قال ابن إسحاق : فقال له مصعب : أو تجلس فتسمع ، فإن رضيت أمراً قبلته ، وإن كرهته كفّ عنك ما تكره .

قال : أنصفت . قال : ثم ركز حربته وجلس إليهما ، فكلمه مصعب بالإسلام وقرأ عليه القرآن .

فقال فيما يذكر عنهما : والله لآعرفنا في وجهه الإسلام قبل أن يتكلم في إشراقه وتسليمه .

ثم قال : ما أحسنَ هذا وأجمله ! كيف تصنعون إذا أردتم أن تدخلوا في هذا الدين .

قالا له : تغتسل فتطهر وتطهر ثوبيك ، ثم تشهد شهادة الحق ثم تصلّى .

فقام فاغتسل وطهر ثوبيه وتشهد شهادة الحق ، ثم قام فركع ركعتين ، ثم قال لهما : إن ورأى رجلا إن اتبعكما لم يتخلف عنه أحد من قومه ، وسأرسله إليكما الآن ، سعد بن معاذ .

ثم أخذ خربته وانصرف إلى سعد وقومه ، وهم جلوس في ناديههم ، فلما نظر إليه سعد ابن معاذ مقبلا قال : أحلف بالله لقد جاءكم أسيد بغير الوجه الذي ذهب به من عندكم . فلما وقف على النادى قال له سعد : ما فعلت ؟ قال : كلمت الرجلين ، فوالله ما رأيت بهما بأسا ، وقد نهيتهما فقللا : نفعل ما أحببت . وقد حدثت أن بنى حارثة خرجوا إلى أسعد بن زراراة ليقتلوه ، وذلك أنهم عرفوا أنه ابن خالتيك ليحقروك .

قال : فقام سعد بن معاذ مغضباً مبادراً تخوفاً للذى ذكر له من بنى حارثة ، وأخذ الحربة في يده ثم قال : والله ما أراك أغنيت شيئا .

ثم خرج إليهما سعد ، فلما رآهما مطمئنين عرف أن أسيدا إنما أراد أن يسمع منهما ، فوقف متشمتا ثم قال لأسعد بن زراراة : والله يا أبا أمامة والله لولا ما بيني وبينك من القرابة ما زُمتَ هذا منى ، أنفشنا في دارنا بما نكره ؟

قال : وقد قال أسعد لمصعب : جاءك والله سيد من ورائه [من] ^(١) قومه إن يتبعك لا يتخلف عنك منهم اثنان .

قال : فقال له مصعب : أو تقعد فنسمع ، فإن رضيت أمراً رغبت فيه قبلته ، وإن كرهته عزلنا عنك ما نكره .

قال سعد : أنصفت ، ثم ركز الحربة وجلس ، فعرض عليه الإسلام وقرأ عليه القرآن .

(١) سقطت من المطبوعة . وأثبتها من أ .

وذكر موسى بن عقبة أنه قرأ عليه أول الزخرف .

قال : فعرّفنا والله في وجهه الإسلام قبل أن يتكلم ، في إشرافه وتسهيله .

ثم قال لهما : كيف تصنعون إذا أنتم أسلمتم ودخلتم في هذا الدين .

قالا : نغتسل فتطهرّ وتطهرّ ثوبيك ثم تشهد شهادة الحق ، ثم نصلّي ركعتين .

قال : فقام فاغتسل وطهرّ ثوبيه وشهد شهادة الحق ، ثم ركع ركعتين .

ثم أخذ حربته ، فأقبل عائداً إلى نادى قومه ومعه أسيد بن الحضير ، فلما رآه قومه

مقبلاً قالوا : نخلف بالله لقد رجع إليكم سعد بغير الوجه الذى ذهب به من عندهم .

فلما وقف عليهم قال : يا بنى عبد الأشهل كيف تعلمون أمرى فيكم ؟ قالوا : سيدنا

وأفضلنا رأياً وأيمننا نقيّةً .

قال : فإنّ كلام رجالكم ونساءكم على حرام حتى تؤمنوا بالله ورسوله .

قال : فوالله ما أمسى في دارِ بنى عبد الأشهل رجلٌ ولا امرأةٌ إلا مسلماً

أو مسلمة .

ورجع سعدٌ ومُصعبٌ إلى منزل أسعد بن زُرارة ، فأقاما عنده يدعوان الناس إلى

الإسلام ، حتى لم تبق دارٌ من دور الأنصار إلا وفيها رجالٌ ونساءٌ مسلمون .

إلا ما كان من دار بنى أمية بن زيد ، وخطمة ، ووائل ، وواقف ، وتلك أوس ، وهم

من الأوس بن حارثة .

وذلك أنهم كان فيهم أبو قيس بن الأسلت واسمه صَيْفَى . وقال الزبير بن بَكَّار :

سمه الحارث . وقيل عبيد الله . واسم أبيه الأسلت عامر بن جُشم بن وائل بن زيد بن

قيس بن عامر بن مُرّة بن مالك بن الأوس . وكذا نسب الكلبى أيضاً

وكان شاعراً لهم قائداً يستمعون منه ويطيعونه ، فوقف بهم عن الإسلام حتى كان

بعد الخندق .

قلت : وأبو قيس بن الأسلت هذا ذكر له ابن إسحاق أشعاراً باثية حسنة تقرّب من أشعار أمية بن [أبي] الصلت الثقفى .

قال ابن إسحاق فيما تقدم : ولما انتشر أمرُ رسول الله صلى الله عليه وسلم في العرب وبلغ البلدان ذكر بالمدينة ، ولم يكن حتى من العرب أعلم بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حين ذكر وقبل أن يذكر ، من هذا الحى من الأوس والخزرج وذلك لما كان يسمعون من أخبار يهود .

فلما وقع أمره بالمدينة وتحدّثوا بما بين قريش فيه من الاختلاف ، قال أبو قيس بن الأسلت أخو بني واقف .

قال السهلى : هو أبو قيس صرمة بن أبي أنس ، واسم أبي أنس قيس بن صرمة بن مالك بن عدى بن عمرو بن غنم بن عدى بن النجار ، قال : وهو الذى أنزل فيه وفي عمر « أحلّ لكم ليلة الصيام الرّفث إلى نساءكم ^(١) » الآية .

قال ابن إسحاق : وكان يحب قريشاً ، وكان لهم صهراً ، كانت تحتها أرنب بنت أسد ابن عبد العزى بن قصى ، وكان يقيم عندهم السنين بامراته .

قال قصيدة يعظم فيها الحرمة ، وينهى قريشاً فيها عن الحرب ، ويذكر فضلهم وأحلامهم ويذكرهم بلاء الله عندهم ودفعه عنهم الفيل وكيدته ، ويأمرهم بالكف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم :

أيا راكباً إمّا عرضت فبلّغن ^(١) مغلّة عني لوى بن غالب
رسول امرئ قد راعه ذات بينكم على النأي محزونٍ بذلك ناصب

وقد كانت عندى للهموم مُعَرَّسٌ
نُبَيْتُكُمْ شَرْجَينَ كُلِّ قَبِيلَةٍ
أَعِذْكُمْ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّ صُنْعِكُمْ
وَإِظْهَارِ أَخْلَاقٍ وَنَجْوَى سَقِيمَةٍ
فَذَكِّرْهُمْ بِاللَّهِ أَوَّلَ وَهْلَةٍ
وَقُلْ لَهُمْ وَاللَّهُ يَحْكُمُ حُكْمَهُ
مَتَى تَبْعَثُوهَا تَبْعَثُوهَا ذَمِيمَةٍ
تَقْطَعُ أَرْحَامًا وَتُهْلِكُ أُمَّةً
وَتَسْتَبْدِلُوا بِالْأَتْحَمِيَةِ بَعْدَهَا
وَبِالْمَسْكِ وَالْكَافُورِ غُبْرًا سَوَابِغًا
فَيَايَاكُمْ وَالْحَرْبَ لَا تَعْلَقَنَّكُمْ
تَرْيِنُ لِلْأَقْوَامِ ثُمَّ يَرَوْنَهَا
تَحْرِقُ لَا تَشْوَى ضَعِيفًا وَتَذْنَحِي
أَلَمْ تَقْلُوهَا مَا كَانَ فِي حَرْبٍ دَاحِسٍ
وَكَمْ ذَا أَصَابَتْ مِنْ شَرِيفٍ مُسَوَّدٍ
عَظِيمٍ رَمَادِ النَّارِ يُحْمَدُ أَمْرُهُ
وَمَاءُ هُرَيْقٍ فِي الضَّلَالِ كَأَنَّمَا
يُخْبِرُكُمْ عَنْهَا أَمْرٌ حَقُّ عَالِمٍ

وَلَمْ أَقْضِ مِنْهَا حَاجَتِي وَمَآرِي
لَهَا أَرْمَلٌ مِنْ بَيْنِ مُذْكَ وَحَاطِبٍ (١)
وَشَرٌّ تَبَاغِيكُمْ وَدَسُّ الْعِقَابِ
كَوْخِزِ الْأَشَافِي (٢) وَقَعُهَا حَقُّ صَائِبٍ
وَإِحْلَالِ أَحْرَامِ الظُّبَاءِ الشَّوَاظِ (٣)
ذَرُّوا الْحَرْبَ تَذْهَبْ عَنْكُمْ فِي الْمَرَّاحِ
هِيَ الْغُولُ لِلْأَقْصَيْنِ أَوْ لِلْأَقَارِبِ
وَتَبْرِي السَّيْفِ مِنْ سَنَامٍ وَغَارِبِ
شَلِيلًا وَأَصْدَاءَ ثِيَابِ الْحَارِبِ (٤)
كَأَنَّ قَتِيرِيهَا عَيُونُ الْجَنَادِ (٥)
وَحَوْضًا وَخَيْمَ الْمَاءِ مُرَّ الْمَشَارِبِ
بِعَاقِبَةٍ إِذْ بَيَّنَّتْ أُمَّ صَاحِبِ (٦)
ذَوَى الْعَزِّ مِنْكُمْ بِالْحُتُوفِ الصَّوَائِبِ
فَتَعْتَبِرُوا، أَوْ كَانَ فِي حَرْبٍ حَاطِبِ
طَوِيلِ الْعِمَادِ ضَيْفُهُ غَيْرُ خَائِبِ
وَذَى شَيْمَةٍ تَحْضِي كَرِيمِ الْمَضَارِبِ
أَذَاعَتْ بِهِ رِيحُ الصَّبَا وَالْجَنَائِبِ
بَأْيَامِهَا وَالْعِلْمُ عِلْمُ التَّجَارِبِ

(١) شرحين : فريقين مختلفين . والأرمل : الصوت المختلط والمذكى : موقد النار . (٢) الأشافي : جمع لاشفى وهى الخرز . (٣) الشواظ : الضامرة البطون . (٤) الأتحمية : ثياب رفاق تصنع باليمن . والشليل : درع قصيرة والأصدا : جمع صدا الحديد . (٥) القتير : حلق الدرع . والجنادب : الجراد . (٦) أم صاحب : أى عجوزا ، كأم صاحب لك .

فَبِيعُوا الْخِرَابَ مِنْهُ مُحَارِبٍ وَاذْكُرُوا
وَلِيَّ امْرئٍ فَاخْتَارَ دِينًا فَلَا يَكُنْ
أَقِيمُوا لَنَا دِينًا حَنِيفًا فَانْتُمْ
وَأَنْتُمْ لِهَذَا النَّاسِ نُورٌ وَعِصْمَةٌ
وَأَنْتُمْ إِذَا مَا حُصِّلَ النَّاسُ جَوْهَرٌ
تَصُونُونَ أَنْسَابًا ^(١) كَرَامًا عَتِيقَةً
يَرَى طَالِبُ الْحَاجَاتِ نَحْوَ بَيوتِكُمْ
لَقَدْ عَلِمَ الْأَقْوَمُ أَنَّ سَرَاتِكُمْ
وَأَفْضَلُهُ رَأْيًا وَأَعْلَاهُ سُنَّةً
فَقومُوا فَصَلُّوا رَبَّكُمْ وَتَمَسَّحُوا
فَعِنْدَكُمْ مِنْهُ بَلَاءٌ وَمَصْدَقٌ
كَتَبْتُهُ بِالسَّهْلِ تَمْشِي وَرَجُلُهُ
فَلَمَّا أَنَا كَمِ نَصْرُ ذِي الْعَرْشِ رَدَّهَمْ
فَوَلَّوْا سَرَاعًا هَارِبِينَ وَلَمْ يُؤَبِّ
فَإِنْ تَهَلَّكُوا نَهَلِكُ وَتَهَلِّكُ مَوَاسِمُ

حَسَابِكُمْ ، وَاللَّهِ خَيْرٌ مُحَاسِبٍ
عَلَيْكُمْ رَقِيبًا غَيْرُ رَبِّ الثَّوَابِ
لَنَا غَايَةٌ ، قَدْ يُهْتَدَى بِالدَّوَابِ
تُؤْمِنُونَ وَالْأَحْلَامُ غَيْرُ عَوَازِبِ
لَكُمْ سُرَّةُ الْبَطْحَاءِ تُشْمُ الْأَرَانِبِ
مَهْدَبَةُ الْأَنْسَابِ غَيْرَ أَشَانِبِ
عَصَائِبَ هَلَكَى تَهْتَدَى بِعَصَائِبِ
عَلَى كُلِّ حَالٍ خَيْرٌ أَهْلُ الْجَبَابِجِ ^(٢)
وَأَقُولُهُ لِلْحَقِّ وَسَطُ الْمَوَاقِبِ
بَارَكَانِ هَذَا الْبَيْتِ بَيْنَ الْأَخَاشِبِ
غَدَاةَ أَبِي يَكْسُومَ هَادِي الْكِتَابِ
عَلَى الْقَاذِقَاتِ فِي رِءُوسِ الْمَنَاقِبِ
جَنُودُ الْمَلِكِ بَيْنَ سَافٍ وَحَاصِبِ
إِلَى أَهْلِهِ مَلْحُجُّشٍ غَيْرُ عَصَائِبِ
يُعَاشُ بِهَا ، قَوْلُ امْرئٍ غَيْرِ كَاذِبِ

وَحَرْبِ دَاخِسِ التِّي ^(٣) ذَكَرَهَا أَبُو قَيْسٍ فِي شِعْرِهِ كَانَتْ فِي زَمَنِ الْجَاهِلِيَّةِ مَشْهُورَةً
وَكَانَ سَبَبُهَا فِيمَا ذَكَرَهُ أَبُو عُبَيْدٍ مَعْمَرُ بْنُ الْمُثَنَّى وَغَيْرُهُ : أَنَّ فَرَسًا يُقَالُ لَهَا دَاخِسُ كَانَتْ
لِقَيْسِ بْنِ زُهَيْرٍ بِنِ جُذَيْمَةَ بِنِ رَوَاحَةَ الْغَطَفَانِي ، أَجْرَاهَا ^(٤) مَعَ فَرَسٍ لِحَذِيفَةَ بْنِ بَدْرِ بْنِ عَمْرٍو

(١) ابن هشام : أجسادا . (٢) الجبابج : المنازل . (٣) الأصل : النى .

(٤) الأصل : أجراه . وفي ابن هشام بالتذكير في كل المواضع .

ابن جُوَيْبَةَ النُظْفَانِي أَيْضاً ، يقال لما الغبراء ، نجاة داحس سابقاً فأمر حذيفة من ضرب وجهها ، فوثب مالك بن زهير فلطم وجه الغبراء ، فقام حَمَلُ بن بَدْر فلطم مالكا .
ثم إن أبا جنيد العنسي لقي عوفَ بن حذيفة فقتله ، ثم لقي رجل من بني قزارة مالكا فقتله ، فشبت الحربُ بين بني عبس وقزارة ، فقتل حذيفة بن بدر وأخوه حَمَلُ ابن بدر وجماعات آخرون ، وقالوا في ذلك أشعاراً كثيرة يطول بسطها وذكرها .
قال ابن هشام : وأرسل قيس داحساً والغبراء ، وأرسل حذيفة الخطَّارَ والحنفاء ، والأول أصح .

قال : وأما حرب حاطب [فيعني حاطب] ^(١) بن الحارث بن قيس بن هَيْشَةَ بن الحارث بن أمية بن معاوية بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس ، كان قتل يهودياً جاراً للخزرج ، فخرج إليه زيد بن الحارث بن قيس بن مالك بن أحمـر بن حارثة بن ثعلبة بن كعب بن مالك بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج ، وهو الذي يقال له ابن فُسْحَم ^(٢) في نفر من بني الحارث بن الخزرج ، فقتلوه فوقعت الحرب بين الأوس والخزرج فاقتلوا قتلاً شديداً وكان الظفر للخزرج ، وقتل يومئذ الأسود ^(٣) بن الصامت الأوسى قتله المجذّر بن ذياذ حليف بني عوف بن الخزرج ، ثم كانت بينهم حروب يطول ذكرها أيضاً .

والمقصود أن أبا قيس بن الأسلت مع علمه وفهمه لم ينتفع بذلك حين قدم مصعب بن عمير المدينة ودعا أهلها إلى الإسلام ، فأسلم من أهلها بشرٌ كثير .
ولم يَبْقَ دار ، أي محلة ، من دور المدينة إلا وفيها مسلم ومسلمات ، غير دار بني واقف قبيلة أبي قيس ، ثبطهم عن الإسلام .

(١) من ابن هشام . (٢) الأصل : قسحم بالقاف . وما أثبتته عن شرح القاموس .

(٣) ابن هشام : سويد بن صامت .

وهو القائل أيضا :

أربّ الناس أشياء أَلَمْتُ يُلَفُّ الصَّعْبُ مِنْهَا بِالذَّلُولِ
أربّ الناس إِمَّا إِنْ ضَلَلْنَا فَيَسِّرُنَا لِمَعْرُوفِ السَّبِيلِ
فلولا ربُّنا كنّا يهوداً وما دينُ اليهودِ بذى شُكُولِ
ولولا ربنا كنّا نصارى مع الرهبانِ فى جَبَلِ الْجَلِيلِ
ولكنّا خُلِقْنَا إِذْ خُلِقْنَا حَنِيفًا دِينُنَا عَنْ كُلِّ جِيلِ
تَسُوقُ الْهَدَى تَرْسُفُ مُذْنَعَاتِ مَكشَفَةَ الْمَنَاقِبِ فى الْجُلُولِ

وحاصل مايقول : أنه حائر فيما وقع من الأمر الذى قد سمعه من بعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتوقّف الواقفُ فى ذلك مع علمه ومعرفته .

وكان الذى تَبَطَّه عن الإسلام أولاً عبدُ الله بن أبى بن سَلُول بعدما أخبره أبو قيس أنه الذى بَشَّرَ [به] يهود فنعه عن الإسلام .

قال ابن إسحاق : ولم يُسَلِّمْ إلى يوم الفتح هو وأخوه وخرج .

وأنكر الزبير بن بَكَّار أن يكون أبو قيس أسلم . وكذا الواقدى . قال :

كان عزم على الإسلام أولَ ما دعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلأمه عبدُ الله بن أبى فخلفَ لا يُسَلِّمْ إلى حَوَلٍ ، فمات فى ذى القعدة .

وقد ذكر غيره فيما حكاه ابن الأثير فى كتابه [أسد] الغابة ؛ أنه لما حضره الموتُ

دعاه النبي صلى الله عليه وسلم إلى الإسلام فسمع يقول : لا إله إلا الله .

وقال الإمام أحمد : حدثنا حسن بن موسى ، حدثنا حماد بن سلمة ، عن ثابت ،

عن أنس بن مالك ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عادر رجلاً من الأنصار ، فقال :

« يا خالِ قُلْ لا إله إلا الله » فقال : أخالُ أم عم ؟ قال : بل خالُ . قال : نغشيرُ لى أن

أقول لا إله إلا الله ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نعم .

تفرد به أحمد رحمه الله .

وذكر عكرمة وغيره أنه لما توفي أراد ابنه أن يتزوج امرأته كيشة بنت معن بن عاصم ، فسألت رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك ، فأنزل الله « ولا تنكحوا ما نكح آبائكم من النساء ^(١) » الآية .

وقال ابن إسحاق وسعيد بن يحيى الأموى فى مغازيه : كان أبو قيس هذا ترهب فى الجاهلية وليس المسوح ، وفارق الأوثان ، واغتسل من الجنابة ، وتطهر من الحائض من النساء ، وهم بالنصرانية ثم أمسك عنها ، ودخل بيتا له فأتخذه مسجداً لا يدخل عليه فيه حائض ولا جنب ، وقال : أعبد إله إبراهيم ، حين فارق الأوثان وكرهها .
حتى قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم فحسن إسلامه .

وكان شيخا كبيرا ، وكان قوَّالا بالحق معظما لله فى جاهليته ، يقول فى ذلك أشعاراً حسناً ، وهو الذى يقول :

يقول أبو قيس وأصبح غادياً	ألا ما استطعتم من وصاتي فافعلوا
فأوصيكم بالله والبر والتقى	وأعرضكم ، والبر بالله أول
وإن قومكم سادوا فلا تحسدنهم	وإن كنتم أهل الرياسة فاعدلوا
وإن نزلت إحدى الدواهي بقومكم	فأنفسكم دون العشيرة فاجعلوا
وإن ناب غرم فادح فارقوهم	وما حملوكم فى الملمات فاحملوا
وإن أنتم أمعزتم ^(٢) فتمعفوا	وإن كان فضل الخير فيكم فأفضلوا

وقال أبو قيس أيضا :

سبحوا الله شرق كل صباح طلعت شمسهُ وكل هلال

(١) سورة النساء ٢٢ . (٢) أمعزتم : أصابتكم شدة .

عالم السرِّ والبيانِ جميعاً^(١) ليس ما قال ربنا بضلالٍ
 وله الطيرُ تستزيدُ وتأوى في وكورٍ مِنْ آمِناتِ الجبالِ
 وله الوحشُ بالفلاة تراها في حَقَافٍ^(٢) وفي ظلالِ الرمالِ
 وله هودتِ يهودُ ودانتِ كلَّ دينٍ مخافةً من عُضالٍ^(٣)
 وله شمسُ النصرى وقاموا كلَّ عيدٍ لربِّهم واحتفالِ
 وله الراهبُ الحبيسُ تراه رَهْنَ بُوسٍ وكان أنعمَ^(٤) بالِ
 يا بَنِي الأرحامِ لا تقطعوها وصلوها قصيرةً مِنْ طَوَالِ
 واتقوا الله في ضعافِ اليتامى ربما يُستَحِلُّ غيرُ الحلالِ
 واعلموا أَنَّ لليتيم وليّاً عائلاً يَهْتَدِي بغيرِ سؤالِ
 ثم مالَ اليتيم لا تأكلوه إنَّ مالَ اليتيم يرعاه والى
 يا بَنِي التَّخومِ لا تخزلوها إنَّ خَزَلَ التَّخومِ ذو عُقالٍ^(٥)
 يا بَنِي الأيامِ لا تَأْمَنُوها واحذروا مكرها ومرَّ الليالِ
 واعلموا أَنَّ مرَّها^(٦) لنفادِ الحَقِّ ما كان مِنْ جَدِيدٍ وبالى
 واجمعوا أمرَكم على البرِّ والنقَّةِ وى وتركِ الخفَا وأخذِ الحلالِ
 قال ابن إسحاق : وقال أبو القيسِ صِرْمَةُ أَيْضاً يَذْكُرُ مَا أكرمهم الله به من
 لإسلام ، وما خصهم به من نزول رسول الله صلى الله عليه وسلم عندهم :
 ثوى في قریشٍ بضعَ عشرةَ حِجَّةً يَذْكُرُ لو يَأْتِي صَدِيقاً موافياً
 وسيأتى ذكرها بتمامها فيما بعد إن شاء الله وبه الثقة .

(١) ابن هشام : لدينا . (٢) الحَقَاف : جمع حَقَف : وهو المَوْج من الرمل أو المستدير منه .
 (٣) ابن هشام : إذا ذكرت عُضال . (٤) ابن هشام . ناعم بال . (٥) التَّخوم : الحدود .
 وتخزلوها : تقطعوها والعقال ما يمنع الرجل من المشى . (٦) الأصل : أمرها . وما أنبته عن ابن هشام .

قصة بيعة العقبة الثانية

قال ابن إسحاق : إن مُضْعَب بن عُمَيْر رَجَعَ إلى مَكَّة ، وخرج من خُرج من الأنصار من المسلمين مع حجاج قومهم من أهل الشرك ، حتى قَدِمُوا مَكَّة فَوَاعَدُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْعُقْبَةَ مِنْ أَوَاسِطِ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ ، حين أَرَادَ اللَّهُ بِهِمْ مِنْ كَرَامَتِهِ وَالنَّصْرَ لِنَبِيِّهِ وَإِعْزَازِ الْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ [وَإِذْلالِ الشُّرْكِ وَأَهْلِهِ] ^(١) .

فحدثني مَعْبَد بن كعب بن مالك ، أن أخاه عبد الله بن كعب ، وكان من أعلم الأنصار ، حدثه أن أباه كعباً حدثه ، وكان ممن شهد العقبة وبايع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بها ، قال :

خرجنا في حُجَّاجٍ قَوْمِنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ، وَقَدْ صَلَّيْنَا وَفَقِهْنَا . وَمَعَنَا الْبَرَاءُ بْنُ مَعْرُورٍ سَيِّدُنَا وَكَبِيرُنَا ، فَلَمَّا وَجَّهْنَا لِسَفَرِنَا وَخَرَجْنَا مِنَ الْمَدِينَةِ قَالَ الْبَرَاءُ : يَا هَؤُلَاءِ إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ رَأْيَا ، وَاللَّهِ مَا أَدْرِي أَتَوَافِقُونَنِي عَلَيْهِ أَمْ لَا ؟ قُلْنَا : وَمَا ذَاكَ ؟ قَالَ : قَدْ رَأَيْتُ أَنْ لَا أَدْعَ هَذِهِ الْبَنِيَّةَ مِنِّي بظُهر ، يَعْنِي الْكَعْبَةَ ، وَأَنْ أَصَلِّيَ إِلَيْهَا .

قال : فَقُلْنَا وَاللَّهِ مَا بَلَّغْنَا أَنْ نَبَيَّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَصَلِّيَ إِلَّا إِلَى الشَّامِ ، وَمَا نُرِيدُ أَنْ نَخَالَفَهُ .

فَقَالَ : إِنِّي لَمَصَلٍّ إِلَيْهَا . قَالَ : فَقُلْنَا لَهُ : لَكُنَّا لَا نَفْعَلُ .

قال : فَسَكْنَا إِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ صَلَّيْنَا إِلَى الشَّامِ وَصَلَّى هُوَ إِلَى الْكَعْبَةِ ، حَتَّى قَدِمْنَا مَكَّةَ [قَالَ : وَقَدْ كُنَّا عَيْنًا عَلَيْهِ مَا صَنَعَ وَأَبَى إِلَّا الْإِقَامَةَ عَلَى ذَلِكَ . فَلَمَّا قَدِمْنَا

مكة^(١) قال لي : يا بن أخي انطلق بنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أسأله عما صنعتُ في سفرى هذا ، فإنه قد وقع في نفسى منه شيء ، لِمَا رأيت من خلافكم إيايَ فيه .

قال : فخرجنا نسأل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكنا لا نعرفه ولم نره قبل ذلك ، فلقينا رجلاً من أهل مكة فسألناه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : هل تعرفانه ؟ فقلنا : لا . فقال : هل تعرفان العباس بن عبد المطلب عمه ؟ قال : قلنا : نعم . وقد كنا نعرف العباس ، كان لا يزال يقدّم عابنا تاجراً ، قال : فإذا دخلتما المسجد فهو الرجل الجالس مع العباس .

قال : فدخلنا المسجد ، وإذا العباس جالس ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس معه فسألنا ثم جلسنا إليه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للعباس : هل تعرف هذين الرجاين يا أبا الفضل ؟ قال : نعم ، هذا البراء بن معرور سيد قومه ، وهذا كعب بن مالك .

قال : فوالله ما أنسى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : الشاعر ؟ قال : نعم ؟ فقال له البراء بن معرور : يا نبي الله ، إني خرجت في سفرى هذا قد هدانى الله تعالى للإسلام ، فرأيت ألا أجعل هذه البديّة منى بظّهر ، فصليتُ إليها ، وقد خالفنى أصحابى في ذلك ، حتى وقع في نفسى من ذلك شيء ، فماذا ترى ؟ قال : « قد كنت على قبلة لو صبرت عليها » .

قال : فرجع البراء إلى قبلة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فصلى معنا إلى الشام .

(١) من ابن هشام .

قال : وأهلُه يزعمون أنه صلى إلى الكعبة حتى مات ، وليس ذلك كما قالوا ، نحن أعلم به منهم .

قال كعب بن مالك : ثم خرجنا إلى الحج وواعدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم العقبة من أوسط أيام التشريق ، فلما فرغنا من الحج وكانت الليلة التي واعدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها ، ومعنا عبد الله بن عمرو بن حرام أبو جابر ، سيدنا من سادتنا أخذناه ، وكنا نكتم من معنا من قومنا من المشركين أمرنا ، فكلمناه وقلنا له : يا أبا جابر إنك سيدنا من سادتنا وشريف من أشرافنا ، وإنا نرغب بك عما أنت فيه أن تكون خطيباً للنار غداً . ثم دعواناه إلى الإسلام ، وأخبرناه بميعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم إيانا بالعقبة . قال : فأسلم وشهد معنا العقبة وكان نقيبا .

وقد روى البخارى ، حدثني إبراهيم ، حدثنا هشام ، أن ابن جريج أخبرهم ، قال عطاء ، قال جابر : أنا وأبي وخالاي^(٢) من أصحاب العقبة . قال عبد الله بن محمد : قال ابن عيينة : أحدهما^(٢) البراء بن معرور . حدثنا علي بن المديني ، حدثنا سفيان ، قال كان عمرو يقول : سمعت جابر بن عبد الله يقول : شهد بي خالاي العقبة .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرزاق ، أخبرنا معمر ، عن ابن خثيم ، عن أبي الزبير عن جابر قال : مكث رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة عشر سنين يتبع الناس في منازلهم ، عكاظ^(١) ومجبة ، في المواسم ، يقول : « من يؤويني ؟ من ينصرني ؟ حتى أبلغ رسالة ربي وله الجنة » فلا يجد أحداً يؤويه ولا ينصره ، حتى إن الرجل ليخرج من اليمن

(١) المسند : بمكاظ . (٢) الأصل : « خالي » و « أحدهم » وما أثبتته من صحيح البخارى .

أو من مضر ، كذا قال فيه ، فيأتيه قومه وذوو رحمة فيقولون : احذر غلام قريش لا يفتنك .
ويعطى بين رحالهم وهم يشيرون إليه بالأصابع .

حتى بعثنا الله إليه من يثرب فأوفياه وصدقناه ، فيخرج الرجل منا فيؤمن به ويقرئه
القرآن فينقلب إلى أهله فيسلمون بإسلامه ، حتى لم تبق دار من دور الأنصار إلا وفيها
رهط من المسلمين يظهمرون الإسلام .

ثم ائتمروا جميعاً فقلنا : حتى متى نترك رسول الله صلى الله عليه وسلم يطوف^(١)
ويطرد في جبال مكة ويخاف ؟

فرحل إليه منا سبعون رجلاً حتى قدموا عليه في الموسم ، فواعدناه شعب
العقبة ، فاجتمعنا عندها من رجل ورجلين حتى توافينا فقلنا : يا رسول الله
علام نباعك ؟

قال : « تباعون على السمع والطاعة في النشاط والكسل ، والنفقة في العسر
واليسر ، وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وأن تقولوا في الله لا تخافوا في
الله لومة لائم ، وعلى أن تنصروني فتمنعوني إذا قدمت عليكم مما تمنعون منه أنفسكم
وأزواجكم وأبنائكم ولحكم الجنة ، فقمنا إليه [فبايعناه^(٢)] وأخذ بيده أسعد بن زرارة
وهو من أصغرهم . وفي رواية البيهقي : وهو أصغر السبعين إلا أنا ، فقال : رويداً
يا أهل يثرب ، فإننا لم نضرب إليه أكتاب إلا بل إلا ونحن نعلم أنه رسول الله ، وإن
إخراجه اليوم مناواة للعرب كافةً وقتل خياركم و [أن^(٣)] تعضكم السيوف ، فإما أنتم
قوم تصبرون على ذلك ، نخذوه وأجركم على الله ، وأما أنتم قوم تخافون من أنفسكم
خيفة^(٤) فذرّوه ، فبيّتوا ذلك فهو أعذر لكم عند الله .

(١) ليست في المسند . (٢) من المسند . (٣) المسند : جنة . أى جينا .

قالوا أمِطُ^(١) عنا يا أسعد ، فوالله لا ندع هذه البيعة ولا نسلبها أبداً .

قال : فقمنا إليه فبايعناه وأخذ علينا وشرط ويعطينا على ذلك الجنة .

وقد رواه الإمام أحمد أيضاً والبيهقي من طريق داود بن عبد الرحمن العطار .

زاد البيهقي عن الحاكم ، بسنده إلى يحيى بن سليم ، كلاهما عن عبد الله بن عثمان بن خثيم ، عن أبي إدريس به نحوه .

وهذا إسناد جيد على شرط مسلم ولم يخرجوه .

وقال البرّار : وروى غير واحد عن ابن خثيم ، ولا نعلمه يُروى عن جابر إلا من

هذا الوجه .

وقال الإمام أحمد : حدثنا سليمان بن داود ، حدثنا عبد الرحمن بن أبي الزناد ، عن موسى بن عبد الله ، عن أبي الزبير ، عن جابر ، قال : كان العباس آخذاً بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم ورسولُ الله يواثقنا ، فلما فرغنا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أَخَذْتُ وَأَعْطَيْتُ .

وقال البرّار : حدثنا محمد بن مَعْمَر ، حدثنا قُبَيْصَة ، حدثنا سفيان ، هو الثوري ، عن جابر ، يعني الجُعْفَى ، عن داود ، وهو ابن أبي هند ، عن الشَّعْبَى ، عن جابر ، يعني ابن عبد الله ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للقباء من الأنصار : « تَوَوَّنِي وَتَمْنَعُونِي ؟ » قال : نعم . قالوا : فما لنا ؟ قال : « الجنة » . ثم قال : لا نعلمه يُروى إلا بهذا الإسناد عن جابر .

ثم قال ابن إسحاق عن مَعْبَد ، عن عبد الله ، عن أبيه كعب بن مالك ، قال : فَمِنْهُمَا تِلْكَ اللَّيْلَةُ مَعَ قَوْمِنَا فِي رِحَالِنَا ، حَتَّى إِذَا مَضَى ثَلَاثُ اللَّيْلِ خَرَجْنَا مِنْ رِحَالِنَا لِمِيعَادِ رَسُولِ

(١) الأصل : أبط . وهو تحريف . وما أثبتته من المسند .

الله صلى الله عليه وسلم تتسأل تسأل القطا مستخفين ، حتى اجتمعنا في الشعب عند العقبة ، ونحن ثلاثة وسبعون رجلا ، ومعنا امرأتان من نساءنا نسيبة بنت كعب أم عمارة إحدى نساء بني مازن بن النجار ، وأسماء ابنة عمرو بن عدى بن نابتى إحدى نساء بني سلمة ، وهى أم منيع .

وقد صرح ابن إسحاق فى رواية يونس بن بكير عنه بأسمائهم وأنسابهم وما ورد فى بعض الأحاديث أنهم كانوا سبعين ، والعرب كثيراً ما تحذف الكسرة .

وقال عروة بن الزبير وموسى بن عقبة : كانوا سبعين رجلا وامرأة واحدة . قال : منهم أربعون من ذوى أسنانهم ، وثلاثون من شبابهم . قال : وأصغرهم أبو مسعود وجابر بن عبد الله .

قال كعب بن مالك : فلما اجتمعنا فى الشعب ننتظر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جاءنا ومعه العباس بن عبد المطلب ، وهو يومئذ على دين قومه إلا أنه أحب أن يخضر أمر ابن أخيه ويتوثق له .

فلما جلس كان أول متكلم العباس بن عبد المطلب فقال : يامعشر الخزرج - قال : وكانت العرب إنما يسمون هذا الحى من الأنصار الخزرج ، خزرجها وأوسها - إن محمداً منا حيث قد علمتم ، وقد منعناه من قومنا ممن هو على مثل رأينا فيه ، فهو فى عزة من قومه ومنعة فى بلده ، وإنه قد أبى إلا الانحياز إليكم والحق بكم ، فإن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتوه إليه وما نعوه ممن خالفه فأنتم وما تحملتم من ذلك ، وإن كنتم ترون أنكم مسأوه وخاذلوه بعد الخروج إليكم فمن الآن فدعوه ، فإنه فى عزة ومنعة من قومه وبلده .

قال : فقلنا له : قد سمعنا ما قلت ، فتكلم يارسول الله نخذ لنفسك ولربك ما أحببت .

قال : فتكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتلا القرآن ودعا إلى الله ورغب في الإسلام ، قال : « أبايعكم على أن تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم » .

قال : فأخذ البراء بن معرور بيده [و] قال : نعم ، فوالذي بعثك بالحق لنمنعك مما تمنع منه أئزنا^(١) ، فبايعنا يا رسول الله فنحن والله أبناء الحروب ورثناها كابراً عن كابر .

قال : فاعترض القول ، والبراء يكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أبو الهيثم بن التيهان فقال : يا رسول الله إن بيننا وبين الرجال حبلاً وإنا قاطعوها ، يعني اليهود ، فهل عسيت إن فعلنا ذلك ثم أظهرك الله أن ترجع إلى قومك وتدعنا ؟

قال : فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال : « بل الدّم الدم ، والهذم الهذم ، أنا منكم وأنتم مني ، أحارب من حاربتم وأسلم من سلمتم » .

قال كعب : وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أخرجوا إلىّ منكم اثني عشر نقيياً ، يكونون على قومهم بما فيهم » .

فأخرجوا منهم اثني عشر نقيياً ، تسعة من الخزرج وثلاثة من الأوس .

قال ابن إسحاق : وهم : أبو أمامة أسعد بن زُرارة المتقدم ، وسعد بن الربيع بن عمرو بن أبي زهير بن مالك بن امرئ القيس بن مالك بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج ابن الحارث بن الخزرج ، وعبد الله بن رواحة [بن ثعلبة]^(٢) بن امرئ القيس بن مالك بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج ، ورافع بن مالك بن العجلان المتقدم ، والبراء بن معرور بن صخر بن خنساء بن سنان بن عبيد بن عدى ابن غنم بن كعب بن سلمة بن سعد بن علي بن أسد بن ساردة بن تزريد بن جشم بن

(١) أئزنا : نساءنا . والعرب تكئ بالإزار عن المرأة وتكئ به عن النفس أيضاً .

(٢) من ابن هشام .

الخزرج ، وعبد الله بن عمرو بن حرام بن ثعلبة بن حرام بن كعب بن غنم بن كعب بن سلمة ، وعبادة بن الصامت المتقدم ، وسعد بن عبادة بن دُكَيْم بن حارثة بن [أبي] خزيمة^(١) بن ثعلبة بن طريف بن الخزرج بن ساعدة بن كعب بن الخزرج ، والمنذر بن عمرو بن خنيس بن حارثة بن لؤذان بن عبدود بن زيد بن ثعلبة بن الخزرج بن ساعدة بن كعب بن الخزرج .

فهؤلاء تسعة من الخزرج .

ومن الأوس ثلاثة وهم : أسيد بن حضير بن سَمَّاك بن عَتِيك بن رافع بن امرئ القيس بن زيد بن عبد الأشهل بن جُشم بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس ، وسعد بن خيثمة بن الحارث بن مالك بن كعب بن النجَّاط بن كعب بن حارثة ابن غنم بن السلم بن امرئ القيس بن مالك بن الأوس ، ورفاعة بن عبد المنذر بن زُنَيْر^(٢) بن زيد بن أمية بن زيد بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك ابن الأوس .

قال ابن هشام : وأهل العلم يعدُّون فيهم أبا الهيثم بن التَّيْهَان بدل رفاعة هذا ، وهو كذلك في رواية يونس عن ابن إسحاق ، واختاره السُّهَيْلِي وابن الأثير في القابَة .

ثم استشهد ابن هشام على ذلك بما رواه عن أبي زيد الأنصاري فيما ذكره من شعر كعب بن مالك في ذِكْرِ النُّقَبَاء الاثني عشر هذه الليلة ، ليلة العقبة الثانية ، حين قال :
أبلغُ أَيْبً أَنَّهُ قَالَ^(٣) رَأْيُهُ وَحَانَ غَدَاةُ الشَّعْبِ وَالْحَيْنُ وَقَعُ
أَبَى اللَّهِ مَا مَنَنْتُكَ نَفْسُكَ إِنَّهُ بِمَرْصَادِ أَمْرِ النَّاسِ رَاءَ وَسَامِعُ

(١) في غريب السيرة لأبي ذر : ابن أبي خزيمة . (٢) الاستيعاب : ابن زبير .

(٣) قال : بطل .

وأبلغ أبا سفيان أن قد بدّالنا
فلا ترغبني في حشدٍ أمرٍ تريده
ودونك فاعلم أن تقضَ عهدنا
أباه البراء وابن عمرو كلاهما
وسعدُ أباه الساعديُّ ومُنذرٌ
وما ابن ربيع إن تناولتَ عهده
وأيضاً فلا يعطيكه ابن رَوَاحِةٍ
وفاءً به والقوقلى ابن صامتٍ
أبو هيثمٍ أيضاً وفيّ بمثلها
وما ابن حُضَيْرٍ إن أردتَ بمطْمَعٍ
وسعدُ أخو عمرو بن عوفٍ فإنه
أولئك نجومٌ لا يُفِيكُ منهم
قال ابن هشام : فذكر فيهم أبا الهيثم بن التيهان، ولم يذكر رفاعه .

قلت : وذكر سعد بن معاذ وليس من النقباء بالكلية في هذه الليلة .

وروى يعقوب بن سفيان ، عن يونس بن عبد الأعلى ، عن ابن وهب ، عن مالك
قال : كان الأنصار ليلة العقبة سبعين رجلاً ، وكان نقباؤهم اثني عشر نقيباً ، تسعة من
الخزرج وثلاثة من الأوس .

وحدثني شيخ من الأنصار أن جبرائيل كان يشير إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
إلى من يجعله نقيباً ليلة العقبة ، وكان أسيد بن حُضَيْرٍ أحد النقباء تلك الليلة .

رواه البيهقي .

وقال ابن إسحاق : فحدثني عبد الله بن أبي بكر ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للنقباء : أنتم على قومكم بما فيهم كفلاء ككفالة الحوارين لعيسى بن مريم ، وأنا كفيل على قومي . قالوا : نعم .

وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة ، أن القوم لما اجتمعوا لبيعة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال العباس بن عباد بن نضلة الأنصاري أخو بني سالم بن عوف : يامعشر الخزرج هل تدرون علام تبائعون هذا الرجل ؟ قالوا : نعم .

قال : إنكم تبائعونه على حرب الأحمر والأسود من الناس ، فإن كنتم ترون أنكم إذا أنهكت أموالكم مصيبة وأشرافكم قتلاً أسلمتموه ، فمن الآن ، فهو والله إن فعلتم خزي الدنيا والآخرة ، وإن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه إليه على نهكة الأموال وقتل الأشراف فخذوه ، فهو والله خير الدنيا والآخرة .

قالوا : فإننا نأخذه على مصيبة الأموال وقتل الأشراف ، فאלنا بذلك يارسول الله إن نحن وفينا ؟

قال : « الجنة » .

قالوا : ابسط يدك . فبسط يده فبايعوه .

قال عاصم بن عمر بن قتادة : وإنما قال العباس بن عباد ذلك ليشد العقد في أعناقهم .

وزعم عبد الله بن أبي بكر أنه إنما قال ذلك ليؤخر البيعة تلك الليلة ، رجاء أن يحضرها عبد الله بن أبي بن سلول سيد الخزرج ، ليكون أقوى لأمر القوم . فآله أعلم أي ذلك كان .

قال ابن إسحاق : فبنوا النجار يزعمون أن أبا أمانة أسعد بن زرارة كان أول من ضرب على يده . وبنو عبد الأشهل يقولون : بل أبو الهيثم بن التيهان .

قال ابن إسحاق : وحدثني معبد بن كعب ، عن أخيه عبد الله ، عن أبيه كعب بن مالك قال : فكان أول من ضرب على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم البراء بن معرور ، ثم بايع القوم .

وقال ابن الأثير في الغابة : وبنو سلمة يزعمون أن أول من بايعه ليلئذ كعب بن مالك .

وقد ثبت في صحيح البخارى ومسلم من حديث الزهري عن عبد الرحمن بن عبد الله ابن كعب ، عن أبيه عن كعب بن مالك في حديثه حين تخلف عن غزوة تبوك . قال : ولقد شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة حين تواقنا على الإسلام وما أحب أن لى بها مشهد بدر ، وإن كانت بدر أكثر^(١) في الناس منها .

وقال البيهقي : أخبرنا أبو الحسين بن بشران ، أخبرنا عمرو بن السماك ، حدثنا حنبل بن إسحاق ، حدثنا أبو نعيم ، حدثنا زكريا بن أبي زائدة ، عن عامر الشعبي قال : انطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم مع العباس عمه إلى السبعين من الأنصار عند العقبة تحت الشجرة ، فقال : ليتكلم متكلمكم ولا يُطل الخطبة فإن عليكم من المشركين عينا ، وإن يعلموا بكم يفضحوك .

فقال قائلهم ، وهو أبو أمانة : سل يا محمد لربك ما شئت ، ثم سل لنفسك بعد ذلك ما شئت ، ثم أخبرنا ما لنا من الثواب على الله وعليكم إذا فعلنا ذلك .

(١) البخارى : بدر أذكر . وفي المطبوعة : بدرا كثير . تحريف .

قال : أسألكم لربي أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً ، وأسألكم لنفسي وأصحابي أن تؤوونا وتنصرونا وتمنعونا مما تمنعون منه أنفسكم .

قالوا : فما لنا إذا فعلنا ذلك .

قال : لكم الجنة .

قالوا : فلك ذلك ؟

ثم رواه حنبل عن الإمام أحمد ، عن يحيى بن زكريا ، عن مجالد ، عن الشعبي ، عن أبي مسعود الأنصاري ، فذكره قال : وكان أبو مسعود أصغرهم .

وقال أحمد عن يحيى ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن الشعبي ، قال : فاسمع الشُّبَّ والشبان خطبةً مثلها .

وقال البيهقي : أخبرنا أبو طاهر محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن مُحَمَّش ، أخبرنا محمد بن إبراهيم بن الفضل الفحام ، أخبرنا محمد بن يحيى الذهلي ، أخبرنا عمرو بن عثمان الرقي ، حدثنا زهير ، حدثنا عبد الله بن عثمان بن خثيم ، عن إسماعيل بن عبيد الله بن رفاعه ، عن أبيه ، قال : قدمت روايا خمر ، فأتاها عبادة بن الصامت فخرقها وقال : إنا بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة في النشاط والكسل ، والنفقة في العسر واليسر ، وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وعلى أن نقول في الله لا تأخذنا فيه لومة لائم ، وعلى أن ننصر رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قدم علينا يثرب مما نمنع به أنفسنا وأرواحنا وأبناءنا ولنا الجنة .

فهذه بيعة رسول الله صلى الله عليه وسلم التي بايعناه عليها .

وهذا إسناد جيد قوى ولم يخرجوه .

وقد روى يونس عن ابن إسحاق ، حدثني عبادة بن الوليد بن عبادة بن الصامت ،

عن أبيه ، عن جده عبادة بن الصامت ، قال : بايعنا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بيعة الحرب على السمع والطاعة في عسرنا ويسرنا ، ومنشطنا ومكْرَهنا وأثرَةٍ علينا ، وأن لا تنازع الأمرَ أهله ، وأن نقول بالحق أينما كنا لا نخاف في الله لومة لائم .

قال ابن إسحاق في حديثه عن معبد بن كعب ، عن أخيه عبد الله بن كعب بن مالك . قال : فلما بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صرخ الشيطان من رأس العقبة بأنْقَذَ صوتٍ سمعته قط : يا أهل الجَبَابِجِ - والجبابج المنازل - هل لكم في مُدَمِّمِ والصُّبَاءِ معه قد اجتمعوا على حربكم .

قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « هذا أَرَبُ العقبة ، هذا ابن أَرَبٍ ^(١) » .

قال ابن هشام : ويقال ابن أَرَبِ .

« أسمع أئى عدوَّ الله ، أما والله لأنفرغن ^(٢) لك . ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ارفضوا إلى رحالكُم .

قال : فقال العباس بن عبادة بن نَضْلَةَ : يا رسول الله والذي بعثك بالحق إن شئت لتميلنَّ على أهل منى غداً بأسيا فنا .

قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لم تؤمر بذلك ، ولكن ارجعوا إلى رحالكُم .

قال : فرجعنا إلى مضاجعنا فَمِنِمَّا فيها حتى أصبحنا .

فلما أصبحنا غَدَتْ علينا جَلَّةٌ قريش حتى جاءونا في منازلنا فقالوا : يامعشر الخزرج

(٢) ابن هشام : لأنفرغن .

(١) الأصل : أَرَبِ ، وما أثبتته من ابن هشام .

إنه قد بلغنا أنكم قد جئتم إلى صاحبنا هذا تستخرجونه من بين أظهرنا وتأيعونه على حربنا ، وإنه والله ما من حيٍّ من العرب أبغض إلينا من أن تنشب الحربُ بيننا وبينهم منكم .

قال : فانبعث مَنْ هناك من مشركي قومنا يحلفون ما كان من هذا شيء وما علمناه .

قال : وصدقوا ، لم يعلموا ، قال وبعضنا ينظر إلى بعض .

قال : ثم قام القوم ، وفيهم الحارث بن هشام بن المغيرة الخزومي وعليه نعلان له جديدان .

قال : فقلت له كلمة ، كأني أريد أن أشرك القوم بهافيا قالوا : يا أبا جابر أما تستطيع أن تتخذ وأنت سيدٌ من سادتنا مثل نعلَى هذا الفتى من قریش ؟

قال : فسمعها الحارث فغلمهما من رجليه ثم رمى بهما إلى . قال والله لنتعلمهما .

قال يقول أبو جابر : مه أحفظتَ والله الفتى فاردد إليه نعليه . قال قلت : والله لا أردُّهما ، فألَّ والله صالح ، لئن صدق الفألُ لَأَسْلُبُنَّهُ !

قال ابن إسحاق : وحدثني عبد الله بن أبي بكر أنهم أتوا عبد الله بن أبي بن سلول فقالوا مثل ما ذكر كعب من القول فقال لهم : إن هذا الأمر جسيم ما كان قومي ليتفرقوا^(١) على مثل هذا ، وما علمته كان . قال فانصرفوا عنه .

قال : ونقر الناسُ من منى ، فتنطَّس القومُ الخبَر فوجدوه قد كان ، فخرجوا في طلب القوم .

(١) ابن هشام : ليتفوتوا على مثل هذا .

فأدركوا سعد بن عبادة بأذاخر ، والمنذر بن عمرو أخا بني ساعدة بن كعب بن الخزرج وكلاهما كان نقيباً .

فأما المنذر فأعجز القوم ، وأما سعد بن عبادة فأخذوه فربطوا يديه إلى عنقه ينسج^(١) رَحْلَهُ ، ثم أقبلوا به حتى أدخلوه مكة يضربونه ويجذبونه بجُمُتِهِ ، وكان ذا شعر كثير .

قال سعد : فوالله إني لفي أيديهم إذ طلع على نفر من قريش فيهم رجل وضى أبيض شعشاع حلواً من الرجال ، فقلت في نفسي : إن يك عند أحد من القوم خير فعند هذا .

فلما دنا مني رفع يده فلكنني لكعة شديدة ، فقلت في نفسي : لا والله ما عندهم بعد هذا من خير ! .

فوالله إني لفي أيديهم يسحبونني إذ أوى لي رجل من معهم ، قال : ويحك ! أما بينك وبين أحد من قريش جوار ولا عهد ؟ قال : قلت : بلى والله ، لقد كنت أجير لجبير بن مطعم تجاره وأمنعهم ممن أراد ظلمهم ببلادى ، وللحارث بن حرب بن أمية بن عبد شمس . فقال : ويحك ! فاهتف باسم الرجلين واذكر ما بينك وبينهما .

قال : ففعلت ، وخرج ذلك الرجل إليهما فوجدهما في المسجد عند الكعبة ، فقال لهما : إن رجلاً من الخزرج الآن كيضرب بالأبطح كتهتف بكما . قالا : ومن هو ؟ قال : سعد بن عبادة . قالا : صدق والله ، إن كان كيجير لنا تجارنا ويمنعهم أن يظلموا ببلده .

قال : فجاءا فخلصا سعداً من أيديهم ، فانطلق . وكان الذي لكم سعداً سهيلاً ابن عمرو .

(١) النسج : الشراك الذي يشد به الرحل .

قال ابن هشام : وكان الذي أوى له أبو البختري بن هشام .
وروى البيهقي بسنده عن عيسى بن أبي عيسى بن جبير قال : سمعتُ قريشاً قائلًا يقول
في الليل على أبي قُبَيْس :

فإنَّ يَسْلَمَ السَّعْدَانِ يُصْبِحُ مُحَمَّدٌ بِمَكَّةَ لَا يَخْشَى حِلَافَ الْخَالِفِ
فلما أصبحوا قال أبو سفيان : مَنْ السَّعْدَانِ ؟ أسعدُ بن بكر أم سعد بن هذيم ؟ .
فلما كانت الليلة الثانية سمعوا قائلًا يقول :

أَيَا سَعْدُ سَعْدَ الْأَوْسِ كُنْ أَنْتَ نَاصِرًا وَيَا سَعْدُ سَعْدَ الْخَزَرَجِينَ الْغَطَّارِ
أَجِيئَا إِلَى دَاعِيِ الْهُدَى وَتَمَنِّيَا عَلَى اللَّهِ فِي الْفَرْدَوْسِ مُنِيَّةَ عَارِفِ
فَإِنَّ ثَوَابَ اللَّهِ لِلطَّالِبِ الْهُدَى جَنَّاتُ مَنْ الْفَرْدَوْسُ ذَاتُ رَفَارِفِ
فلما أصبحوا قال أبو سفيان : هو والله سعد بن معاذ وسعد بن عباد .

﴿ فصل ﴾

قال ابن إسحاق : فلما رجع الأنصار الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة
العقبة الثانية إلى المدينة أظهروا الإسلام بها .

وفي قومهم بقايا من شيوخٍ لهم على دينهم من الشرك ، منهم عمرو بن الجموح بن
زيد بن حرام بن كعب بن غنم بن كعب بن سلمة .

وكان ابنه معاذ بن عمرو ممن شهد العقبة ، وكان عمرو بن الجموح من سادات بني
سلمة وأشرافهم ، وكان قد اتخذ صنماً من خشب في داره يقال له مناة ، كما كانت
الأشراف يصنعون ، يتخذونه إلهاً يعظمونه ويظهره ، فلما أسلم فتیانُ بني سلمة ؛ ابنه معاذ ،
ومعاذ بن جبل كانوا يُدْجَلون بالليل على صنم عمرو ذلك فيحملونه فيطرحونه في بعض

حُفِرَ بَنِي سَلَمَةَ وَفِيهَا عَذِرُ النَّاسِ مِنْكَسًّا عَلَى رَأْسِهِ ، فَإِذَا أَصْبَحَ عَمَرُو قَالَ : وَيْلَكُمْ مِنْ عَدَا عَلَى إِلَهِنَا هَذِهِ اللَّيْلَةَ ؟ ثُمَّ يَغْدُو يَلْتَمِسُهُ حَتَّى إِذَا وَجَدَهُ غَسَلَهُ وَطَيَّبَهُ وَطَهَرَهُ ثُمَّ قَالَ : أَمَا وَاللَّهِ لَوْ أَعْلَمُ مِنْ فَعَلِ بَكَ هَذَا لِأُخْرِيتَهُ . فَإِذَا أَمْسَى وَنَامَ عَمَرُو عَدَا عَلَيْهِ فَفَعَلُوا مِثْلَ ذَلِكَ ، فَيَغْدُو فَيَجِدُهُ فِي مِثْلِ مَا كَانَ فِيهِ مِنَ الْأَذَى فَيَفْسِلُهُ وَيَطْيِيهِ وَيَطْهَرُهُ ، ثُمَّ يَعْدُونَ عَلَيْهِ إِذَا أَمْسَى فَيَفْعَلُونَ بِهِ مِثْلَ ذَلِكَ ، فَلَمَّا أَكْثَرُوا عَلَيْهِ اسْتَخْرَجَهُ مِنْ حَيْثُ أَلْقَوْهُ يَوْمَا فَنَفْسِلَهُ وَطَهَرَهُ وَطَيَّبَهُ . ثُمَّ جَاءَ بِسَيْفِهِ فَعَلَقَهُ عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ لَهُ : إِنِّي وَاللَّهِ مَا أَعْلَمُ مِنْ يَصْنَعُ بَكَ مَا أَرَى ، فَإِنْ كَانَ فِيكَ خَيْرٌ فَاْمْتَنِعْ ، هَذَا السَّيْفُ مَعَكَ . فَلَمَّا أَمْسَى وَنَامَ عَمَرُو عَدَا عَلَيْهِ فَأَخَذُوا السَّيْفَ مِنْ عُنُقِهِ ثُمَّ أَخَذُوا كَلْبًا مِيتًا فَقَرَنُوهُ بِهِ بِجَبَلٍ ثُمَّ أَلْقَوْهُ فِي بئرٍ مِنْ آبَارِ بَنِي سَلَمَةَ فِيهَا عَذِرٌ مِنَ النَّاسِ ، وَغَدَا عَمَرُو بْنُ الْجَوْحِ فَلَمْ يَجِدْهُ فِي مَكَانِهِ الَّذِي كَانَ بِهِ ، فَخَرَجَ يَتَّبِعُهُ حَتَّى إِذَا وَجَدَهُ فِي تِلْكَ الْبئرِ مِنْكَسًّا مَقْرُونًا بِكَلْبٍ مِيتٍ ، فَلَمَّا رَأَاهُ أَبْصَرَ شَأْنَهُ وَكَلَّمَ مَنْ أَسْلَمَ مِنْ قَوْمِهِ فَأَسْلَمَ بِرَحْمَةِ اللَّهِ وَحُسْنِ إِسْلَامِهِ ، فَقَالَ حِينَ أَسْلَمَ ، وَعَرَفَ مِنَ اللَّهِ مَا عَرَفَ ، وَهُوَ يَذْكُرُ صَنْمَهُ ذَلِكَ وَمَا أَبْصَرَ مِنْ أَمْرِهِ ، وَيَشْكُرُ اللَّهَ الَّذِي أَنْقَذَهُ مِمَّا كَانَ فِيهِ مِنَ الْعَمَى وَالضَّلَالَةِ وَيَقُولُ :

وَاللَّهُ لَوْ كُنْتَ إِلَهًا لَمْ تَكُنْ	أَنْتَ وَكَلْبٌ وَسَطٌ بِئْرٌ فِي قَرْنٍ
أَفِ لِمَلَقَاكَ إِلَهًا مُسْتَدِنٌ	الآن فَتَشْنَاكَ عَنْ سُوءِ الْغَبْنِ
الْحَمْدُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ ذِي الْمِنَّةِ	الْوَاهِبِ الرِّزَاقِ دَيَّانِ الدِّينِ
هُوَ الَّذِي أَنْقَذَنِي مِنْ قَبْلِ أَنْ	أَكُونَ فِي ظُلْمَةٍ قَبِيرٍ مُرْتَهَنٍ

فصل يتضمن أسماء من شهد بيعة العقبة الثانية وجملتهم على ما ذكره ابن إسحاق ثلاثة وسبعون رجلاً وامرأتان

فن الأوس أحد عشر رجلاً :

أسيد بن خضير أحد النقباء ، وأبو الهيثم بن التيهان بدرى أيضاً ، وسلمة بن سلامة ابن وقش بدرى ، وظهير بن رافع ، وأبو بردة بن نيار^(١) ، ونهير بن الهيثم بن نابي بن مجدة بن حارثة ، وسعد بن خيثمة أحد النقباء ، بدرى وقتل بها شهيداً ، ورفاعة بن عبد المنذر بن زهير تقيب بدرى ، وعبد الله بن جبير بن النعمان بن أمية بن البرك بدرى ، وقتل يوم أحد شهيداً أميراً على الرماة ، ومعن بن عدى بن الجدة بن عجلان بن الحارث ابن ضبيعة البلوي حليف للأوس شهد بدرًا وما بعدها وقتل باليامة شهيداً ، وعويم بن ساعدة شهد بدرًا وما بعدها .

ومن الخزرج اثنان وستون رجلاً :

أبو أيوب خالد بن زيد ، وشهد بدرًا وما بعدها ومات بأرض الروم زمن معاوية شهيداً ، ومعاذ بن الحارث ، وأخوه عوف ومعوذوهم بنو عفرأ بدريون ، وعُمارة بن حزم شهد بدرًا وما بعدها وقتل باليامة ، وأسعد بن زُرارة أبو أمامة أحد النقباء ، مات قبل بدر ، وسهل بن عتيك ، بدرى ، وأوس بن ثابت بن المنذر بدرى ، وأبو طلحة زيد بن سهل ، بدرى ، وقيس بن أبي صعصعة عمرو بن زيد بن عوف

(١) الأصل : دينار وهو خطأ . والتصويب من الكنى والأسماء للدولابي . واسمه هاني بن نيار ابن عمرو بن عبيد بن كلاب .

ابن مَبْدُول بن عمرو بن غَنَم بن مازن كان أميراً على الساقة يوم بدر ، وعمرو بن غَزِيَّة ، وسعد بن الربيع أحد النقباء شهد بدرًا وقتل يوم أحد ، وخارجة بن زيد شهد بدرًا وقتل يوم أحد .

وعبد الله بن رَوَاحَة أحد النقباء ، شهد بدرًا وأُحْدَقَ والخندق . وقتل يوم مُؤْتَةَ أميرًا ، وبَشِير بن سعد ، بدرى ، وعبد الله بن زيد بن ثعلبة بن عبد ربه الذى أَرَى النداء ، وهو بدرى .

وخلَّاد بن سُويد بدرى أُحْدَى خَنْدَقِي ، وقتل يوم بنى قَرْيَظَة شهيدًا ، طُرِحت عليه رَحَى فشدَّخَتْه ، فيقال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن له لأجر شهيدين » .

وأبو مسعود عُقْبَة بن عمرو البدرى . قال ابن إسحاق : وهو أحدثُ من شهد العقبة سنًا ولم يشهد بدرًا .

وزياد بن كَيْبِد ، بدرى ، وفَرْوَة بن عمرو بن وَذَفَة^(١) وخالد بن قيس بن مالك بدرى ، ورافع بن مالك أحد النقباء ، وَذَكْوَان بن عبد قيس بن خلدة بن مخلد بن عامر بن زُرَيْق ، وهو الذى يقال له مهاجرى أنصارى ، لأنه أقام عند رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة حتى هاجر منها ، وهو بدرى قتل يوم أحد ، وعَبَّاد بن قيس بن عامر بن خالد بن عامر بن زريق بدرى ، وأخوه الحارث بن قيس بن عامر بدرى أيضًا .

والبراء بن مَعْرُور أحد النقباء وأولُ من بايع فيما تزعم بنو سلمة ، وقد مات قبل مَقْدَم النبی صلى الله عليه وسلم المدينة وأوصى له بثلاث ماله فردّه رسول الله صلى الله عليه وسلم على ورثته .

(١) الأصل : وَذَفَة . وهى رواية . وما أثبتته من الاشتقاق لابن دريد ٤٦١ قال : والوذفة زعموا الروضة . قال ابن هشام ويقال : وذفة .

وابنه بشر بن البراء ، وقد شهد بدرًا وأحدًا والخندق ومات بخير شهيدا من أكلة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من تلك الشاة المسمومة ، رضى الله عنه ، وسنان بن صَيْفٍ ابن صَخْر بدرى ، والطَّفِيل بن النُّعْمان بن خنساء بدرى ، قتل يوم الخندق ، ومَعْقِل بن المنذر بن سَرْح بدرى ، وأخوه يزيد بن سنان المنذر بدرى ، ومسعود بن زيد بن سُبَيْع ، والضَّحَّاك بن حارثة بن زيد بن ثعلبة بدرى ، ويزيد بن خدام^(١) بن سُبَيْع ، وجَبَّار بن صخر [بن أمية]^(٢) بن خنساء بن سنان بن عُبَيْد بدرى ، والطَّفِيل بن مالك بن خنساء بدرى . وكعب بن مالك ، وسُلَيْم بن عامر بن حديدة بدرى ، وقُطَيْب بن عامر بن حديدة بدرى ، وأخوه أبو المنذر يزيد بدرى أيضا ، وأبو اليسر كعب بن عمرو بدرى ، وصَيْفِي ابن سَواد بن عُبَاد .

وثعلبة بن غَنَمَة بن عدى بن نَابِي ، بدرى واستشهد بالخندق ، وأخوه عمرو بن غَنَمَة بن عدى ، وعَبْس بن عامر بن عدى ، بَدْرِي ، وخالد بن عمرو بن عدى بن نَابِي ، وعبد الله بن أنيس حليف لهم من قضاة .

وعبد الله بن عمرو بن حَرَام أحد النقباء ، بدرى واستشهد يوم أحد ، وابنه جابر ابن عبد الله ، ومعاذ بن عمرو بن الْجَوْح بدرى ، وثابت بن الجَذَع ، بدرى وقتل شهيدًا بالطائف ، ومُعْمِر بن الحارث بن ثعلبة بدرى ، وخَدِيج بن سلامة حليف لهم^(٣) من بَلِيّ ، ومعاذ بن جبل شهد بدرًا وما بعدها ومات بطاعونِ عَمَوَاس في خلافة عمر بن الخطاب .

وعُبَادَة بن الصامت أحد النقباء شهد بدرًا وما بعدها ، والعباس بن عُبَادَة بن نَضْلَة ، وقد أقام بمكة حتى هاجر منها ، فكان يقال له مهاجرى أنصارى أيضا ، وقتل يوم أحد

(٢) من ابن هشام .

(١) الاستيعاب : ابن حرام .

(٣) أى لبني حرام بن كعب .

شهيداً ، وأبو عبد الرحمن يزيد بن ثعلبة بن خزيمة بن أضرم حليف لهم [من بنى غصينة] ^(١) من بلى وعمرو بن الحارث بن لبدة ^(٢) ، ورقاعة بن عمرو بن زيد بدرى ، وعقبة ابن وهب بن كلدة حليف لهم ^(٣) بدرى وكان ممن خرج إلى مكة فأقام بها حتى هاجر منها ، فهو ممن يقال له مهاجرى أنصارى أيضاً ، وسعد بن عبادة بن دليم أحد النقباء ، والمنذر بن عمرو نقيب بدرى أُحْدَى وقُتل يوم بئر معونة أميراً وهو الذى يقال له: أعتق ليموت .

وأما المرأتان فأم عُمارة نسيبة بنت كعب بن عمرو بن عوف بن مبذول بن عمرو ابن غنم بن مازن بن النجار ، المازنية النجارية .

قال ابن إسحاق : وقد كانت شهدت الحرب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وشهدت معها أختها وزوجها زيد بن عاصم بن كعب ، وابناها حبيب ^(٤) وعبد الله .

وابنها حبيب ^(٥) هذا هو الذى قتله مسيلة الكذاب حين جعل يقول له : أتشهد أن محمداً رسول الله ؟ فيقول : نعم . فيقول : أتشهد أنى رسول الله ؟ فيقول : لا أسمع . فجعل يقطعه عضواً عضواً حتى مات فى يديه ، لا يزيد على ذلك ، فكانت أم عُمارة ممن خرج إلى اليمامة مع المسلمين حين قُتل مسيلة ، ورجعت وبها اثنا عشر جرحاً من بين طعنة وضربة . رضى الله عنها .

والأخرى أم مَنِيع أسماء ابنة عمرو بن عَدْرِى بن نَابِى بن عمرو بن سَواد بن غنم بن كعب بن سلمة . رضى الله عنها .

(١) من ابن هشام . (٢) الأصل : كندة والتصويب من ابن هشام . (٣) أى لبى سالم بن غنم
(٤) كذا ضبطه الزرقانى بفتح النون . (٥) الأصل خبيب وما أنبئته عن ابن هشام .

باب

بدء الهجرة من مكة إلى المدينة

قال الزُّهْرِيُّ ، عن عروة ، عن عائشة : قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم - وهو يومئذ بمكة - للمسلمين : « قد أُرِيتُ دارَ هجرتكم ، أُرِيتُ سَبِيحَةَ ذاتِ نَحْلٍ بَيْنَ لَابَتَيْنِ » .

فهاجر من هاجر قِبَلَ المدينة حين ذَكَرَ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وَرَجَعَ إِلَى المدينة مَنْ كَانَ هَاجِرًا إِلَى أرضِ الحبشة من المسلمين .

رواه البخارى .

وقال أبو موسى : عن النبي صلى الله عليه وسلم : « رَأَيْتُ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَهَاجِرُ مِنْ مَكَّةَ إِلَى أَرْضِ بَهَا نَحْلٍ ، فَذَهَبَ وَهَلِيَ إِلَى أَنَّهَا الْيَمَامَةُ أَوْ هَجَرَ ، فَإِذَا هِيَ الْمَدِينَةُ يَثْرِبُ » .

وهذا الحديث قد أسنده البخارى فى مواضع آخر بطوله .

ورواه مسلم كلاهما عن أَبِي كُرَيْبٍ . زاد مسلم وعبد الله بن مراد ، كلاهما عن أَبِي أُسَامَةَ ، عن يزيد بن عبد الله بن أَبِي بُرْدَةَ ، عن جده أَبِي بَرْدَةَ ، عن أَبِي مُوسَى عبد الله ابن قيس الأشعرى ، عن النبي صلى الله عليه وسلم الحديث بطوله .

قال الحافظ أبو بكر البيهقى : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، أخبرنا أبو العباس القاسم بن القاسم السيارى بمرور ، حدثنا إبراهيم بن هلال ، حدثنا العامرى ، عن غلى بن الحسن بن شقيق ، حدثنا عيسى بن عبيد الكندى ، عن غيلان بن عبد الله العامرى

عن أبي زُرْعَةَ بن عمرو بن جَرِير ، عن جرير ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إن الله أوحى إلى أي هؤلاء البلاد الثلاثة نزلت فهي دار هجرتك : المدينة ، أو البحرين ، أو قنسرين » .

قال أهل العلم : ثم عزم له على المدينة ، فأمر أصحابه بالهجرة إليها .

هذا حديث غريب^(١) جداً ، وقد رواه الترمذى فى المناقب من جامعه منفرداً به عن أبى عمار الحسين بن حُرَيْث ، عن الفضل بن موسى ، عن عيسى بن عبيد ، عن غِيلان بن عبد الله العامرى ، عن أبى زُرْعَةَ بن عمر بن جَرِير ، عن جرير ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الله أوحى إلى أي هؤلاء الثلاثة نزلت فهي دار هجرتك ؛ المدينة ، أو البحرين ، أو قنسرين » ثم قال : غريب لا نعرفه إلا من حديث الفضل تفرد به أبو عمار .

قلت : وغيلان بن عبد الله العامرى هذا ذكره ابن حبان فى الثقات ، إلا أنه قال : روى عن أبى زُرْعَةَ حديثاً منكراً فى الهجرة . والله أعلم .

قال ابن اسحاق : لما أذن الله تعالى فى الحرب بقوله « أذن للذين يُقاتلون بأنهم ظلموا ، وإن الله على نصرهم لقدير ، الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربُّنا الله^(٢) » الآية .

فلما أذن الله فى الحرب وتابَعَه هذا الحىُّ من الأنصار على الإسلام والنصرة له ، ولمن

(١) قال الزرقانى : صححه الحاكم وأقره الذهبى فى تلخيصه ، لكنه قال فى الميزان : حديث منكرو ، ما أقدم الترمذى على تحسينه بل قال غريب . وقال الحافظ : فى ثبوته نظر ، لخالفته ما فى الصحيح . شرح المواهب ٣١٨/١ . (٢) سورة الحج ٣٩ ، ٤٠ .

اتبعه وأوى إليهم من المسلمين ، أمر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أصحابه من المهاجرين من قومه ومن معه بمكة من المسلمين بالخروج إلى المدينة والهجرة إليها والحق بإخوانهم من الأنصار وقال : « إن الله قد جعل لكم إخواناً وداراً تأمنون بها » .

فخرجوا إليها أرسالا .

وأقام رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بمكة ينتظر أن يأذن له ربه في الخروج من مكة والهجرة إلى المدينة .

فكان أول من هاجر إلى المدينة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من المهاجرين من قريش من بنى مخزوم ، أبو سلمة عبد الله بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، وكانت هجرته إليها قبل بيعة العقبة بسنة ، حين آذته قريش مَرَّجِعَهُ من الحبشة ، فعزم على الرجوع إليها ، ثم نبغ أن بالمدينة لهم إخوانا فعزم إليها .

قال ابن إسحاق : فحدثني أبي ، عن سلمة بن عبد الله بن عمر بن أبي سلمة ، عن جدته أم سلمة قالت : لما أجمع أبو سلمة الخروج إلى المدينة رحل لي بغيره ثم حملني عليه وجعل معي ابني سلمة بن أبي سلمة في حجري ، ثم خرج يقود بي بغيره .

فلما رآته رجالُ بني المغيرة قاموا إليه فقالوا : هذه نفسك غلبتنا عليها ، أرأيت صاحبتنا هذه علامَ نتركك تسير بها في البلاد ؟ قالت : ففزعوا خطامَ البعير من يده وأخذوني منه .

قالت : وغضب عند ذلك بنو عبد الأسد رهط أبي سلمة ، وقالوا : والله لا نترك ابننا عندها إذ نزعتموها من صاحبنا . قالت : فتجاذبوا ابني سلمة بينهم حتى خلعوا يده ،

وانطلق به بنو عبد الأسد ، وحبسني بنو المغيرة عتدهم وانطلق زوجي أبو سلمة إلى المدينة .

قالت : ففرق بيني وبين ابني وبين زوجي .

قالت : فكنت أخرج كلَّ غداة فأجلس في الأبطح ، فما أزال أبكي حتى أمسي ، سنةً أو قريباً منها .

حتى مرَّ بي رجل من بني عمي أحد بني المغيرة ، فرأى ما بي فرحني ، فقال لبني المغيرة : ألا تحرجون من هذه المسكينة ؟ فرقم بينها وبين زوجها وبين ولدها ؟ !
قالت : فقالوا لي : الحق بزوجك إن شئت .

قالت : فردَّ بنو عبد الأسد إلىَّ عند ذلك ابني ، قالت : فارتحلتُ بغيري ، ثم أخذت ابني فوضعتَه في حجرِي ، ثم خرجت أريد زوجي بالمدينة .

قالت : وما معي أحد من خلق الله . حتى إذا كنت بالتنعم لقيت عثمان بن طلحة ابن أبي طلحة أخا بني عبد الدار ، فقال : إلى أين يا ابنة أبي أمية ؟ قلت : أريد زوجي بالمدينة . قال : أو ما مملك أحد ؟ قلت : ما معي أحد إلا الله وبني هذا . فقال : والله ما لك من مترك .

فأخذ بخطام البعير فانطلق معي يهوي بي ، فوالله ما صحبتُ رجلاً من العرب قط أرى أنه كان أكرم منه ، كان إذا بلغ المنزل أناخ بي ، ثم استأخر عني حتى إذا نزلتُ استأخر ببعيري فحط عنه ثم قيده في الشجر ، ثم تنحى إلى شجرة فاضطجع تحتها . فإذا دنا الرّواح قام إلى بعيري فقدمه فرحله ، ثم استأخر عني وقال : اركبي . فإذا ركبت فاستويت على بعيري أتى فأخذ بخطامه فقادني حتى ينزل بي .

فلم يزل يصنع ذلك بي حتى أقدمني المدينة ، فلما نظر إلى قرية بني عمرو بن عوف

بِقُبَاءَ قَالَ : زَوْجُكَ فِي هَذِهِ الْقَرْيَةِ ، وَكَانَ أَبُو سُلَيْمَةَ بِهَا نَازِلًا ، فَادْخُلِهَا عَلَى بَرَكَةِ اللَّهِ .
ثُمَّ انْصَرَفَ رَاجِعًا إِلَى مَكَّةَ .

فَكَانَتْ تَقُولُ : مَا أَعْلَمُ أَهْلَ بَيْتٍ فِي الْإِسْلَامِ أَصَابَهُمْ مَا أَصَابَ آلَ أَبِي سُلَيْمَةَ ،
وَمَا رَأَيْتُ صَاحِبًا قَطُّ كَانَ أَكْرَمَ مِنْ عُمَانَ بْنِ طَلْحَةَ .

أَسْلَمَ عُمَانُ بْنُ طَلْحَةَ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ الْعَبْدَرِيُّ هَذَا بَعْدَ الْحَدِيثِ ، وَهَاجَرَ هُوَ وَخَالِدُ بْنُ
الْوَلِيدِ مَعًا ، وَقُتِلَ يَوْمَ أَحَدٍ أَبَوَهُ وَإِخْوَتَهُ ؛ الْحَارِثُ وَكِلَابٌ وَمُسَافِعٌ ، وَعَمَّهُ عُمَانُ بْنُ
أَبِي طَلْحَةَ . وَدَفَعَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ الْفَتْحِ إِلَى ابْنِ عَمِّهِ شَيْبَةَ وَالِدَ
بَنِي شَيْبَةَ مِفْتَاحَ الْكَعْبَةِ ، أَقْرَبَهَا عَلَيْهِمْ فِي الْإِسْلَامِ كَمَا كَانَتْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، وَنَزَلَ فِي ذَلِكَ
قَوْلُهُ تَعَالَى : « إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا ^(١) » .

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : ثُمَّ كَانَ أَوَّلُ مَنْ قَدِمَهَا مِنَ الْمُهَاجِرِينَ بَعْدَ أَبِي سُلَيْمَةَ ، عَامِرُ بْنُ
رَبِيعَةَ حَلِيفُ بَنِي عَدِيٍّ ، مَعَهُ امْرَأَتُهُ لَيْلَى بِنْتُ أَبِي حَنْظَلَةَ الْعَدَوِيَّةِ . ثُمَّ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَحْشٍ
ابْنُ رِثَابٍ بْنُ يَعْمُرَ بْنِ صَبْرَةَ بْنِ مُرَّةَ بْنِ كَبِيرٍ بْنُ غَنَمٍ بْنُ دُودَانَ بْنِ أَسَدٍ بْنِ خَزِيمَةَ ،
حَلِيفُ بَنِي أُمَيَّةَ بْنِ عَبْدِ شَمْسٍ ، احْتَمَلَ بِأَهْلِهِ وَأَخِيهِ عَبْدِ ، أَبِي أَحْمَدَ ، اسْمُهُ عَبْدُ كَاذَكَرَهُ
ابْنُ إِسْحَاقَ وَقِيلَ ثَمَامَةُ . قَالَ السَّهْلِيُّ : وَالْأَوَّلُ أَصَحُّ .

وَكَانَ أَبُو أَحْمَدَ رَجُلًا ضَرِيرَ الْبَصَرِ ، وَكَانَ يَطُوفُ مَكَّةَ أَعْلَاهَا وَأَسْفَلَهَا بِغَيْرِ قَائِدٍ ،
وَكَانَ شَاعِرًا وَكَانَتْ عِنْدَهُ الْفَارَعَةُ بِنْتُ أَبِي سَفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ ، وَكَانَتْ أُمُّهُ أُمَيَّةُ بِنْتُ
عَبْدِ الْمَطْلَبِ بْنِ هَاشِمٍ .

فَعَلَقَتْ دَارَ بَنِي جَحْشٍ هَجْرَةً ، فَرَّ بِهَا عَتَبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ وَالْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمَطْلَبِ

وأبو جهل بن هشام وهم مُضْعِدُونَ إلى أعلى مكة ، فنظر إليها عتبة تَحْفُقُ أباها يَبَابًا
ليس بها ساكن ، فلما رآها كذلك تنفس الصَّدَاء وقال :

وكلُّ دارٍ وإن طالتْ سلامتها يوماً ستُذركم الفُكْبَاء والحُوبُ .

قال ابن هشام : وهذا البيت لأبي دُوَاد الإيَادِي فِي قصيدة له . قال السهيلي : واسم
أبي دُوَاد حنظلة بن شَرَقٍ وقيل حارثة .

ثم قال عُتْبَةُ : أصبحت دار بني جحش خَلاء من أهلها . فقال أبو جهل : وما تبكي
عليه من قُلٍّ بن فلٍّ^(١) ثم قال ، يعنى للعباس : هذا من عمل ابن أخيك ، هذا فرَّق
جماعتنا ، وشَتَّ أمرنا ، وقطَعَ بيننا .

قال ابن إسحاق : فنزل أبو سامة وعامر بن ربيعة وبنو جحش بَقْبَاء على مبشر بن
عبد المنذر ثم قدم المهاجرون أرسالا .

قال : وكان بنو غَنَم بن دُوْدَانَ أهلَ إسلام قد أُوْعِبُوا إلى المدينة هجرةً رجالهم
ونسائهم وهم : عبد الله بن جحش ، وأخوه أبو أحمد ، وعُكَّاشَةُ بن مَحْصَن ، وشجاع ،
وعقبة ابنا وهب ، وأزْبَد بن جُمَيْرَة^(٢) ومنقذ بن نُبَاتَة ، وسعيد بن رقيش ، ومحرز بن
نُضْلَة ، وزيد بن رُقَيْش ، وقيس بن جابر ، وعمر بن محصن ، ومالك بن عمرو ،
وصفوان بن عمرو ، وقُتَيْف بن عمرو ، وربيع بن أكرم ، والزبير بن عبيدة ، وتمام بن
عبيدة ، وسَخْبَرَة بن عبيدة ، ومحمد بن عبد الله بن جحش . ومن نسائهم زينب بنت
جحش ، وحملة بنت جحش ، وأم حبيب بنت جحش ، وجدامة بنت جندل ،
وأم قيس بنت محصن ، وأم حبيب بنت مُنَمَّاة ، وآمنة بنت رُقَيْش ، وسَخْبَرَة
بنت تميم .

(٢) ويقال فيه : ابن حميرة . وابن حمير .

(١) الفل : الواحد .

قال أبو أحمد بن جحش في هجرتهم إلى المدينة :

ولما رأنتني أمُّ أحمد غادياً بذيمةٍ من أخشى بَقِينٍ وأرهبُ
تقول فأمّا كنتَ لأبدُ فاعللاً فَيَمُّ بنا البلدانَ ولتَنَّا يثربُ
فقلت لها : ما يثربُ بِمَظَنَّةٍ ^(١) وما يَشَا الرحمن فالعبدُ يركبُ
إلى الله وجهي والرسولِ ومن يُقِمُّ إلى الله يوماً وجهه لا يخبُّ
فكم قد تركنا من حميمٍ مُناصحٍ وناصحٍ تبكي بدمعٍ وتذُبُّ
تري أن وثراً نأيننا ^(٢) عن بلادنا ونحن نرى أن الرغائبَ نطلبُ
دعوتُ بني غمٍ لحقن دماءهم وللاحقُ لما لاح للناس ملحبُ
أجابوا بحمدِ الله لنا دعاهمُ إلى الحق دايع والنجاح فأوعبوا
وكنّا وأصحاباً لنا فارقوا الهدى أعانوا علينا بالسلاح وأجلبوا
كفوجين أما منهم ما فوقَّ على الحق مهديّ وفوجٌ معذبُ
طغوا وتمنّوا كذبةً وأزلهم عن الحق إبليسُ نخابوا وخيّبوا
ورعنا إلى قولِ النبيِّ محمدٍ فطابَ ولأه الحق منّا وطيبوا
نمتُ بأرحامِ إليهم قريصةٍ ولا قُربَ بالأرحامِ إذ لا تُقربُ
فأى ابن أخت بعدنا يأمنكم وأية صهرٍ بعد صهرى يُرُقبُ
ستعلم يوماً أيثنا إذ ترايلوا وزبيلُ أمرُ الناس للحقّ أضوبُ

قال ابن إسحاق : ثم خرج عمر بن الخطاب ، وعيَّاش بن أبي ربيعة ، حتى
قدما المدينة .

(١) ابن هشام : فقلت لها : بل يثرب اليوم وجهنا . (٢) الأصل : نايبا . وهو تحريف وما أثبتته
عن ابن هشام .

فحدثني نافع ، عن عبد الله بن عمر ، عن أبيه قال : أتعدنا لما أردت الهجرة إلى المدينة أنا وعيَّاش بن أبي ربيعة وهشام بن العاص التناضب من إضاعة بني غِفَار فوق مَرَف ، وقلنا : أيُّنا لم يصبح عندها فقد حُبِس ، فليَمُض صاحباه .

قال : فأصبحتُ أنا وعيَّاش عند التناضب ، وحُبِس هشام وقتن فافتن .

فلما قدمنا المدينة نزلنا في بني عمرو بن عوف بَقَاء ، وخرج أبو جهل بن هشام والحارث بن هشام إلى عيَّاش ، وكان ابن عمهما وأخاهما لأُمِّهما ، حتى قدِمَا المدينة ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم بمكة ، فكلَّاه وقالَا له : إن أمك قد نذرت أن لا يمسَّ رأسها مشط حتى تراك ، ولا تستظل من شمس حتى تراك . فرقَّ لها ، فقلت له : إنه والله إن يريدك القوم إلا ليفتنوك عن دينك فاحذرهم ، فوالله لو قد آذى أمك القملُ لامتشطت ، ولو قد اشتد عليها حرُّ مكة لاستظلت !

قال : فقال : أبرئ قسمَ أمي ، ولي هنالك مال فأخذه . قال : قلت : والله إنك لتعلم أني لئن أكرش مالاً ، فلك نصف مالى ولا تذهب معهما .

قال : فأبى عليَّ إلا أن يخرج معهما ، فلما أبى إلا ذلك قلت : أمّا إذ فعلتَ ما فعلتَ فخذ ناقتي هذه ، فإنها ناقة نجبية ذلول فالزم ظهرها ، فإن رابك من أمر القوم ريبٌ فانجُ عليها .

فخرج عليها معهما ، حتى إذا كانوا ببعض الطريق قال له أبو جهل : يا أخى والله لقد استغلظتُ بعيرى هذا ، أفلا تُعقبنى على ناقتك هذه ؟ قال : بلى . فأناخ وأناخا ليتحول عليها ، فلما استووا بالأرض عدّوا عليه فأوثقاه رباطاً ، ثم دخلا به مكة وفتناه فافتن .

قال عمر : فكنا نقول : لا يقبلُ الله ممن افتن توبةً . وكانوا يقولون ذلك لأنفسهم .

حتى قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم للمدينة وأنزل الله : « قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ ، إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ . وَأَنْبِئُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ . وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بُغْتَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ » (١) .

قال عمر : وكتبتها وبعثت بها إلى هشام بن العاص .
قال هشام : فلما أتتني جعلت أقرأها بذي طَوَّى أصعَّد بها وأصوَّب ولا أفهمها ،
حتى قلت : اللهم فهمنيها ، فألقى الله في قلبي أنها إنما أنزلت فينا وفيما كنا نقول في أنفسنا ، ويقال فينا .

قال : فرجعتُ إلى بعيري فجلست عليه فلحقت برسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة .

وذكر ابن هشام أن الذي قدم بهشام بن العاص ، وعيَّاش ابن أبي ربيعة إلى المدينة الوليد بن المغيرة سرقهما من مكة وقدم بهما يحملهما على بعيره وهو ماش معهما ، فعثر فدميت أصبعه فقال :

هَلْ أَنْتِ إِلَّا إِبْصَعٌ دَمِيتِ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ مَا لَقِيتِ

وقال البخاري : حدثنا أبو الوليد ، حدثنا شُعْبَةُ ، أنبأنا أبو إسحاق سمع البراء قال :
أول من قدم علينا مُصْعَبُ بْنُ عُيمِرٍ وابن أم مكتوم ، ثم قدم علينا عَمَّارٌ وَبِلَالٌ .
وحدثني محمد بن بَشَّار ، حدثنا عُفْدَرُ ، حدثنا شُعْبَةُ ، عن أبي إسحاق ، سمعت البراء

ابن عازب قال : أول من قدم علينا مصعب بن عمير وابن أم مكتوم وكانا يُقرئان الناس ،
فقدم بلال وسعد وعمار بن ياسر ، ثم قدم عمر بن الخطاب في عشرين نفرًا من أصحاب
النبي صلى الله عليه وسلم .

ثم قدم النبي صلى الله عليه وسلم ، فما رأيت أهل المدينة فرحوا بشيء فرحهم
برسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى جعل الإمام يقرئ : قدِم رسول الله صلى الله عليه
وسلم ، فما قدِم حتى قرأتُ « سُبْح اسمَ ربك الأعلى » في سور من المفصل .

ورواه مسلم في صحيحه من حديث إسرائيل عن أبي إسحاق ، عن البراء بن
عازب بنحوه .

وفيه التصريح بأن سعد بن أبي وقاص هاجر قبل قدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم
المدينة ، وقد زعم موسى بن عقبة عن الزهري أنه إنما هاجر بعد رسول الله صلى الله عليه
وسلم ، والصواب ما تقدم .

قال ابن إسحاق : ولما قدم عمر بن الخطاب المدينة هو ومن لحق به من أهله وقومه
وأخوه زيد بن الخطاب ، وعمرُو وعبد الله ابنا سُراقَة بن المعتمر ، وخُنيس بن حُذافة
السهمي زوج ابنته حفصة ، وابن عمه سعيد بن زيد بن عمرو بن نُفيل ، وواقد بن عبد الله
التميمي حليفٌ لهم ، وخُوَلي بن أبي خولي ، ومالك بن أبي خولي حليفان لهم من بني عجل ،
وبنو البُكَيْرِ إياس وخالد وعاقل وعامر ، وحلفاؤهم من بني سعد بن ليث ، فنزلوا على رفاة
عبد المنذر بن زُهير في بني عمرو بن عوف بقباء .

قال ابن إسحاق : ثم تتابع المهاجرون رضى الله عنهم . فنزل طلحة بن عبيد الله
وصُهب بن سنان على خبيب بن إيساف أخى بلحارث بن الخزرج بالسُّنَح . ويقال :
بل نزل طلحة على أسعد بن زُرارة .

قال ابن هشام : وذكر لي عن أبي عثمان النهدي أنه قال : بلغني أن صُهبيا حين أراد الهجرة قال له كفار قريش : أتيتنا صعلوكا حقيراً فكأثر مالك عندنا وبلغت الذي بلغت ، ثم تريد أن تخرج بمالك ونفسك ؟ ! والله لا يكون ذلك .

فقال لهم صهيب : أرأيتم إن جعلت لكم مالى أتخلون سبيلي ؟ قاله ! : نعم .
قال : فإنى قد جعلت لكم مالى .

فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « ربيع صهيب ، ربيع صهيب » .
وقد قال البيهقي : حدثنا الحافظ أبو عبد الله ، إملاء ، أخبرنا أبو العباس إسماعيل بن عبد الله بن محمد بن ميكال ، أخبرنا عبدان الأهوازي ، حدثنا زيد بن الجريش ، حدثنا يعقوب بن محمد الزهرى ، حدثنا حصين بن حذيفة بن صئفى بن صهيب ، حدثني أبي وعمومتى ، عن سعيد بن المسيب ، عن صهيب ؛ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أريت دار هجرتكم سبخة بين ظهرائى حرّتين ، فإما أن تكون هجر أو تكون يثرب » .

قال : وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة وخرج معه أبو بكر ، وكنت قد هممت معه بالخروج فصددنى فتيان من قريش ، فجعلت ليلتى تلك أقوم لا أقعد ، فقالوا : قد شعله الله عنكم بيظنه . ولم أكن شاكياً ، فناموا . فخرجت ولحقنى منهم ناس بعد ما سرت يريدون ليردّونى ، فقلت لهم : إن أعطيتكم أواق من ذهب وتخلون سبيلي وتوفون لى ؟ ففعلوا فتبعتهم إلى مكة . فقلت : احفروا تحت أسكفة الباب فإن بها أواق ، واذهبوا إلى فلانة فخذوا الحلتين .

وخرجت حتى قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم بقباء قبل أن يتحوّل منها ،

فلما رآنى قال : « يا أبا يحيى ربح البيع » فقلت : يا رسول الله ماسبقنى إليك أحدٌ وما أخبرك إلا جبرائيل عليه السلام .

قال ابن إسحاق : ونزل حمزة بن عبد المطلب وزيد بن حارثة وأبو مرثد كنان بن الحصين وابنه مرثد الغنويان حليفا حمزة ، وأنسة وأبو كبشة مؤليا رسول الله صلى الله عليه وسلم على كلثوم بن الهدم أخى بنى عمرو بن عوف بقاء ، وقيل على سعد بن خيثمة وقيل بل نزل حمزة على أسعد بن زرارة . والله أعلم .

قال : ونزل عبيدة بن الحارث وأخواه الطفيل وحصين ، ومسطح بن أثانة وسويبط ابن سعد بن حُرَيْمِلة أخو بنى عبد الدار ، وطليب بن عمير أخو بنى عبد بن قصي ، وخبَّاب مولى عتبة بن غزوان على عبد الله بن سلمة أخى بلعجلان بقاء^(١) ، ونزل عبد الرحمن بن عوف فى رجال من المهاجرين على سعد بن الربيع ، ونزل الزبير بن العوام وأبو سبرة بن أبى رهم على منذر بن محمد بن عقبة بن أحيحة بن الجلاح بالعصبة دار بنى جحججى ، ونزل مصعب بن عمير على سعد بن معاذ ، ونزل أبو حذيفة بن عتبة وسالم مولاه على سلمة .

قال ابن إسحاق . وقال الأُموى : على خبيب بن إساف أخى بنى حارثة . ونزل عتبة بن غزوان على عباد بن بشر بن وقش فى بنى عبد الأشهل ، ونزل عثمان بن عفان على أوس ابن ثابت بن المنذر أخى حسان بن ثابت فى دار بنى النجار .

(١) ابن هشام : أخى بلعارث بن المزرج .

قال ابن إسحاق : ونزل العزاب من المهاجرين على سعد بن خيثمة ، وذلك أنه كان عزابا . والله أعلم أى ذلك كان .
وقال يعقوب بن سفيان : حدثني أحمد بن أبي بكر بن الحارث بن زُرارة ابن مصعب بن عبد الرحمن بن عوف ، حدثنا عبد العزيز بن محمد بن عبيد الله ، عن نافع ، عن ابن عمر ، أنه قال : قدمنا [من] مكة فبرز لنا العُصبة^(١) ، عمر بن الخطاب وأبو عبيدة بن الجراح وسالم مولى أبي حذيفة ، فكان يؤمهم سالم مولى أبي حذيفة لأنه كان أكثرهم قرآنا .

(١) العُصبة : موضع بقاء .

فصل

في سبب هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه الكريمة

قال الله تعالى « وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطٰنًا نَّصِيرًا » .

أرشده الله وألمه أن يدعو بهذا الدعاء ، أن يجعل له مما هو فيه فرجاً قريباً ومخرجاً عاجلاً ، فأذن له تعالى في الهجرة إلى المدينة النبوية ، حيث الأنصار والأحباب ، فصارت له داراً وقراراً ، وأهلها له أنصاراً .

قال أحمد بن حنبل وعثمان بن أبي شيبه ، عن جرير ، عن قابوس بن أبي ظبيان^(١) ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ، فأمر بالهجرة وأنزل عليه : « وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ ، وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطٰنًا نَّصِيرًا » .

وقال قتادة : « أَدْخَلَنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ » المدينة « وَأَخْرَجَنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ » الهجرة من مكة « وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطٰنًا نَّصِيرًا » كتاب الله وفرائضه وحدوده .

قال ابن إسحاق : وأقام رسول الله بمكة بعد أصحابه من المهاجرين ينتظر أن يؤذن له في الهجرة .

(١) ح : قابوس بن أبي ظبيان .

ولم يتخلف معه بمكة إلا من حُبس أو قتن ، إلا على بن أبي طالب وأبو بكر بن أبي قُحافة رضى الله عنهما .

وكان أبو بكر كثيراً ما يستأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الهجرة فيقول له « لا تَعْجَلْ لعل الله يجعل لك صاحباً » فيطمع أبو بكر أن يَكُونَهُ .

فلما رأت قريش أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد صار له شِيعَةٌ وأصحابٌ من غيرهم بغير بلدهم ورأوا خروجَ أصحابه من المهاجرين إليهم ، عرفوا أنهم قد نزلوا داراً وأصابوا منهم منعة .

فَحَذَرُوا خروجَ رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم ، وعرفوا أنه قد أجمعَ لحربهم .

فاجتمعوا له في دار الندوة ، وهى دار قُصَى بن كِلَاب التى كانت قريش لا تَقْضَى أمراً إلا فيها ، يتشاورون فيما يصنعون فى أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم حين خافوه .

قال ابن إسحاق : فحدثني من لا أتهم من أصحابنا ، عن عبد الله بن أبي نَجِيح ، عن مجاهد بن جبر ، عن عبد الله بن عباس ، وغيره من لا أتهم ، عن عبد الله عباس ، قال : لما اجتمعوا لذلك واتَّعدوا أن يدخلوا فى دار الندوة ليتشاوروا فيها فى أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، غدَّوا فى اليوم الذى اتَّعدوا له ، وكان ذلك اليوم يسمى يوم الزَّحمة ، فاعترضهم إبليس لعنه الله فى صورة شيخ جليل عليه بَتُّ^(١) له فوقف على باب الدار ، فلما رأوه واقفا على بابها قالوا : مَنْ الشيخ ؟ قال : شيخٌ من أهل نجد ، سمع بالذى اتَّعدتم له فحضر معكم ليسمع ما تقولون ، وعسى أن لا يُعْدمكم منه رأياً ونصحا . قالوا : أجل فادخل .

(١) البت : الكساء الغليظ . وفى المطبوعة : بتلة ، وهو خطأ .

فدخل معهم وقد اجتمع فيها أشراف قريش : عتبة وشيبة ، وأبو سفيان ، وطعيمة ابن عدي ، وجبير بن مطعم بن عدي ، والحارث بن عامر بن نوفل ، والنضر بن الحارث ، وأبو البختري بن هشام ، وزمعة بن الأسود ، وحكيم بن حزام ، وأبو جهل ابن هشام ونبيه ومُنْبه ابنا الحجاج ، وأمّية بن خلف ، ومن كان منهم ، وغيرهم ممن لا يُعدُّ من قريش .

فقال بعضهم لبعض : إن هذا الرجل قد كان من أمره ما قد رأيتم ، وإننا والله ما نأمنه على الوثوب علينا بمن قد اتبعه من غيرنا ، فأجمعوا فيه رأيا .

قال : فتشاوروا ، ثم قال قائل منهم ، قيل إنه أبو البختري بن هشام : احبسوه في الحديد وأغلقوا عليه بابا ، ثم تربصوا به ما أصاب أشباهه من الشعراء الذين كانوا قبله ، زُهيرا والنايفة ومن مضى منهم من هذا الموت ، حتى يصيبه ما أصابهم .

فقال الشيخ النجدي : لا والله ما هذا لكم برأى ، والله لئن حبستموه كما تقولون ليخرجنَّ أمره من وراء الباب هذا الذي أغلقتُم دونه إلى أصحابه ، فلاؤشكوا أن يثبُّوا عليكم فينتزعوه من أيديكم ثم يكاثروكم به حتى يغلبوكم على أمركم ، ما هذا لكم برأى .

فتشاوروا ، ثم قال قائل منهم : نخرجه من بين أظهرنا فننفيه من بلادنا ، فإذا خرج عنا فوالله ما نبألى أين ذهب ولا حيث وقع ، إذا غاب عنا وفرغنا منه فأصلحنا أمرنا وألفتنا كما كانت .

قال الشيخ النجدي : لا والله ما هذا لكم برأى ، ألم تروا حُسن حديثه وحلاوة منطقته وغلبته على قلوب الرجال بما يأتي به ؟ ! والله لو فعلتم ذلك ما أمنتُ أن يحلَّ على حى من العرب فيغلب عليهم بذلك من قوله وحديثه حتى يتابعوه عليه ، ثم يسير بهم

إليكم حتى يظأكم بهم فيأخذ أمركم من أيديكم ، ثم يفعل بكم ما أراد ، أديروا فيه رأياً غير هذا .

فقال أبو جهل بن هشام : والله إن لي فيه رأياً ما أراكم وقعتم عليه بعد . قالوا : وما هو يا أبا الحكم ؟

قال : أرى أن نأخذ من كل قبيلة فتى شاباً جليداً نسيباً وسيطاً فينا ، ثم نعطي كل فتى منهم سيفاً صارماً ، ثم يعمدوا إليه فيضربوه بها ضربة رجل واحد فيقتلوه فنستريح منه ، فإنهم إذا فعلوا ذلك تفرق دمؤه في القبائل جميعها ، فلم يقدر بنو عبد مناف على حرب قومهم جميعاً ، فرضوا منا بالعقل ففعلناه لهم .

قال : يقول الشيخ النجدي : القول ما قال الرجل ، هذا الرأي ولا رأي غيره . فتفرق القوم على ذلك وهم مجمعون له .

فأتى جبرائيل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له : لا تبث هذه الليلة على فراشك الذي كنت تبث عليه .

قال : فلما كانت عتمة من الليل اجتمعوا على بابه يرصدونه حتى ينام فيثبون عليه ، فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم مكانهم قال لعلي بن أبي طالب : نمت على فراشي وتسج ببردي هذا الأخضر ، فتم فيه فإنه لن يخلص إليك شيء تسكره منهم . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينام في برده ذلك إذا نام .

وهذه القصة التي ذكرها ابن إسحاق قد رواها الواقدي بأسانيده ، عن عائشة وابن عباس وعلى وسراقة بن مالك بن جعشم وغيرهم ، دخل حديث بعضهم في بعض ، فذكر نحو ما تقدم .

قال ابن إسحاق : حدثني يزيدُ بن أبي زياد ، عن محمد بن كعب القرظي ، قال :
لما اجتمعوا له ، وفيهم أبو جهل قال وهم على بابه : إن محمداً يزعم أنكم إن تابعتموه على
أمره كنتم ملوك العرب والعجم ، ثم بُعثتم من بعد موتكم ، فجعلت لكم جناتٍ كجنات
الأردن ، وإن لم تفعلوا كان فيكم ذبحٌ ، ثم بُعثتم بعد موتكم ، ثم جعلت لكم ناراً
تُحرقون فيها .

قال : فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخذ حفنة من تراب في يده ثم قال :
« نعم أنا أقول ذلك ، أنت أحدُهم » .

وأخذ الله على أبصارهم عنه فلا يرونه ، فجعل يَنثر ذلك التراب على رؤوسهم وهو
يتنو هذه الآيات : « يس . والقرآن الحكيم . إنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ على صراطٍ مُسْتَقِيمٍ »
إلى قوله : « وجعلنا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ »
ولم يَبْقَ منهم رجلٌ إلا وقد وُضِعَ على رأسه ترابا .

ثم انصرف إلى حيث أراد أن يذهب .

فأنام آتٍ ممن لم يكن معهم فقال : ماتنتظرون ههنا ؟ قالوا : محمداً . فقال : خيِّبكم الله !
قد والله خرج عليكم محمد ، ثم ماترك منكم رجلاً إلا وقد وضع على رأسه ترابا ، وانطلق
لحاجته ، أفما ترون ما بكم ؟ !

قال : فوضع كلُّ رجلٍ منهم يده على رأسه ، فإذا عليه تراب ، ثم جعلوا يتطلَّعون
فيرون عليّاً على الفراش متسجّياً ببرد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيقولون : والله إن
هذا الحمد نأثماً عليه برده ، فلم يبرحوا كذلك حتى أصبحوا ، فقام علىٌّ عن الفراش
فقالوا : والله لقد كان صدقنا الذي كان حدّثنا .

قال ابن إسحاق : فكان مما أنزل الله في ذلك اليوم وما كانوا أجمعوا له قوله تعالى : « وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ، وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ ، وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ » ^(١) وقوله « أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمُنُونِ قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُتَرَبِّصِينَ » ^(٢) .

قال ابن إسحاق : فأذن الله لنبيه صلى الله عليه وسلم عند ذلك بالهجرة .

(٢) سورة الطور ٣١ .

(١) سورة الأنفال ٣٠ .

باب

هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه الكريمة من مكة إلى المدينة
ومعه أبو بكر الصديق رضى الله عنه

وذلك أولُ التاريخ الإسلامي ، كما اتفق عليه الصحابة في الدولة العُمَريَّة . كما ينفّاه
في سيرة عمر ، رضى الله عنه وعنهم أجمعين .

قال البخارى : حدثنا مطر بن الفضل ، حدثنا رَوْح ، حدثنا هشام ، حدثنا
عِكْرمة ، عن ابن عباس قال : بُعث النبي صلى الله عليه وسلم لأربعين سنة ، فكث
فيها ثلاث عشرة يوحى إليه ، ثم أمر بالهجرة فهاجر عشر سنين ، ومات وهو ابن ثلاثٍ
وستين سنة .

وقد كانت هجرته عليه السلام في شهر ربيع الأول ، سنة ثلاث عشرة من بعثته
عليه السلام ، وذلك في يوم الإثنين .

كما رواه الإمام أحمد عن ابن عباس ، أنه قال : ولد نبيكم يوم الإثنين ، وخرج
من مكة يوم الإثنين ، ونبيُّ يوم الإثنين ، ودخل المدينة يوم الإثنين ، وتوفى يوم
الاثنين .

قال محمد بن إسحاق : وكان أبو بكر حين استأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في
الهجرة فقال له : لا تَعْجَلْ لعل الله أن يجعل لك صاحباً ، قد طمع بأن يكون رسولُ الله
صلى الله عليه وسلم إنما يعنى نفسه .

فابتاع راحلتين فحبسهما في داره يعلفهما إعداداً لذلك . قال الواقدي : اشتراها بثمانمائة درهم .

قال ابن إسحاق : فحدثني من لا أتهم ، عن عروة بن الزبير ، عن عائشة أم المؤمنين ، أنها قالت : كان لا يُخطئ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأتي بيت أبي بكر أحد طرفي النهار إما بُكرة ، وإما عشيّة .

حتى إذا كان اليوم الذي أذن الله فيه رسوله صلى الله عليه وسلم في الهجرة والخروج من مكة من بين ظهراني قومه أتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالهجرة في ساعة كان لا يأتي فيها .

قالت : فلما رآه أبو بكر قال : ما جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه الساعة إلا لأمر حدث .

قالت : فلما دخل تأخر له أبو بكر عن سريره ، فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس عند رسول الله^(١) صلى الله عليه وسلم أحد إلا أنا وأختي أسماء بنت أبي بكر ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أخرج عني من عندك » قال : يا رسول الله إنما هما ابتاعى ، وما ذاك فذاك أبي وأمي ؟

قال : إن الله قد أذن لي في الخروج والهجرة .

قالت : فقال أبو بكر : الصحبة يا رسول الله ؟ قال : الصحبة .

قالت : فوالله ما شعرت قط قبل ذلك اليوم أن أحداً يبكي من الفرح ، حتى رأيت أبا بكر يومئذ يبكي !

ثم قال : يابني الله إن هاتين راحلتين كنت أعدتهما لهذا .

(١) ابن هشام : وليس عند أبي بكر .

فاستأجرا عبد الله بن أَرْقَطَ ^(١) قال ابن هشام: ويقال عبد الله بن أَرْيَظَ . رجلاً من بني الدَّيْل بن بكر ، وكانت أمه من بني سَهْم بن عمرو ، وكان مشركاً ، يدهمها على الطريق ، ودفعها إليه راحلتيهما ، فكانتا عنده يرعاها لميعادهما .

قال ابن إسحاق : ولم يعلم ، فيما بلغني ، بخروج رسول الله صلى الله عليه وسلم أحداً حين خرج إلا على بن أبي طالب وأبو بكر الصديق وآل أبي بكر .

أما على فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمره أن يتخلف حتى يؤدي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الودائع التي كانت عنده للناس ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وليس بمكة أحد عنده شيء يخشى عليه إلا وضعه عنده ، لما يعلم من صدقه وأمانته .

قال ابن إسحاق : فلما أجمع رسول الله صلى الله عليه وسلم [الخروج] ^(٢) أتى أبا بكر ابن أبي قحافة ، فخرجا من خَوْخَة لأبي بكر في ظهر بيته .

وقد روى أبو نعيم من طريق إبراهيم بن سعد ، عن محمد بن إسحاق ، قال : بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خرج من مكة مهاجراً إلى الله يريد المدينة قال .

« الحمد لله الذي خلقني ولم أكُ شيئاً ، اللهم أعني على هَوْلِ الدنيا ، وبوائقِ الدهر ، ومصائب الليالي والأيام .

اللهم اصحبني في سفرى ، واخلفني في أهلى ، وبارك لى فيما رزقتنى ، ولك فذللى ، وعلى صالح خلقي فقومنى ، وإليك ربِّ فحببني ، وإلى الناس فلا تكِلني .

ربَّ المستضعفين وأنت ربى ، أعوذ بوجهك الكريم الذى أشرقت له السموات

(٢) من ابن هشام .

(١) الأصل : أرقط : وما أثبتته عن ابن هشام .

والأرض ، وكُشِفَتْ به الظلمات ، وصُلِحَ عليه أمر الأولين والآخرين ، أن تُحِلَّ عَلَى غَضَبِكَ ، أو تنزل بى سخطك ، أعوذ بك من زوال نعمتك ، وفَجْأَةٍ نَقَمْتِكَ ، وتحوُّل عافيتك وجميع سخطك . لك العُتْبَى ^(١) عندى خير ما استطعتُ ، لا حول ولا قوة إلا بك . » .

قال ابن إسحاق : ثم عمداً إلى غار بثور ، جبل بأسفل مكة ، فدخله .
وأمر أبو بكر الصديق ابنه عبد الله أن يتسمَّعَ لها ما يقول الناس فيهما نهاره ، ثم يأتيهما إذا أمسى بما يكون في ذلك اليوم من الخبر .
وأمر عامر بن فهيرة موله أن يرعى غنمه نهاره ، ثم يريحها عليهما إذا أمسى في الغار .

فكان عبد الله بن أبي بكر يكون في قریش نهاره معهم ، يسمع ما يأترون به ، وما يقولون في شأن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبى بكر ، ثم يأتيهما إذا أمسى فيخبرهما الخبر .

وكان عامر بن فهيرة يرعى في رُعيان أهل مكة ، فإذا أمسى أراح عليهما غمَّ أبى بكر فاحتلبا وذبحا ، فإذا غدا عبدُ الله بن أبى بكر من عندهما إلى مكة أتبع عامرُ ابن فهيرة أثره بالغنم يعفَى عليه .

وسياتى في سياق البخارى ما يشهد لهذا .

وقد حكى ابن جرير عن بعضهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سبق الصديقَ في الذهاب إلى غارِ ثور ، وأمر عليّاً أن يدلّه على مسيره ليلحقه ، فلحقه في أثناء الطريق .

وهذا غريب جداً وخلاف المشهور من أنهما خرجا معاً .

قال ابن إسحاق : وكانت أسماء بنت أبي بكر رضى الله عنها تأتيهما من الطعام إذا أمست بما يصلحهما .

قالت أسماء : ولما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر أتانا نفر من قريش فيهم أبو جهل بن هشام ، فوقفوا على باب أبي بكر فخرجت إليهم فقالوا : أين أبوك يا ابنة أبي بكر ؟ قالت : قلت : لا أدري والله أين أبي . قالت : فرفع أبو جهل يده ، وكان فاحشاً خبيثاً ، فلطم خدّي لكمة طرّح منها قرطى ، ثم انصرفوا .

قال ابن إسحاق : وحدثني يحيى بن عبّاد بن عبد الله بن الزبير ، أن أباه حدثه ، عن جدته أسماء قالت : لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وخرج أبو بكر معه ، احتمل أبو بكر ماله كله معه ، خمسة آلاف درهم أو ستة آلاف درهم ، فانطلق بها معه . قالت : فدخل علينا جدى أبو قحافة ، وقد ذهب بصره ، فقال : والله إنى لأراه قد فجّعكم بماله مع نفسه .

قالت : قلت : كلاً يا أبت إنه قد ترك لنا خيراً كثيراً . قالت : وأخذت أحجاراً فوضعتها في كوة في البيت الذى كان أبى يضع ماله فيها ، ثم وضعت عليها ثوبا ، ثم أخذت سده فقلت : يا أبت ضع يدك على هذا المال . قالت : فوضع يده عليه فقال : لا بأس ، إذا كان قد ترك لكم هذا فقد أحسن ، وفى هذا بلاغ لكم .

ولا والله ما ترك لنا شيئاً ، ولكن أردت أن أسكن الشيخ بذلك !

وقال ابن هشام : وحدثني بعض أهل العلم أن الحسن بن أبى الحسن البصرى .

قال : انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر إلى الغار ليلاً ، فدخل أبو بكر قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلمس الغار لينظر أفيه سبع أو حية ، بقي رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه .
وهذا فيه انقطاع من طرفيه ..

وقد قال أبو القاسم البغوي : حدثنا داود بن عمرو الضبي ، حدثنا نافع بن عمر الجمحي ، عن ابن أبي مليكة ، أن النبي صلى الله عليه وسلم لما خرج هو وأبو بكر إلى ثور ، فجعل أبو بكر يكون أمام النبي صلى الله عليه وسلم مرة ، وخلفه مرة . فسأله النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال : إذا كنتُ خلفك خشيتُ أن تؤتني من أمامك ، وإذا كنتُ أمامك خشيتُ أن تؤتني من خلفك .

حتى إذا انتهى إلى الغار من ثور ، قال أبو بكر : كما أنت حتى أدخل يدي فأحسّه وأقصّه ، فإن كانت فيه دابةٌ أصابتنى قبلك .

قال نافع : فبلغني أنه كان في الغار جحر فالتق أبو بكر رجله ذلك الجحر تخوفاً أن يخرج منه دابة أو شيء يؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم .
وهذا مرسل . وقد ذكرنا له شواهد أخر في سيرة الصديق رضي الله عنه .

وقال البيهقي : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، أخبرنا أبو بكر أحمد بن إسحاق ، أنبأنا موسى بن الحسن ، حدثنا عباد ، حدثنا عفان بن مسلم ، حدثنا السري بن يحيى . حدثنا محمد بن سيرين ، قال : ذكر رجال على عهد عمر ، فكانهم فضّلوا عمر على أبي بكر ، فبلغ ذلك عمر فقال : والله لليلة من أبي بكر خير من آل عمر ، وليوم من أبي بكر خير من آل عمر !

لقد خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة انطلق إلى الغار ومعه أبو بكر فجعل

يمشى ساعة بين يديه وساعة خلفه . حتى فطن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال :
يا أبا بكر مالك تمشى ساعة خلفى وساعة بين يدي ؟ فقال : يا رسول الله أذكر الطلب
فأمشى خلفك ، ثم أذكر الرصد فأمشى بين يديك . فقال : يا أبا بكر لو كان شئ
لأحببت أن يكون بك دونى ؟ قال : نعم والذي بعثك بالحق .

فلما انتهيا إلى الغار قال أبو بكر : مكانك يا رسول الله حتى أستبرئ لك الغار ،
فدخل فاستبرأه ، حتى إذا كان ذكر أنه لم يستبرئ الجحرة فقال : مكانك يا رسول الله
حتى أستبرئ . فدخل فاستبرأ ثم قال : انزل يا رسول الله . فنزل .
ثم قال عمر : والذي نفسى بيده لتلك الليلة خير من آل عمر .

وقد رواه البيهقي من وجه آخر عن عمر وفيه : أن أبا بكر جعل يمشى بين يدي
رسول الله صلى الله عليه وسلم تارة وخلفه أخرى ، وعن يمينه وعن شماله . وفيه أنه
لما حفيت رجلاً رسول الله صلى الله عليه وسلم حمله الصديق على كاهله ، وأنه لما
دخل الغار سدّد تلك الأجرة كلّها وبقي منها حجر واحد ، فألقمه كعبه ، فجعلت
الأفاعى تنهشه ودموعه تسيل . فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تحزن
إن الله معنا » .

وفى هذا السياق غرابة ونكارة .

وقال البيهقي : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ وأبو سعيد بن أبي عمرو . قالوا : حدثنا
أبو العباس الأصم ، حدثنا عباس الدوري ، حدثنا أسود بن عامر شاذان ، حدثنا
إسرائيل ، عن الأسود ، عن جندب بن عبد الله ، قال : كان أبو بكر مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم فى الغار ، فأصاب يده حجر فقال :

إِنْ أَنْتَ إِلَّا إِبْصَعُ دَمِيَّتٍ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ مَا لَقِيتِ

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرزاق ، أخبرنا معمر ، أخبرني عثمان الجَزَرِي ، أن مقسماً مولى ابن عباس أخبره عن ابن عباس في قوله تعالى « وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ » قال : تشاورت قريش ليلة بمكة ، فقال بعضهم : إذا أصبح فأثبتوه بالوثاق ، يريدون النبي صلى الله عليه وسلم . وقال بعضهم : بل اقتلوه . وقال بعضهم : بل أخرجوه . فأطلع الله نبيه صلى الله عليه وسلم على ذلك ، فبات على فراش النبي صلى الله عليه وسلم تلك الليلة ، وخرج النبي صلى الله عليه وسلم حتى لحق بالغار ، وبات للمشركون يحرسون علياً يحسبونه النبي صلى الله عليه وسلم .

فلما أصبحوا ثاروا عليه ، فلما رأوا علياً رد الله عليهم مكرهم . فقالوا : أين صاحبك هذا ؟ فقال : لا أدري .

فاقتفوا أثره ، فلما بلغوا الجبل اختلط عليهم ، فصعدوا الجبل ففروا بالغار ، فرأوا على بابه نسج العنكبوت ، فقالوا : لو دخل هاهنا أحد لم يكن نسج العنكبوت على بابه ، فكش فيه ثلاث ليال .

وهذا إسناد حسن ، وهو من أجود ما روى في قصة نسج العنكبوت على فم الغار ، وذلك من حماية الله ورسوله صلى الله عليه وسلم .

[وقال الحافظ ^(١) أبو بكر أحمد بن علي بن سعيد القاضي في مسند أبي بكر ، حدثنا بشار الخفاف ، حدثنا جعفر وسليمان ^(٢) ، حدثنا أبو عمران الجوني ، حدثنا الملعلي بن زياد ، عن الحسن البصري ، قال : انطلق النبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر إلى الغار ، وجاءت قريش يطلبون النبي صلى الله عليه وسلم ، وكانوا إذا رأوا على باب الغار نسج العنكبوت قالوا : لم يدخل أحد .

(١) سقط هذا الخبر من (١) (٢) كذا ولعله جعفر بن سليمان الضبعي .

وكان النبي صلى الله عليه وسلم قائماً يصلي وأبو بكر يرتقب ، فقال أبو بكر للنبي صلى الله عليه وسلم : هؤلاء قومك يطلبونك ، أما والله ما على نفسي أثيل^(١) ولكن مخافة أن أرى فيك ما أكره .

فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : « يا أبا بكر لا تخف إن الله معنا » .

وهذا مرسل عن الحسن ، وهو حسن بحاله من الشاهد .

وفيه زيادة صلاة النبي صلى الله عليه وسلم في الغار . وقد كان عليه السلام إذا أحزنه أمرٌ صلى .

وروى هذا الرجل ، أعني أبا بكر أحمد بن علي القاضي ، [عن] عمرو الناقد ، عن خلف بن تميم ، عن موسى بن مطير ، عن أبيه ، عن أبي هريرة ، أن أبا بكر قال لابنه : يا بني إذا حدث في الناس حدثٌ فأت الغار الذي اختبأت فيه أنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم فكن فيه ، فإنه سيأتيك رزقك فيه بكرة وعشيا^(٢) .

وقد نظم بعضهم هذا في شعره حيث يقول :

نَسَجُ داوودَ ما حَمَى صاحبَ الفا رِوكانَ الفَخَّارُ للعنكبوتِ

وقد ورد أن حمامتين عَشَّستا على بابه أيضا ، وقد نظم ذلك الصرصري في شعره حيث يقول :

فغَمَى عليه العنكبوتُ بنَسْجِه وظلَّ على الباب الحمامُ يبيضُ

والحديث بذلك رواه الحافظ ابن عساكر ، من طريق يحيى بن محمد بن صاعد ، حدثنا عمرو بن علي ، حدثنا عون بن عمرو أبو عمرو القيسى ، ويلقب بعوين^(٣) ، حدثني أبو مُصْعَب المَكِّي ، قال : أدركت زيدا بن أرقم والغيرة بن شُعْبَةَ وأنس بن مالك ،

(١) أثيل : أحزن . (٢) إلى هنا من (١) . (٣) الأصل : عوين .

يذكرون أن النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الغار أمر الله شجرةً فخرجت في وجه النبي صلى الله عليه وسلم تستره ، وأن الله بعث العنكبوت فنسجت ما بينهما فسترت وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأمر الله حمامتين وحشيتين فأقبلتا تدقان^(١) حتى وقعتا بين العنكبوت وبين الشجرة ، وأقبلت فتیان قریش من كل بطن منهم رجلٌ ، معهم عصيتهم وقسيهم وهراواتهم ، حتى إذا كانوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم قدر مائتي ذراع قال الدليل ، وهو سراقه بن مالك بن جُعشم المذلجى : هذا الحجر ثم لا أدرى أين وضع رجله . فقال الفتیان : أنت لم تخطى منذ الليلة . حتى إذا أصبحوا^(٢) قال : انظروا في الغار ، فاستبقه القوم حتى إذا كانوا من النبي صلى الله عليه وسلم قدر خمسين ذراعا ، فإذا الحمامتان ، فرجع^(٣) فقالوا : ما ردك أن تنظر في الغار؟ قال : رأيت حمامتين وحشيتين بقم الغار ، فعرفت أن ليس فيه أحد .

فسمعا النبي صلى الله عليه وسلم فعرف أن الله قد درأ عنهما بهما ، فسمتا عليهما ، أى برک عليهما ، وأحذرهما الله إلى الحرم فأفرخا كما ترى .

وهذا حديث غريب جداً من هذا الوجه ، قد رواه الحافظ أبو نعيم من حديث مسلم بن إبراهيم وغيره ، عن عون بن عمرو ، وهو الملقب بعوين ، بإسناده مثله . وفيه أن جميع حمام مكة من نسل تيك الحمامتين .

وفي هذا الحديث أن القائف الذى اقتنى لهم الأثر سراقه بن مالك المذلجى . وقد روى الواقدى عن موسى بن محمد بن إبراهيم ، عن أبيه أن الذى اقتنى لهم الأثر كُرُز بن علقمة .

(١) الدفیف من الطائر : مره فوق الأرض أو أن يحرك جناحاه ورجلاه فريق الأرض .

(٢) الأصل : أصبحن . وهو تحريف . (٣) الأصل : ترجع . وهو تحريف .

قلت : ويحتمل أن يكونا جميعاً اقتضيا الأثر . والله أعلم .

وقد قال الله تعالى : « إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ ، إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ ، إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ : لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا . فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا ، وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا ، وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ^(١) » .

يقول تعالى مؤثِّباً لمن تخاف عن الجهاد مع الرسول : « إِلَّا تَنْصُرُوهُ » أنتم فإنَّ الله ناصرهم ومؤيده ومُظفرهم ، كما نصره « إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا » من أهل مكة هارباً ليس معه غيرُ صاحبه وصديقه أبي بكر ليس غيره .

ولهذا قال « ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ » أى وقد لجأ إلى الغار فأقاما فيه ثلاثة أيام لَيْسَكُنِ الطَّلَبُ عَنْهُمَا .

وذلك لأنَّ المشركين حين فقدوها كما تقدم ذهبوا في طلبهما كلَّ مذهب من سائر الجهات ، وجعلوا لمن رَدَّها ، أو أحدهما مائةً من الإبل ، واقتصوا آثارها حتى اختلط عليهم ، وكان الذى يقتص الأثر لقريش سُراقَةُ بْنُ مَالِكِ بْنِ جُعْشَمٍ كما تقدم ، فصعدوا الجبلَ الذى هما فيه ، وجعلوا يمرُّون على باب الغار ، فتَحَاذَى أَرْجُلُهُمْ لِبَابِ الْغَارِ وَلَا يَرُونَهَا ، حفظا من الله لهما .

كما قال الإمام أحمد : حدثنا عفان ، حدثنا هَمَّامٌ ، أنبأنا ثابت ، عن أنس بن مالك ، أن أبا بكر حدثه ، قال : قلت للنبي صلى الله عليه وسلم ونحن في الغار : لو أن أحدهم نظر إلى قدميه لأبصرنا تحت قدميه .

فقال : « يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما » .

وأخرجه البخارى ومسلم فى صحيحهما من حديث هام به .

وقد ذكر بعضُ أهل السير أن أبا بكر لما قال ذلك تال النبي صلى الله عليه وسلم :

لو جاءونا من هاهنا لذهبنا من هنا .

فنظر الصديق إلى الغار قد انفرج من الجانب الآخر ، وإذا البحر قد اتصل به ،

وسفينة مشدودة إلى جانبه .

وهذا ليس بمنكر من حيث القدرة العظيمة ، ولكن لم يرد ذلك بإسناد قوى

ولا ضعيف ، ولسنا نثبت شيئاً من تلقاء أنفسنا ، ولكن ما صحَّ أو حسنَّ سندُه قلنا

به . والله أعلم .

وقد قال الحافظ أبو بكر البزار : حدثنا الفضل بن سهل ، حدثنا خلف بن تميم ، حدثنا

موسى بن مطير القرشى ، عن أبيه ، عن أبي هريرة أن أبا بكر قال لابنه : يا بنى إن

حدثت فى الناس حدثٌ فأت الغار الذى رأيتنى اختبأت فيه أنا ورسول الله صلى الله

عليه وسلم فكنْ فيه ، فإنه سيأتيك فيه رزقك غدوةً وعشية .

ثم قال البزار : لا نعلم يرويه غيرُ خلف بن تميم .

قلت : وموسى بن مطير هذا ضعيف متروك ، وكذبه يحيى بن معين فلا

يقبل حديثه .

وقد ذكر يونس بن بُكير ، عن محمد بن إسحاق ، أن الصديق قال فى دخولها

الغار ، وسيرهما بعد ذلك ، وما كان من قصة سُرَاقَةِ كجا سيأتى ، شعراً فنه قوله :

قال النسبي ، ولم أَجْزَع يُوقَرْنِي ونحن في سُذْفٍ^(١) من ظُلْمَةِ الْغَارِ
لا تَحْشَ شَيْئاً فَإِنَّ اللَّهَ ثَالِثُنَا وقد تَوَكَّلْ لِي مِنْهُ بِإِظْهَارِ

وقد روى أبو نعيم هذه القصيدة من طريق زياد ، عن محمد بن إسحاق فذكرها
مطولة جداً وذكر معها قصيدة أخرى والله أعلم .

وقد روى ابن لهيعة ، عن أبي الأسود ، عن عروة بن الزبير ، قال : فكث
رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بعد الحج ، يعني الذي بايع فيه الأنصار ، بقية ذى الحجة
والحرم وصفر .

ثم إن مشركي قريش أجمعوا أمرهم ومكرهم على أن يقتلوا رسول الله صلى الله
عليه وسلم ، أو يحبسوه ، أو يخرجوه ، فأطلعه الله على ذلك فأنزل عليه : « وَإِذْ يَمْكُرُ
بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا^(٢) » الآية . فأمر علياً فنام على فراشه ، وذهب هو وأبو بكر ، فلما
أصبحوا ذهبوا في طلبهما في كل وجه يطلبونهما .

وهكذا ذكر موسى بن عقبة في مغازيه ، وأن خروجه هو وأبو بكر إلى الغار
كان ليلاً .

وقد تقدم عن الحسن البصري فيما ذكره ابن هشام التصريح بذلك أيضاً .

وقال البخاري : حدثنا يحيى بن بكير ، حدثنا الليث عن عقيل قال ابن شهاب :
فأخبرني عروة بن الزبير ، عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت : لم أعقل
أبوى قط إلا وهما يدينان الدين ، ولم يمر علينا يومٌ إلا يأتينا فيه رسول الله صلى الله
عليه وسلم طرفي النهار بُكْرَةً وعشية ، فلما ابتلى المسلمون خرج أبو بكر مهاجراً نحو
أرض الحبشة ، حتى إذا بلغ برك الغياد لقيه ابن الدغنة وهو سيد القارة .

(١) ابن هشام : سُدْفَةٌ . (٢) سورة الأنفال ٣٠ .

فذكرت ما كان من ردّه لأبي بكر إلى مكة وجواره له . كما قدمناه عند هجرة الحبشة إلى قوله : فقال أبو بكر : فإني أردُّ عليك جوارك وأرضى بجوار الله .

قالت : والنبيُّ صلى الله عليه وسلم يومئذ بمكة . فقال النبي صلى الله عليه وسلم للمسلمين : « إني أريت دارَ هجرتكم ذاتَ نخل بين لابتين » وهما الحرتان .

فهاجر من هاجر قبل المدينة ، ورجع بعضُ من كان هاجر قبل الحبشة إلى المدينة . وتجهز أبو بكر مهاجراً قبل المدينة . فقال له رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : « على رسلك فإنِّي أرجو أن يؤذَنَ لي » فقال أبو بكر : وهل ترجو ذلك بأبي أنت وأمي ؟ قال : نعم .

فخس أبو بكر نفسه على رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصحبه ، وعلف راحلتين كانتا عنده ورق السَّمَر ، وهو الخَبِيط ، أربعة أشهر ، وذكر بعضهم أنه علفهما ستة أشهر .

قال ابن شهاب : قال عروة : قالت عائشة : فبينما نحن يوماً جلوسٌ في بيت أبي بكر في حرِّ الظهيرة ، فقال قائل لأبي بكر : هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم متقنِّعاً في ساعةٍ لم يكن يأتينا فيها ، فقال أبو بكر : فداء له أبي وأمي ، والله ما جاء به في هذه الساعة إلا أمر !

قالت : فجاء رسولُ الله صلى الله عليه وسلم قاستأذن فأذن له ، فدخل فقال النبي صلى الله عليه وسلم : أخرج من عندك . فقال أبو بكر : إنما هم أهلاك بأبي أنت يا رسول الله .

قال : فإنه قد أذن لي في الخروج . فقال أبو بكر : الصحبة بأبي أنت وأمي ! قال النبي صلى الله عليه وسلم : نعم .

قال أبو بكر : فخذ أنت يا رسول الله إحدى راحلتَي هاتين . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بالثمن .

قالت عائشة : فجهزناهما أحث^(١) الجِهاز ، فصنعنا لهما سُفرة^(٢) في جِراب ، فقطعت أسماء بنت أبي بكر قطعة من نطاقها فربطت به على فم الجراب ، فلذلك سُميت ذات النطاقين .

قالت : ثم لحق رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر بفار في جبل ثور ، فكننا فيه ثلاث ليال ، يبيت عندهما عبد الله بن أبي بكر ، وهو غلام شاب ثَقِفٌ لَقِنٌ^(٣) ، فيُدْج من عندهما بسَحَر فيصبح مع قريش بمكة كبائتٍ ، لا يسمع أمراً يُكادان به إلا وعاه حتى يأتيهما بخبر ذلك حين يختلط الظلام ، ويرعى عليهما عامر بن فهيرة مولى أبي بكر منحةً من غم فيُرِيحهما عليهما حين يذهب ساعة من العشاء ، فيبيتان في رِسل ، وهو لبن منحتيهما ورضيفهما^(٤) ، حتى يَنقُ بها عامر بن فهيرة بَعْلَس ، يفعل ذلك في كل ليلة من تلك الليالي الثلاث .

واستأجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر رجلاً من بني الدَّيْل ، وهو من بني عبد بن عدى ، هادياً خَرِيْتاً . والخريت : الماهر بالهداية . قد غَمَس^(٥) حِلْفاً في آل العاص بن وائل السهمي ، وهو على دين كفار قريش ، فأَمِنَاه فدفعنا إليه راحلتيهما ، وواعداه غار ثور بعد ثلاث ليال براحتيهما صبح ثلاث ليال . وانطلق معهما عامر بن فهيرة والدليل ، فأخذ بهم طريق السواحل .

قال ابن شهاب : فأخبرني عبد الرحمن بن مالك المدلجي وهو ابن أخي سُرَاقَة ، أن أباه أخبره أنه سمع سُرَاقَة بن مالك بن جُعشم يقول : جاءنا رُسل كفار قريش

(١) أحث الجِهاز : أسرع . وتروى : أحب الجِهاز . (٢) سفرة : زادا .

(٣) ثَقِف : حاذق . ولَقِن : سريع الفهم . (٤) الأصل : ورضيعهما . وما أثبتته من البخاري .

والرضيف : اللبن يغلى بالرضفة (٥) غَمَس حلفاً : عقده . وكانوا يغمسون أيديهم فجفنة توكيدا للحلف .

يُجْعَلُونَ فِي رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَبَى بَكْرٍ دِيَّةَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا لِمَنْ قَتَلَهُ أَوْ أَسْرَهُ .

فِينَمَا أَنَا جَالِسٌ فِي مَجْلَسٍ مِنْ مَجَالِسِ قَوْمِي بَنِي مُدَلَجٍ ، إِذَا قَبِلَ رَجُلٌ مِنْهُمْ حَتَّى قَامَ عَلَيْنَا وَنَحْنُ جُلُوسٌ . فَقَالَ : يَا سِرَاقَةَ إِنِّي رَأَيْتُ آتِفًا أَسْوَدَةً ^(١) بِالسَّاحِلِ أَرَاهَا مُحَمَّدًا وَأَصْحَابَهُ .

قَالَ سِرَاقَةُ : فَعَرَفْتُ أَنَّهُمْ هُمْ ، فَقُلْتُ لَهُ : إِنَّهُمْ لَيْسُوا بِهِمْ ، وَلَكِنَّكَ رَأَيْتَ فُلَانًا وَفُلَانًا انْطَلَقُوا بِأَعْيُنِنَا .

ثُمَّ لَبِثْتُ فِي الْمَجْلَسِ سَاعَةً ، ثُمَّ مَتَّ فِدَخَلْتُ فَأَمَرْتُ جَارِيَّتِي أَنْ تَخْرُجَ بِفَرَسِي وَهِيَ مِنْ وَرَاءِ أَكْمَةٍ فَتَحْبِسَهَا عَلَى ، وَأَخَذْتُ رِمْحِي فَخَرَجْتُ مِنْ ظَهْرِ الْبَيْتِ فَخَطَطْتُ بِزُجَّةٍ ^(٢) الْأَرْضَ وَخَفَضْتُ عَلَيْهِ ، حَتَّى أَتَيْتُ فَرَسِي فَرَكِبْتُهَا فَدَفَعْتُهَا تَقَرُّبُ ^(٣) بِي حَتَّى دَنُوتُ مِنْهُمْ ، فَعَثَرَتْ بِي فَرَسِي فَخَرَزَتْ عَنْهَا ، فَهَمْتُ فَأَهْوَيْتُ يَدِي إِلَى كِنَانَتِي فَاسْتَخَرَجْتُ مِنْهَا الْأَزْلَامَ ، فَاسْتَقَسَمْتُ بِهَا أَضْرَثَهُمْ أَمْ لَا ؟ فَخَرَجَ الَّذِي أَكْرَهَ . فَرَكِبْتُ فَرَسِي وَعَصِيتُ الْأَزْلَامَ .

فَجَعَلَ فَرَسِي يَقَرُّبُ بِي ، حَتَّى إِذَا سَمِعْتُ قِرَاءَةَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ لَا يَلْتَفِتُ وَأَبُو بَكْرٍ يُكْثِرُ اللَّاتِفَاتِ ، سَاخَتْ يَدَا فَرَسِي فِي الْأَرْضِ حَتَّى بَلَغَتَا الرِّكْبَتَيْنِ ، فَخَرَزَتْ عَنْهَا فَأَهْوَيْتُ ، ثُمَّ زَجَرْتُهَا فَهَضَمَتْ ، فَلَمْ تَسْكُدْ تَخْرُجُ يَدِيهَا ، فَلَمَّا اسْتَوَتْ قَائِمَةً إِذَا لِأَثَرِ يَدِيهَا غِبَارٌ سَاطِعٌ فِي السَّمَاءِ مِثْلَ الدِّخَانِ ، فَاسْتَقَسَمْتُ الْأَزْلَامَ فَخَرَجَ الَّذِي أَكْرَهَ .

(٢) الزج : حديدة تجمل في طرف الرمح .

(١) الأسود : يكنى بها عن الشخص .

(٣) الأصل : ففرت . وما أثبتته من البخاري .

فناديتهم بالأمان ، فوقفوا فركبت فرسى حتى جثهم ووقع فى نفسى حين لقيت
مالقيت من المجلس عنهم أن سيظهر أمرُ رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقلت له : إن
قومك قد جعلوا فيك الدية ، وأخبرتهم أخباراً ما يريد الناسُ بهم ، وعرضت عليهم الزادَ
والمناخ ، فلم يَرَزَ آنى^(١) ولم يسألانى إلا أن قالوا : أَخْفِ عَنَا . فسألته أن يكتب لى كتابَ
أَمْنٍ ، فأمر عامر بن فهيرة فكتب لى رقعة من أَدَمَ . ثم مضى رسولُ الله صلى الله
عليه وسلم .

وقد روى محمد بن إسحاق ، عن الزهرى ، عن عبد الرحمن بن مالك بن جُشم ،
عن أبيه ، عن عمه سراقه فذكر هذه القصة ، إلا أنه ذكر أنه استقسم بالأزلام أولَ
ما خرج من منزله فخرج السهم الذى يكره : لا يضره ، وذكر أنه عثر به فرسه أربع
مرات ، وكل ذلك يستقسم بالأزلام ويخرج الذى يكره : لا يضره . حتى ناداهم بالأمان .
وسأل أن يكتب له كتابا يكون أمانةً ما بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال :
فكتب لى كتابا فى عَظْمٍ ، أو رقعة أو خِرقة ، وذكر أنه جاء به إلى رسول الله صلى الله
عليه وسلم وهو بالجعرانة مَرَجِعَهُ من الطائف ، فقال له « يومُ وفاءٍ وبرٍّ ، ادنه »
فدنوت منه ، وأسلمت .

قال ابن هشام : هو عبد الرحمن بن الحارث بن مالك بن جشم .
وهذا الذى قاله جَيْد .

ولما رجع سُرَاقه جعل لا يلقى أحدا من الطَّلب إلا ردّه وقال : كُفَيْتُمْ
هذا الوجه .

(١) الأصل : فلم يردانى وهو تصحيف وما أثبتته من صحيح البخارى .

فلما ظهر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد وصل إلى المدينة ، جعل سراقه يقصُّ على الناس ما رأى وما شاهد من أمر النبي صلى الله عليه وسلم وما كان من قصة جواده ، واشتهر هذا عنه ، فخاف رؤساء قريش معرفته ، وخشوا أن يكون ذلك سبباً لإسلام كثير منهم ، وكان سراقه أميرَ بنى مُذَلْجٍ ورئيسهم ، فكتب أبو جهل ، لعنه الله ، إليهم :

بنى مُذَلْجِ إني أخاف سفيهم سراقه مُسْتَفْوٍ لِنَصْرِ مُحَمَّدٍ
عليكم به ألا يفرِّقَ جَمْعَكُمْ فيصبح شتَّى بعد عزِّ وسُودِ

قال : فقال سراقه بن مالك يحيب أبا جهل في قوله هذا :

أبا حَكَمٍ والله لو كنتَ شاهداً لأمرِ جوادى إذ تَسُوخُ قوائمه
عجبتَ ولم تَشْكُكْ بأنَّ محمداً رسولٌ وبرهان فن ذا يقاومه^(١)
عليك فكفَّ القومَ عنه فإني أخالُ لنا يوماً سببدو معاله
بأمرٍ توذَّ النصرَ فيه فإنهم وإنَّ جميعَ الناس طُرّاً مُسألَمه

وذكر هذا الشعر الأُموي في مغازيه بسنده عن أبي إسحاق ، وقد رواه أبو نعيم بسنده من طريق زياد عن ابن إسحاق ، وزاد في شعر أبي جهل أبياتاً تتضمن كفراً بليفاً .

وقال البخارى بسنده إلى ابن شهاب : فأخبرني عروة بن الزبير أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لقي الزبير في رَكْبٍ من المسلمين كانوا تجاراً قافلين من الشام ، فكسَّ الزبيرُ رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبا بكر ثياب بيض .

(١) : نبي وبرهان فن ذا يكلمه .

وسمع المسلمون بالمدينة بمخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة ، فكانوا
دُونَ كُلِّ غَدَاةٍ إِلَى الْحَرَّةِ فَيَنْتَظِرُونَهُ حَتَّى يَرُدَّهُمْ حَرُّ الظَّهْرِ .

فَانْقَلَبُوا يَوْمًا بَعْدَ مَا أَطَالُوا ابْتِظَارَهُمْ ، فَلَمَّا أَوُوا إِلَى بَيْوتِهِمْ أَوْفَى رَجُلٌ مِنَ الْيَهُودِ
عَاطِمٌ^(١) مِنْ آطَامِهِمْ لِأَمْرٍ يَنْظُرُ إِلَيْهِ ، فَبَصُرَ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابِهِ
مَبْيُضِينَ^(٢) يَزُولُ بِهِمُ السَّرَابُ ، فَلَمْ يَمْلِكِ الْيَهُودِيُّ أَنْ قَالَ بِأَعْلَى صَوْتِهِ : يَا مَعْشَرَ
عَرَبٍ هَذَا جَدُّكُمْ الَّذِي تَنْتَظِرُونَ .

فَنَارَ الْمُسْلِمُونَ إِلَى السِّلَاحِ فَتَلَقَّوْا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِظَهْرِ الْحَرَّةِ ،
عَدَلَ بِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ حَتَّى نَزَلَ بِهِمْ فِي بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ ، وَذَلِكَ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ مِنْ
شَهْرِ رَبِيعِ الْأَوَّلِ .

فَقَامَ أَبُو بَكْرٍ لِلنَّاسِ ، وَجَاسَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَامِتًا ، فَطَفِقَ مَنْ
جَاءَ مِنَ الْأَنْصَارِ مَنْ لَمْ يَرَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَحْيَى أَبَا بَكْرٍ ، حَتَّى أَصَابَتْ
الشَّمْسُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَأَقْبَلَ أَبُو بَكْرٍ حَتَّى ظَلَّلَ عَلَيْهِ بَرْدَانَهُ ، فَعَرَفَ
النَّاسَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَ ذَلِكَ .

فَلَبِثَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ بَضْعَ عَشْرَةِ لَيَالٍ وَأُسَسَ
الْمَسْجِدَ الَّذِي أُسَسَ عَلَى التَّقْوَى ، وَصَلَّى فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

ثُمَّ رَكِبَ رَاحِلَتَهُ وَسَارَ يَمْشِي مَعَهُ النَّاسُ حَتَّى بَرَكْتَ عِنْدَ مَسْجِدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْمَدِينَةِ ، وَهُوَ يَصَلِّي فِيهِ يَوْمَئِذٍ رِجَالُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ . وَكَانَ مِرْبَدًّا لِلتَّمَرِ

(١) الْأَطْمُ : الْحَصَنُ . (٢) مَبْيُضِينَ : عَلَيْهِمُ الثِّيَابُ الْبَيْضُ الَّتِي كَسَاهَا لَيَالِيَهُمُ الزَّبِيرُ وَطَلْحَةُ .
وَقَالَ ابْنُ التِّينِ : يَحْتَمِلُ أَنْ مَعْنَاهَا مُسْتَعْجِلِينَ ، قَالَ ابْنُ فَارَسٍ : يُقَالُ : بَاطَضَ أَيْ مُسْتَعْجِلَ شَرَحَ
المواهب ١ / ٣٥٠ .

لِسُهَيْلٍ وَسَهْلٍ غُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي حَجَرِ أُسْعَدِ بْنِ زُرَّارَةَ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ بَرَكْتَ بِهِ رَاحِلَتَهُ : « هَذَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ الْمَنْزِلُ » .

ثُمَّ دَعَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْغُلَامَيْنِ فَسَاوَمَهُمَا بِالْمَرْبَدِّ لِيَتَّخِذَهُ مَسْجِدًا ، فَقَالَا : بَلْ نَهَبُهُ لَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، فَأَبَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَقْبَلَهُ مِنْهُمَا هِبَةً حَتَّى ابْتَاعَهُ مِنْهُمَا . ثُمَّ بَنَاهُ مَسْجِدًا .

فَطَفِقَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَنْقُلُ مَعَهُمُ اللَّابِنَ فِي بَنِيَانِهِ ، وَهُوَ يَقُولُ حِينَ يَنْقُلُ اللَّابِنَ :

هَذَا الْحِمَالُ لَا حِمَالُ خَيْرَ . هَذَا أَيْرُ رَبَّنَا وَأَطْهَرُ .

وَيَقُولُ :

لَا هُمْ إِنْ الْأَجْرُ أَجْرُ الْآخِرَةِ فَارْحَمِ الْأَنْصَارَ وَالْمُهَاجِرَةَ

فَتَمَثَّلَ بِشَعْرِ رَجُلٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ لَمْ يَسْمَعْ لِي . قَالَ ابْنُ شِهَابٍ : وَلَمْ يَبْلُغْنَا فِي الْأَحَادِيثِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَمَثَّلَ بِبَيْتِ شَعْرِ تَامٍ غَيْرِ هَذِهِ الْآيَاتِ .

هَذَا لَفْظُ الْبُخَارِيِّ ، وَقَدْ تَفَرَّدَ بِرَوَايَتِهِ دُونُ مُسْلِمٍ ، وَلَهُ شَوَاهِدٌ مِنْ وَجْهِهِ آخَرٌ ، وَلَيْسَ فِيهِ قِصَّةُ أُمِّ مَعْبُدٍ الْخَزَاعِيَّةِ .

وَلَنْذَكَرْ هُنَا مَا يَنْاسِبُ ذَلِكَ مَرْتَبًا أَوْ لَا فَأُولَا .

قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ : حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ مُحَمَّدٍ أَبُو سَعِيدٍ الْعَنْقَرِيُّ ^(١) ، حَدَّثَنَا إِسْرَائِيلُ ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ ، عَنْ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ ، قَالَ : اشْتَرَى أَبُو بَكْرٍ مِنْ عَازِبٍ سَرَجًا بِثَلَاثَةِ عَشْرَ دِرْهَمًا ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ لِعَازِبٍ : مُرِ الْبَرَاءَ فَلْيَحْمِلْهُ إِلَى

(١) نسب إلى العنقر وهو الریحان ، كان يبيعه أو يزرعه ، مات سنة ١٩٩ يروى عن إسرائيل والثوري . الباب ٢ / ١٥٦ .

منزلى . فقال : لا حتى نتحدثا كيف صنعت حين خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنت معه .

فقال أبو بكر : خرجنا فأدْلجنا فأحْشَنا يومنا وليلتنا حتى أظهرنا وقام قائمُ الظهيرة ، فضربتُ بصرى هل أرى ظلاً نأوى إليه ، فإذا أنا بصخرة فأهويتُ إليها فإذا بقية ظلها فسويته لرسول الله صلى الله عليه وسلم وفرشت له فروةً وقلت : اضطجع يا رسول الله . فاضطجع .

ثم خرجت أنظر هل أرى أحداً من الطلب ، فإذا أنا براعى غنم ، فقلت : لمن أنت يا غلام ؟ فقال : لرجل من قريش . فسماه فعرفته ، فقلت : هل فى غنمك من لبن ؟ قال : نعم ! قلت : هل أنت حالبٌ لى ؟ قال نعم . فأمرته فاعتقل شاةً منها ثم أمرته فنفض ضرعها من الغبار ، ثم أمرته فنفض كفيه من الغبار ، ومعنى إداوة على فيها خرقة فخلب لى كُثبة^(١) من اللبن ، فصببت على القدح حتى برد أسفله ، ثم أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فوافيته وقد استيقظ ، فقلت : اشرب يا رسول الله . فشرب حتى رضيت ، ثم قلت : هل آن الرحيل ؟ فارتحلنا والقوم يطلبوننا .

فلم يدركنا أحدٌ منهم إلا سُرّاقة بن مالك بن جعشم على فرس له ، فقلت : يا رسول الله هذا الطلب قد لحقنا ؟ قال : « لا تحزن إن الله معنا » .

حتى إذا دنا فكان بيننا وبينه قدر رُمح ، أو رحمين أو قال رحمين أو ثلاثة ، قلت : يا رسول الله هذا الطلبُ قد لحقنا ! وبكيت ، قال : لم تبكى ؟ قلت : أما والله ما على نفسى أبكى ، ولكن أبكى عليك .

فدعا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « اللهم اكفنا بما شئت » فساخت قوائم فرسه إلى بطنها فى أرض صلْدٍ ، ووثب عنها وقال : يا محمد قد علمت أن هذا عملك

(١) الكُثبة : القليل من اللبن .

فادعُ الله أن ينجيني مما أنا فيه ، فوالله لأعْمِنَ على مَنْ ورأى من الطلب ، وهذه كنانتي نخذ منها سهماً فإنك ستمرُّ بإبلى وغنمى بموضع كذا وكذا نخذ منها حاجتك .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا حاجة لى فيها » ودعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فأطلق ورجع إلى أصحابه .

ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا معه ، حتى قدما المدينة وتلقاه الناس ، فخرجوا في الطرق [و] على الأناجير^(١) ، واشتد الخدم والصبيان في الطريق يقولون : الله أكبر جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، جاء محمد .

قال : وتنازع القومُ أيهم ينزل عليه ، قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أنزلُ الليلةَ على بنى النجار أحوال عبد المطلب لأكرمهم بذلك » فلما أصبح غدا حيث أمر .

قال البراء : أولُ من قدّم علينا من المهاجرين مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ أَخُو بَنِي عَبْدِ الدَّارِ ، ثم قدم علينا ابن أم مكتوم الأعشى أحد بني فهر ، ثم قدم علينا عمر بن الخطاب في عشرين راكبا ، فقلنا : ما فعل رسول الله ؟ قال : هو على أثرى . ثم قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر معه .

قال البراء : ولم يقدّم رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قرأت سوراً من المنفصل .

أخرجاه في الصحيحين من حديث إسرائيل بدون قول البراء : أول من قدم علينا . إلح . فقد انفرد به مسلم فرواه من طريق إسرائيل به .

وقال ابن إسحاق : فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم في الفار ثلاثاً ومعه أبو بكر ، وجعلت قریش فيه حين فقدوه مائة ناقةٍ لمن ردّه عليهم ، فلما مضت الثلاث وسكن عنهما الناس أتاها صاحبهما الذي استأجراه ببيعيريهما وبعير له ، وأتتهما أسماء بنت أبي بكر بُسُفرتيهما ، ونسيت أن تجعل لها عصاماً ، فلما ارتحلا ذهبت لتعلق السفرة فإذا ليس فيها عصام ، فتحل نطاقها فتجعله عصاماً ثم علقها به . فكان يقال لها : ذات النطاقين لذلك .

قال ابن إسحاق : فلما قرَّب أبو بكر الراحلتين إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قدَّم له أفضلهما ثم قال : اركب فداك أبي وأُمي ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إني لا أركب بغيراً ليس لي » قال : فهي لك يا رسول الله بأبي أنت وأُمي . قال : لا ولكن ما الثمن الذي ابتعتها به ؟ قال : كذا وكذا . قال : أخذتها بذلك . قال : هي لك يا رسول الله .

وروى الواقدي بأسانيده أنه عليه السلام أخذ القِصَواء ، قال : وكان أبو بكر اشتراها بثمانمائة درهم .
وروى ابن عساکر من طريق أبي أسامة عن هشام ، عن أبيه ، عن عائشة قالت : وهي الجدعاء . وهكذا حكى السهيلي عن ابن إسحاق أنها الجدعاء والله أعلم .

قال ابن إسحاق : فركبا وانطلقا . وأردف أبو بكر عامر بن فهيرة موله خلفه ليخدمهما في الطريق .

فحدثت عن أسماء أنها قالت : لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر أتاناً نفر من قریش منهم أبو جهل ، فذكر ضربه لها على خدها لكمة طرح منها قُرْطُها من أذنها كما تقدم .

قالت : فكثنا ثلاثَ ليالٍ ماندرى أين وجهَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، حتى أقبل رجلٌ من الجن من أسفل مكة يتغنى بأبيات من شعر غناء العرب ، وإن الناس ليتبغفونه يسمعون صوته وما يرونه ، حتى خرج من أعلى مكة وهو يقول :

جزى الله ربُّ الناس خيراً جزائه رفيقَيْنَ حَلًّا خيمَتِي أمَّ مَعْبِدٍ
ها نزلًا بالبرِّ ثم تروّحا فأفلح من أمسى رفيقَ محمدٍ
ليهنِ بنى كعبٍ مكانُ فتاتهم ومَقْعَدُها للمؤمنين بمرصَدٍ

قالت أسماء : فلما سمعنا قوله عرفنا حيث وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأن وجهه إلى المدينة .

قال ابن إسحاق : وكانوا أربعة ؛ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأبو بكر ، وعامر ابن فهيرة مولى أبي بكر ، وعبد الله بن أرقط^(١) كذا يقول ابن إسحاق ، والمشهور عبد الله بن أريقط الدبلي . وكان إذ ذاك مشركا .

قال ابن إسحاق : ولما خرج بهما دليلهما عبد الله بن أرقط^(١) سلك بهما أسفل مكة ثم مضى بهما على الساحل حتى عارض الطريق أسفل من عُسْفان ، ثم سلك بهما على أسفل أمّج ، ثم استيجاز بهما حتى عارض الطريق بعد أن أجاز قُدَيْدًا ، ثم أجاز بهما من مكانه ذلك فسلك بهما الحَرَّارَ^(٢) ثم أجاز بهما ثَنِيَّةَ المَرَّةِ ، ثم سلك بهما لِقْفًا ، ثم أجاز بهما مَدْلَجَةَ لِقْفٍ ، ثم استبطن بهما مَدْلَجَةَ حِجَاجٍ ثم سلك بهما مَرَجِحَ حِجَاجٍ ، ثم تبطن بهما مَرَجِحَ من ذى العضوين ؛ ثم بطن ذى كَشَرٍ^(٣) ، ثم أخذ بهما على الجَدَّاجِد ، ثم على الأجرَد ، ثم سلك بهما ذا سَلَمٍ من بطن أعداء مَدْلَجَةَ

(١) الأصل : أرقط . وهو تحريف والتصويب من ابن هشام .

(٢) الحرار : واد أو ماء بالمدينة . (٣) الأصل : كشد ، وما أثبتته من معجم البلدان .

نَعِيمٍ^(١) ، ثم على العبايد ، ثم أجاز بهما القاحنة ثم هبط بهما العرج وقد أبطأ عليهم بعضُ ظهرهم ، فحمل رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلٌ من أسلم يقال له أوس بن حجر على جمل يقال له ابن الرداء ، إلى المدينة وبعث معه غلاما يقال له مسعود بن هُنَيْدَة ، ثم خرج بهما [دليلهما من العرج ، فسلك بهما ثنية العائر عن يمين ركوبة ، ويقال ثنية العائر فيما قال ابن هشام ، حتى هبط بهما بطن رَم ، ثم قدم بهما^(٢)] قُبَاء على بنى عمرو بن عوف ، لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول يوم الاثنين حين اشتد الضَّحَاء وكادت الشمس تعتدل .

وقد روى أبو نعيم من طريق الواقدي نحوه من ذكر هذه المنازل ، وخالفه في بعضها والله أعلم .

قال أبو نعيم : حدثنا أبو حامد بن جبلة ، حدثنا محمد بن إسحاق ، عن السَّرَّاج ، حدثنا محمد بن عباد بن موسى العجلي ، حدثني أخى موسى بن عباد ، حدثني عبد الله بن سَيَّار ، حدثني إياس بن مالك بن الأوس الأسلمي ، عن أبيه ، قال : لما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر مرثوا بإبل لنا بالجحفة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لمن هذه الإبل ؟ فقالوا : لرجل من أسلم . فالتفت إلى أبي بكر فقال : سلمت إن شاء الله . فقال : ما اسمك ؟ قال : مسعود . فالتفت إلى أبي بكر فقال : سعدت إن شاء الله .

قال : فأتاه أبي فحملة على جمل يقال له ابن الرداء .

قلت : وقد تقدم عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج من مكة يوم الاثنين ، ودخل المدينة يوم الاثنين .

(١) نعيم : عين على ثلاثة أميال من السقيا بين مكة والمدينة .

(٢) سقطت من أ

والظاهر أن بين خروجه عليه السلام من مكة ودخوله المدينة خمسة عشر يوماً .
لأنه أقام بغار ثور ثلاثة أيام ، ثم سلك طريق الساحل وهي أبعد من الطريق الجادة .

واجتاز في مروره على أم مَعْبِد بنت كعب من بني كعب بن خُزاعة .

قال ابن هشام : وقال يونس عن ابن إسحاق : اسمها عاتكة بنت خلف بن مَعْبِد
ابن ربيعة بن أصرم .

وقال الأُموي : هي عاتكة بنت تَبِيع حليف بني مُنْقِذ بن ربيعة بن أصرم بن
صَنْبِيس^(١) بن حرام بن خَيْسة بن كعب بن عمرو .

ولهذه المرأة من الولد معبد ونضرة وحنيدة بنو أبي معبد ، واسمه أكرم بن عبد العزى
ابن معبد بن ربيعة بن أصرم بن صَنْبِيس .

وقصتها مشهورة مروية من طرق يشد بعضها بعضا .

وهذه قصة أم معبد الخُزاعية :

قال يونس عن ابن إسحاق : فنزل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بخيمة أم معبد
واسمها عاتكة بنت خلف بن معبد بن ربيعة بن أصرم ، فأرادوا القِرَى فقالت : والله
ما عندنا طعام ولا لنا منحة ولا لنا شاة إلا حائل .

فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم ببعض غنمها فمسح ضرعها بيده ودعا الله
وحلب في العُسِّ حتى أرغى وقال : اشربي يا أم معبد . فقالت : اشربي فأنت أحقُّ به .
فردّه عليها فشربت ، ثم دعا بجائيل أخرى ففعل مثل ذلك بها فشربه ، ثم دعا بجائل

(١) في الإصابة : خَبِيس .

أخرى ففعل بها مثل ذلك فسقى دليله ، ثم دعا بجائل أخرى ففعل بها مثل ذلك فسقى عامراً ، ثم تروّح .

وطلبت قریش رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغوا أمّ مَعْبُد فسألوا عنه ، فقالوا : أَرَأَيْتَ مُحَمَّدًا مِنْ حِلْيَتِهِ كَذَا وَكَذَا ؟ فوصفوه لها .

فقلت : ما أدري ما تقولون ، قَدِمْنَا فَتَى حَالِبٍ الْحَائِلِ .

قلت قریش : فذاك الذي نريد .

وقال الحافظ أبو بكر البزار ، حدثنا محمد بن معمر ، حدثنا يعقوب بن محمد ، حدثنا عبد الرحمن بن عقبة بن عبد الرحمن بن جابر بن عبد الله ، حدثنا أبي ، عن أبيه ، عن جابر قال : لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر مهاجرين فدخلوا الغار ، إذا في الغار جُبْرٌ فَأَلْقَمَهُ أَبُو بَكْرٍ عَقِبَهُ حَتَّى أَصْبَحَ ، مخافة أن يخرج على رسول الله صلى الله عليه وسلم منه شيء .

فأقاما في الغار ثلاث ليالٍ ثم خرجا حتى نزل بنخيات أم معبد ، فأرسلت إليه أم معبد : إني أرى وجوها حسناً ، وإن الحى أقوى على كرامتكم منى .

فلما أمسوا عندها بعثت مع ابن لما صغير بشفرة وشاة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اَرْدَدِ الشَّفْرَةَ وَهَاتِ لَنَا فَرَقًا » يعنى القَدَح . فأرسلت إليه أن لا لبن فيها ولا ولد . قال : هات لنا فرقا فجاءت بفرق فضرب ظهرها فاجترت ودرّت فخاب فلأ القدح فشرب وسقى أبا بكر ، ثم حلب فبعث فيه إلى أم معبد .

ثم قال البزار : لا نعلمه يُروى إلا بهذا الإسناد ، وعبد الرحمن بن عُبَدة لا نعلم أحداً حدّث عنه إلا يعقوب بن محمد ، وإن كان معروفاً في النسب .

وروى الحافظ البيهقي من حديث يحيى بن زكريا بن أبي زائدة ، حدثنا محمد بن

عبد الرحمن بن أبي ليلى ، حدثنا عبد الرحمن بن الأصبهاني ، سمعت عبد الرحمن بن أبي ليلى ، عن أبي بكر الصديق قال : خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة فأتهمنا إلى حى من أحياء العرب ، فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بيت منتحياً فقصد إليه ، فلما نزلنا لم يكن فيه إلا امرأة فقالت : يا عبد الله إنما أنا امرأة وليس معى أحد ، فعليكما بعظيم الحى إن أردتم القرى . قال : فلم يجبها وذلك عند المساء ، فجاء ابن لها بأعز يسوقها ، فقالت : يا بنى انطلق بهذه العنز والشفرة إلى هذين الرجلين فقل لهما تقول لكما أى اذبحا هذه وكلاً وأطعمانا .

فلما جاء قال له النبي صلى الله عليه وسلم : انطلق بالشفرة وجئنى بالقدح . قال : إنها قد عزبت وليس بها لبن ، قال : انطلق ، فجاء بقدح فمسح النبي صلى الله عليه وسلم ضرعها ثم حلب حتى ملأ القدح ، ثم قال : انطلق به إلى أمك . فشربت حتى رويت ، ثم جاء به فقال : انطلق بهذه وجئنى بأخرى . ففعل بها كذلك ثم سقى أبا بكر ، ثم جاء بأخرى ففعل بها كذلك ، ثم شرب النبي صلى الله عليه وسلم .

فبقنا ليلتنا ، ثم انطلقنا . فكانت تسميه المبارك . وكثرت غنمها حتى جلبت جلبا إلى المدينة ، فرأى أبو بكر فرأى ابنها فعرفه ، فقال : يا أمه هذا الرجل الذى كان مع المبارك . فقامت إليه فقالت : يا عبد الله من الرجل الذى كان معك؟ قال : أو ماتدرين من هو؟ قالت : لا . قال : هو نبي الله . قالت فأدخلنى عليه .

قال : فأدخلها فأطعمها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعطاهما .

زاد ابن عبدان فى روايته : - قالت : فدلّنى عليه ، فانطلقت معى ، وأهدت لرسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا من أقِطٍ ومَتَاعِ الأعراب . قال : فكساها وأعطاهما .

قال : ولا أعلمه إلا قال : وأسلمت .

إسناد حسن .

وقال البيهقي : هذه القصة شبيهة بقصة أم معبد ، والظاهر أنها هي . والله أعلم .

وقال البيهقي : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ وأبو بكر أحمد بن الحسن القاضي ، قالا : حدثنا أبو العباس الأصم ، حدثنا الحسن بن مكرم ، حدثني أبو أحمد بشر بن محمد السكرى ، حدثنا عبد الملك بن وهب المذحجي ، حدثنا أنجر بن الصباح ، عن أبي معبد الخزاعي ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج ليلة هاجر من مكة إلى المدينة هو وأبو بكر وعامر بن فهيرة مولى أبي بكر ودليلهم عبد الله بن أريقط اللثي ، فرؤوا نجيمتي أم معبد الخزاعية .

وكانت أم معبد امرأة برزة جلدة تحب وتجلس بفناء الخيمة فتطعم وتسقى ، فسألوها هل عندها لحم أو لبن يشترونه منها ؟ فلم يجدوا عندها شيئا من ذلك ، وقالت : لو كان عندنا شيء ما أعوزكم القرى ، وإذا القوم مرملون مستنون .

فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا شاة في كسر^(١) خيمتها فقال : ماهذه الشاة يا أم معبد ؟ فقالت : شاة خلفها الجهد عن الغنم . قال : فهل بها من لبن ؟ قالت : هي أجهد من ذلك . قال : تأذنين لي أن أحلبها ؟ قالت : إن كان بها حلب فاحلبها .

فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالشاة فمسحها وذكر اسم الله ومسح ضرعها وذكر اسم الله ، ودعا بإناء لها يربض الرهط^(٢) فتفاجت^(٣) واجترت فحلب فيه ثجأ

(١) كسر الخيمة : جانبها .

(٢) تفاجت : فرجت مابين رجليها .

(٣) يربض الرهط : يشبعهم حتى يربضوا .

حتى ملأه ، فسقاها وسقى أصحابه فشربوا عَمَلًا بعد نَهْل ، حتى إذا رَوُوا شرب آخرهم وقال : ساقى القوم آخرهم . ثم حلب فيه ثانياً عوداً على بدء ، فغادره عندها . ثم ارتحلوا .

قال : فقلَّ مالبث أن جاء زوجها أبو معبد يسوق أعزاً عجافاً يتساوكن هزلاً لا تَنَقِي بهن ^(١) تحن قليل ، فلما رأى اللبن تحب وقال : من أين هذا اللبن يا أم معبد ، ولا حلوبة في البيت والشاء عازب ؟ !

فقلت : لا والله إنه مر بنا رجل مبارك كان من حديثه كيت وكيت .

فقال : صفيه لي ، فوالله إني لأراه صاحب قريش الذي تطلب .

فقلت : رأيت رجلاً ظاهر الوضاعة حسن الخلق مليح الوجه لم تعبهُ نُجْلَةٌ ^(٢) ولم تَزُرْ به صُعْلَةٌ ^(٣) ، قَسِيمٌ وسيم ، في عينيه دَعَجٌ ، وفي أشفاره وَطْفٌ ^(٤) ، وفي صوته صَحْلٌ ، أحولُ أكلُ أَرَجٌ أَقْرَنُ في عنقه سَطَعٌ ^(٥) وفي لحيته كثائَةٌ ، إذا صمت فعليه الوقار ، وإذا تكلم سما وعلاه البهاء ، حلوا المنطق فَصْلٌ لا نَزْر ولا هذر ، كأن مَنْطِقَهُ خِرَزَاتٌ نَظْمٌ يَنْحَدِرْنَ ، أبهى الناس وأجملُهُ من بعيد ، وأحسنه من قريب ، رُبْعَةٌ لا تَشْنَاهُ ^(٦) عينٌ من طول ، ولا تقتحمه عينٌ من قِصَر ، غُصْنٌ بين غصنين ، فهو أنضر الثلاثة منظراً ، وأحسنهم قدّاً ، له رفقاء يحفون به ، إن قال استمعوا لقوله ، وإن أمر تبادروا لأمره ، مخفود مخشود ، لا عابس ولا مُفْنَد .

فقال - يعني بعلمها - : هذا والله صاحب قريش الذي تطلب ، ولو صادفته لالتمت

أن أصحبه ، ولأجهدن إن وجدت إلى ذلك سبيلاً .

(١) يتساوكن : يتمايلن . والنقى : المنخ . (٢) النجلة : عظم البطن . والصعلة : صغر الرأس . (٣) وطف : طول . (٤) سطع : طول . (٥) الأصل : تشناه . وهو تحريف . وما أثبتته عن الوفا لابن الجوزي والمواهب والدلائل لأبي نعيم . ومعنى تشناه : تبغضه .

قال : وأصبح صوتٌ بمكة عالٍ بين السماء والأرض يسمعونَهُ ولا يرون من يقول ، وهو يقول :

جزى الله ربُّ الناس خيراً جزائه رفيقَيْنَ حَلاً خيمَتِي أمَّ مَعْبِدٍ
 هما نزلاً بالبِرِّ وارتحلاً به فأفلحَ مَنْ أَمْسَى رفيقَ عَمْدٍ
 فيا أَقْصَى ما روى الله عنكم به من فِعَالٍ لا تَجَازِي وسُودِدِ
 سَلُّوا أختكم عن شاتها وإناها فإنكم إن تسألوا الشاةَ تَشْهَدِ
 دعاهُا بشاةٍ حائلٍ فتَحَلَّبتُ له بصريحٍ ، ضَرَّةُ الشاةِ ^(١) مُزْبِدِ
 فغادره رَهْناً لديْها لخالِبِ يَدُرُّ لها في مَضْدَرٍ ثم مَوْرِدِ

قال : وأصبح الناس ، يعني بمكة ، وقد فقدوا نبيهم ، فأخذوا على خيمتي أم معبد حتى لحقوا برسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال : وأجابه حسان بن ثابت :

لقد خاب قومٌ زال عنهم نبيُّهم وقد سُرَّ ^(٢) من يَسْرِي إليهم ويَفْتَدِي
 ترَحَّلَ عن قومٍ فزالَتْ عقولُهم وحَلَّ على قومٍ بنورٍ مُجْدِدِ
 وهل يَسْتَوِي ضَلالُ قومٍ تَسْفَهوا عَمَى وهداةٌ يَهْتَدُونَ بِمَهْدِ
 نبيٌّ يرى ما لا يرى الناسُ حوله ويتلو كتابَ الله في كلِّ مَشْهَدِ
 وإن قال في يومٍ مقالةً غائبٍ فتصديقُها في اليومِ أو في ضُحَى الغَدِ
 لَيَنْزِلَ أبا بكرٍ سعادةً جَدُّه بصحبته مَنْ يُسْعِدُ الله يَسْعَدِ
 ويَهْنِ بنى كعبٍ مكانُ فتاتهم ومَقْعِدُها للساكنين بمرْصَدِ

قال - يعني عبد الملك بن وهب - : فبلغني أن أبا معبد أسلم وهاجر إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم .

(١) الضرة : أصل الضرع .

(٢) الوفا ودلائل أبي نعم : وقدم .

وهكذا روى الحافظ أبو نعيم من طريق عبد الملك بن وهب اللذحي ، فذكر مثله سواء . وزاد في آخره : قال عبد الملك : بلغني أن أم معبد هاجرت وأسلمت ولحقت برسول الله صلى الله عليه وسلم .

ثم رواه أبو نعيم من طرق ، عن بكر بن محرز الكلبي الخزاعي ، عن أبيه محرز ابن مهدي ، عن حرام بن هشام بن حبيش بن خالد ، عن أبيه ، عن جده حبيش بن خالد صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أخرج من مكة خرج منها مهاجراً هو وأبو بكر وعامر بن فهيرة ودليلهما عبد الله بن أريقط الليثي ، فمروا بخيمة أم معبد ، وكانت امرأة برزة جلدة تحتجى بفناء القبة ، وذكر مثل ما تقدم سواء .

قال . وحدثناه ، فيما أظن ، محمد بن أحمد بن علي بن مخلد ، حدثنا محمد بن يونس ابن موسى ، يعني السكدي ، حدثنا عبد العزيز بن يحيى بن عبد العزيز مولى العباس بن عبد المطلب ، حدثنا محمد بن سليمان بن سليط الأنصاري ، حدثني أبي ، عن أبيه سليط البدرى ، قال : لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في الهجرة ومعه أبو بكر وعامر ابن فهيرة وابن أريقط يدلهم على الطريق ، مرّ بأم معبد الخزاعية وهي لا تعرفه فقال لها : يا أم معبد هل عندك من لبن ؟ قالت : لا والله إن الغنم لعازية . قال : فما هذه الشاة ؟ قالت : خلّفتها الجهد عن الغنم ؟ ثم ذكر تمام الحديث كنحو ما تقدم .

ثم قال البيهقي : يُحتمل أن هذه القصص كلها واحدة .

ثم ذكر قصة شبيهة بقصة شاة أم معبد الخزاعية فقال : حدثنا أبو عبد الله الحافظ ، إمامنا ، حدثنا أبو بكر أحمد بن إسحاق بن أيوب ، أخبرنا محمد بن غالب ، حدثنا

أبو الوليد ، حدثنا عبد الله بن إِيَاد بن لَقِيط ، حدثنا إِيَاد بن لَقِيط ، عن قيس بن النعمان ، قال : لما انطلق النبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر مُسْتَخْفَيْن ، مرُّوا بعبد يرمى غنماً فاستسقياه الابن فقال : ما عندي شاة تحلب ، غير أن هاهنا عَنَاقاً^(١) حلت أول الشتاء ، وقد أخذت^(٢) وما بقي لها من لبن . فقال : ادع بها . فدعا بها فاعتقلها النبي صلى الله عليه وسلم ومسح ضرعها ودعا حتى أنزلت ، وجاء أبو بكر بمجن حلب فسقى أبا بكر ثم حلب فسقى الراعى ، ثم حلب فشرب .

فقال الراعى : بالله من أنت ؟ فوالله ما رأيت مثلك قط . قال : أو تراك تكتم على حتى أخبرك ؟ قال : نعم .

قال : فإني محمد رسول الله .

فقال : أنت الذى تزعم قریش أنه صابى ؟ قال : إنهم ليقولون ذلك .

قال : فإني أشهد أنك نبي ، وأشهد أن ما جئت به حق ، وأنه لا يفعل ما فعلت إلا نبي ، وأنا متبعلك .

قال : إنك لا تستطيع ذلك يومك هذا ، فإذا بلغك أني قد ظهرت فأتنا .

ورواه أبو يعلى الموصلى ، عن جعفر بن حميد الكوفي ، عن عبد الله بن إِيَاد ابن لَقِيط به .

وقد ذكر أبو نعيم هاهنا قصة عبد الله بن مسعود فقال : حدثنا عبد الله بن جعفر ، حدثنا يونس بن حبيب ، حدثنا أبو داود ، حدثنا حماد بن سلمة ، عن عاصم ، عن زِرِّ ، عن عبد الله بن مسعود . قال : كنت غلاماً يافعا أرمى غنماً لُعْبَةً بن أبي مُعَيْط بمكة ، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر ، وقد فرَّا من المشركين ، فقالا : يا غلام

(١) العناق : الأثني من ولد المعز . (٢) أخذت : جاءت بولدها ناقص الخلق .

عندك ابن تسقيننا ؟ . فقلت : إني مؤتمن ولست بساقيكما ، فقالا : هل عندك من جذعة لم يَنْزُ عليها الفحلُ بعدُ ؟ قلت : نعم .

فأتيتهما بها ، فاعتقلاها أبو بكر وأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم الضرع فدعا ، فحفل الضرعُ وجاء أبو بكر بصخرة متقعرة فخاب فيها ، ثم شرب هو وأبو بكر وسقياني ، ثم قال للضرع : اقاصِ فقلص .

فلما كان بعدُ أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت : علّمني من هذا القول الطيب ، يعنى القرآن . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنك غلام معلّم » فأخذت من فيه سبعين سورة ما ينازعني فيها أحد .

فقوله في هذا السياق : « وقد قرأ من المشركين » ليس المراد منه وقت الهجرة ، إنما ذلك في بعض الأحوال قبل الهجرة .

فإن ابن مسعود ممن أسلم قديما وهاجر إلى الحبشة ورجع إلى مكة كما تقدم ، وقصته هذه صحيحة ثابتة في الصحاح وغيرها . والله أعلم .

وقال الإمام أحمد^(١) : حدثنا عبد الله بن مُصعب بن عبد الله ، هو الزبير ، حدثني أبي ، عن فائد مولى عبادل ، قال : خرجت مع إبراهيم بن عبد الرحمن بن سعد ، حتى إذا كنا بالعرج أتى ابن سعد ، وسعد وهو الذي دل رسول الله صلى الله عليه وسلم على طريق رَكُوبَةِ^(٢) فقال إبراهيم : ما حدّثك أبوك ؟ قال ابن سعد : حدثني أبي أن رسول الله صل الله عليه وسلم أتاهم ومعه أبو بكر ، وكانت لأبي بكر عندنا بنت

(١) سقط هذا الخبر من (١) . (٢) الأصل ركونة . وهو تحريف . وهي ثنية بين مكة والمدينة عند العرج .

مسترضة ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أراد الاختصار في الطريق إلى المدينة ، فقال له سعد : هذا القامر من ركوبة ، وبه لسان من أسلم يقال لهما المهانان . فإن شئت أخذنا عليهما . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « خذ بنا عليهما » .

قال سعد : فخرجنا حتى إذا أشرفنا إذا أحدهما يقول لصاحبه : هذا اليماني . فدعاهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فعرض عليهما الإسلام فأسلما ، ثم سألهما عن أسمائهما فقالا : نحن المهانان . فقال : « بل أنتما المكرمان » وأمرهما أن يقدمَا عليه المدينة ، فخرجنا حتى إذا أتينا ظاهر قباء فتلقاه بنو عمرو بن عوف ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أين أبو أمامة أسعد بن زرارة ؟ » فقال سعد بن خيثمة : إنه أصاب قبلي يا رسول الله أفلا أخبره ذلك ؟

ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إذا طلع على النخل فإذا الشرب مملوء ، فالتفت رسول الله إلى أبي بكر فقال : يا أبا بكر هذا المنزل . رأيتني أنزل إلى حياض كحياض بني مدلج .
انفرد به أحمد .

فصل

في دخوله عليه السلام المدينة ، وأين استقر منزله بها

وما يتعلق به

قد تقدم فيما رواه البخارى ، عن الزهرى ، عن عروة ، أن النبى صلى الله عليه وسلم دخل المدينة عند الظهر .

قلت : ولعل ذلك كان بعد الزوال ، لما ثبت فى الصحيحين من حديث إسرائيل ، عن أبى إسحاق ، عن البراء بن عازب ، عن أبى بكر فى حديث الهجرة قال : فقدّمنا ليلاً فتنازعوا القوم أيهم ينزل عليه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أنزل على بنى النجار أخوال عبد المطلب أكرمهم بذلك » .

وهذا والله أعلم إما أن يكون يوم قدومه إلى قباء ، فيكون حال وصوله إلى قرب المدينة كان فى حرّ الظهر وأقام تحت تلك النخلة ، ثم سار بالمسلمين فنزل قباء وذلك ليلاً ، وأنه أطلق على ما بعد الزوال ليلاً ، فإنّ العشيّ من الزوال .

وإما أن يكون المراد بذلك لما رحل من قباء ، كما سيأتى ، فسار فما انتهى إلى بنى النجار إلا عشاء . كما سيأتى بيانه . والله أعلم .

وذكر البخارى عن الزهرى ، عن عروة ، أنه نزل فى بنى عمرو بن عوف بقباء ، وأقام فيهم بضعة عشرة ليلة ، وأسّس مسجد قباء فى تلك الأيام .

ثم ركب ومعه الناس حتى بركت به راحلته فى مكان مسجده ، وكان مِرْبَدًّا

انفلاء بن يثيمين وهما سهيل وسهيل ، فابتاعه منهما واتخذ مسجداً . وذلك في دار بني النجار رضى الله عنهم .

وقال محمد بن إسحاق ، حدثني محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عروة بن الزبير ، عن عبد الرحمن بن عويم بن ساعدة ، قال : حدثني رجال من قومي من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قالوا : لما بلغنا نخرجُ النبي صلى الله عليه وسلم من مكة وتوَكَّفنا قدومه ، كنا نخرج إذا صلبنا الصبح إلى ظاهر حرَّتنا ننتظر النبي صلى الله عليه وسلم فوالله ما نبرح حتى تغلبنا الشمس على الظلال ، فإذا لم نجد ظلاً دخلنا ، وذلك في أيام حارة .

حتى إذا كان اليوم الذي قدم فيه رسول الله جلسنا كما كنا نجلس ، حتى إذا لم يبق ظلٌ دخلنا بيوتنا ، وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين دخلنا البيوت فكان أول من رآه رجل من اليهود ، فصرخ بأعلى صوته : يا بني قَيْلَةَ هذا جدُّكم قد جاء .

فخرجنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في ظل نخلة ومعه أبو بكر في مثل سنَّه ، وأكثرنا لم يكن رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ذلك ، ورَكِبَه الناسُ ، وما يعرفونه من أبي بكر ، حتى زال الظل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقام أبو بكر فأظله بردائه ، فعرفناه عند ذلك .

وقد تقدم مثل ذلك في سياق البخارى ، وكذا ذكر موسى بن عُقبة في مغازيه .

وقال الإمام أحمد : حدثنا هاشم ، حدثنا سليمان ، عن ثابت ، عن أنس بن مالك ، قال : إني لأسعى في الغلمان يقولون : جاء محمد . فأسعى ولا أرى شيئاً ، ثم يقولون : جاء محمد . فأسعى ولا أرى شيئاً .

قال : حتى جاء رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وصاحبه أبو بكر ، فكَمْنَا في بعض خَرَابِ المدينة ، ثم بعثنا رجلا من أهل البادية يُؤذَنُ بهما الأنصارَ فاستقبلهما زهاء خمسمائة من الأنصار حتى انتهوا إليهما ، فقالت الأنصار : انطلقا آمَينَ مطاعين .

فأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبه بين أظهرهم ، فخرج أهل المدينة حتى إن العواتق لفوق البيوت يتراءينه يقلن : أيهم هو ؟ أيهم هو ؟ فما رأينا منظراً شبيهاً به .

قال أنس : فلقد رأيته يوم دخل علينا ويوم قُبِضَ فلم أر يومين شبيهاً بهما .
ورواه البيهقي عن الحاكم ، عن الأصم ، عن محمد بن إسحاق الصنعاني ، عن أبي النضر هاشم بن القاسم ، عن سليمان بن المغيرة ، عن ثابت ، عن أنس بن نحوه ، أو مثله .

وفي الصحيحين من طريق إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن البراء ، عن أبي بكر في حديث الهجرة قال : وخرج الناس حين قدمنا المدينة في الطرق وعلى البيوت ، والفلمانُ والخدم يقولون : الله أكبر جاء رسول الله ، الله أكبر جاء محمد ، الله أكبر جاء محمد ، الله أكبر جاء رسول الله . فلما أصبح انطلق وذهب حيث أمر .

وقال البيهقي : أخبرنا أبو عمرو الأديب ، أخبرنا أبو بكر الإسماعيلي ، سمعت أبا خليفة يقول : سمعت ابن عائشة يقول : لما قَدِم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم المدينة جعل النساء والصبيان يقلن :

طلع البدرُ علينا من ثَنِيَّاتِ الوداع

وَجِبَ الشُّكْرُ عَلَيْنَا مَا دَعَا اللَّهُ دَاعٍ

قال محمد بن إسحاق : فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيما يذكره بنو حنظل ، بقاء على كَثُوم بن الهمد أخى بن عمرو بن عوف ثم أحد بنى عبيد ، ويقال : بل نزل على سعد بن خَيْثمة .

ويقول من يذكر أنه نزل على كَثُوم بن الهمد : إنما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا خرج من منزل كَثُوم بن الهمد جالس للناس فى بيت سعد بن خَيْثمة ، وذلك أنه كان عزباً لا أهل له ، وكان يقال لبيته بيت العزاب . والله أعلم .

ونزل أبو بكر رضى الله عنه على خُبَيْب بن إِسَاف ، أحد بنى الحارث بن الخزرج بالسُّنْح ، وقيل : على خارجة بن زيد بن أبى زهير أخى بنى الحارث بن الخزرج .

قال ابن إسحاق : وأقام على بن أبى طالب بمكة ثلاث ليال وأيامها ، حتى أدى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الودائع التى كانت عنده .

ثم لحق برسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل معه على كَثُوم بن الهمد ، فكان على بن أبى طالب إنما كانت إقامته بقاء ليلة أو ليلتين .

يقول : كانت بقاء امرأة لا زوج لها مسلمة ، فرأيت إنساناً يأتيها من جوف الليل فيضرب عليها بابها فتخرج إليه ، فيعطئها شيئاً معه فتأخذ ، فاستترتُ بشأنه فقلت لها : يا أمّة الله ، من هذا الذى يضرب عليك بابك كل ليلة فتخرجين إليه فيعطئك شيئاً لا أدري ما هو ، وأنت امرأة مسلمة لا زوج لك ؟ .

قالت : هذا سهل بن حنيف ، وقد عرف أنى امرأة لا أحد لى ، فإذا أمسى عدا على أوثان قومهم فكسرها ثم جاءنى بها فقال : احتطبي بهذا .

فكان على رضى الله عنه يأنثر ذلك من شأن سهل بن حنيف حين هلك عنده بالعراق .

قال ابن إسحاق : فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بقاء في بني عمرو بن عوف يوم الاثنين ويوم الثلاثاء ويوم الأربعاء ويوم الخميس ، وأسّس مسجده .
ثم أخرجه الله من بين أظهرهم يوم الجمعة ، وبنو عمرو بن عوف يزعمون أنه مكث فيهم أكثر من ذلك .

وقال عبد الله بن إدريس ، عن محمد بن إسحاق قال : وبنو عمرو بن عوف يزعمون أنه عليه السلام أقام فيهم ثمانى عشرة ليلة .
قلت : وقد تقدم فيما رواه البخارى من طريق الزهرى ، عن عروة ، أنه عليه السلام أقام فيهم بضع عشرة ليلة .

وحكى موسى بن عقبة عن مجمع بن يزيد بن حارثة أنه قال : أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فينا ، يعنى في بني عمرو بن عوف بقاء ، اثنتين وعشرين ليلة .
وقال الواقدى : ويقال أقام فيهم أربع عشرة ليلة .

قال ابن إسحاق : فأدركت رسول الله صلى الله عليه وسلم الجمعة في بني سالم بن عوف ، فصلاها في المسجد الذى في بطن الوادى ، وادى رانواناء ، فكانت أول جمعة صلاها بالمدينة .

فأتاه عتيان بن مالك وعباس بن عباد بن نضلة في رجال من بني سالم ، فقالوا : يا رسول الله أقم عندنا في العدد والعدة والمنعة قال : خلوا سبيلها فإنها مأمورة . لناقته نخلوا سبيلها .

فانطلقت حتى إذا وازت دار بني بياضة تلقاه زياد بن كبيد وفرّوه بن عمرو ، رجال من بني بياضة ، فقالوا : يا رسول الله هلم إلينا إلى العدد والعدة والمنعة .
قال : « خلوا سبيلها فإنها مأمورة » نخلوا سبيلها .

فانطلقت حتى إذا مرت بدار بنى ساعدة اعترضه سعد بن عبادۃ والمنذر بن عمرو ، في رجال من بنى ساعدة، فقالوا : يا رسول الله هلمَّ إلينا في العدد والمنعة . قال : « خَلُّوا سَبِيلَهَا فَإِنِهَا مَأْمُورَةٌ » فَخَلُّوا سَبِيلَهَا .

فانطلقتُ حتى إذا وازت^(١) دار بنى الحارث بن الخزرج اعترضه سعدُ بن الربيع وخارجةُ بن زيد وعبد الله بن رَوَاحَة في رجال من بنى الحارث بن الخزرج فقالوا : يا رسول الله هلمَّ إلينا إلى العدد والعدة والمنعة .

قال : « خَلُّوا سَبِيلَهَا فَإِنِهَا مَأْمُورَةٌ » فَخَلُّوا سَبِيلَهَا .

فانطلقت حتى إذا مرت بدار عدى بن النجار ، وهم أخواله ، دُنْيَا ، أُمُّ عَبْدِ الْمَطْلَبِ سلمى بنت عمرو إحدى نسائهم ، اعترضه سَلِيطُ بن قيس ، وأبو سَلِيطِ أُسَيْرَةُ بن [أبي] ^(٢) خارجة في رجال من بنى عدى بن النجار فقالوا : يا رسول الله هلمَّ إلى أخوالك إلى العدد والعدة والمنعة .

قال : « خَلُّوا سَبِيلَهَا فَإِنِهَا مَأْمُورَةٌ » فَخَلُّوا سَبِيلَهَا .

فانطلقت ، حتى إذا أتت دار بنى مالك بن النجار بركت على باب مسجده عليه السلام اليوم ، وكان يومئذ مِرْبَدًّا لِفَلَامِينَ يَتِيمِينَ من بنى مالك بن النجار ، وهما سهل وسهيل ابنا عمرو ، وكانا في حجر مُعَاذِ بْنِ عَفْرَاءَ .

قلت : وقد تقدم في رواية البخارى من طريق الزهرى ، عن عروة أنها كانا في حجر أسعد بن زُرَّارَة . والله أعلم .

وذكر موسى بن عُقْبَة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مرَّ في طريقه بعبد الله

(١) ١ : دارت وفي ابن هشام وازنت (٢) من ابن هشام .

ابن أبيّ بن سلؤل وهو في بيت ، فوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم ينتظر أن يدعوه إلى المنزل ، وهو يومئذ سيد الخزرج في أنفسهم ، فقال عبد الله : انظر الذين دَعَوْكَ فانزل عليهم .

فذكر ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفر من الأنصار ، فقال سعد بن عُبادة يعتذر عنه : لقد مَنّْ الله علينا بك يا رسول الله وإنا نريد أن نَعْقِدَ على رأسه التاج ونملّكه علينا .

قال موسى بن عقبة : وكانت الأنصار قد اجتمعوا قبل أن يركب رسول الله صلى الله عليه وسلم من بني عمرو بن عوف ، فمشوا حول ناقته ، لا يزال أحدهم ينازع صاحبه زمامَ الناقة شُحًا على كرامة رسول الله صلى الله عليه وسلم وتعظيما له .

وكما مر بدار من دور الأنصار دعوه إلى المنزل فيقول صلى الله عليه وسلم : دَعُوهَا فَإِنهَا مَأْمُورَةٌ ، فَإِنَّمَا أَنزَلَ حَيْثُ أَنزَلَنِي اللَّهُ .

فلما انتهت إلى دار أبي أيوب بركت به على الباب ، فنزل فدخل بيتَ أبي أيوب حتى ابتنى مسجده ومساكنه .

قال ابن إسحاق : لما بركت الناقة برسول الله صلى الله عليه وسلم لم ينزل عنها ، حتى وثبت فسارت غيرَ بعيد ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم واضع لها زمامها لا يَنْثِيها به ، ثم التفتت خلفها فرجعت إلى مبركها أول مرة فبركت فيه ، ثم تَحَلَّكْتَ ورزمت ووضعت جِرائها . فنزل عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فاحتمل أبو أيوب خالدُ بن زيد ، رحله فوضعه في بيته ، ونزل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وسأل عن المِرْبَدِ لمن هو ؟ فقال له معاذ بن عفراء : هو يا رسول الله لسهل وسهيل

ابن عمرو وهما يتيان لى ، وسأرضيهما منه فاتخذ مسجداً . فأمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبنى .

ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم فى دار أبى أيوب حتى بنى مسجده ومساكنه فعمل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون من المهاجرين والأنصار . وستأتى قصة بناء المسجد قريباً إن شاء الله .

وقال البيهقى فى الدلائل : وقال أبو عبد الله : أخبرنا أبو الحسن على بن عمرو والحافظ ، حدثنا أبو عبد الله محمد بن محمد بن سُلَيْمان بن إسماعيل بن أبى الورد ، حدثنا إبراهيم بن صرمة ، حدثنا يحيى بن سعيد ، عن إسحاق بن عبد الله بن أبى طلحة ، عن أنس ، قال : قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، فلما دخلنا جاء الأنصار برجالها ونسائها فقالوا : إلینا یارسول الله . فقال « دعوا الناقة فإنها مأمورة » . فبرکت على باب أبى أيوب فخرجت جوارٍ من بنى النجار یضربن بالدفوف وهن یقلن .

نحن جوارٍ من بنى النجار یاحبذا محمدٌ من جارٍ
فخرج إلیهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « أتحبوننى ؟ » فقالوا : إى والله یارسول الله . فقال : « وأنا والله أحبکم ، وأنا والله أحبکم ، وأنا والله أحبکم » .
هذا حدیث غریب من هذا الوجه لم یروه أحد من أصحاب السنن ، وقد خرجه الحاکم فى مستدرکه کایروی .

ثم قال البيهقى : أخبرنا أبو عبد الرحمن السُّلَمى ، أخبرنا أبو القاسم عبد الرحمن بن سليمان النحاس المقرئ ببغداد ، حدثنا عمر بن الحسن الحلبي ، حدثنا أبو خيثمة الصَّيِّصى ، حدثنا عيسى بن يونس ، عن عوف الأعرابي ، عن ثُمَامَة ، عن أنس .

قال : مر النبي صلى الله عليه وسلم بحى من بنى النجار ، وإذا جوار يضرين بالدفوف يقان .

نحن جوار من بنى النجار يا حباذا محمد من جار
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يعلم الله أن قلبي يحبكم » .

ورواه ابن ماجه ، عن هشام بن عمار ، عن عيسى بن يونس به .

وفى صحيح البخارى عن مَعْمَر ، عن عبد الوارث ، عن عبد العزيز ، عن أنس قال :
رأى النبي صلى الله عليه وسلم النساء والصبيان مُقبلين ، حسبت أنه قال من عرس ،
فقام النبي صلى الله عليه وسلم مثلاً فقال : « اللهم أنتم من أحب الناس إلى » قالها
ثلاث مرات .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الصمد بن عبد الوارث ، حدثني أبي ، حدثني عبد العزيز
ابن صُهيب ، حدثنا أنس بن مالك . قال : أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة
وهو مُرْدَفٌ أبا بكر ، وأبو بكر شيخ يُعرف ورسول الله صلى الله عليه وسلم
شاب لا يعرف .

قال : فيلقى الرجلُ أبا بكر فيقول : يا أبا بكر من هذا الرجل الذى بين يديك ؟
فيقول : هذا الرجل يهدينى السبيل .

فيحسب الحاسب أنما يهديه الطريق ، وإنما يعنى سبيل الخير .

فالتفت أبو بكر فإذا هو بفارس قد لحقهم فقال : يابنى الله هذا فارس قد لحق بنا ،
فالتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « اللهم اصرعه » فصرعته فرسه ثم قامت
تُحْمَحِمُ ، ثم قال : مُرْنِى يابنى الله بما شئت . فقال : « قِفْ مكانك ولا تتركن أحداً
يَلْحَقُ بنا » .

قال : فكان أولَ النهار جاهدًا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان آخرَ النهار مَسْلُحَةً^(١) له .

قال : فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم جانب الحرّة ، ثم بعث إلى الأنصار فجاءوا فسَلَّموا عليهما وقالوا : اركبا آمَنَيْنِ مطاعين .

فركب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وَحَقَّوا حولهما بالسلاح .
وقيل في المدينة : جاء نبي الله صلى الله عليه وسلم . فاستَشَرَفُوا نبيَّ الله ينظرون إليه ويقولون : جاء نبيُّ الله .

قال : فأقبل يسير حتى نزل إلى جانب دار أبي أيوب .

قال : فإنه ليحدثُ أهلُه إذ سمع به عبدُ الله بن سَلَام ، وهو في نخل لأهله يحترف .
لهم ، فعَجِلَ أن يضع الذي يحترف فيها ، فجاء وهى معه ، وسمع من نبي الله صلى الله عليه وسلم ورجع إلى أهلِه .

وقال نبي الله : أى بيوت أهلنا أقربُ ؟ فقال أبو أيوب : أنا يابى الله ، هذه دارى وهذا بابى . قال : فانطلق فهِبْ لَنَا مَقِيلًا . فذهب فهِبًا ثم جاء . فقال : يا رسول الله قد هيأتُ مَقِيلًا ، قُومًا على بركة الله قَئِيلًا .

فلما جاء نبي الله صلى الله عليه وسلم جاء عبد الله بن سلام فقال : أشهد أنك نبي الله حقًا ، وأنت جئت بحق ولقد علمت يهودُ أنى سيدُهم وابنُ سيدهم ، وأعلمهم وابن أعلمهم ، فادعهم فسَلِّمهم .

فدخلوا عليه فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يامعشر اليهود ، ويلكم اتقوا الله ، فوالله الذى لا إله إلا هو إنكم لتَعْلَمُونَ أنى رسولُ الله حقًا ، وأنى جئت بحقٍ أسلموا » .

(١) المسلحة : قوم ذوو سلاح ، وتطلق أيضًا على الثغر والرقب . والمراد أنه كان مدافعًا عن الرسول .

فقالوا : ما نعلمه ، ثلاثا .

وكذا رواه البخارى منفرداً به ، عن محمد غير منسوب ، عن عبد الصمد به .

قال ابن إسحاق : وحدثني يزيد بن أبي حبيب ، عن مرثد بن عبد الله اليزنى ، عن أبي رهم السماعي ، حدثني أبو أيوب ، قال لما نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيتي نزل في السُّفْل ، وأنا وأم أيوب في العُلُو ، فقلت له : بأبي أنت وأمي يا رسول الله ، إني أكره وأعظم أن أكون فوقك وتكون تحتي ، فإظهر أنت فكُن في العلو ونزل نحن فنكون في السفلى .

فقال : « يا أبا أيوب إنَّ أرفق بنا وبمن يغشانا أن أكون في سفلى البيت » .

فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفله وكنا فوقه في المسكن . فلقد انكسر حُبُّ لنا فيه ماء ، فقامت أنا وأم أيوب بقطيفة لنا ما لنا لحافٌ غيرها ، نذَّش بها الماء تخوفاً أن يقطر على رسول الله صلى الله عليه وسلم منه شيء فيؤذيه .

قال : وكنا نصنع له العشاء ثم نبعث إليه ، فإذا رَدَّ علينا فضلة تيممت أنا وأم أيوب موضعَ يده فأكلنا منه نبتغي بذلك البركة ، حتى بعثنا إليه ليلةً بعشائه وقد جعلنا له فيه بصلاً أو ثوماً ، فردّه رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم أرَ ليده فيه أثراً ، قال : فخبثته فزعاً فقلت : يا رسول الله بأبي أنت وأمي ردّدتَ عشاءك ولم أر فيه موضعَ يدك ؟ فقال « إني وجدت فيه ريحَ هذه الشجرة ، وأنا رجل أناجى ، فأما أنتم فكلّوه » قال : فأكلناه ولم نَصنع له تلك الشجرة بعدُ .

وكذلك رواه البيهقي ، من طريق الميث بن سعد ، عن يزيد بن أبي حبيب ،

عن أبي الحسن ، أو أبي الخير ، مَرْثَدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْيَزَنِي ، عن أبي رُهم ، عن أبي أيوب فذكره .

ورواه أبو بكر بن أبي شيبة ، عن يونس بن محمد المؤدب ، عن الليث .

وقال البيهقي : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، أخبرنا أبو عمرو الحيرى ، حدثنا عبد الله ابن محمد ، حدثنا أحمد بن سعيد الدارمى ، حدثنا أبو النعمان ، حدثنا ثابت بن يزيد ، حدثنا عاصم الأَحُول ، عن عبد الله بن الحارث ، عن أَفْلَحَ مَوْلَى أَبِي أَيُوبَ ، عن أبي أيوب ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل عليه فنزل في السفلى وأبو أيوب في العلو ، فانتهبه أبو أيوب فقال : نمشى فوق رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم ! فتنحَّوا فباتوا في جانب ، ثم قال للنبي صلى الله عليه وسلم ، يعنى في ذلك ، فقال : « الشَّفْلُ أَرْفَقُ بِنَا » فقال : لا أعلو سقيفةً أنت تحتها ، فتحول رسول الله صلى الله عليه وسلم في العلو ، وأبو أيوب في السفلى .

فكان يصنع لرسول الله صلى الله عليه وسلم طعاما ، فإذا جىء به سأل عن موضع أصابعه فيتبع موضع أصابع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فصنع له طعاما فيه ثوم ، فلما رد إليه سأل عن موضع أصابع رسول الله صلى الله عليه وسلم ففزع له : لم يأكل . ففزع وصعد إليه فقال : أحرام ؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « لا ولكنى أكرهه » قال فإني أكره ما تكره ، أو ما كرهت . قال : وكان النبي صلى الله عليه وسلم يأتيه الملك . رواه مسلم عن أحمد بن سعيد به .

وثبت في الصحيحين عن أنس بن مالك ، قال : جىء رسول الله صلى الله عليه وسلم ببَدْر^(١) ، وفي رواية بَدْر ، فيه خضروات من بقول ، قال : فسأل فأخبر بما فيها ، فلما رآها كره أكلها ، قال : « كُلْ فَإِنِ أَنَا جِئْتُ مِنْ لَا تَنَاجَى » .

(١) بدر : بطن مستدير يشبه البدر .

وقد روى الواقدي أن أسعد بن زُرارة لما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم في دار أبي أيوب أخذ بِحِطَامِ ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانت عنده .

وروى عن زيد بن ثابت أنه قال : أول هدية أُهديت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين نزل دار أبي أيوب ، أنا جئت بها ، قصعة فيها خبز مَثْرُود بَابِن وَسْمِن ، فقلت : أرسلت بهذه القصعة أُمِّي . فقال : « يَا لَكَ اللَّهُ فَيْك » ودعا أصحابه فأكلوا ، ثم جاءت قصعة سعد بن عبادَة ثريد وعِراقَ لَحْم .

وما كانت من ليلةٍ إِلَّا وعلى باب رسول الله صلى الله عليه وسلم الثلاثة والأربعة يحملون الطعام يتناوبون ، وكان مقامه في دار أبي أيوب سبعة أشهر .

قال : وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو نازل في دار أبي أيوب مولاه زيد بن حارثة وأبا رافع ، ومعهما بعيران وخمسمائة درهم ، ليحيثا بفاطمة وأم كلثوم ابنتي رسول الله صلى الله عليه وسلم وسودة بنت زمعة زوجته ، وأسامة بن زيد ، وكانت رقية قد هاجرت مع زوجها عثمان ، وزينب عند زوجها بمكة أبي العاص بن الربيع ، وجاءت معهم أم أيمن امرأة زيد بن حارثة وخرج معهم عبد الله بن أبي بكر بعيال أبي بكر وفيهم عائشة أم المؤمنين ولم يدخل بها رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقال البيهقي : أخبرنا علي بن أحمد بن عبدان ، أخبرنا أحمد بن عبيد الصَّغَار ، حدثنا خلف بن عمرو العكبري ، حدثنا سعيد بن منصور ، حدثنا عطف بن خالد ، حدثنا صديق بن موسى ، عن عبد الله بن الزبير ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم المدينة ، فاستناخت به راحلته بين دار جعفر بن محمد بن علي وبين دار الحسن ابن زيد ، فأتاه الناس فقالوا : يا رسول الله المنزل . فانبعثت به راحلته فقال : « دَعَوْهَا فإنها مأمورة » .

ثم خرجت به حتى جاءت موضع المنبر ، فاستناخت ثم تحللت ، ومَّ عريش كانوا يعرشونه ويعمرونه ويتبرّدون فيه ، فبذل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن راحلته فيه فأوى إلى الظل فأتاه أبو أيوب فقال : يا رسول الله إن منزلي أقرب المنازل إليك فأقل رحلك إلى ؟ قال : نعم . فذهب برحله إلى المنزل ، ثم أتاه رجل فقال يا رسول الله أين تحل ؟ قال : « إن الرجل مع رحله حيث كان » وثبت رسول الله صلى الله عليه وسلم في العريش اثنتي عشرة ليلة حتى بنى المسجد .

وهذه منقبة عظيمة لأبي أيوب خالد بن زيد رضى الله عنه ، حيث نزل في داره رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقد روينا من طريق يزيد بن أبي حبيب عن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس رضى الله عنه ، أنه لما قدم أبو أيوب البصرة ، وكان ابن عباس نائباً عليها من جهة علي ابن أبي طالب رضى الله عنه ، فخرج له ابن عباس عن داره حتى أنزله فيها كما أنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم في داره ، وملّكه كل ما أغلق عليها بابها . ولما أراد الانصراف أعطاه ابن عباس عشرين ألفاً ، وأربعين عبداً .

وقد صارت دار أبي أيوب بعده إلى مولاه أفلح ، فاشتراها منه المغيرة بن عبد الرحمن ابن الحارث بن هشام بألف دينار وأصلح ما وهى من بنائها ، ووهبها لأهل بيت فقراء من أهل المدينة .

وكذلك نزوله عليه السلام في دار بنى النجار واختيار الله له ذلك منقبة عظيمة ، وقد كان في المدينة دور كثيرة تباع تسعاً ، كل دار محلة مستقلة بمساكنها ونخيلها وزروعها وأهلها ، كل قبيلة من قبائلهم قد اجتمعوا في محلتهم وهى كاقرى المتلاصقة ، فاختر الله لرسول الله صلى الله عليه وسلم دار بنى مالك بن النجار .

وقد ثبتت في الصحيحين من حديث شُعْبَةَ ؛ سمعت قتادة ، عن أنس بن مالك ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : خير دُور الأنصار بنو النجار ، ثم بنو عبد الأشهل ، ثم بنو الحارث بن الخزرج ، ثم بنو ساعدة ، وفي كلِّ دور الأنصار خير .
فقال سعد بن عبادَة : ما أرى النبي صلى الله عليه وسلم إلا قد فَضَّلَ علينا . فقيل : قد فَضَّلَكم على كثير .
هذا لفظ البخارى .

وكذلك رواه البخارى ومسلم من حديث أنس وأبى سلمة ، عن أبى أسيد مالك بن ربيعة ، ومن حديث عبادَة بن سهل عن أبى حميد ، عن النبي صلى الله عليه وسلم بمثله سواء . زاد في حديث أبى حميد : فقال أبو أسيد لسعد بن عبادَة : ألم تر أن النبي صلى الله عليه وسلم خير الأنصار فجعلنا آخرًا ، فأدرك سعدُ النبيَّ صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله خيَّرت دُورَ الأنصار فجعلتنا آخرًا ؟ قال : « أو ليس بحسبكم أن تكونوا من الأخيار » .

[و] قد ثبت لجميع مَنْ أسلم من أهل المدينة وهم الأنصار الشرفُ والرفعة في الدنيا والآخرة . قال الله تعالى : « والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه وأعدَّ لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدًا ذلك الفوز العظيم ^(١) » وقال تعالى : « والذين تبوءوا الدارَ والإيمانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّون مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ^(٢) » .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لولا الهجرةُ لكنتُ امرءًا من الأنصار ، ولو

سَلَكَ النَّاسُ وَادِيًا وَشِعْبًا لَسَلَكْتَ وَادِيَ الْأَنْصَارِ وَشِعْبَهُمْ ، لِأَنْصَارِ شِعَارِ وَالنَّاسِ دِثَارِ .
وقال : « الْأَنْصَارُ كَرِشِي وَعَيْبَتِي » .

وقال : « أَنَا سَلِمٌ لِمَنْ سَالَمَهُمْ وَحَرْبٌ لِمَنْ حَارَبَهُمْ » .

وقال البخارى : حَدَّثَنَا حَجَّاجُ بْنُ مِنْهَالٍ ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ ، حَدَّثَنِي عَدِيُّ بْنُ ثَابِتٍ ، قَالَ :
سَمِعْتُ الْبَرَاءَ بْنَ عَازِبٍ يَقُولُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَوْ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « الْأَنْصَارُ لَا يُحِبُّهُمْ إِلَّا مُؤْمِنٌ ، وَلَا يَبْغُضُهُمْ إِلَّا مُنَافِقٌ ، فَمَنْ أَحَبَّهُمْ
أَحَبَّهُ اللَّهُ وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ أَبْغَضَهُ اللَّهُ » .

وقد أخرجه بقية الجماعة إلا أبا داود من حديث شعبة به .

وقال البخارى أيضا: حَدَّثَنَا مُسْلِمُ بْنُ أَبِرَاهِيمَ ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ
اللَّهِ بْنِ جَبْرِ ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « آيَةُ الْإِيمَانِ
حُبُّ الْأَنْصَارِ ، وَآيَةُ النِّفَاقِ بُغْضُ الْأَنْصَارِ » .

ورواه البخارى أيضا عن أَبِي الْوَلِيدِ [وَ] الطَّيَالِسِيِّ وَمُسْلِمٍ مِنْ حَدِيثِ خَالِدِ بْنِ
الْحَارِثِ وَعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مَهْدِيٍّ ، أَرَبَعَتُهُمْ عَنْ شُعْبَةَ بِهِ .
وَالْآيَاتُ وَالْأَحَادِيثُ فِي فَضَائِلِ الْأَنْصَارِ كَثِيرَةٌ جَدًّا .

وَمَا أَحْسَنَ مَا قَالَهُ أَبُو قَيْسٍ صِرْمَةُ بْنُ أَبِي أَنَسٍ الْمُتَقَدِّمُ ذِكْرَهُ ، أَحَدُ شُعَرَاءِ الْأَنْصَارِ ،
فِي قُدُومِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيْهِمْ وَأَضْرَمِهِمْ إِيَّاهُ وَمَوَاسَاتِمَهُمْ لَهُ وَلِأَصْحَابِهِ ،
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ .

قال ابن إسحاق : وَقَالَ أَبُو قَيْسٍ صِرْمَةُ بْنُ أَبِي أَنَسٍ أَيْضًا يَذْكُرُ مَا أَكْرَمَهُمُ اللَّهُ
بِهِ مِنَ الْإِسْلَامِ وَمَا خَصَّهُمْ بِهِ مِنْ رَسُولِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ :

ثَوَى فِي قَرِيشٍ بَضْعَ عَشْرَةَ حِجَّةً يُذَكِّرُ لَوْ يَلْقَى صَدِيقًا مَوَاتِيًا

وَيَعْرِضُ فِي أَهْلِ الْمَوَاسِمِ نَفْسَهُ
 فَلَمَّا أَتَانَا وَاطْمَأْنَنْتَ بِهِ النَّوَى ^(١)
 وَالْفَى صَدِيقًا وَاطْمَأْنَنْتَ بِهِ النَّوَى
 يَقْصُؤُ لَنَا مَا قَالَ نُوْحٌ لِقَوْمِهِ
 فَأَصْبَحَ لَا يَخْشَى مِنَ النَّاسِ وَاحِدًا
 بَذَلْنَا لَهُ الْأَمْوَالَ مِنْ جُلٍّ ^(٢) مَا لَنَا
 نَعَادِي الَّذِي عَادَى مِنَ النَّاسِ كُلَّهُمْ
 وَنَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ لَأَشْيءٌ غَيْرُهُ
 أَقُولُ إِذَا صَلَّيْتُ فِي كُلِّ بَيْعَةٍ
 أَقُولُ إِذَا جَاوَزْتُ أَرْضًا خَفِيفَةً
 فَطَأُ مُعْرِضًا إِنَّ الْحُتُوفَ كَثِيرَةٌ
 فَوَاللَّهِ مَا يَدْرِي الْفَتَى كَيْفَ سَعْيُهُ
 وَلَا تَحْفَلِ النَّخْلُ الْمَعِيْمَةُ ^(٣) رَبِّهَا
 فَلَمْ يَرَّ مَنْ يُؤْوَى وَلَمْ يَرَّ دَاعِيَا
 وَأَصْبَحَ مَسْرُورًا بِطَبِيعَةٍ رَاضِيَا
 وَكَانَ لَهُ عَوْنًا مِنَ اللَّهِ بَادِيَا
 وَمَا قَالَ مُوسَى إِذْ أَجَابَ الْمُنَادِيَا
 قَرِيبَا وَلَا يَخْشَى مِنَ النَّاسِ نَائِيَا ^(٤)
 وَأَنْفَسَنَا عِنْدَ الْوَعَى وَالتَّاسِيَا
 جَمِيعًا وَلَوْ كَانَ الْحَبِيبَ الْمَوَاسِيَا
 وَأَنَّ كِتَابَ اللَّهِ أَصْبَحَ هَادِيَا ^(٥)
 حَنَانِيكَ لَا تُظْهِرُ عَلَيْنَا الْأَعَادِيَا
 تَبَارَكَتَ اسْمُ اللَّهِ أَنْتَ الْمَوَالِيَا
 وَإِنَّكَ لَا تُتْبِقُ لِنَفْسِكَ بَاقِيَا
 إِذَا هُوَ لَمْ يَجْعَلْ لَهُ اللَّهُ وَاقِيَا
 إِذَا أَصْبَحْتَ رَبِّيَا وَأَصْبَحَ ثَاوِيَا

ذَكَرَهَا ابْنُ إِسْحَاقَ وَغَيْرُهُ ، وَرَوَاهَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزَّيْبِرِ الْحَمِيدِيُّ وَغَيْرُهُ ، عَنْ سَفْيَانَ
 ابْنِ عُيَيْنَةَ ، عَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ الْأَنْصَارِيِّ ، عَنْ عَجُوزٍ مِنَ الْأَنْصَارِ قَالَتْ : رَأَيْتُ عَبْدَ
 اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ يَخْتَلِفُ إِلَى صِرْمَةَ بْنِ قَيْسٍ يَرَوِي هَذِهِ الْأَبْيَاتَ .

رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ .

(١) ابْنُ هِشَامٍ : فَلَمَّا أَتَانَا أَطْهَرَ اللَّهُ دِينَهُ . (٢) ح : بَاقِيَا .

(٣) ابْنُ هِشَامٍ : حَلَّ . (٤) ابْنُ هِشَامٍ : وَنَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ أَفْضَلُ هَادِيَا .

(٥) الْمَعِيْمَةُ : الْعَطْشَى . وَالْأَصْلُ : الْمَقِيْمَةُ ، وَمَا أُثْبِتُهُ عَنْ ابْنِ هِشَامٍ .

فصل

وقد شُرِّفَت المدينة أيضا بهجرته عليه السلام إليها وصارت كهفًا لأولياء الله وعباده الصالحين ومَعْقَلاً وَحِصْناً مَنِيْعاً للمسلمين ، ودارَ هُدًى للعالمين .

والأحاديثُ في فضلها كثيرة جداً لها موضع آخر نوردُها فيه . إن شاء الله .

وقد ثبت في الصحيحين من طريق حبيب بن يساف ، عن جعفر بن عاصم ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إِنَّ الْإِيمَانَ لَيَأْتِرُ إِلَى الْمَدِينَةِ كَمَا تَأْتِرُ الْحَيَةُ إِلَى جُجْرَهَا » .

ورواه مسلم أيضاً عن محمد بن رافع ، عن شُبابَة ، عن عاصم بن محمد بن زيد بن عبد الله بن عمر ، عن أبيه ، عن ابن عمر ، عن النبي صلى الله عليه وسلم نحوه .

وفي الصحيحين أيضاً من حديث مالك ، عن يحيى بن سعيد ، أنه سمع أبا الحُبَاب سعيد بن يسار ، سمعت أبا هريرة يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أُمِرَتْ بَقْرِيَّةُ تَأْكُلُ الْقُرَى ، يَقُولُونَ يَثْرِبُ وَهِيَ الْمَدِينَةُ ، تَنْقِي النَّاسَ كَمَا يَنْقِي الْكَبِيرُ خَبَثَ الْحَدِيدِ ^(١) » .

وقد انفرد الإمام مالك عن بقية الأئمة الأربعة بتفضيلها على مكة .

وقد قال البيهقي : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، أخبرني أبو الوليد وأبو بكر بن عبد الله ، قالا حدثنا الحسن بن سفيان ، حدثنا أبو موسى الأنصاري ، حدثنا سعيد بن سعيد ، حدثني أخي ، عن أبي هريرة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « اللَّهُمَّ إِنَّكَ أَخْرَجْتَنِي مِنْ أَحَبِّ الْبِلَادِ إِلَى فَاسَكُنِّي أَحَبَّ الْبِلَادِ إِلَيْكَ » فَأَسْكَنَهُ اللَّهُ الْمَدِينَةَ .

وهذا حديث غريب جداً .

والمشهور عن الجمهور أن مكة أفضل من المدينة إلا المكان الذي ضمَّ جسدَ رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقد استدل الجمهور على ذلك بأدلة يطول ذكرها ها هنا ، ومحملها ذكرناها في كتاب المناسك من الأحكام إن شاء الله تعالى .

وأشهرُ دليلٍ لهم في ذلك ما قال الإمام أحمد : حدثنا أبو اليمان ، حدثنا شعيب ، عن الزهري ، أخبرنا أبو سلمة بن عبد الرحمن ، أن عبد الله بن عدي بن الحمراء أخبره ، أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم وهو واقف بالحزورة في سوق مكة يقول : « والله إنك خيرُ أرض الله وأحب أرض الله إليّ ، ولولا أني أخرجت منك ما خرجت » .

وكذا رواه أحمد عن يعقوب بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن صالح بن كيسان عن الزهري به .

وهكذا رواه الترمذي والنسائي وابن ماجه ، من حديث الليث ، عن عُقيل عن الزهري به . وقال الترمذي : حسن صحيح .

وقد رواه يونس عن الزهري به . ورواه محمد بن عمرو عن أبي سلمة بن عبد الرحمن ، عن أبي هريرة . وحديث الزهري عندي أصح .

قال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرزاق ، حدثنا معمر ، عن الزهري ، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن ، عن أبي هريرة ، قال : وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على الحزورة فقال : « علمت أنك خيرُ أرض الله وأحبُّ الأرض إلى الله ، ولولا أن أهلك أخرجوني منك ما خرجت » وكذا رواه النسائي من حديث معمر به .

قال الحافظ البيهقي : وهذا وهمٌ من معمر .

وقد رواه بعضهم عن محمد بن عمرو ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة ، وهو أيضاً
وَهُمْ ، والصحيح رواية الجماعة .

وقال أحمد أيضاً : حدثنا إبراهيم بن خالد ، حدثنا رباح ، عن مَعْمَر ، عن محمد بن
مسلم بن شهاب الزهري ، عن أبي سلمة ، عن بعضهم ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال وهو في سوق الخزورة : « والله إنك لخير أرض الله وأحب الأرض إلى الله ،
ولولا أني أخرجت منك ماخرجت » .

ورواه الطبراني ، عن أحمد بن خُليد الحلبي ، عن الحميدي ، عن ابن أخي الزهري ،
عن محمد بن جبير بن مطعم ، عن عبد الله بن عَدِي بن الحراء به .
فهذه طرق هذا الحديث ، وأصحها ما تقدم . والله أعلم .

وقائع السَّنة الأولى من الهجرة ذِكْرُ ما وقع في السنة الأولى من الهجرة النبوية من الحوادث والوقائع العظيمة

اتفق الصحابة رضی الله عنهم في سنة ست عشرة ، وقيل سنة سبع عشرة ، أو ثمانى عشرة ، في الدولة العُمَريّة على جَعْل ابتداء التاريخ الإسلامي من سنة الهجرة .
وذلك أَنَّ أميرَ المؤمنين عمر رضی الله عنه رُفِعَ إليه صَكٌّ ، أَى حُجَّةٌ ، لرجلٍ على آخر ، وفيه أَنه يَحُلُّ عليه في شعبان ، فقالَ عمر : أَى شعبان ؟ أشعبانُ هذه السنة التي نحن فيها أو السنة الماضية ، أو الآتية ؟

ثمَّ جمع الصحابة فاستشارهم في وضع تاريخٍ يتعرفون به حُلُولَ الديون وغير ذلك .
فقال قائل : أرّخوا كتّأريخ الفرس . فـكـره ذلك .
وكانت الفرس يؤرخون بملوكهم واحداً بعد واحد .
وقال قائل : أرّخوا بتأريخ الروم . وكانوا يؤرخون بملك اسكندر بن فلبس المقدوني . فـكـره ذلك .

وقال آخرون : أرّخوا بمولد رسول الله صلى الله عليه وسلم .
وقال آخرون : بل بمبعثه .
وقال آخرون : بل بهجرته .
وقال آخرون : بل بوفاة عليه السلام .
فقال عمر رضی الله عنه إلى التاريخ بالهجرة لظهوره واشتباره ، واتفقوا معه على ذلك .

وقال البخارى فى صحيحه : التاريخ ومتى أرخوا التاريخ : حدثنا عبد الله بن مسلم ، حدثنا عبد العزيز ، عن أبيه ، عن سهل بن سعد ، قال : ماعدُوا مِنْ مَبْعَثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَا مِنْ وَفَاتِهِ ، ماعدُوا إِلَّا مِنْ مَقْدَمِهِ الْمَدِينَةَ .
وقال الواقدي : حدثنا ابن أبي الزناد عن أبيه . قال : استشار عمر فى التاريخ فأتجمعوا على الهجرة .

وقال أبو داود الطيالسى عن قُرَّة^(١) بن خالد السدوسي ، عن محمد بن سيرين . قال : قام رجل إلى عمر فقال أرخوا . فقال : ما أرخوا ؟ فقال : شيء تفعله الأعاجم يكتبون فى شهر كذا من سنة كذا .

فقال عمر : حسن فأرخوا .

فقالوا : من أى السنين نبدا ؟ فقالوا : مِنْ مَبْعَثِهِ ، وقالوا : مِنْ وَفَاتِهِ ، ثم أجمعوا على الهجرة ، ثم قالوا وأى الشهور نبدا ؟ قالوا : رمضان ، ثم قالوا : الحرام ، فهو مَصْرَفُ النَّاسِ مِنْ حَجَّهِمْ ، وهو شهرٌ حرام فاجتمعوا على الحرام .
وقال ابن جرير : حدثنا قتيبة ، حدثنا نوح بن قيس الطائي ، عن عثمان بن محصن ، أن ابن عباس كان يقول فى قوله تعالى : « وَالْفَجْرِ وَلَيَالٍ عَشْر » . هو الحرام فجرُ السنة .

وروى عن عبيد بن عمير قال : إن الحرام شهر الله ، وهو رأس السنة يُكْسَى [فيه] البيت ، ويؤرّخ به الناس ، ويُضْرَبُ فِيهِ الْوَرَق .

قال أحمد : حدثنا رَوْحُ بْنُ عُبَادَةَ ، حدثنا زكريا بن إسحاق ، عن عمرو بن دينار ، قال : إن أول من ورّخ الكُتُبَ يَعْلَى بْنُ أُمَيَّةَ الْبَلْمِينِ ، وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قدّم المدينة فى ربيع الأول ، وإن الناس أرخوا لأول السنة .

(١) الأصل : فروة . وهو تحريف .

وروى محمد بن إسحاق عن الزهري وعن محمد بن صالح ، عن الشعبي أنهما قالا : أرخ بنو إسماعيل من نار إبراهيم ، ثم أرخوا من بنيان إبراهيم وإسماعيل البيت ، ثم أرخوا من موت كعب بن لؤي ، ثم أرخوا من الفيل ، ثم أرخ عمر بن الخطاب من الهجرة ، وذلك سنة سبع عشرة ، أو ثمانى عشرة .

وقد ذكرنا هذا الفصل محرراً بأسانيد وطرقه فى السيرة العمريّة والله الحمد .
والقصد أنهم جعلوا ابتداء التاريخ الإسلامى من سنة الهجرة ، وجعلوا أولها من الحرم فيما اشتهر عنهم . وهذا هو قول جمهور الأئمة .
وحكى السهيلي وغيره عن الإمام مالك أنه قال : أول السنة الإسلامية ربيع الأول ، لأنه الشهر الذى هاجر فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم .
[وقد استدلل السهيلي على ذلك فى موضع آخر بقوله تعالى : « لَسَجْدُكَ أُسْ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ » أى من أول يوم حلول النبى صلى الله عليه وسلم المدينة ، وهو أول يوم من التاريخ كما اتفق الصحابة على أول سننى التاريخ عام الهجرة ^(١) .
ولاشك أن هذا الذى قاله الإمام مالك رحمه الله مناسب ، ولكن العمل على خلافه ، وذلك لأن أول شهور العرب الحرم ، فجعلوا السنة الأولى سنة الهجرة . وجعلوا أولها الحرم كما هو المعروف ، لئلا يختلط النظام . والله أعلم .

فنبول وبالله المستعان : استهلّت سنة الهجرة المباركة ورسول الله صلى الله عليه وسلم مقيم بمكة ، وقد بايع الأنصار بيعة العقبة الثانية كما قدمنا فى أوسط أيام التشريق ، وهى ليلة الثانى عشر من ذى الحجة قبل سنة الهجرة .
ثم رجع الأنصار وأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم للمسلمين فى الهجرة إلى المدينة

(١) سقطت من ح .

فهاجر من هاجر من أصحابه إلى المدينة حتى لم يَبْقَ بِمَكَّةَ من يُمْسِكُهُ الخُروجَ إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وحَبَسَ أبو بكر نفسه على رسول الله صلى الله عليه وسلم ليَصْحَبَهُ في الطريق كما قدمنا ، ثم خرجا على الوجه الذي تقدم بَسَطُهُ ، وتأخَّرَ عليُّ بن أبي طالب بعد النبي صلى الله عليه وسلم بأمره ليؤدِّي ما كان عنده عليه السلام من الودائع ، ثم لحقهم بقاء ، فقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين قريباً من الزوال وقد اشتدَّ الضَّحَاءُ .

قال الواقدي وغيره : وذلك لليلتين خَلَّتَا من شهر ربيع الأول . وحكاها ابن إسحاق ، إلا أنه لم يعرِّج عليه ، ورجَّح أنه لثِنْتَي عشرة ليلة خَلَّتْ منه . وهذا هو المشهور الذي عليه الجمهور . وقد كانت مدة إقامته عليه السلام بِمَكَّةَ بعد البعثة ثلاث عشرة سنة في أصح الأقوال .

وهو رواية حماد بن سلمة ، عن أبي حمزة الضَّبِّي عن ابن عباس ، قال : بُعث رسول الله صلى الله عليه وسلم لأربعين سنة ، وأقام بِمَكَّةَ ثلاث عشرة سنة . وهكذا روى ابن جرير عن محمد بن معمر ، عن رَوْح بن عُبادة ، عن زكريا بن إسحاق ، عن عمرو بن دينار ، عن ابن عباس أنه قال : مكث رسول الله صلى الله عليه وسلم بِمَكَّةَ ثلاث عشرة .

وتقدم أن ابن عباس كتب أبياتِ صِرْمَةَ بن أبي أنس بن قيس :
 ثَوَى في قريشٍ بضعَ عشرةَ حِجَّةً يذْكَرُ لو يَلْقَى صَدِيقاً مُوَاتِياً
 وقال الواقدي : عن إبراهيم بن إسماعيل ، عن داود بن الحَصَيْن ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، أنه استشهد بقولِ صِرْمَةَ :

ثَوَى في قريشٍ بضعَ عشرةَ حِجَّةً يذْكَرُ لو يَلْقَى صَدِيقاً مُوَاتِياً

وهكذا رواه ابن جرير ، عن الحارث ، عن محمد بن سعد ، عن الواقدي ، خمس عشرة حجة ، وهو قولٌ غريب جداً .

وأغربُ منه ما قال ابن جرير : حَدَّثْتُ عَنْ رَوْحِ بْنِ عُبَادَةَ ، حَدَّثَنَا سَعِيدٌ ، عَنْ قَتَادَةَ قَالَ : نَزَلَ الْقُرْآنُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثَمَانِي سِنِينَ بِمَكَّةَ ، وَعَشْرًا بِالْمَدِينَةِ .

وكان الحسن يقول : عَشْرًا بِمَكَّةَ ، وَعَشْرًا بِالْمَدِينَةِ .

وهذا القول الآخر الذي ذهب إليه الحسن البصري من أنه أقام بمكة عشرَ سنين ذهب إليه أنسُ بن مالك وعائشة وسعيدُ بن المسيَّب وعمرو بن دينار ، فيما رواه ابن جرير عنهم .

وهو روايةٌ عن ابن عباس رواها أحمد بن حنبل ، عن يحيى بن سعيد ، عن هشام عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : أنزل على النبي صلى الله عليه وسلم وهو ابنُ ثلاث وأربعين ، فكث بمكة عشرًا .

وقد قدمنا عن الشعبي أنه قال : قُرْنُ إِسْرَافِيلُ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثَلَاثَ سِنِينَ يُبْلَقُ إِلَيْهِ الْكَلِمَةُ وَالشَّيْءُ . وفي رواية يَسْمَعُ حَسَّهُ وَلَا يَرَى شَخْصَهُ ، ثُمَّ كَانَ بَعْدَ ذَلِكَ جَبْرِيلُ .

وقد حكى الواقدي عن بعض مشايخه أنه أنكر قول الشعبي هذا .

وحاول ابنُ جرير أن يجمعَ بَيْنَ قول مَنْ قَالَ : إِنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَقَامَ بِمَكَّةَ عَشْرًا ، وقول مَنْ قَالَ : ثَلَاثَ عَشْرَةَ . بهذا الذي ذكره الشعبي . والله أعلم .

فصل

ولما حلَّ الرُّكْبُ النبوى بالمدينة ، وكان أول نزوله بها فى دار بنى عمرو بن عوف ، وهى قُبَاء كما تقدم ، فأقام بها أكثر ما قيل ، ثنتين وعشرين ليلة . وقيل ثمانى عشرة ليلة . وقيل بضعة عشرة ليلة وقال موسى بن عقبة : ثلاث ليال .

والأشهرُ ما ذكره ابن إسحاق وغيره أنه عليه السلام أقام فيهم بقاء من يوم الاثنين إلى يوم الجمعة .

وقد أُسِّس فى هذه المدة المختلف فى مقدارها ، على ما ذكرناه ، مسجد قباء . وقد ادَّعى السهيلي أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أسسه فى أول يومٍ قدم إلى قباء ، وحمل على ذلك قوله تعالى « لِمَسْجِدٍ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ » وردَّ قول مَنْ أعرَبها : مِنْ تَأْسِيسِ أَوَّلِ يَوْمٍ .

وهو مسجدٌ شريف فاضل ، نزل فيه قوله تعالى : « لِمَسْجِدٍ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ ، فِيهِ رَجُلٌ يَحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يَحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ »^(١) كما تكلمنا على تقرير ذلك فى التفسير . وذكرنا الحديث الذى فى صحيح مسلم أنه مسجد المدينة والجواب عنه .

وذكرنا الحديث الذى رواه الإمام أحمد : حدثنا حسن بن محمد حدثنا أبو إدريس ، حدثنا شُرَحْبِيل ، عن عُوَيْم بن ساعدة ، أنه حدَّثه أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أتاهم فى مسجد قباء فقال : « إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَحْسَنَ عَلَيْكُمُ الثَّنَاءَ فى الطَّهُّورِ فى قصة مسجدكم ، فإِذَا الطَّهُّورُ الذى تطهرون به ؟ » قالوا : والله يارسول الله مانعٌ شيناً ، إلا أنه كان

(١) سورة التوبة ١٠٨ .

لنا جيران من اليهود ، فكانوا يفسلون أديارهم من الغائط ، ففسلنا كما غسلوا .
وأخرجه ابن خزيمة في صحيحه ، وله شواهد أخر .

وروى عن خزيمة بن ثابت ومحمد بن عبد الله بن سلام وابن عباس .
وقد روى أبو داود والترمذي وابن ماجه من حديث يونس بن الحارث ، عن
إبراهيم بن أبي ميمونة ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : نزلت هذه
الآية في أهل قُبَاء « فيه رجالٌ يحبُّون أن يتطهَّروا والله يحبُّ المطهَّرين » . قال : كانوا
يستنجون بالماء فنزلت فيهم هذه الآية .

ثم قال الترمذي : غريب من هذا الوجه .

قلت : ويونس بن الحارث هذا ضعيف . والله أعلم .

وعن قال بأنه المسجد الذي أسس على التقوى مارواه عبد الرزاق ، عن مَعْمَر ، عن
الزهرى ، عن عروة بن الزبير ، ورواه على بن أبي طلحة ، عن ابن عباس ، وحُكِيَ
عن الشعبي والحسن البصرى وقتادة وسعيد بن جبير وعطية العوفى ، وعبد الرحمن بن
زيد بن أسلم ، وغيرهم .

وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يزوره فيما بعد ويصلى فيه ، وكان يأتي قُبَاء كلَّ
سبت تارة راكباً وتارة ماشياً . وفي الحديث : « صلاةٌ في مسجد قباء كعمرة » .

وقد ورد في حديث أن جبرائيل عليه السلام هو الذى أشار للنبي صلى الله عليه وسلم
إلى موضع قبلة مسجد قباء .

فكان هذا المسجد أولَ مسجدٍ بنى فى الإسلام بالمدينة ، بل أول مسجد جعل لعموم
الناس فى هذه الملة .

واحتَرَزْنَا بهذا عن المسجد الذى بناه الصِّدِّيق بمكة عند باب داره يتعبد فيه ويصلى ،
لأن ذلك كان لخاصة نفسه لم يكن للناس عامة ، والله أعلم .

وقد تقدم إسلام سلمان في البشارات ، [و] أن سلمان الفارسي لما سمع بقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم [إلى المدينة ذهب إليه وأخذ معه شيئاً فوضعه بين يديه وهو بقاء] [و] قال : هذا صدقة . فكف رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يأكله ، وأمر أصحابه فأكلوا منه ، ثم جاء مرة أخرى ومعه شيء فوضعه وقال هذه هدية فأكل منه وأمر أصحابه فأكلوا . تقدم الحديث بطوله [(١)] .

فصل

في إسلام عبد الله بن سلام رضى الله عنه

قال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا عوف ، عن زرارة ، عن عبد الله ابن سلام ، قال : لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة انجفل^(٢) الناس ، فكنت فيمن انجفل ، فلما تبينت وجهه عرفت أنه ليس بوجه كذاب ؛ فكان أول شيء سمعته يقول : « أَفْشُوا السَّلَامَ ، وَأَطْعَمُوا الطَّعَامَ ، وَصَلُّوا بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ » ، تدخلوا الجنة بسلام .

ورواه الترمذى وابن ماجه من طرق ، عن عوف الأعرابي ، عن زرارة بن أبي أوفى به عنه . وقال الترمذى : صحيح .

ومقتضى هذا السياق يقتضى أنه سمع بالنبي صلى الله عليه وسلم ورآه أول قدمه حين أناخ بقاء في بني عمرو بن عوف .

وتقدم في رواية عبد العزيز بن صهيب عن أنس ، أنه اجتمع به حين أناخ عند دار

(١) سقط من ح . (٢) انجفل الناس : انقلعوا فوضوا .

أبي أيوب عند ارتحاله من قباء إلى دار بني النجار كما تقدم ؛ فلعله رآه أول مارآه بقاء ، واجتمع به بعد ما صار إلى دار بني النجار . والله أعلم .

وفي سياق البخارى من طريق عبد العزيز عن أنس قال : فلما جاء النبي صلى الله عليه وسلم جاء عبد الله بن سلام فقال : أشهد أنك رسول الله وأنتك جئت بحق ، وقد علمت يهود أنى سيدهم وابن سيدهم وأعلمهم وابن أعلمهم ، فادعهم فسلّمهم عنى قبل أن يعلموا أنى قد أسلمت ، فإنهم إن يعلموا أنى قد أسلمت قالوا فى ما ليس فى .

فأرسل نبي الله صلى الله عليه وسلم إلى اليهود فدخلوا عليه ، فقال لهم : « يا معشر اليهود ويلكم اتقوا الله ، فوالله الذى لا إله إلا هو إنكم لتعلمون أنى رسول الله حقا وأنى جئكم بحق فأسلموا » قالوا : ما نعلمه . قالوا : [ذلك] للنبي صلى الله عليه وسلم قالها ثلاث مرار . قال : « فأى رجل فيكم عبد الله ^(١) بن سلام ؟

قالوا : ذاك سيدنا وابن سيدنا ، وأعلمنا وابن أعلمنا . قال : أفرايتم إن أسلم ؟ قالوا : حاش لله ، ما كان ليسلم .

قال : « يا بن سلام اخرج عليهم » .

فخرج فقال : يا معشر يهود اتقوا الله ، فوالله الذى لا إله إلا هو إنكم لتعلمون أنه رسول الله وأنه جاء بالحق . فقالوا : كذبت . فأخرجهم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

هذا لفظه .

وفي رواية : فلما خرج عليهم شهد شهادة الحق قالوا شرنا وابن شرنا ، وتنفصوه فقال : يا رسول الله هذا الذى كنت أخاف .

(١) ابن هشام : الحصين بن سلام .

وقال البيهقي : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، أخبرنا الأصم ، حدثنا محمد بن إسحاق الصنعاني ، حدثنا عبد الله بن أبي بكر ، حدثنا حميد عن أنس ، قال : سمع عبد الله بن سلام بقدم النبي صلى الله عليه وسلم ، وهو في أرض له ، فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : إني سائلك عن ثلاثٍ لا يعلمن إلا نبي ؛ ما أول أشرط الساعة ؟ وما أول طعام يأكله أهل الجنة ؟ وما بال الولد [يَنزَعُ] إلى أبيه أو إلى أمه .

قال : أخبرني بهن جبريلُ آنفاً . قال : جبريل ! قال : نعم . قال : عدوُّ اليهود من الملائكة . ثم قرأ ^(١) : « مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ » .

قال : « أَمَّا أَوَّلُ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ فَنَارٌ تَخْرُجُ عَلَى النَّاسِ مِنَ الْمَشْرِقِ تَسْوَقُهُمْ إِلَى الْمَغْرِبِ ، وَأَمَّا أَوَّلُ طَعَامٍ يَأْكُلُهُ أَهْلُ الْجَنَّةِ فِزْيَادَةُ كَبِدِ حَوْتٍ ^(٢) » ، وَأَمَّا الْوَلَدُ فَإِذَا سَبَقَ مَاءُ الرَّجُلِ مَاءَ الْمَرْأَةِ نَزَعَ الْوَلَدَ ، وَإِذَا سَبَقَ مَاءُ الْمَرْأَةِ مَاءُ الرَّجُلِ نَزَعَتْ الْوَلَدَ » .

فقال : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأنت رسول الله . يا رسول الله إن اليهود قومٌ بَهْتٌ ، وإنهم إن يعلموا بإسلامي قبل أن تسألهم عنى بهتوني .

فجاءت اليهود . فقال : أي رجل عبد الله فيكم ؟ قالوا : خيرنا وابن خيرنا ، وسيدنا وابن سيدنا . قال : أرأيتم إن أسلم ؟ قالوا : أعاده الله من ذلك .

فخرج عبد الله فقال : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله . قالوا شرئنا وابن شرئنا وإنتقصوه .

قال : هذا الذي كنت أخاف يا رسول الله .

(١) أي الرسول صلوات الله عليه . (٢) قال القسطلاني : هي القطعة المنفردة المتعلقة بالكبد ؛ وهي أهنأ طعام وأمرؤه .

ورواه البخارى عن عبد بن حميد^(١) عن عبد الله بن أبي بكر به . ورواه عن حامد بن عمر عن بشر بن الفضل عن حميد به .

قال محمد بن إسحاق : حدثني عبد الله بن أبي بكر ، عن يحيى بن عبد الله ، عن رجل من آل عبد الله بن سلام ، قال : كان من حديث عبد الله بن سلام حين أسلم وكان حبراً عالماً ، قال : لما سمعتُ برسول الله وعرفتُ صفته واسمه وهيئته و [زمانه] الذى كنا نتوَكَّفُ^(٢) له ، فكنتُ بقاءً مسراً بذلك^(٣) صامتاً عليه ، حتى قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، المدينة .

فلما قدم نزل بقاءً في بني عمرو بن عوف ، فأقبل^(٤) رجل حتى أخبر بقدمه ، وأنا في رأس نخلة لى أعمل فيها ، وعمتي خالدة بنت الحارث تحتى جالسة .

فلما سمعتُ الخبر بقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم كبرتُ ، فقالت عمتى حين سمعتُ تكبيرى : لو كنتُ سمعتُ بموسى بن عمران ما زدتُ .

قال : قلت لها : أى عمه ، والله هو أخو موسى بن عمران وعلى دينه ، بُعث بما بعث به .

قال : فقالت له : يا ابن أخى أهو الذى كنا نُخْبِرُ أنه يُبعثُ مع نفس الساعة ؟ قال : قلت لها نعم . قالت : فذاك إذاً .

قال : فخرجتُ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلمتُ ثم رجعتُ إلى أهل بيتى فأمرتهم فأسلموا ، وكنتمُ إسلامى من اليهود وقلت : يا رسول الله إن اليهود قومٌ بهتٌ^(٥) وإنى أحبُّ أن تدخلنى في بعض بيوتك فتغيبنى عنهم ، ثم تسألهم عنى فيخبروك

(١) الأصل : عبد بن منير وهو خطأ . (٢) تتوَكَّف : تترقب وتنتظر . وفي الأصل : تتوقف مصحفة . وهو تحريف : وما أثبتته عن ابن هشام . (٣) ابن هشام : فكنتُ مسراً لذلك صامتاً عليه . (٤) ابن هشام : فلما نزل بقاءً على بنى عمرو بن عوف أقبل . (٥) البهت : جمع بهيت ، كقضب وقضب . والبهيت هو الذى يهت القول ويختلفه .

كيف أنا فيهم ، قبل أن يعلموا بإسلامي ، فإنهم إن يعلموا بذلك بهتوني وعابوني .
وذكر نحو ما تقدم .

قال : فأظهرت إسلامي وإسلام أهل بيتي ، وأسلمت عمتي خالدة بنت الحارث .
وقال يونس بن بكير ، عن محمد بن إسحاق : حدثني عبد الله بن أبي بكر ،
حدثني يحدث عن صفية بنت حيي قالت : لم يكن أحد من ولد أبي وعمي أحبَّ
إليهما مني ، لم ألقهما في ولد لهما قط أهنَّ إليهما إلا أخذاني دونه ، فلما قدم رسول الله
صلى الله عليه وسلم قبَاء ، قرية بني عمرو بن عوف ، غداً إليه أبي وعمي أبو ياسر بن
أخطب مُفلسين ، فوالله ما جاءنا إلا مع مغيب الشمس ، فجاءنا فاترين كسلانين
ساقطين يمشيان الهويني ، فهششت إليهما كما كنت أصنع ، فوالله ما نظر إلي واحد
منهما ، فسمعت عمتي أبا ياسر يقول لأبي : أهو هو ؟ قال : نعم والله ! قال :
تعرفه بنعته وصفته ؟ قال : نعم والله . قال : فماذا في نفسك منه ؟ قال : عداوته
والله ما بقيت !

وذكر موسى بن عُقبة عن الزهري أن أبا ياسر بن أخطب حين قدم رسول الله
صلى الله عليه وسلم المدينة ذهب إليه وسمع منه وحادثه ثم رجع إلى قومه فقال : يا قوم
أطيعون ، فإن الله قد جاءكم بالذي كنتم تنتظرون ، فاتبعوه ولا تخالفوه .

فانطلق أخوه حيي بن أخطب ، وهو يومئذ سيد اليهود ، وهما من بني النضير ،
فجلس إلى رسول الله وسمع منه ، ثم رجع إلى قومه ، وكان فيهم مطاعا ، فقال : أتيت
من عند رجل والله لا أزال له عدواً أبداً . فقال له أخوه أبو ياسر : يا ابن أم أظعنني في
هذا الأمر واعصني فيما شئت بعده لا تهلك .

قال : لا والله لا أطيعك أبداً ، واستحوذ عليه الشيطان واتبعه قومه على رأيه .

قلت : أما أبو ياسر واسمه حيي بن أخطب فلا أدري ما آل إليه أمره ، وأما حيي
ابن أخطب والد صفية بنت حيي فشرّب عداوة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، ولم
يزل ذلك دأبه لعنه الله حتى قُتل صبراً بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم قتل
مُقاتلة بنى قريظة . كما سيأتي إن شاء الله .

فصل

ولما ارتحل عليه السلام من قباء وهو راكبٌ ناقته القَصْواء ، وذلك يوم الجمعة ،
أدركه وقتُ الزوال وهو في دار بني سالم بن عوف ، فصلّى بالمسلمين الجمعة هنالك ، في
واد يقال له وادي رانواناء .

فكانت أولَ جُمعةٍ صلاتها رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمسلمين بالمدينة ،
أو مطلقاً ، لأنه ، والله أعلم ، لم يكن يتمكن هو وأصحابه بمكة من الاجتماع حتى
يقيموا بها جمعة ذات خطبة وإعلان بموعظة ، وما ذاك إلا لشدة مخالفة المشركين له ،
وأذيتهم إياه .

ذكر خطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ

قال ابن جرير : حدثني يونس بن عبد الأعلى ، أخبرنا ابن وهب ، عن سعيد بن
عبد الرحمن الجُمحي ، أنه بلغه عن خطبة النبي صلى الله عليه وسلم في أول جمعة صلاتها بالمدينة
في بني سالم بن عمرو بن عوف رضى الله عنهم : « الحمد لله أحمدوه وأستعينه ، وأستغفروه
وأستهديه ، وأؤمن به ولا أكفره ، وأعادي من يكفره ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده
لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق والنور والموعظة على

فترة من الرسل ، وقلة من العلم ، وضلالة من الناس ، وانقطاع من الزمان : ودنو من الساعة ، وقرب من الأجل .

من يطع الله ورسوله فقد رشد ، ومن يعصهما فقد غوى وفرط وضلّ ضلّالاً بعيداً .

وأوصيكم بتقوى الله ، فإنه خير ما أوصى به المسلم المسلم أن يحضه على الآخرة ، وأن يأمره بتقوى الله . فاحذروا ما حذركم الله من نفسه ، ولا أفضل من ذلك نصيحة ولا أفضل من ذلك ذكرى ، وإنه تقوى لمن عمل به على وجلٍ وخافة ، وعونٌ صدق على ما تبتغون من أمر الآخرة .

ومن يصلح الذي بينه وبين الله من أمر السر والعلانية لا ينوى بذلك إلا وجه الله يكن له ذكراً في عاجل أمره وذخراً فيما بعد الموت حين يفتر المرء إلى ما قدم ، وما كان من سوى ذلك يودّ لو أنّ بينه وبينه أمداً بعيداً ، ويحذركم الله نفسه والله رءوف بالعباد .

والذي صدق قواً ، وأنجز وعده ، لا خلف لذلك فإنه يقول تعالى : « ما يبدل القول لدى وما أنا بظالم للعبيد » .

واتقوا الله في عاجل أمركم وآجله في السر والعلانية فإنه « مَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَكْفُرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا » « وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا » وإن تقوى الله توفى مقته ، وتوفى عقوبته ، وتوفى سخطه ، وإن تقوى الله تبيض الوجه ، وترضى الرب ، وترفع الدرجة .

خذوا بحظكم ولا تفرطوا في جنب الله ، قد علمكم الله كتابه ، ونهج لكم سبيله ليعلم الذين صدقوا وليعلم الكاذبين ، فأحسنوا كما أحسن الله إليكم ، وعادوا أعداءه

وجاهدوا في الله حق جهاده ؛ هو اجتباكم وسماكم المسلمين ، لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيْنَةٍ وَيَحْيَا مَنْ حَيَّ عَنْ بَيْنَةٍ ، وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ ، فَأَكْثَرُوا ذِكْرَ اللَّهِ ، وَاعْمَلُوا لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ ، فَإِنَّهُ مِنْ أَصْلَحِ مَايُنْهِي وَيُنْهِي اللَّهُ يَكْفِيهِ مَايُنْهِي وَبَيْنَ النَّاسِ ، ذَلِكَ بَأَنَّ اللَّهَ يَقْضِي عَلَى النَّاسِ وَلَا يَقْضُونَ عَلَيْهِ ، وَيَمْلِكُ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ ، اللَّهُ أَكْبَرُ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ .

هكذا أوردها ابن جرير وفي السند إرسال .

وقال البيهقي : باب أول خطبة خطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة :

أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، أخبرنا أبو العباس الأصم ، حدثنا أحمد بن عبد الجبار ، حدثنا يونس بن بكير ، عن ابن إسحاق ، حدثني المغيرة بن عثمان بن محمد بن عثمان والأخنس بن شريق ، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف ، قال : كانت أول خطبة خطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة أن قام فيهم فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال « أما بعد أيها الناس فقدّموا لأنفسكم ، تعلّموا والله ليضعقن أحدكم ثم ليدعن غنمه ليس لها راع ، ثم ليقولن له ربه ، ليس له ترجمان ولا حاجب يحجبه دونه : ألم يأتك رسول فبلغك ، وآتيتك مالا وأفضلت عليك ، فما قدّمت لنفسك ؟ فينظر يمينا وشمالا فلا يرى شيئا ، ثم ينظر قدامه فلا يرى غير جهنم ، فمن استطاع أن يبق وجهه من النار ولو بشق تمرة فليفعل ، ومن لم يجد فبكلمة طيبة ، فإن بها تجزى الحسنة عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف . والسلام على رسول الله ^(١) ورحمة الله وبركاته . »

ثم خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم مرة أخرى فقال : « إن الحمد لله أحمد

(١) ابن هشام : والسلام عليكم وعلى رسول الله .

وأستعينه ، نعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضلَّ له ، ومن يضلل فلا هادي له . وأشهد أن لا إله إلا الله [وحده لا شريك له] ^(١) ، إن أحسن الحديث كتابُ الله ، قد أفلح من زينّه الله في قلبه وأدخله في الإسلام بعد الكفر واختاره على ماسواه من أحاديث الناس ، إنه أحسنُ الحديث وأبلغه ، أحبُّوا مَنْ أحبَّ الله ، أحبُّوا الله مِنْ كُلِّ قلوبكم [ولا تملُّوا كلام الله وذكره ولا تقسى عنه قلوبكم] ^(٢) فإنه من [كلِّ ما يخلق الله] ^(٣) يختار الله ويصطفى ، فقد سمَّاهُ خيرته من الأعمال وخيرته من العباد ، والصالح من الحديث ، ومن كل ما أوتي الناس من الحلال والحرام ، فاعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً واتقوه حقَّ تقاته ، واصدُّقوا الله صالح ما تقولون بأفواهكم ، وتحابُّوا بروح الله بينكم ، إنَّ الله يفضُّب أن يُنكثَ عهده . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

وهذه الطريق أيضاً مرسله ، إلا أنها مقوية لما قبلها ، وإن اختلفت الألفاظ .

فصل

في بناء مسجده الشريف في مدة مقامه عليه السلام

بدار أبي أيوب رضی الله عنه

وقد اختلف في مدة مقامه بها ، فقال الواقدي : سبعة أشهر ، وقال غيره أقل من شهر . والله أعلم .

قال البخاري : حدثنا إسحاق بن منصور ، أخبرنا عبد الصمد ، قال سمعت أبي يحدث فقال حدثنا أبو التَّيَّاح يزيد بن حُميد الضُّبي ، حدثنا أنس بن مالك ، قال : لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة نزل في علو المدينة في حي يقال لهم بنو عمرو بن

(١) من ابن هشام .

عوف ، فأقام فيهم أربع عشرة ليلة ثم أرسل إلى ملأ بنى النجار فجاءوا متقلدي سيوفهم . قال : وكأني أنظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم على راحلته وأبو بكر ردفه ، وملأ بنى النجار حوله ، حتى ألتى بفناء أبي أيوب .

قال : فكان يصلى حيث أدركته الصلاة ، ويصلى في مَرابض الغنم .

قال : ثم إنه أمر ببناء المسجد ، فأرسل إلى ملأ بنى النجار فجاءوا فقال : يا بنى النجار ثامنوني بحائطكم هذا . فقالوا : لا والله لا نطلب ثمنه إلا إلى الله عز وجل . قال : فكان فيه ما أقول لكم : كانت فيه قبور المشركين ، وكانت فيه خَرَبٌ ^(١) ، وكان فيه نخل ، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقبور المشركين فُنُبِشت ، وبأخرب فسوِّيت ، وبالنخل فُقُطِع .

قال : فصَفَّوا النخلَ قبلةَ المسجد ، وجعلوا عُصَادَتِيهِ حجارة ، قال : فجعلوا ينقلون ذلك الصخر وهم يرتجزون ، ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم معهم يقول : اللهم إنه لا خيرَ إلا خيرُ الآخرة فانصر الأنصارَ والمهاجرة .

وقد رواه البخارى فى مواضع آخر ومسلم من حديث أبى عبد الصمد وعبد الوارث ابن سعيد .

وقد تقدم فى صحيح البخارى عن الزهري ، عن عروة ، أن المسجد الذى كان مَرِبدًا - وهو يَبْدُر التمر - لثيمين كانا فى حِجْر أسعد بن زُرارة وهما سهل وسهيل ، فساوهمما فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالا : بل نهْبُهُ لك يا رسول الله . فأبى حتى ابتاعه منهما وبناه مسجداً .

قال : وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وهو ينقل معهم التراب :

(١) الحرب : جمع خربة كلمة وكلم .

هَذَا الْحَمَالُ لِاحْمَالِ خَيْبَرَ هَذَا أَبْرُ رَبَّنَا وَأَطْهَرُ

ويقول :

لَا هُمْ إِلَّا الْأَجَرُ أَجْرُ الْآخِرَةِ فَارْحَمِ الْأَنْصَارَ وَالْمُهَاجِرَةَ
وذكر موسى بن عُقْبَةَ أَنَّ أَسْعَدَ بْنَ زُرَّارَةَ عَوَّضَهَا مِنْهُ نَخْلًا لَهُ فِي بِيَاضَةِ قَالَ :
وَقِيلَ ابْتِاعَهُ مِنْهُمَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .
قلت : وذكر محمد بن إسحاق أَنَّ الْمَرْبُودَ كَانَ لِفُلَاحِينَ يَتِيمِينَ فِي حِجْرِ مَعَاذِ بْنِ عَقْرَاءَ ،
وَهُمَا سَهْلٌ وَسُهَيْلٌ ابْنَا عَمْرٍو . فَاللَّهُ أَعْلَمُ .

وروى البيهقي من طريق أبي بكر بن أبي الدنيا ، حدثنا الحسن بن حماد الضبي ،
حدثنا عبد الرحيم بن سليمان ، عن إسماعيل بن مسلم ، عن الحسن ؛ قَالَ : لما بنى رسول
الله صلى الله عليه وسلم المسجد أعانه عليه أصحابه وهو معهم يتناول الابن حتى اغبر صدره ،
فقال : ابنوه عريشا كعريش موسى . فقلت للحسن : ما عريش موسى ؟ قال : إذا رفع
يديه بلغ العريش ، يعني السقف .

وهذا مرسل وروى من حديث حماد بن سلمة ، عن أبي سنان ، عن يعلى بن شداد بن
أوس ، عن عبادة ، أَنَّ الْأَنْصَارَ جَمَعُوا مَالًا فَأَتَوْا بِهِ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالُوا :
يَا رَسُولَ اللَّهِ ابْنِ هَذَا الْمَسْجِدَ وَزَيْنَهُ ، إِلَى مَتَى نَصَلِّي تَحْتَ هَذَا الْجُرَيْدِ ؟ فَقَالَ : مَا بِي رَغْبَةٌ
عَنْ أَخِي مُوسَى ، عَرِيشُ كَعْرِيشِ مُوسَى .
وهذا حديث غريب من هذا الوجه .

وقال أبو داود : حدثنا محمد بن حاتم ، حدثنا عبد الله بن موسى ، عن سنان ، عن
فِرَاسٍ ، عَنْ عَطِيَّةِ الْعَوْفِيِّ ، عَنْ ابْنِ عَمْرٍو ، أَنَّ مَسْجِدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَتْ

سواريه على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من جذوع النخل ، أعلاه مظلل بجريد النخل ، ثم إنها تحرّبت في خلافة أبي بكر ، فبناها بجذوع وبجريد النخل ، ثم إنها تحرّبت في خلافة عثمان فبناها بالآجر ، فما زالت ثابتة حتى الآن . وهذا غريب .

وقد قال أبو داود أيضا : حدثنا مجاهد بن موسى ، حدثني يعقوب بن إبراهيم ، حدثني أبي ، عن أبي صالح ، حدثنا نافع ، عن ابن عمر ، أخبره أن المسجد كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم مبنيا باللبن ، وسقفه الجريد ، وعمده خشب النخل ، فلم يزد فيه أبو بكر شيئا ، وزاد فيه عمر وبناه على بنائه في عهد النبي صلى الله عليه وسلم باللبن والجريد وأعادَ عمدَه خشبا ، وغيرَه عثمان رضى الله عنه وزاد فيه زيادة كثيرة ، وبني جداره بالحجارة المنقوشة والقَصَّة^(١) وجعل عمدَه من حجارة منقوشة وسقفَه بالساج^(٢) .

وهكذا رواه البخارى عن على بن المدينى ، عن يعقوب بن إبراهيم به . قلت : زاده عثمان بن عفان رضى الله عنه متأولا قوله صلى الله عليه وسلم : « من بنى لله مسجداً ولو كمفحص قطاة بنى الله له بيتا فى الجنة » .

ووافقهُ الصحابة الموجودون على ذلك ولم يغيروه بعده ، فيستدل بذلك على الراجح من قول العلماء أن حكم الزيادة حكم المزيد ، فتدخل الزيادة فى حكم سائر المسجد من تضعيف الصلاة فيه وشد الرّحال إليه .

وقد زيد فى زمان الوليد بن عبد الملك باني جامع دمشق ، زاده له بأمره عمر بن

(١) القصة : الجبس . (٢) فى ١ : بالساح وهو تصحيف . والساج : اسم لنوع من الشجر .

عبد العزيز حين كان نائبه على المدينة ، وأدخل الحجرة النبوية فيه . ثم زيد زيادة كثيرة فيما بعد ، وزيد من جهة القبلة حتى صارت الروضة والمنبر بعد الصفوف المقدسة كما هو المشاهد اليوم .

قال ابن إسحاق : ونزل رسول الله على أبي أيوب حتى بنى مسجده ومساكنه وعمل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ليرغب المسلمين في العمل فيه ، فعمل فيه المهاجرون والأنصار ودأبوا فيه ، فقال قائل من المسلمين :

لئن قمَدْنَا والنبيَّ يعملُ لَذاك مِنَّا العملُ المِضللُ

وأرتجز المسلمون وهم يبنونه يقولون :

لا عيشَ إلا عيشُ الآخِره اللهم ارحم الأنصار والمهاجره

فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا عيش إلا عيش الآخرة ، اللهم ارحم المهاجرين والأنصار » .

قال : فدخل عمار بن ياسر ، وقد أثقلوه بالدين فقال : يا رسول الله قتلوني يحملون عليّ ما لا يحملون .

قالت : أم سلمة فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ينفذ وفرته بيده ، وكان رجلاً جعداً ، وهو يقول : « ويح ابن سمية ليسوا بالذين يقتلونك ، إنما تقتلك الفئة الباغية » .

وهذا منقطع من هذا الوجه ، بل هو مُعْضَل بين محمد بن إسحاق وبين أم سلمة ، وقد وصله مسلم في صحيحه من حديث شعبة ، عن خالد الحذاء ، عن سعيد والحسن ، يعني ابني أبي الحسن البصري ، عن أمهما خيرة مولاة أم سلمة ، عن أم سلمة قالت :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تقتل عماراً الفئة الباغية » ورواه من حديث ابن عليّة ، عن ابن عَوْن ، عن الحسن ، عن أمه ، عن أم سلمة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعمار ، وهو ينقل الحجارة : « ويمح لك يا ابن سمية ! تقتلك الفئة الباغية » .

وقال عبد الرزاق : أخبرنا مَعْمَر ، عن الحسن يحدث عن أمه ، عن أم سلمة ، قالت : لما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه يَبْنُونَ المسجد ، جعل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يحمل كل واحد لَبِنَةً لَبْنَةً ، وعمار يحمل لبنتين ، لبنة عنه ولبنة عن النبي صلى الله عليه وسلم فمسح ظهره وقال : « ابن سُمَيَّة ، للناس أجرٌ ولك أجران ، وآخرُ زادك شربة من لبن وتقتلك الفئة الباغية » .

وهذا إسناد على شرط الصحيحين .

وقد أورد البيهقي وغيره من طريق جماعة ، عن خالد الحذاء ، عن عكرمة ، عن أبي سعيد الخدري ، قال : كنا نحمل في بناء المسجد لبنة لبنة ، وعمار يحمل لبنتين لبنتين . فرآه النبي صلى الله عليه وسلم فجعل ينفذ التراب عنه ويقول : « ويمح عمار ! تقتله الفئة الباغية ، يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار » قال يقول عمار : أعوذ بالله من الفتن .

لكن روى هذا الحديث الإمام البخاري عن مُسَدَّد ، عن عبد العزيز بن الحنّار ، عن خالد الحذاء ، وعن إبراهيم بن موسى ، عن عبد الوهاب الثقفي ، عن خالد الحذاء به ، إلا أنه لم يذكر قوله : « تقتلك الفئة الباغية » .

قال البيهقي : وكأنه إنما تركها لما رواه مسلم من طريق ، عن أبي نضرة ، عن أبي سعيد [قال : أخبرني مَنْ هو خيرٌ مِنّي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعمار حين جعل يحفر الخندق ، جعل يمسح رأسه ويقول : « بؤس ابن سُمَيَّة ! تقتله فئة باغية » .

وقد رواه مسلم أيضا من حديث شعبة ، عن أبي مسلم ، عن أبي نضرة ، عن أبي سعيد ^(١) [قال : حدثني من هو خير مني ، أبو قتادة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعمار بن ياسر « بؤسًا لك يا ابن سُمَيَّة تقتلك الفئة الباغية » .

وقال أبو داود الطيالسي : حدثنا وهيب ، عن داود بن أبي هند ، عن أبي نضرة ، عن أبي سعيد ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما حفر الخندق كان الناس يحمون لبنة لبنة ، وعمار ناقه من وجع كان به ، فجعل يحمل البنتين لبنتين . قال أبو سعيد : لحدثني بعض أصحابي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ينفذ التراب عن رأسه ويقول : « ويحك ابن سمية تقتلك الفئة الباغية » .

قال البيهقي : فقد فرَّق بين ماسمعه بنفسه وما سمعه من أصحابه .

قال : ويُشبه أن يكون قوله : « الخندق » وهما ، أو أنه قال له ذلك في بناء المسجد وفي حفر الخندق . والله أعلم .

قلت : حملُ اللبن في حفر الخندق لا معنى له ، والظاهر أنه اشتبه على الناقل . والله أعلم .

وهذا الحديث من دلائل النبوة ، حيث أخبر صلوات الله وسلامه عليه عن عمار أنه تقتله الفئة الباغية .

وقد قتله أهل الشام في وقعة صفين ، وعمَّار مع عليٍّ وأهل العراق .

وقد كان عليٌّ أحقَّ بالأمر من معاوية ، ولا يلزم من تسمية أصحاب معاوية بفاة تكفيرهم ، كما يحاوله جهلة الفرقة الضالة من الشيعة وغيرهم ، لأنهم وإن كانوا بفاة في نفس الأمر فإنهم كانوا مجتهدين فيما تعاطوه من القتال ، وليس كل مجتهد مصيبًا ، بل المصيب له أجران والخطيئ له أجر .

ومن زاد في هذا الحديث بعد : « تقتلك الفئة الباغية » : « لا أناها الله شفاعتي يوم القيامة » فقد افترى في هذه الزيادة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإنه لم يقلها إذ لم تنقل من طريق تقبل والله أعلم .

وأما قوله : « يدعوم إلى الجنة ويدعونه إلى النار » فإن عماراً وأصحابه يدعون أهل الشام إلى الألفة واجتماع الكلمة ، وأهل الشام يريدون أن يستأثروا بالأمر دون من هو أحق به ، وأن يكون الناس أوزاعاً على كل قطر إمام برأسه ، وهذا يؤدي إلى افتراق الكلمة واختلاف الأمة ، فهو لازمٌ مذهبهم وناشئٌ عن مسلكتهم ، وإن كانوا لا يقصدونه والله أعلم .

والمقصود هاهنا إنما هو قصة بناء المسجد النبوي ، على بانيه أفضل الصلاة والتسليم .

وقد قال الحافظ البيهقي في الدلائل : حدثنا أبو عبد الله الحافظ إمامنا ، حدثنا أبو بكر بن إسحاق ، أخبرنا عبيد بن شريك ، حدثنا نعيم بن حماد ، حدثنا عبد الله بن المبارك ، أخبرنا حشرج بن نباتة ، عن سعيد بن جهان ، عن سفينة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : جاء أبو بكر بحجر فوضعه ، ثم جاء عمر بحجر فوضعه ، ثم جاء عثمان بحجر فوضعه . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « هؤلاء ولاية الأمر بعدى » .

ثم رواه من حديث يحيى بن عبد الحميد الحماني ، عن حشرج عن سعيد ، عن سفينة . قال : لما بنى رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد وضع حجراً . ثم قال « لِيَضَعْ أبو بكر حجراً إلى جنب حجري ، ثم ليضع عمر حجره إلى جنب حجر أبي بكر ، ثم ليضع عثمان حجره إلى جنب حجر عمر » فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « هؤلاء الخلفاء من بعدى » .

وهذا الحديث بهذا السياق غريب جداً .

والمعروف ما رواه الإمام أحمد، عن أبي النضر، عن حشر بن نباتة الببسي، وعن بهز وزيد بن الحباب وعبد الصمد وحامد بن سلمة، كلاهما عن سعيد بن جهمان، عن سفيينة قال سمعت رسول الله يقول : « الخلافة ثلاثون عاما، ثم يكون من بعد ذلك الملك » ثم قال سفيينة : أمسك ؛ خلافة أبي بكر سنتين، وخلافة عمر عشر سنين، وخلافة عثمان اثنتا عشرة سنة، وخلافة عليّ ست سنين .
هذا لفظ أحمد .

ورواه أبو داود والترمذي والنسائي من طرق، عن سعيد بن جهمان، وقال الترمذي حسن لا نعرفه إلا من حديثه ولفظه « الخلافة بعدى ثلاثون سنة ثم يكون مُلكاً عَضُوضاً » وذكر بقيته .

قلت : ولم يكن في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم أول ما بنى منبرٌ يخطب الناس عليه، بل كان النبي صلى الله عليه وسلم يخطب وهو مستندٌ إلى جذع عند مصلاه في الحائط القبلي، فلما اتخذ له عليه السلام المنبر، كما سيأتي بيانه في موضعه، وعدل إليه ليخطب عليه، فلما جاوز ذلك الجذعَ خار ذلك الجذعُ وحنَّ حنينَ الثَّوْقِ العِشَارِ، لما كان يسمع من خطب الرسول عليه السلام عنده، فرجع إليه النبي صلى الله عليه وسلم فاحتضنه حتى سكن كما يسكن المولود الذي يسكت، كما سيأتي تفصيل ذلك من طرق عن سهل بن سعد الساعدي وجابر وعبد الله بن عمر وعبد الله بن عباس وأنس بن مالك وأم سلمة رضي الله عنهم .

وما أحسن ما قال الحسن البصري بعد ما روى هذا الحديث، عن أنس بن مالك :
يا معشر المسلمين الخشبةُ تحنُّ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم شوقاً إليه، أو ليس الرجال الذين يرجون لقاءه أحق أن يشتاقوا إليه ؟ !

تنبيه على فضل هذا المسجد الشريف والمحل المنيف

قال الإمام أحمد : حدثنا يحيى بن أنيس بن أبي يحيى ، حدثني أبي ، قال : سمعت أبا سعيد الخدري قال : اختلف رجلان ، رجل من بني خُدْرة ورجل من بني عمرو بن عوف ، في المسجد الذي أسس على التقوى ، فقال الخدري : هو مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقال العمري : هو مسجد قُبَاء . فأتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألاه عن ذلك فقال : « هو هذا المسجد » لمسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقال : « في ذلك خير كثير » يعني مسجد قُبَاء .

ورواه الترمذي عن قتيبة ، عن حاتم بن إسماعيل ، عن أنيس بن أبي يحيى الأسلمي به وقال : حسن صحيح .

وروى الإمام أحمد ، عن إسحاق بن عيسى ، عن الليث بن سعد والترمذي والنسائي جميعاً ، عن قتيبة ، عن الليث ، عن عمران بن أبي أنس ، عن عبد الرحمن بن أبي سعيد ، عن أبيه ، قال : تمارى رجلان في المسجد الذي أسس على التقوى ، وذكر نحو ماتقدم . وفي صحيح مسلم من حديث حميد الخُراط ، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن أنه سأل عبد الرحمن ابن أبي سعيد ، كيف سمعتَ أباك في المسجد الذي أسس على التقوى ؟ قال أبي : أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألته عن المسجد الذي أسس على التقوى فأخذ كفاً من حصباء فضرب به الأرضَ ثم قال : « هو مسجدكم هذا » .

وقال الإمام أحمد : حدثنا وكيع ، حدثنا ربيعة بن عثمان التميمي ، عن عمران بن أبي أنس ، عن سهل بن سعد ، قال : اختلف رجلان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد الذي أسس على التقوى ، فقال أحدهما : هو مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقال الآخر : هو مسجد قُبَاء . فأتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألاه فقال : « هو مسجدى هذا » .

وقال الإمام أحمدُ حدثنا أبو نعيم ، حدثنا عبد الله بن عامر الأسلمى ، عن عمر بن
أبي أنس ، عن سهل بن سعد ، عن أبي بن كعب ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :
« المسجد الذى أسس على التقوى مسجدي هذا » .

فهذه طرق متعددة لعلها تقرب من إفادة القطع بأنه مسجد الرسول الله صلى الله
عليه وسلم .

وإلى هذا ذهب عمر ، وابنه عبد الله ، وزيد بن ثابت ، وسعيد بن المسيب ، واختاره
ابن جرير .

وقال آخرون : لا منافاة بين نزول الآية في مسجد قباء كما تقدم بيانه ، وبين هذه
الأحاديث ، لأن هذا المسجد أولى بهذه الصفة من ذلك ، لأن هذا أحد المساجد الثلاثة
التي تُشدُّ الرحال إليها ، كما ثبت في الصحيحين من حديث أبي هريرة ، قال : قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم : « لا تشدُّ الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد ؛ مسجدي هذا والمسجد الحرام ،
ومسجد بيت المقدس » .

وفي صحيح مسلم عن أبي سعيد ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لا تشدُّ الرحال
إلا إلى ثلاثة مساجد » وذكرها .

وثبت في الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « صلاة في مسجدي هذا
خير من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام » .

وفي مسند أحمد بإسناد حسن زياد حسنة وهي قوله « فإن ذلك أفضل » .

وفي الصحيحين من حديث يحيى القطان ، عن حبيب ، عن حفص بن عاصم ، عن
أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض
الجنة » ومنبري على حوضي » .

والأحاديث في فضائل هذا المسجد الشريف كثيرة جداً وسنوردها في كتاب المناسك من كتاب الأحكام الكبير إن شاء الله وبه الثقة وعليه التكلان ولا حول ولا قوة إلا بالله العزيز الحكيم .

وقد ذهب الإمام مالك وأصحابه إلى أن مسجد المدينة أفضل من المسجد الحرام ، لأن ذاك بناه إبراهيم ، وهذا بناه محمداً صلى الله عليه وسلم ، ومعلوم أن محمداً صلى الله عليه وسلم أفضل من إبراهيم عليه السلام .

وقد ذهب الجمهور إلى خلاف ذلك ، وقرروا أن المسجد الحرام أفضل ، لأنه في بلد حرّمه الله يوم خلق السموات والأرض ، وحرّمه إبراهيم الخليل عليه السلام ، ومحمد خاتم المرسلين ، فاجتمع فيه من الصفات ما ليس في غيره ، وبسط هذه المسألة موضع آخر وبالله المستعان .

فصل

وبنى لرسول الله صلى الله عليه وسلم حول مسجده الشريف حُجراً لتكون مساكن له ولأهله ، وكانت مساكن قصيرة البناء قريبة الفناء .

قال الحسن بن أبي الحسن البصرى ، وكان غلاماً مع أمه خيرة مولاة أم سلمة ، لقد كنت أنال أطولَ سقف في حجرة النبي صلى الله عليه وسلم بيدي .

قلت : إلا أنه قد كان الحسن البصرى شكلاً ضخمًا طويلاً . رحمه الله .

وقال الشَّهيلي في الرّوض : كانت مساكنه عليه السلام مبنية من جريد عليه طين ، بعضها من حجارة مرصومة ، وسقفها كلها من جريد .

وقد حكى عن الحسن البصرى ما تقدم .

وكانت حُجْرَه من شعر مربوطة بخشب من عَرعر .

قال : وفي تاريخ البخارى أن بابيه عليه السلام كان يُقرع بالأظافر ، فدل على أنه لم يكن لأبوابه حلق .

قال : وقد أضيفت الحجر كلها بعد موت أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المسجد .

قال الواقدي وابن جرير وغيرهما : ولما رجع عبد الله بن أريقط الدبلى إلى مكة بعث معه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر زيد بن حارثة وأبارافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليأتوا بأهاليهم من مكة ، وبعنا معهم بمحملين وخمسائة درهم ليشتروا بها إبلا من قديد ، فذهبوا فجاءوا بينتي النبي صلى الله عليه وسلم فاطمة وأم كلثوم وزوجتيه سودة وعائشة ، وأمها أم رومان ، وأهل النبي صلى الله عليه وسلم وآل أبي بكر صحبة عبد الله بن أبي بكر ، وقد شرد بعائشة وأمها أم رومان الجمل في أثناء الطريق ، فجعلت أم رومان تقول : واعروساه ، وابنتاه . قالت عائشة : فسمعت قائلا يقول : أرسلني خطأه ، فأرسلت خطأه فوقف بإذن الله وسلمنا الله عز وجل . فتقدموا فنزلوا بالسُّنَح ، ثم دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بعائشة في شوال بعد ثمانية أشهر كما سيأتى .

وقدِمَت معهم أسماء بنت أبي بكر امرأة الزبير بن العوام وهى حامل متم بعبد الله بن الزبير كما سيأتى بيانه في موضعه من آخر هذه السنة .

فصل

فيا أصاب المهاجرين من مُحَيَّ المدينة رضى الله عنهم أجمعين
وقد سلم الرسول منها بحول الله وقوته ودعا ربه
فأزاحها الله عن مدينته

قال البخارى : حدثنا عبد الله بن وهب بن يوسف ، حدثنا مالك بن هشام بن
عروة ، عن أبيه ، عن عائشة أنها قالت : لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة
وَعَلَكَ أبو بكر وبلال ، قالت فدخلتُ عليهما فقلت : يا أبتِ كيف تجدك ؟ ويا بلال
كيف تجدك ؟ قالت وكان أبو بكر إذا أخذته الحمى يقول :
كلُّ امرئٍ مُصَيَّبٌ في أهله والموتُ أذنى مِن شِرَاكِ نعله
وكان بلال إذا أفلع عنه الحمى يرفع عقيرته ويقول :
ألا ليت شعرى هل أبيتُ ليلةً بوادٍ وحولى إذ خَرُ وجليلٌ^(١)
وهل أردنَ يوماً مياهٍ مجنَّةٍ وهل يبدوُنَ لى شامةٍ وطَفِيلُ
قالت عائشة : فبُغِت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته فقال : اللهم حَبِّبْ
إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشد ، وصَحَّحها وبارك لنا في صاعها ومُدّها ، وانقل حِمّاها
فاجعلها بالْجَحْفَةِ^(٢) .

ورواه مسلم عن أبي بكر بن أبي شيبة عن هشام مختصراً .
وفى رواية البخارى له عن أبي أسامة ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه عن عائشة ،
فذكره وزاد بعد شعر بلال . ثم يقول : اللهم العن عتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة
وأمية بن خلف كما أخرجونا إلى أرض الوباء .

(١) الإذخر : الحشيش الأخضر ، أو حشيش طيب الرائحة . والجليل : بنت ضعيف .

(٢) الجحفة : قرية جامعة على اثنين وثلاثين ميلاً من مكة . وكان بها حينئذ يهود .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الله حَبَّبَ إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشد اللهم بارك لنا في صاعها وفي مدها ، وصَحَّحْها لنا وانقل حُمَّها إلى الجحفة » .

قالت : وقدمنَّا المدينةَ وهى أَوْبًا أَرْضِ الله ، وكان بُطْحان يجرى نَجَلًا ، يعنى ماء آجنا .

وقال زياد عن محمد بن إسحاق : حدثنى هشام بن عروة وعمر بن عبد الله بن عروة ابن الزبير ، عن عائشة قالت : لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة قَدِمَها وهى أَوْبًا أَرْضِ الله من الحمى ، فأصاب أصحابه منها بلاء وسُقْمٌ وصرف الله ذلك عن نبيه ، قالت : فكان أبو بكر وعامر بن فهيرة وبلال مولى أبى بكر فى بيت واحد فأصابتهم الحمى ، فدخلتُ عليهم أدعوهم وذلك قبل أن يُضْرَبَ علينا الحجابُ ، وبهم ما لا يعلمه إلا الله من شدة الوعك ، فدنوت من أبى بكر فقلت : كيف تجدك يا أبت ؟ فقال :

كلُّ امرئٍ مُصَبِّحٌ فى أهله والموتُ أدنى مِن شِرَاكِ نعلهِ
قالت : فقلت : والله ما يدرى أبى ما يقول . قالت : ثم دنوت إلى عامر بن فهيرة فقلت : كيف تجدك يا عامر ؟ قال :

لقد وجدتُ الموتَ قبل ذوقه إنَّ الجبانَ حَتَفَهُ مِن فوقهِ
كلُّ امرئٍ مجَاهِدٌ بطوقهِ كالثورٍ يَحْمَى جِلْدَهُ بروقهِ
قال : فقالت : والله ما يدرى ما يقول ، قالت : وكان بلال إذا أدركته الحمى اضطجع بفناء البيت ثم رفع عقيرته فقال :

ألا ليت شِعْرِى هل أبيتَنَّ ليلةً بفتحٍ وحولى إذخر وجليلُ
وهل أردنَ يوماً مياهَ بحنةٍ وهل يبدونَ لى شامةٍ وطفيلُ

قالت عائشة : فذكرت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما سمعت منهم وقلت : إني ليهذون وما يعقلون من شدة الحمى فقال : « اللهم حبب إلينا المدينة ، كما حُبِّت إلينا مكة أو أشد » ، وبارك لنا في مدها وصاعها ، وانقل وباءها إلى مَهْيعة » ومَهْيعة هي الجحفة .

وقال الإمام أحمد : حدثنا يونس ، حدثنا ليث ، عن يزيد بن أبي حبيب ، عن أبي بكر بن إسحاق بن يسار ، عن عبد الله بن عروة ، عن عروة ، عن عائشة ، قالت : لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة اشتكى أبو بكر وعامر بن فهيرة مولى أبي بكر وبلال ، فاستأذنت عائشة رسول الله صلى الله عليه وسلم في عيادتهم فأذن لها ، فقالت لأبي بكر : كيف تجدك ؟ فقال :

كُلُّ امرئٍ مصبَّحٍ في أهله والموتُ أدنى من شراك نَعْلِهِ
وسألت عامراً فقال :

إني وجدت الموتَ قبلَ ذوقه إنَّ الجبانَ حتْفُهُ من فوقه
وسألت بلالاً فقال :

يأليت شعري هل أبينَّ ليلةً بفتحٍ وحولي إذ خرَّ وجليلُ

فأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم - فأخبرته ، فنظر إلى السماء وقال : « اللهم حبب إلينا المدينة كما حُبِّت إلينا مكة أو أشد » ، اللهم بارك لنا في صاعها وفي مدها ، وانقل وباءها إلى مَهْيعة » وهي الجحفة فيما زعموا .

وكذا رواه النسائي عن قتيبة ، عن الليث به . ورواه الإمام أحمد ، من طريق عبد الرحمن ابن الحارث عنها ، مثله .

وقال البيهقي : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ وأبو سعيد بن أبي عمرو ، قالا : حدثنا

أبو العباس الأصم ، حدثنا أحمد بن عبد الجبار ، حدثنا يونس بن بُكير ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة ، قالت : قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وهي أوبأ أرض الله ، وواديها بطنحان تَجَلُّ .

قال هشام : وكان وباؤها معروفًا في الجاهلية ، وكان إذا كان الوادي وبيثًا فأشرف عليها الإنسان قيل له أن ينهق ينهق الحمار ، فإذا فعل ذلك لم يضره وباء ذلك الوادي . وقد قال الشاعر حين أشرف على المدينة :

لعمري لئن عبرتُ من خيفة الردى نهيقَ الحمارِ إننى لجزوعُ

وروى البخاري من حديث موسى بن عُقبة ، عن سالم ، عن أبيه ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « رأيت كأن امرأة سوداء ثائرة الرأس خرجت من المدينة حتى قامت بمنهية ، وهي الجحفة . فأولتها أن وباء المدينة نُقل إلى مَهِيعة ، وهي الجحفة » .

هذا لفظ البخاري ولم يخرج مسلم ورواه الترمذي وصححه والنسائي وابن ماجه من حديث موسى بن عقبة .

وقد روى حماد بن زيد ، عن هشام بن عروة ، عن عائشة ، قالت : قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وهي وبيثة ، فذكر الحديث بطوله إلى قوله : « وانقل حُماها إلى الجحفة » .

قال هشام : فكان المولود يولد بالجحفة فلا يبلغ الحلم حتى تُصرعه الحمى . ورواه البيهقي في دلائل النبوة .

وقال يونس عن ابن إسحاق : قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وهي وبيثة ، فأصاب أصحابه بها بلاء وسقم حتى أجهدهم ذلك ، وصرف الله ذلك عن نبيه صلى الله عليه وسلم .

وقد ثبت في الصحيحين عن ابن عباس قال : قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم

وأصحابه صبيحة رابعة ، يعنى مكة ، عام عُمره القضاء ، فقال المشركون : إنه يقدم عليكم وقد قد وهنهم حتى يثرب ، فأمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يرملوا وأن يمشوا ما بين الركنتين ، ولم يمنعهم أن يرملوا الأشواط كلها إلا الإبقاء عليهم .

قلت : وعمره القضاء كانت فى سنة سبع فى ذى القعدة ، فإما أن يكون تأخر دعاؤه عليه السلام بنقل الوباء إلى قريب من ذلك ، أو أنه رفع وبقي آثار منه قليل ، أو أنهم بقوا فى خمار ما كان أصابهم من ذلك إلى تلك المدة . والله أعلم .

وقال زياد عن ابن إسحاق : وذكر ابن شهاب الزهري عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة هو وأصحابه أصابهم حمى للمدينة حتى جهدوا مرضاً ، وصرف الله ذلك عن نبيه صلى الله عليه وسلم ، حتى كانوا وما يصلون إلا وهم قعود .

قال : فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يصلون كذلك فقال لهم : « اعلّموا أن صلاة القاعد على النصف من صلاة القائم » فتجشّم المسلمون القيام على ما بهم من الضعف والسقم ، التماس الفضل !

فصل

فى عَقْدِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ الأُلْفَةُ بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ بِالْكِتَابِ الَّذِى أَمَرَ بِهِ فَكُتِبَ بَيْنَهُمْ وَالْمُؤَاخَاةُ الَّتِى أَمَرَهُمْ بِهَا وَقَرَّرَهُمْ عَلَيْهَا ، وَمُؤَادَعَتُهُ الْيَهُودَ الَّذِينَ كَانُوا بِالْمَدِينَةِ

وكان بها من أحياء اليهود بنو قينقاع وبنو النضير وبنو قريظة .

وكان نزولهم بالحجاز قبل الأنصار أيام بختنصر حين دَوَّخَ بلاد المقدس . فيما

ذكره الطبرى .

ثم لما كان سيلُ العَرَمِ وتفرقت شذَرُ مَذَرٍ ، نزل الأوسُ والخزرج المدينة عند اليهود ، فخالقوهم وصاروا يتشبهون بهم لِمَا يرون لهم عليهم من الفضل في العلم الماثور عن الأنبياء .

لكنَّ مَنْ الله على هؤلاء الذين كانوا مشركين بالهدى والإسلام ، وخذل أولئك لحسدِّهم وبغيتهم واستكبارهم عن اتباع الحق .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عَفَّانُ ، حدثنا حماد بن سلمة ، حدثنا عاصم الأحول ، عن أنس بن مالك ، قال : حالف رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والأنصار في دار أنس بن مالك .

وقد رواه الإمام أحمد أيضا والبخاري ومسلم وأبو داود من طرق متعددة ، عن عاصم بن سليمان الأحول ، عن أنس بن مالك ، قال : حالف رسول الله صلى الله عليه وسلم بين قریش والأنصار في داري . وقال الإمام أحمد : حدثنا نصر بن باب ، عن حجاج ، هو ابن أُرطاة ، قال : وحدثنا سُريج ، حدثنا عبَّاد ، عن حجاج ، عن عمرو بن شعيب ، عن أبيه عن جده : أن النبي صلى الله عليه وسلم كتب كتاباً بين المهاجرين والأنصار أن يَعْقِلُوا معاقليهم ، وأن يَقْدُوا عانيهم بالمعروف والإصلاح بين المسلمين .

قال أحمد : وحدثنا سُريج ، حدثنا عباد ، عن حجاج ، عن الحكم ، عن قاسم ، عن ابن عباس مثله .

تفرد به الإمام أحمد .

وفي صحيح مسلم عن جابر : كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم على كل بطن عقولة .

وقال محمد بن إسحاق : كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم كتاباً بين المهاجرين والأنصار وادَّع فيه اليهود وعاهدوهم وأقرَّهم على دينهم وأموالهم ، واشترط عليهم وشرط

لهم : بسم الله الرحمن الرحيم « هذا كتاب من محمد النبي الأُمي ، بين المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم ، أنهم أُمَّةٌ واحدة من دون الناس ، المهاجرون من قريش على ربعتهم ^(١) يتعاقلون بينهم ، وهم يَفْدُون عَائِنَهُم بالمعروف والقِسْط ، وبنو عَوْف على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى ، وكل طائفة تَقْدِي عَائِنَهَا بالمعروف والقِسْط بين المؤمنين .

ثم ذكر كل بطن من بطون الأنصار وأهل كل دار : بنى ساعدة ، وبنى جُشم ، وبنى النجار ، وبنى عمرو بن عوف ، وبنى التَّبَيْت .

إلى أن قال : وإنَّ المؤمنين لا يتركون مُفْرَحًا ^(٢) بينهم أن يُعطوه بالمعروف في فداء [أ] وعقل ، ولا يُحَالِفُ مؤمنٌ مولى مؤمنٍ دونه ، وإن المؤمنين المتقين على مَنْ بَغَى منهم أو ابتغى دَسِيعَةً ^(٣) ظلم أو إثم أو عدوان أو فساد بين المؤمنين ، وإن أيدِيهم عليه جميعهم ، ولو كان ولد أحدهم ، ولا يَقْتُلُ مؤمنٌ مؤمنًا في كافر ، ولا ينصر كافرًا على مؤمن ، وإن ذمة الله واحدة يحير عليهم أَدْنَاهُمْ ، وإن المؤمنين بعضهم موالى بعض دون الناس .

وإنه مَنْ تَبِعْنَا مِنْ يَهُودٍ فَإِنَّ لَهُ النِّصْرَ وَالْأَسُوءَةَ غَيْرَ مَظْلُومِينَ وَلَا مُتَنَاصِرِينَ عَلَيْهِمْ ، وإن سَلِمَ الْمُؤْمِنِينَ وَاحِدَةً ، لَا يَسَالِمُ مُؤْمِنٌ دُونَ مُؤْمِنٍ فِي قِتَالٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ إِلَّا عَلَى سَوَاءٍ وَعَدْلٍ بَيْنَهُمْ . وإن كلَّ غَزَاةٍ غَزَتْ مَعَنَا يُعْقَبُ بَعْضُهَا بَعْضًا .

وإن الْمُؤْمِنِينَ يُبَىءُ ^(٤) بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِمَا نَالُ دِمَائِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وإن المؤمنين

(١) ربعتهم : حالم التي أتى الإسلام وهم عليها .

(٢) قال ابن هشام : المفرح المنقل بالدين والكثير العيال . قال الشاعر :

إذا أنت لم ترح تودى أمانة وتحمل أخرى أفرحتك الودائع

(٣) الدسيسة : العظيمة . وفي الأصل . دسيسة . وهو تحريف .

(٤) يبىء : يمنع .

المتقين على أحسن هدى وأقومه ، وإنه لا يحير مشرك مآلاً لقريش ولا نفساً ولا يحول دونه على مؤمن ، وإنه من اعتبط مؤمناً قتلاً عن يمينه فإنه قودُّ به إلى أن يرضى وليُّ المقتول ، وإن المؤمنين عليه كافة ولا يحل لهم إلا قيامٌ عليه .

وإنه لا يحل لمؤمن أقرَّ بما في هذه الصحيفة وآمن بالله واليوم الآخر أن ينصر محدثاً ولا يؤويه ، وإنه من نصره أو آواه فإن عليه لعنة الله وغضبه يوم القيامة ولا يؤخذ منه صَرف ولا عدل ، وإنكم مهما اختلفتم فيه من شيء فإن مردّه إلى الله عز وجل وإلى محمد صلى الله عليه وسلم .

وإن اليهود يُنفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين ، وإن يهود بنى عوف أمةٌ مع المؤمنين ، لليهود دينهم وللمسلمين دينهم مواليهم وأنفسهم ، إلا من ظلم وأثم فإنه لا يوتغ^(١) إلا نفسه وأهل بيته .

وإن ليهود بنى النجار وبنى الحارث وبنى ساعدة وبنى جُشم وبنى الأوس وبنى ثعلبة وجفنة وبنى الشُّطَيْبَةِ^(٢) مثل ما ليهود بنى عوف ، وإن بطانة يهود كأنفسهم ، وإنه لا يخرج منهم أحد إلا بإذن محمد ، ولا يَنْحَجز على ثأر جرح ، وإنه من فتك فبنفسه [فَتَكَ وَأَهْلَ بَيْتِهِ]^(٣) إلا من ظلم ، وإن الله على أبر^(٤) هذا ، وإن على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم ، وإن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة ، وإن بينهم النصح والنصيحة والبر دون الإثم ، وإنه لم يَأْثم امرؤٌ بحليفه ، وإن النصر للمظلوم ، وإن يثرب حرامٌ جوفها^(٥) لأهل هذه الصحيفة ، وإن الجار كالنفس غير مُضَارٍّ ولا آثم ، وإنه لا تُجَار حرمةٌ إلا بإذن أهلها .

وإنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حَدَثٍ أو اشتجار يُخاف فسادَه فإن مردّه إلى

(١) يوتغ : يهلك (٢) الأصل : الشطنة وهو تحريف ، وما أنبته عن ابن هشام .
(٣) من ابن هشام (٤) الأصل : أثر . وهو تحريف . (٥) الأصل : حرفها . وما أنبته عن ابن هشام

الله وإلى محمد رسول الله، وإن الله على أتقى ما في هذه الصحيفة وأبرّه، وإنه لا تُجار قريش ولا من نصرها، وإن بينهم النصر على مَنْ دَرَمَ يَثْرَبَ، وإذا دُعوا إلى صلح يصلحونه ويلبسونه فإنهم يصلحونه، وأنهم إذا دُعوا إلى مثل ذلك فإنه لهم على المؤمنين، إلا من حارب في الدين، على كل أناس حصتهم من جانبهم الذي قبلهم .

وإنه لا يَحُولُ هذا الكتاب دون ظالم أو آثم، وإنه مَنْ خرج آمِنٌ ومن قعد آمِنٌ بالمدينة، إلا من ظلم أو آثم، وإن الله جار لمن برّ واتقى .

كذا أورده ابن إسحاق بنحوه . وقد تكلم عليه أبو عُبَيْد القاسم بن سَلَام رحمه الله في كتاب الغريب وغيره بما يطول .

فصل

في مؤاخاة النبي صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والأنصار
ليرتفق المهاجري بالأنصاري

كما قال تعالى : « والذين تبوءوا الدار والأهل من قبلهم يحبسون مَنْ هاجرَ إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة »
ومن يُوقْ شُحَّ نفسه فأُولَئِكَ هم المفلحون »^(١) وقال تعالى : « والذين عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ فَآتَوْهُمْ أَصِيبُهُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيداً »^(٢) .

قال البخاري : حدثنا الصَّلْت بن محمد ، حدثنا أبو أسامة ، عن إدريس ، عن طلحة بن مُصَرِّف ، عن سعيد بن جُبَيْر ، عن ابن عباس « ولكلِّ جعلنا موالى » قال : ورثة « والذين عاقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ » كان المهاجرون لما قدموا المدينة يرث المهاجريُّ الأنصاريُّ دون ذوى رَحِمِهِ للأخوة التي آخَى النبي صلى الله عليه وسلم بينهم ، فلما نزلت « ولكلِّ جعلنا موالى » نُسخَتْ ثم قال : « والذين عاقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ فَآتَوْهُمْ نصيبهم » من^(٣) النصر والرِّقادة والنصيحة ، وقد ذهب الميراث وبوصى له .

وقال الإمام أحمد : قرئ على سفيان : سمعت عاصما عن أنس قال : حالف النبي صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والأنصار في دارنا . قال سفيان : كأنه يقول آخَى .

وقال محمد بن إسحاق : وآخى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بين أصحابه من المهاجرين والأنصار ، فقال : - فيما بلغنا ونعوذ بالله أن نقول عليه ما لم يقل - « تآخَوْا في الله أَوْيُنْ أَخْوَيْن » .

(١) سورة الحشر ٩ . (٢) سورة النساء ٣٣ والقراء . (٣) البخاري : إلا النصر . . .

ثم أخذ بيد علي بن أبي طالب فقال : « هذا أخى » .

فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم سيد المرسلين ، وإمام المتقين ، ورسول رب العالمين الذى ليس له خطير ولا نظير من العباد ، وعلى بن أبي طالب أخوين .
وكان حمزة بن عبد المطلب أسد الله وأسد رسوله وعم رسول الله صلى الله عليه وسلم وزيد بن حارثة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم أخوين ، وإليه أوصى حمزة يوم أحد ، وجعفر بن أبي طالب ذو الجناحين ومعاذ بن جبل أخوين .
قال ابن هشام : كان جعفر يومئذ غائبا بأرض الحبشة .

قال ابن إسحاق : وكان أبو بكر وخارجة بن زيد الخزرجى أخوين ، وعمر بن الخطاب وعتبان بن مالك أخوين ، وأبو عبيدة وسعد بن معاذ أخوين ، وعبد الرحمن ابن عوف وسعد بن الربيع أخوين ، والزبير بن العوام وسامة بن سلامة بن وقش أخوين ، ويقال : بل كان الزبير وعبد الله بن مسعود أخوين ، وعثمان بن عفان وأوس بن ثابت بن المنذر النجارى أخوين ، وطلحة [بن عبيد الله] وكعب بن مالك أخوين ، وسعيد بن زيد وأبي بن كعب أخوين ، ومصعب بن عمير وأبو أيوب أخوين ، وأبو حذيفة ابن عتبة وعبد بن بشر أخوين ، وعمار وحذيفة بن اليمان العبسى حليف عبد الأشهل أخوين . ويقال : بل كان عمار وثابت بن قيس بن شماس أخوين .
قلت : وهذا السند من وجهين .

قال : وأبو ذرّ برير بن جنادة ، والمنذر بن عمرو المَعْنَقُ ليموت ^(١) أخوين ، وحاطب بن أبى بكتعة وعويم بن ساعدة أخوين ، وسلمان وأبو الدرداء أخوين ، وبلال وأبو رويحة عبد الله بن عبد الرحمن الخثعمى ثم أحد القرع ^(٢) أخوين .

(١) هو المنذر بن عمرو بن خنيس ، قتل يوم بدر معونة أميرا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، كان يقال له : أعنق ليموت ، أى سار مسرعا . (٢) ويروى القرع بالقاف .

قال : فهو لاء مَنْ سُمِّيَ لنا من كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أخى بينهم من أصحابه . رضى الله عنهم .

قلت : وفي بعض ما ذكره نظر .

أما مؤاخاة النبي صلى الله عليه وسلم وعلى ، فإن من العلماء من ينكر ذلك ويمنع صحته ، ومُسْتَنَدُه في ذلك أن هذه المؤاخاة إنما شرعت لأجل ارتفاق بعضهم من بعض وليتألف قلوب بعضهم على بعض ، فلا معنى لمؤاخاة النبي صلى الله عليه وسلم لأحد منهم ، ولا مهاجرى لهم هجرى آخر ، كما ذكره من مؤاخاة حمزة وزيد بن حارثة .
اللهم إلا أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم لم يجعل مصلحة على إلى غيره ، فإنه كان ممن ينق عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من صِغَرِه في حياة أبيه أبى طالب ، كما تقدم عن مجاهد وغيره .
وكذلك يكون حمزة قد التزم بمصالح مَوْلَاهُم زيد بن حارثة فأخاه بهذا الاعتبار . والله أعلم .

وهكذا ذِكره لمؤاخاة جعفر ومعاذ بن جبل فيه نظر ، كما أشار إليه عبد الملك بن هشام ، فإن جعفر بن أبى طالب إنما قَدِمَ في فتح خيبر في أول سنة سَبْعٍ كما سيأتى بيانه ، فكيف يؤاخى بينه وبين معاذ بن جبل أولَ مَقْدَمِهِ عليه السلام إلى المدينة ؟ اللهم إلا أن يقال إنه أَرْصَدَ لأخوته إذا قَدِمَ حين يَقْدَمُ .

وقوله : « وكان أبو عبيدة وسعد بن معاذ أخوين » يخالف ما رواه الإمام أحمد : حدثنا عبد الصمد ، حدثنا حماد ، حدثنا ثابت ، عن أنس بن مالك ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخى بين أبى عبيدة بن الجراح وبين أبى طلحة .

وكذا رواه مسلم منفرداً به ، عن حجاج بن الشاعر ، عن عبد الصمد بن عبد الوارث به .

وهذا أصح مما ذكره ابن إسحاق من مؤاخاة أبي عبيدة وسعد بن معاذ .
والله أعلم .

وقال البخارى : باب كيف آخى النبي صلى الله عليه وسلم بين أصحابه . وقال
عبد الرحمن بن عوف : آخى النبي صلى الله عليه وسلم بينى وبين سعد بن الربيع لما
قدمنا المدينة .

وقال أبو جُحَيْفَةَ : آخى النبي صلى الله عليه وسلم بين سلمان الفارسى وأبى الدرداء
رضى الله عنهما .

حدثنا محمد بن يوسف ، حدثنا سفيان ، عن حميد ، عن أنس ، قال : قَدِمَ
عبدُ الرحمن بن عوف فأخى النبي صلى الله عليه وسلم بينه وبين سعد بن الربيع الأنصارى ،
فعرض عليه أن يُنَاصِفَهُ أَهْلَهُ وَمَالَهُ ، فقال عبد الرحمن : بَارَكَ اللهُ لَكَ فى أَهْلِكَ وَمَالِكَ ،
دُلَّنِى عَلَى السُّوقِ . فَرَجَّ شَيْئًا مِنْ أَقْطَ وَسَمْنٍ ، فَرَأَاهُ النَّبِىُّ صلى الله عليه وسلم بَعْدَ أَيَّامٍ
وَعَلَيْهِ وَصَرٌّ مِنْ صُفْرَةٍ ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : مَهْمَ يَاعَبْدُ الرَّحْمَنِ ؟ قال :
يَا رَسُولَ اللَّهِ تَزَوَّجْتُ امْرَأَةً مِنَ الْأَنْصَارِ . قال : «فَمَا سَقَتْ فِيهَا ؟» قال : وَزَنَ نَوَاقٍ مِنْ
ذَهَبٍ ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : «أَوَلَمْ وَلَوْ بِشَاةٍ» .

تفرد به من هذا الوجه . وقد رواه أيضا فى مواضع آخر ، ومسلم من طرق
عن حميد به .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عَفَّانُ ، حدثنا حماد ، حدثنا ثابت وحميد ، عن أنس ،
أن عبد الرحمن بن عوف قدم المدينة فأخى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بينه وبين سعد
ابن الربيع الأنصارى ، فقال له سعد : أَيْ أَخِى ، أَنَا أَكْثَرُ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَالًا ، فَانْظُرْ
شَطْرَ مَالِى نَخْذَهُ ، وَتَحْتِى امْرَأَتَانِ فَانْظُرْ أَيَهُمَا أَحَبُّ إِلَيْكَ حَتَّى أَطْلُقَهَا .

فقال عبد الرحمن : بارك الله لك في أهلك ومالك ، دلوني على السوف . فذله
فذهب فاشترى وباع فربح فجاء بشيء من أقط وسمن . ثم لبث ما شاء الله أن يلبث فجاء
وعليه ودع زعفران فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مهم ؟ » فقال : يا رسول الله
تزوجتُ امرأة ، قال : « ما أضدَقْتها ؟ » قال : وزن نواة من ذهب ، قال « أو لم
ولو بشاة » .

قال عبد الرحمن : فلقد رأيتني ولو رفعت حجراً لرجوتُ أن أصيب
ذهباً وفضة .

وتعاقب البخارى هذا الحديث عن عبد الرحمن بن عوف غريب ، فإنه لا يعرف
مسنداً إلا عن أنس ، اللهم إلا أن يكون أنس تلقاه عنه . فالله أعلم .

وقال الإمام أحمد : حدثنا يزيد ، أخبرنا حميد ، عن أنس ، قال : قال المهاجرون :
يا رسول الله مارأينا مثل قومٍ قدِمْنَا عليهم أحسنَ مواساةً في قليل ، ولا أحسنَ بذلاً من
كثير ، لقد كفَوْنَا المؤونة وأشركونا في المنها ، حتى لقد خشينا أن يذهبوا بالأجر كله .
قال : « لا ، ما أثنتم عليهم ودعوتم الله لهم » .

هذا حديث ثلاثي الإسناد على شرط الصحيحين ، ولم يخرج أحد من أصحاب
الكتب الستة من هذا الوجه ، وهو ثابت في الصحيح من [غيره] .

وقال البخارى : أخبرنا الحكم بن نافع ، أخبرنا شعيب ، حدثنا أبو الزناد ، عن
الأعرج ، عن أبي هريرة ، قال : قالت الأنصار : اقسم بيننا وبين إخواننا النخيل .
قال : لا . قالوا : أفتكفوننا المؤونة ونشرككم في الثمرة . قالوا : سمعنا وأطعنا .
تفرّد به .

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للأنصار
« إن إخوانكم قد تركوا الأموال والأولادَ وخرجوا إليكم » فقالوا : أموالنا بيننا

قطائع . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أو غير ذلك ؟ » قالوا وما ذاك
يارسول الله ؟ قال : « هم قوم لا يعرفون العمل ، فتكفونهم وتقاسمونهم الثمر » .
قالوا نعم .

وقد ذكرنا ماورد من الأحاديث والآثار في فضائل الأنصار وحُسن سجاياهم عند
قوله تعالى : « والذين تبوءوا الدارَ والإيمانَ مِن قبلهم » الآية .

فصل

في موت أبي أمامة أسعد بن زُرارة

ابن عدس بن عبيد بن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النجار ، أحد النقباء الاثني عشر
ليلة العقبة على قومه بنى النجار ، وقد شهد العقبات الثلاث ، وكان أول من بايع رسول الله
صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة الثانية في قول ، وكان شاباً ، وهو أول من جمع بالمدينة في
نقيع الخطمات في هزم النبي . كما تقدم .

قال محمد بن إسحاق : وهلك في تلك الأشهر أبو أمامة أسعد بن زرارَة والمسجد
يُبنى ، أخذته الذبحة أو الشمقة .

وقال ابن جرير في التاريخ : أخبرنا محمد بن عبد الأعلى ، حدثنا يزيد بن زريع ،
عن مَعمر ، عن الزُّهري ، عن أنس ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كوى أسعد بن
زرارة في الشوكة .

رجاله ثقات .

قال ابن إسحاق : حدثني عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ، عن
يحيى بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أسعد بن زرارَة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه

وسلم : « بئس الميتُ أبو أمانةٍ لإيهودٍ ومنافقي العرب ، يقولون : لو كان نبياً لم يمتْ صاحبه ، ولا أملك لنفسي ولا لصاحبي من الله شيئاً » ،

وهذا يقتضى أنه أول من مات بعد مقدّم النبي صلى الله عليه وسلم .

وقد زعم أبو الحسن بن الأثير في الغابة أنه مات في شوال بعد مقدم النبي صلى الله عليه وسلم بسبعة أشهر . قاله أعلم .

وذكر محمد بن إسحاق ، عن عاصم بن عمر بن قتادة ، أن بني النجار سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقيم لهم نقيباً بعد أبي أمانة أسعد بن زُرارة فقال : « أتم أخوالى وأنا بما فيكم وأنا تقييكم » وكره أن يخصّ بها بعضهم دون بعض ، فكان من فضل بني النجار الذي يعتدّون به على قومهم أن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم تقييهم .

قال ابن الأثير : وهذا يردُّ قولَ أبي نُعيم وابن منده في قولهما : إن أسعد بن زُرارة كان نقيباً على بني ساعدة ، إنما كان على بني النجار .

وصدّق ابنُ الأثير فيما قال .

وقد قال أبو جعفر بن جرير في التاريخ : كان أول من توفى بعد مقدمه عليه الصلاة والسلام المدينة من المسلمين ، فيما ذكر ، صاحبُ منزله كلثوم بن الهدم ، لم يلبث بعد مقدّمه إلا سيراً حتى مات ، ثم توفى بعده أسعدُ بن زُرارة وكانت وفاته في سنة مقدّمه قبل أن يفرغ بناء المسجد ، بالذبحجة أو الشهقة .

قلت : وكلثوم بن الهدم بن امرئ القيس بن الحارث بن زيد بن عبيد بن زيد بن مالك بن عوف ، بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس ، الأنصارى الأوسى ، وهو من بني عمرو بن عوف وكان شيخاً كبيراً أسلم قبل مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ولما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ونزل بقباء نزل في منزل هذا في الليل ،

وكان يتحدث بالنهار مع أصحابه في منزل سعد بن الربيع رضى الله عنهما إلى أن ارتحل إلى دار بنى النجار كما تقدم .

قال ابن الأثير : وقد قيل إنه أول من مات من المسلمين بعد مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم بعده أسعد بن زرارة . ذكره الطبرى .

فصل

في ميلاد عبد الله بن الزبير في شوال سنة الهجرة

فكان أول مولود ولد في الإسلام من المهاجرين ، كما أن النعمان بن بشير أول مولود ولد للأنصار بعد الهجرة رضى الله عنهما .

وقد زعم بعضهم أن ابن الزبير ولد بعد الهجرة بعشرين شهراً . قاله أبو الأسود . ورواه الواقدي عن محمد بن يحيى بن سهل بن أبي حنمة عن أبيه ، عن جده .

وزعموا أن النعمان ولد قبل الزبير بستة أشهر على رأس أربعة عشر شهراً من الهجرة .

والصحيح ما قدمنا . فقال البخارى : حدثنا زكريا بن يحيى ، حدثنا أبو أسامة ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن أسماء ، أنها حملت بعبد الله بن الزبير ، قالت : فخرجت وأنا مُمَيِّمٌ فَأَتَيْتُ الْمَدِينَةَ فَنَزَلْتُ بِقُبَاءَ فَوَلَدَتْهُ بِقُبَاءَ ، ثُمَّ أَتَيْتُ بِهِ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَوَضَعَهُ فِي حَجْرِهِ ثُمَّ دَعَا بِتَمْرَةٍ فَمَضَغَهَا ثُمَّ تَقَلَّ فِي فِيهِ ، فَكَانَ أَوَّلَ شَيْءٍ دَخَلَ جَوْفَهُ رِيقُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ثُمَّ حَنَّكَهُ بِتَمْرَةٍ ، ثُمَّ دَعَا لَهُ وَبَرَكَ عَلَيْهِ . فكان أول مولود ولد في الإسلام . تابعه خالد بن مخلد ، عن علي ابن مُسَهَّرٍ ، عن هشام ، عن أبيه ، عن أسماء أنها هاجرت إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهي حُبْلَى .

حدثنا قُتَيْبَةُ ، عن أَبِي أُسَامَةَ ، عن هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ ، عن أَبِيهِ ، عن عَائِشَةَ قَالَتْ :
أَوَّلُ مَوْلُودٍ وَلِدَ فِي الْإِسْلَامِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزَّيْرِ ، أَتَوْا بِهِ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَأَخَذَ
النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَمْرَةً فَلَاكَهَا ثُمَّ أَدْخَلَهَا فِي فِيهِ ، فَأَوَّلُ مَا دَخَلَ بَطْنَهُ رِيقُ النَّبِيِّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

فهذا حجةٌ على الواقديّ وغيره ، لأنه ذكر أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث مع
عبد الله بن أريقط لما رجع إلى مكة زيد بن حارثة وأبا رافع ليأتوا بعياله وعياله
أبي بكر ، فقد مروا بهم إثر هجرة النبي صلى الله عليه وسلم وأسماء حاملٍ متمٍّ ، أي مُقَرَّبٍ
قد دَنَا وَضَعُهَا لَوْلَدِهَا ، فلما ولدته كَبَّرَ الْمَسَامُونَ تَكْبِيرَةً عَظِيمَةً فَرَحًا بِمَوْلَدِهِ ، لأنه
كان قد بلغهم عن اليهود أنهم سَحَرُوهُمْ حَتَّى لَا يُولَدَ لَهُمْ بَعْدَ هِجْرَتِهِمْ وَلَدٌ ، فَأَكْذَبَ
اللَّهُ الْيَهُودَ فِيمَا زَعَمُوا .

فصل

وَبَنَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِعَائِشَةَ فِي شَوَّالٍ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ

قال الإمام أحمد : حدثنا وَكِيعٌ ، حدثنا سفيان ، عن إسماعيل بن أمية ، عن
عبد الله بن عُرْوَةَ ، عن أَبِيهِ ، عن عَائِشَةَ قَالَتْ : تزوّجني رسول الله صلى الله عليه وسلم
في شوال ، وَبَنَى بِي فِي شَوَّالٍ ، فَأَيُّ نِسَاءِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ أَحْظَى
عِنْدَهُ مِنِّي ؟

وكانت عائشة تستحب أن تُدْخَلَ نِسَاءُهَا فِي شَوَّالٍ .

ورواه مسلم والترمذي والنسائي وابن ماجه من طرق عن سفيان الثوري به . وقال
الترمذي : حسن صحيح لا نعرفه إلا من حديث سفيان الثوري .

فعلى هذا يكون دخوله بها عليه السلام بعد الهجرة بسبعة أشهر ، أو ثمانية أشهر .
وقد حكى القولين ابن جرير ، وقد تقدم في تزويجه عليه السلام بسودة كفيفة
تزويجه ودخوله بعائشة بعد ما قدموا المدينة ، وأن دخوله بها كان بالسُّنْح نهاراً . وهذا
خلاف ما يعتاده الناس اليوم ، وفي دخوله عليه السلام بها في شوال ردُّ لما يتوهمه بعض
الناس من كراهية الدخول بين العيدين خشية المفارقة بين الزوجين ، وهذا ليس بشيء
لما قالت عائشة رآة على مَنْ توهمه من الناس في ذلك الوقت : تزوجني في شوال ،
وبني بي في شوال ، أى دخل بي في شوال ، فأى نساءه كان أحظى عنده منى ؟

فدلَّ هذا على أنها فهمت منه عليه السلام أنها أحبُّ نساءه إليه ، وهذا الفهم منها
صحيح لما دلَّ على ذلك من الدلائل الواضحة ، ولو لم يكن إلا الحديث الثابت في صحيح
البخارى عن عمرو بن العاص : قلت يا رسول الله أى الناس أحبُّ إليك ؟ قال :
« عائشة » قلت : من الرجال ؟ قال : « أبوها » .

فصل

قال ابن جرير : وفي هذه السنة ، يعنى السنة الأولى من الهجرة ، زيد في صلاة
الحضر ، فيما قيل ، ركعتان ، وكانت صلاة الحضر والسفر ركعتين ، وذلك بعد مقدم
النبي صلى الله عليه وسلم المدينة بشهر من ربيع الآخر لمضى ثنتى عشرة ليلة مضت .
وقال : وزعم الواقدي أنه لا خلاف بين أهل الحجاز فيه .

قلت : قد تقدم الحديث الذى رواه البخارى من طريق مَعْمَر عن الزُّهْرَى عن
عُرْوَةَ ، عن عائشة قالت : فُرِضَت الصلاة أولَ ما فرضت ركعتين ، فَأَقَرَّتْ صلاةُ السَّفرِ
وزيد في صلاة الحضر .

وروى من طريق الشَّعْبَى عن مسروق عنها .

وقد حكى البيهقي عن الحسن البصري ، أن صلاة الحضر أول ما فرضت فرضت أربعاً . والله أعلم .

وقد تكلمنا على ذلك في تفسير سورة النساء عند قوله تعالى « وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ ^(١) » الآية .

فصل

في الأذان ومشروعيته عند مقدم النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة النبوية

قال ابن إسحاق : فلما اطمأن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة واجتمع إليه إخوانه من المهاجرين واجتمع أمر الأنصار ، استحکم أمر الإسلام ، فقامت الصلاة وفُرضت الزكاة والصيام ، وقامت الحدود وفرض الحلال والحرام وتبَّوا الإسلام بين أظهرهم .

وكان هذا الحى من الأنصار هم الذين تبَّواوا الدارَ والإيمانَ .

وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قدمها إنما يجتمع الناس إليه للصلاة لحين مواقيتها بغير دعوة ، فهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أن يجعل بُوقاً كبوق يهود الذى يدعون به لصلاتهم . ثم كرهه ، ثم أمر بالناقوس فنُحت ليُضرب به للمسلمين للصلاة .

فبيناهم على ذلك رأى عبدُ الله بن زيد بن ثعلبة بن عبد ربه أخو بلحارث بن الخزرج النداء ، فأتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله إنه طاف بى هذه الليلة طائف ، مرَّ بى رجل عليه ثوبان أخضران يحمل ناقوساً فى يده ، فقلت :

يا عبد الله أتبيع هذا الناقوس؟ فقال: وما تصنع به؟ قال: قلت: ندعو به إلى الصلاة. قال: ألا أدلك على خير من ذلك؟ قلت: وما هو؟ قال: تقول، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن محمداً رسول الله، أشهد أن محمداً رسول الله، حتى على الصلاة حتى على الصلاة، حتى على الفلاح حتى على الفلاح، الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله.

فلما أخبر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إنها لرؤيا حق إن شاء الله، فقم مع بلال فآلقها عليه فليؤذن بها فإنه أندى صوتاً منك».

فلما أذن بها بلال سمعه عمر بن الخطاب وهو في بيته فخرج إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يجر رداءه وهو يقول: يانبي الله والذي بعثك بالحق لقد رأيتُ مثل الذي رأى.

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: فله الحمد.

قال ابن إسحاق: فحدثني بهذا الحديث محمد بن إبراهيم بن الحارث، عن محمد بن عبد الله بن زيد بن ثعلبة بن عبد ربه، عن أبيه.

وقد روى هذا الحديث أبو داود والترمذي وابن ماجه وابن خزيمة من طرق عن محمد بن إسحاق به، وصححه الترمذي وابن خزيمة وغيرهما.

وعند أبي داود أنه علمه الإقامة؛ قال: ثم تقول إذا أقيمت الصلاة: الله أكبر، الله أكبر، أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن محمداً رسول الله، حتى على الصلاة، حتى على الفلاح، قد قامت الصلاة قد قامت الصلاة، الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله.

وقد روى ابن ماجه هذا الحديث عن أبي عبيد محمد بن عبيد بن ميمون عن محمد بن سلمة الحراني عن ابن إسحاق كما تقدم.

ثم قال : قال أبو عبيد : وأخبرني أبو بكر الحَكَمي أن عبد الله بن زيد الأنصاري قال في ذلك :

الحمد لله ذي الجلال وذو الإكرام حمداً على الأذان كبيراً
إذ أتاني به البشيرُ من الله فأكرم به لدىَّ بشيراً
في ليالٍ وإلى بهن ثلاثٍ كلها جاء زادني توقيراً

قلت : وهذا الشعر غريب ، وهو يقتضي أنه رأى ذلك ثلاث ليال حتى أخبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فانه أعلم .

ورواه الإمام أحمد ، من حديث محمد بن إسحاق قال : وذكر الزُّهري عن سعيد ابن المسيَّب عن عبد الله بن زيد به نحو رواية ابن إسحاق . عن محمد بن إبراهيم التيمي ولم يذكر الشعر .

وقال ابن ماجه : حدثنا محمد بن خالد بن عبد الله الواسطي ، حدثنا أبي عن عبد الرحمن بن إسحاق ، عن الزُّهري ، عن سالم عن أبيه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم استشار الناسَ لِمَا يهْمُهم من الصلاة ، فذكروا البوق فكرهه من أجل اليهود ، ثم ذكروا الناقوس فكرهه من أجل النصارى . فأرى النداء تلك الليلة رجلٌ من الأنصار يقال له : عبد الله بن زيد وعمر بن الخطاب ، فطرق الأنصاريُّ رسول الله عليه وسلم ليلاً ، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بلالاً فأذن به .

قال الزُّهري : وزاد بلالٌ في نداء صلاة الغداة : « الصلاةُ خيرٌ من النوم » مرتين ، فأقرها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال عمر : يا رسول الله رأيتُ مثلاً الذي رأى ولكنه سبقني .

وسياتي تحرير هذا الفصل في باب الأذان من كتاب الأحكام الكبير . إن شاء الله تعالى وبه الثقة .

فأما الحديث الذى أورده السهيلي بسنده من طريق البرّار ، حدثنا محمد بن عثمان بن مخلد ، حدثنا أبى ، عن زياد بن المنذر ، عن محمد بن على بن الحسين ، عن أبيه ، عن جده ، عن على بن أبى طالب ، فذكر حديث الإسراء وفيه : فخرج ملك من وراء الحجاب فأذن بهذا الأذان ، وكلما قال كلمة صدّقه الله تعالى ، ثم أخذ الملك بيد محمد صلى الله عليه وسلم فقدمه ، فأمر بأهل السماء وفيهم آدم ونوح . ثم قال السهيلي : وأخلق بهذا الحديث أن يكون صحيحا لما يعضده ويشاكله من حديث الإسراء .

فهذا الحديث ليس كما زعم السهيلي أنه صحيح ، بل هو منكّر ، تفرّد به زياد بن المنذر أبو الجارود الذى تنسب إليه الفرقة الجارودية ، وهو من المتهمين . ثم لو كان هذا قد سمعه رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الإسراء لأوشك أن يأمر به بعد الهجرة فى الدعوة إلى الصلاة . والله أعلم .

قال ابن هشام : وذكر ابن جريج قال : قال لى عطاء : سمعت عُبيد بن عمير يقول : ائتمر النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه [بالناقوس] للاجتماع للصلاة ، فبينما عمر ابن الخطاب يريد أن يشتري خشبتين للناقوس إذ رأى عمر فى المنام : لا تجعلوا الناقوس بل أذنوا للصلاة .

فذهب عمر إلى النبي صلى الله عليه وسلم ليخبره بما رأى ، وقد جاء النبي صلى الله عليه وسلم الوحي بذلك ، فزارع عمر إلا بلال يؤذن ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أخبره بذلك : « قد سبقك بذلك الوحي » .

وهذا يدل على أنه قد جاء الوحي بتقرير مارآه عبد الله بن زيد بن عبد ربه ، كما صرح به بعضهم . والله تعالى أعلم .

قال ابن إسحاق : وحدثني محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عروة بن الزبير ، عن امرأة من بني النجار ، قالت : كان يتي من أطول بيت حول المسجد ، فكان بلال يؤذن عليه للفجر كلَّ غَدَاة ، فيأتي بسَحَر فيجلس على البيت ينتظر الفجر ، فإذا رآه تَمَطَّى ثم قال : اللهم أحمدك وأستعينك على قريش أن يقيموا دينك . قالت : ثم يؤذن قالت : والله ما علمته كان تركها ليلة واحدة . يعني هذه الكلمات .
وزواه أبو داود من حديثه منفرداً به .

فصل

في سرية حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه

قال ابن جرير : وزعم الواقدي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عقد في هذه السنة في شهر رمضان ، على رأس سبعة أشهر من مُهاجره ، حمزة بن عبد المطلب لواء أبيض في ثلاثين رجلاً من المهاجرين ، ليعترض لِعِيرات قريش ، وأن حمزة لقي أبا جهل في ثلاثمائة رجل من قريش ، فحجز بينهم نجدي بن عمرو ، ولم يكن بينهم قتال .

قال : وكان الذي يحمل لواء حمزة أبو مرثد الغنوي .

فصل

في سرية عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب

قال ابن جرير : وزعم الواقدي أيضاً أن النبي صلى الله عليه وسلم عقد في هذه السنة على رأس ثمانية أشهر في شوال لعبيدة بن الحارث لواء أبيض ، وأمره بالمسير إلى بطن رابغ .

وكان لواؤه مع مسطح بن أثاثة ، فبلغ ثنيّة المرّة وهى بناحية الجحفة ، فى ستين من المهاجرين ليس فيهم أنصارى ، وأنهم التقوا هم والمشركون على ماء يقال له أحياء ، وكان بينهم الرمى دون المسابقة^(١) . قال الواقدى : وكان المشركون مائتين عليهم أبوسفيان صخر بن حرب وهو المثبت وعندنا ، وقيل كان عليهم مكرز بن حفص .

فصل

قال الواقدى : وفيها ، يعنى فى السنة الأولى فى ذى القعدة ، عَقَد رسول الله صلى الله عليه وسلم لسعد بن أبى وقاص إلى الخرار لواءً أبيض يحملُه المقداد ابن الأسود .

فحدثنى أبو بكر بن إسماعيل ، عن أبيه ، عن عامر بن سعد ، [عن أبيه] قال : خرجت فى عشرين رجلاً على أقدامنا ، أو قال : أحد وعشرين رجلاً ، فكنا نكمن النهار ونسير الليل ، حتى صَبَحْنَا الخرار صَبَحَ خامسة ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد عهد إلىّ ألا أجاوز الخرار ، وكانت العير قد سبقتنى قبل ذلك بيوم .

قال الواقدى : كانت العير ستين ، وكان من مع سعد كلهم من المهاجرين . قال أبو جعفر بن جرير : وعند ابن إسحاق أن هذه السرايا الثلاث التى ذكرها الواقدى كلها فى السنة الثانية من الهجرة من وقت التاريخ .

قلت : كلام ابن إسحاق ليس بصريح فيما قاله أبو جعفر لمن تأمله ، كما سنورده فى أول كتاب المغازى فى أول السنة الثانية من الهجرة ، وذلك تَولُوما نحن فيه إن شاء الله .

(١) المطبوعة : المسابقة . وهو تحريف .

ويحتمل أن يكون مراده أنها وقعت هذه السرايا في السنة الأولى ، وسنزيدها بسطا
وشرحا إذا انتهينا إليها إن شاء الله تعالى .

والواقدي عنده زيادات حسنة ، وتاريخ ^نمحرّر غالبا ، فإنه من أئمة هذا الشأن الكبار
وهو صدوق في نفسه مكثّر ، كما بسطنا القول في عدالته وجرحه في كتابنا الموسوم
« بالتكميل في معرفة الثقات والضعفاء والمجاهيل » والله الحمد والمنة .

فصل

وممن ولد في هذه السنة المباركة ، وهي الأولى من الهجرة ، عبدُ الله بن الزبير ،
فكان أولَ مولود ولد في الإسلام بعدَ الهجرة ، كما رواه البخاري عن أمه أسماء وخالته
عائشة أم المؤمنين ابنتي الصديق رضى الله عنهما .

ومن الناس من يقول : ولد النعمانُ بن بشير قبله بستة أشهر ، فعلى هذا يكون
ابنُ الزبير أولَ مولود ولد بعد الهجرة من المهاجرين .

ومن الناس من يقول إنهما ولدا في السنة الثانية من الهجرة .

والظاهر الأول ، كما قدمنا بيانه ، والله الحمد والمنة ، وسنشير في آخر السنة الثانية إلى
القول الثاني إن شاء الله تعالى .

قال ابن جرير : وقد قيل إن المختار بن أبي عبيد وزيد بن سمية ولدا في هذه السنة
الأولى ^(١) . فالله أعلم .

وممن توفي في هذه السنة الأولى من الصحابة ؛ كُثَوم بن الهذم الأوسي ، الذي
نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسكنه بقباء إلى حين ارتحل منها إلى دار بني

(١) الأصل : في هذه السنة الثانية . والتصويب من تاريخ الطبري .

النَّجَّار كما تقدم ، وبعده ، فيها ، أبو أمانة أسعد بن زُرَّارة نقيب بني النجار ، توفي
ورسول الله صلى الله عليه وسلم بيني المسجد . كما تقدم رضى الله عنهما وأرضاها .
قال ابن جرير : وفي هذه السنة ، يعنى الأولى من الهجرة ، مات أبو أُحَيَّةَ بِمَالِه
بالطائف ، ومات الوليد بن المغيرة والعاض بن وائل السَّهْمِيَّ فيها بمكة .
قلت : وهؤلاء ماتوا على شركهم لم يُسَلِّمُوا الله عز وجل .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ذكر ما وقع في السنة الثانية من الهجرة

وقع فيها كثير من المغازي والسرايا ، ومن أعظمها وأجلها بدر الكبرى التي كانت في رمضان منها ، وقد فرق الله بها بين الحق والباطل ، والهدى والقي .
وهذا أو ان ذكر المغازي والبعوث فنقول وبالله المستعان :

كتاب المغازي

قال الإمام محمد بن إسحاق بن يسار في كتاب السيرة ، بعد ذكر أخبار اليهود ونصّبهم العداوة للإسلام وأهله ، وما نزل فيهم من الآيات ؛ فمنهم حيي بن أخطب وأخواه أبو ياسر وجدي ، وسلام بن مشكم ، وكفانة بن الربيع بن أبي الحقيق ، وسلام بن أبي الحقيق وهو أبو رافع الأعمور ، تاجر أهل الحجاز وهو الذي قتله الصحابة بأرض خيبر كما سيأتي ، والربيع بن الربيع بن أبي الحقيق ، وعمرو بن جحاش ، وكعب بن الأشرف وهو من طيء ثم أحد بني نهبان وأمه من بني النضير ، وقد قتله الصحابة قبل أبي رافع كما سيأتي ، وحليفاه الحجاج بن عمر وكرّم بن قيس لعنهم الله .
فهؤلاء من بني النضير .

ومن بني ثعلبة بن الفطيمون ^(١) عبد الله بن صوريا ، ولم يكن بالحجاز بعد أعلم بالتوراة منه . قلت : وقد قيل إنه أسلم .

(١) الفطيمون : كلمة عبرانية تطلق على كل من ولى أمر اليهود وملّكهم .

وابن صُلُوبًا ، وَخَيْرِيق ، وَقَدْ أَسْلَمَ يَوْمَ أُحُدٍ كَمَا سَيَأْتِي ، وَكَانَ حَبْرَ قَوْمِهِ .
 وَمِنْ بَنِي قَيْنِقَاعَ زَيْدُ بْنُ اللَّاصِيتِ ، وَسَعْدُ بْنُ حَنِيفٍ ، وَمَحْمُودُ بْنُ سَيْحَانَ ^(١) ،
 وَعُزَيْرُ بْنُ أَبِي عَزِيزٍ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ ضَيْفٍ ، وَشُوَيْدُ بْنُ الْحَارِثِ ، وَرِفَاعَةُ بْنُ قَيْسٍ ،
 وَفِنْحَاصٌ ، وَأَشْيَعٌ ، وَنُعْمَانُ بْنُ أَضَا ، وَبَحْرِيُّ بْنُ عَمْرِو ، وَشَأْسُ بْنُ عَدَى ، وَشَأْسُ بْنُ
 قَيْسٍ ، وَزَيْدُ بْنُ الْحَارِثِ ، وَنُعْمَانُ بْنُ عَمْرِو ^(٢) وَسُكَيْنُ بْنُ أَبِي سَكِينٍ ، وَعَدَى
 بْنُ زَيْدٍ ، وَنُعْمَانُ بْنُ أَبِي أَوْقَى ، أَبُو أَنْسٍ ، وَمَحْمُودُ بْنُ دَحْيَةَ ، وَمَالِكُ بْنُ صَيْفٍ .
 وَكَعْبُ بْنُ رَاشِدٍ ، وَعَازِرٌ ، وَرَافِعُ بْنُ أَبِي رَافِعٍ ، وَخَالِدُ وَأَزَارُ بْنُ أَبِي أَزَارٍ . قَالَ ابْنُ
 هِشَامٍ : وَيُقَالُ آزَرُ بْنُ أَبِي آزَرَ ، وَرَافِعُ بْنُ حَارِثَةَ ، وَرَافِعُ بْنُ حُرَيْمَةَ ، وَرَافِعُ بْنُ خَارِجَةَ
 وَمَالِكُ بْنُ عَوْفٍ ، وَرِفَاعَةُ بْنُ زَيْدٍ بْنُ التَّابُوتِ ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ .
 قُلْتُ : وَقَدْ تَقَدَّمَ إِسْلَامُهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ . قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : وَكَانَ حَبْرَهُمْ وَأَعْلَمُهُمْ ،
 وَكَانَ اسْمُهُ الْحَصِينُ ، فَلَمَّا أَسْلَمَ سَمَاهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَبْدُ اللَّهِ .
 قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : وَمِنْ بَنِي قَرِيطَةَ الزَّيْبِيُّ بْنُ بَاطِلٍ وَهَبٌ ، وَعَزَالُ بْنُ شُمُوَيْلٍ ^(٣)
 وَكَعْبُ بْنُ أَسَدٍ ، وَهُوَ صَاحِبُ عَقْدِهِمُ الَّذِي تَقْضُوهُ عَامُ الْأَحْزَابِ ، وَشُمُوَيْلُ بْنُ زَيْدٍ ،
 وَجَبَلُ بْنُ عَمْرِو بْنِ سُكَيْنَةَ ، وَالنَّجَّامُ بْنُ زَيْدٍ ، وَكَرْدَمُ ^(٤) بْنُ كَعْبٍ ، وَوَهْبُ بْنُ زَيْدٍ
 وَنَافِعُ بْنُ أَبِي نَافِعٍ ، وَعَدَى بْنُ زَيْدٍ ، وَالْحَارِثُ بْنُ عَوْفٍ ، وَكَرْدَمُ بْنُ زَيْدٍ ، وَأَسَامَةُ بْنُ
 حَبِيبٍ ، وَرَافِعُ بْنُ رُمَيْلَةَ ، وَجَبَلُ بْنُ أَبِي قُشَيْرٍ ، وَوَهْبُ بْنُ يَهُوذَا :
 قَالَ : وَمِنْ بَنِي زُرَيْقٍ ، لَبِيدُ بْنُ أَعْصَمٍ ، وَهُوَ الَّذِي سَحَرَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
 وَسَلَّمَ . وَمِنْ يَهُودِ بَنِي حَارِثَةَ : كِفَانَةُ بْنُ صُورِيَا ، وَمِنْ يَهُودِ بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ قَرْدَمُ
 ابْنِ عَمْرِو ، وَمِنْ يَهُودِ بَنِي النَّجَارِ ، سُلْسَلَةُ بْنُ بَرَّهَامٍ .

(١) الْأَصْلُ : شَيْحَانُ . وَمَا أَثْبَتَهُ عَنْ ابْنِ هِشَامٍ . (٢) الْأَصْلُ : عَمِيرُ . وَمَا أَثْبَتَهُ مِنْ ابْنِ هِشَامٍ .
 (٣) ١ . شُمُوَالُ . (٤) ابْنُ هِشَامٍ : قَرْدَمُ .

قال ابن إسحاق : فهؤلاء أحرارُ يهود وأهل الشرور والعداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضى الله عنهم ، وأصحابُ المسألة الذين يُكثِّرون الأسئلة لرسول الله صلى الله عليه وسلم على وجه التعنت والعناد والكفر . قال : وأصحاب النصب لأمر الإسلام ليظفئوه ، إلا ما كان من عبد الله بن سلام ومُخَيَّرِيق .

ثم ذكر إسلامَ عبد الله بن سلام ، وإسلام عمته خالدة ، كما قدمناه .
وذكر إسلام مخيريق يوم أحد كما سيأتى ، وأنه قال لقومه ، وكان يوم السبت ،
يا معشر يهود والله إنكم لتعلمون أن نصر محمد عليكم لحقٌ . قالوا : إن اليومَ يومُ
السبت ، قال : لا سبت لكم . ثم أخذ سلاحه وخرج وعهد إلى مَنْ وراءه من قومه : إن
قُتِلت هذا اليوم فأموالى ل محمد يرى فيها ما أراه الله . وكان كثيرَ الأموال .
ثم لحق برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فمات حتى قُتل رضى الله عنه . قال : فكان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فيما بلغنى : « مخيريق خيرُ يهود » .

فصل

ثم ذكر ابن إسحاق مَنْ مَلَ إلى هؤلاء الأضداد من اليهود من المنافقين من
الأوس والخزرج .

فمن الأوس : زُوَيٌّ بن الحارث ، وجُلَّاس بن سُويد بن صُوَيْد الأنصارى ، وفيه
نزل : « يَخْلَفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا ، وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ ^(١) » وذلك
أنه قال حين تخلف عن غزوة تبوك : لئن كان هذا الرجل صادقاً لنحن شرٌّ من الحر .

فماها ابنُ امرأته عُمر بن سعد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأنكر الجلاسُ ذلك وحلف ما قال ، فنزل فيه ذلك .

قال : وقد زعموا أنه تاب وحسنت توبته حتى عُرف منه الإسلامُ والخير .

قال : وأخوه الحارث بن سويد ، وهو الذى قتل المُجذّر بن ذِياد البَلَوى وقيسَ بن زيد أحد بني ضُبَيْعة يوم أحد ، خرج مع المسلمين وكان منافقاً ، فلما التقى الناس عدّاً عليهما فقتلتهما ثم لحق بقريش .

قال ابن هشام : وكان المُجذّر قد قتل أباه سُوَيْدَ بن الصامت في بعض حروب الجاهلية ، فأخذ بثأر أبيه منه يوم أحد .

كذا قال ابن هشام . وقد ذكر ابن إسحاق أن الذى قتل سويدَ بن الصامت إنما هو معاذُ بن عَفراء قتله في غير حربٍ قبلَ يوم بُعث ، رماه بسهم فقتله .

وأنكر ابن هشام أن يكون الحارث قتل قيسَ بن زيد ، قال : لأن ابن إسحاق لم يذكره في قتلى أحد .

قال ابن إسحاق : وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرَ عمر بن الخطاب بقتله إن هو ظفر به ، فبعث الحارث إلى أخيه الجلاس يطلب له التوبة ليرجع إلى قومه ، فأنزل الله ، فيما بلغنى عن ابن عباس : « كيف يَهْدِي الله قوماً كفروا بعد إيمانهم وشهدوا أنَّ الرسولَ حقٌّ وجاءهم البيناتُ والله لا يَهْدِي القومَ الظالمين »^(١) إلى آخر القصة .

قال : ويحَاد بن عثمان بن عامر ، ونَبْتَل بن الحارث ، وهو الذى قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من أحبَّ أن ينظر إلى شيطان فلينظر إلى هذا » وكان جسيماً أَذَلَمَ^(٢) نَازَرَ شعر الرأسِ أحمر العينين أسْفَعَ^(٣) الخدين ، وكان يسمع الكلامَ من

(١) سورة آل عمران ٨٦ . (٢) الأذلم : المسترخى الشفتين أو الشديد السواد .

(٣) البفعة : حمرة تضرب إلى السواد .

رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ينقله إلى المنافقين، وهو الذى قال : إنما محمد أذن^(١) من حدّته بشيء صدّقه . فأُنزل الله فيه : « ومنهم الذين يؤذون النبيّ ويقولون هو أذن^(٢) » الآية .

قال : وأبو حبيبة بن الأزعر ، وكان ممن بنى مسجد الضّرار ، وثعلبة بن حاطب ومُعْتَب بن قُشَيْر ، وهما اللذان عاهدا الله لئن آتانا من فضله لنصدّقن ، ثم نكّثنا ، فنزل فيهما ذلك ، ومُعْتَب هو الذى قال يوم أحد : لو كان لنا من الأمر شيء ما قُتِلنا هاهنا . فنزلت فيه الآية . وهو الذى قال يوم الأحزاب : كان محمد يعدّنا أنا نكل كنوز كسرى وقيصر . وأحدنا لا يأمن أن يذهب إلى الغائط . فنزل فيه : « وإذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا^(٣) » .

قال ابن إسحاق : والحارث بن حاطب .

قال ابن هشام . ومُعْتَب بن قُشَيْر ، وثعلبة والحارث ابنا حاطب ، وهم^(٤) من بنى أمية بن زيد ، من أهل بدر ، وليسوا من المنافقين ، فيما ذكر لى من أثق به من أهل العلم . قال : وقد ذكر ابن إسحاق ثعلبة والحارث فى بنى أمية بن زيد ، فى أسماء أهل بدر . قال ابن إسحاق : وعَبَّاد بن حُنيف أخو سهل بن حنيف ، وبَجْرَج ، وكان ممن بنى مسجد الضّرار وعمر بن خِذَام^(٥) وعبد الله بن نَبْتَل ، وجارية بن عامر بن العَطَّاف ، وابناه يزيد^(٦) وتُجَمع ابنا جارية ، وهم ممن اتخذ مسجد الضّرار ، وكان مجمع غلاماً حدثاً قد جمع أكثر القرآن و [كان] يصلى بهم فيه ، فلما خرب مسجد الضّرار كما سيأتى بيانه بعد غزوة تبوك ، وكان فى أيام عمر سأل أهل قُباة عمر أن يصلى بهم مجمع فقال : لا والله ، أو ليس إمامَ المنافقين فى مسجد الضّرار ؟ !

(١) سورة التوبة ٦١ . (٢) سورة الأحزاب (٣) الأصل : وهما . وما أنبته عن ابن هشام .

(٤) الأصل : حزام . وما أنبته عن ابن هشام . (٥) ابن هشام : زيد

خلف بالله ما علمتُ بشيء من أمرهم . فزعموا أن عمر تركه فصلى بهم .

قال : ووديعه بن ثابت ، وكان ممن بنى مسجد الضرار ، وهو الذى قال : إنما كنا نخوض ونلعب . فنزل فيه ذلك .

قال : وخِدام بن خالد ، وهو الذى أخرج مسجد الضرار من داره .

قال ابن هشام ، مستدركا على ابن إسحاق فى منافقى بنى النبيت من الأوس : وبشر ورافع ابنا زيد .

قال ابن إسحاق : ومِربع بن قَيْظى ، وكان أعمى ، وهو الذى قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين أجاز فى حائطه وهو ذاهب إلى أحد : لا أحلّ لك إن كنت نبياً أن تمرّ فى حائطى . وأخذ فى يده حفنة من تراب ثم قال : والله لو أعلم أنى لا أصيب بها غيرك لميتك بها . فابتدره القوم ليقتلوه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « دعوه فهذا الأعمى أعمى القلب أعمى البصر ^(١) » وقد ضربه سعد بن زيد الأشهلى بالقوس فشجّه .

قال : وأخوه أَوْس بن قَيْظى ، وهو الذى قال : إن بيوتنا عورة . قال الله : « وما هى بعورة إن يريدون إلا فراراً ^(٢) » قال : وحاطب بن أمية بن رافع ، وكان شيخاً جسيماً قد عسا ^(٣) فى جاهليته ، وكان له ابنٌ من خيار المسلمين يقال له يزيد بن حاطب أصيب يوم أحد حتى أثبتته الجراحات ، فحمل إلى دار بنى ظفر .

فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة ، أنه اجتمع إليه من بها من رجال المسلمين ونساءهم وهو يموت ، فجعلوا يقولون : أبشر بالجنة يا بن حاطب . قال : فنجم نفاقُ أبيه فجعل يقول : أجل ! جنة من حرّمل ، غررتم والله هذا المسكين من نفسه !

(١) ابن هشام : أعمى البصرة . (٢) سورة الأحزاب ١٣ . (٣) عسا : أسن وكبر .

قال وبشير بن أبيرق أبو طعمة سارق الدرعين ، الذى أنزل الله فيه : « ولا تُجادل عن الذين يَحْتَنُونَ أَنْفُسَهُمْ ^(١) » الآيات .

قال : وقُزَمان حليفُ لبني ظُفر ، الذى قَتَلَ يومَ أُحد سبعة نفر ، ثم لما آلمته الجراحة قتل نفسه وقال : والله ما قاتلتُ إِلَّا حِمِيَّةً على قومي . ثم مات لعنه الله .
قال ابن إسحاق : ولم يكن فى بنى عبد الأشهل منافق ولا منافقة يُعلم ، إلا أن الضحاك بن ثابت كان يتهم بالنفاق وحُبُّ يهود .
فهؤلاء كلهم من الأوس .

قال ابن إسحاق : ومن الخزرج : رافع بن وديعة ، وزيد بن عمرو ، وعمرو بن قيس ، وقيس بن عمرو بن سهل ، وأجدُّ بن قيس ، وهو الذى قال : ائذن لى ولا تَفْتَنى .
وعبد الله بن أبي بن سلول ، وكان رأسَ المنافقين ورئيس الخزرج والأوس أيضا ، كانوا قد أجمعوا على أن يَمْلِكُوهُ عليهم فى الجاهلية ، فلما هدام الله للإسلام قبلَ ذلك ، شَرِقَ اللعينُ بريقه وغازه ذلك جداً ، وهو الذى قال : لئن رجعنا إلى المدينة ليُخرجُنَّ الأعرُضُ منها الأذلَّ .

وقد نزلت فيه آيات كثيرة جداً ، وفيه وفى وديعة ، رجل من بنى عوف ، ومالك ابن أبى قوَقَل وسويد وداعس ، وهم من رهطه نزل قوله تعالى : « لئن أخرجوا لا يُخرجون معهم ^(٢) » الآيات حين مالوا فى الباطن إلى بنى النضير .

فصل

ثم ذكر ابن إسحاق مَنْ أَسْلَمَ من أجبار اليهود على سبيل التَّقِيَّةِ ، فكانوا كفارا في الباطن ، فَأَتْبَعَهُم بِصَنَفِ الْمُنَافِقِينَ ، وَهُمْ مِنْ شَرِّهِمْ :

سَعْدُ بْنُ حُنَيْفٍ ، وَزَيْدُ بْنُ الْأَصْبِتِ ، وَهُوَ الَّذِي قَالَ حِينَ ضَلَّتْ نَاقَةُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : يَزْعُمُ مُحَمَّدٌ أَنَّهُ يَأْتِيهِ خَيْرُ السَّمَاءِ وَهُوَ لَا يَدْرِي أَيْنَ نَاقَتُهُ ! فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « وَاللَّهِ لَا أَعْلَمُ إِلَّا مَا عَلَّمَنِي اللَّهُ ، وَقَدْ دَلَّنِي اللَّهُ عَلَيْهَا ، فَهِيَ فِي هَذَا الشَّعْبِ قَدْ حَبَسَتْهَا شَجَرَةٌ بِزَمَامِهَا » فَذَهَبَ رِجَالُ مِنَ الْمَسَامِينِ فَوَجَدُوهَا كَذَلِكَ .

قال : وَنَعْمَانُ بْنُ أَوْفَى ، وَعُثْمَانُ بْنُ أَوْفَى ، وَرَافِعُ بْنُ حُرَيْمَةَ ، وَهُوَ الَّذِي قَالَ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ مَاتَ - فِيمَا بَلَّغْنَا - : « قَدْ مَاتَ الْيَوْمَ عَظِيمٌ مِنَ عِظَاءِ الْمُنَافِقِينَ » .

وَرَفَاعَةُ بْنُ زَيْدِ بْنِ التَّائِبِ ، وَهُوَ الَّذِي هَبَّتِ الرِّيحُ الشَّدِيدَةُ يَوْمَ مَوْتِهِ عِنْدَ مَرْجِعِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ تَبُوكَ فَقَالَ : « إِنَّمَا هَبَّتْ لِمَوْتِ عَظِيمٍ مِنَ عِظَاءِ الْكُفَّارِ » فَلَمَّا قَدَمُوا الْمَدِينَةَ وَجَدُوا رَفَاعَةَ قَدْ مَاتَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ .

وَسَيْلَسَةُ بْنُ بُرْهَامٍ ، وَكَفَنَانَةُ بْنُ صُورِيَا .

فَهَؤُلَاءِ مِنْ أَسْلَمَ مِنْ مُنَافِقِي الْيَهُودِ .

قال : فَكَانَ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقُونَ يَحْضُرُونَ الْمَسْجِدَ ، وَيَسْمَعُونَ أَحَادِيثَ الْمُسْلِمِينَ ، وَيَسْتَحْرُونَ وَيَسْتَهْزِئُونَ بِدِينِهِمْ .

فاجتمع في المسجد يوماً منهم أناس ، فراحهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يتحدثون بينهم خافضى أصواتهم قد لَصَقَ بعضهم إلى بعض ، فأمر بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخرجوا من المسجد إخراجاً عنيفاً .

فقام أبو أيوب إلى عمرو بن قيس أحد بنى النجار ، وكان صاحب آلهتهم في الجاهلية ، فأخذ برجله فسحبه حتى أخرجه وهو يقول ، لعنه الله : أخرجنى يا أبا أيوب من مربد بنى ثعلبة .

ثم أقبل أبو أيوب إلى رافع بن وديعة النجارى فلَبَّه بردائه ، ثم نثره نثرأ شديداً ولطم وجهه فأخرجه من المسجد وهو يقول : أف لك مناقفا خيشنا .

وقام عمارة بن حزم إلى زيد بن عمرو ، وكان طويل اللحية ، فأخذ بلحيته وقاده بها قوداً عنيفاً حتى أخرجه من المسجد ، ثم جمع عمارة يديه جميعاً فلدَمَه بهما لَدَمَةً^(١) في صدره خراً منها ، قال يقول : خدشتنى يا عمارة . فقال عمارة . أبعدك الله يا منافق ، فما أعدَّ الله لك من العذاب أشدَّ من ذلك ، فلا تقرَّ بنَّ مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقام أبو محمد مسعود بن أوس بن زيد بن أصرم بن زيد بن ثعلبة بن غنم بن مالك ابن النجار ، وكان بدرياً ، إلى قيس بن عمرو بن سهل ، وكان شاباً وليس في المنافقين شاب سواه ، فجعل يدفع في قفاه حتى أخرجه .

وقام رجل من بنى خُدْرة^(٢) إلى رجل يقال له الحارث بن عمرو ، وكان ذا جُمَّة ، فأخذ بجُمَّته فسحبه بها سحباً عنيفاً على ما مر به من الأرض حتى أخرجه ، فجعل يقول

(١) اللدم : الضرب يبطل الكف . (٢) ابن هشام : من بلخندرة .

المنافق : قد أغلظت يا أبا الحارث ، فقال : إنك أهلٌ لذلك أئى عدوّ الله لما أنزل فيك ،
فلا تقرّ بنّ مسجد رسول الله صلى الله وسلم فإنك نجس .

وقام رجل من بنى عمرو بن عوف إلى أخيه زوى بن الحارث فأخرجه إخراجاً
عنيفاً وأقّف منه وقال : غلب عليك الشيطان وأمره .

ثم ذكر ابن إسحاق ما نزل فيهم من الآيات من سورة البقرة ، ومن سورة التوبة ،
وتكلم على تفسير ذلك فأجاد وأفاد . رحمه الله .

ذكر أول المغازي وهي غزوة الأبواء

ويقال لها غزوة ودّان وأول البعث

وهو بَعَثُ حمزةَ بن عبد المطلب أو عبيدة بن الحارث كما سيأتي في المغازي .

قال البخاري : كتاب المغازي . قال ابن إسحاق : أول ما غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم الأبواء ، ثم بواط ، ثم العُشيرة .

ثم روى عن زيد بن أرقم أنه سئل : كم غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال :
نسع عشرة ، شهد منها سبع عشرة أولهن العُسيرة ، أو العشيرة .

وسيأتي الحديث بإسناده ولفظه والكلام عليه عند غزوة العُشيرة إن شاء الله
وبه الثقة .

وفي صحيح البخاري عن بُريدة قال : غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم ست
عشرة غزوة .

ولسلم عنه : أنه غزا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ست عشرة غزوة . وفي
رواية له عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم غزا تسع عشرة غزوة . وقاتل في
ثمان منهن .

وقال الحسين بن واقد ، عن ابن بريدة ، عن أبيه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
غزا سبع عشرة غزوة وقاتل في ثمان ، يوم بدر ، وأحد ، والأحزاب ، والمريسيع ،
وقُدَيْد وخيبر ، ومكة ، وحُنين . وبعث أربعاً وعشرين سرية .

وقال يعقوب بن سفيان : حدثنا محمد بن عثمان الدمشقي التتويحي ، حدثنا الهيثم
ابن حميد ، أخبرني النعمان ، عن مكحول ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم غزا ثمان

عشرة غزوة ، قاتل في ثمانى غزوات ، أولهن بدر ، ثم أحد ، ثم الأحزاب ، ثم قريظة ، ثم بئر معونة^(١) ، ثم غزوة بنى المصطلق من خزاعة ، ثم غزوة خيبر ، ثم غزوة مكة ، ثم حنين والطائف .

قوله : « بئر معونة » بعد قريظة فيه نظر ، والصحيح أنها بعد أحد كما سيأتى .

قال يعقوب : حدثنا سلمة بن شبيب ، حدثنا عبد الرزاق ، أخبرنا مَعمر ، عن الزهرى ، سمعت سعيد بن المسيب يقول : غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثمانى عشرة غزوة . وسمعت مرة أخرى يقول : أربعا وعشرين . فلا أدري أكان ذلك وهما أو شيئاً سمعه بعد ذلك .

وقد روى الطبرانى عن الدَّبْرِى^(٢) ، عن عبد الرزاق ، عن مَعمر ، عن الزهرى . قال : غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعا وعشرين غزوة .

وقال عبد الرحمن بن حميد فى مسنده : حدثنا سعيد بن سلام ، حدثنا زكريا بن إسحاق ، حدثنا أبو الزبير ، عن جابر ، قال : غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم إحدى وعشرين غزوة .

وقد روى الحاكم من طريق هشام ، عن قتادة ، أن مغازى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسراياه كانت ثلاثاً وأربعين . ثم قال الحاكم : لعله أراد السرايا دون الغزوات ، فقد ذكرت فى « الإكليل » على الترتيب بعوث رسول الله صلى الله عليه وسلم وسراياه زيادة على المائة .

قال : وأخبرنى الثقة من أصحابنا ببخارى أنه قرأ فى كتاب أبى عبد الله محمد بن نصر ، السرايا والبعوث دون الحروب نيفاً وسبعين .

(١) بئر معونة لم تكن غزوة ولم يشهداها الرسول صلوات الله عليه ، بل وقع فيها العدوان على البعث الذى أرسله إلى نجد فى حاية أبى البراء ملاعب الأسنة ، ثم غدر بهم عامر بن الطفيل ولعلها أقحمت على الثمانية .
(٢) هو أبو يعقوب اسحق بن إبراهيم بن عباد الدبرى ، راوى كتب عبد الرزاق عنه ، روى عنه الطبرانى وغيره . وفى الأصل : الدرر . محرفة .

وهذا الذى ذكره الحاكم غريب جداً ، وحمّله كلام قتادة على ما قال فيه نظر .

وقد روى الإمام أحمد عن أزهر بن القاسم الراسبي ، عن هشام الدستوائى^(١) عن قتادة ، أن مغازى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسراياه ثلاث وأربعون . أربع وعشرون بَعَثًا ، وتسع عشرة غزوة ، خرج في ثمان منها بنفسه : بدر ، وأحد ، والأحزاب ، والمرَيسيع ، وخيبر ، وفتح مكة ، وحنين ، [والطائف] .

وقال موسى بن عقبة ، عن الزهرى : هذه مغازى رسول الله صلى الله عليه وسلم التى قاتل فيها : يوم بدر فى رمضان سنة ثنتين ، ثم قاتل يوم أحد فى شوال سنة ثلاث ، ثم قاتل يوم الخندق ، وهو يوم الأحزاب وبنى قريظة ، فى شوال من سنة أربع ، ثم قاتل بنى المصطلق وبنى لحيان فى شعبان سنة خمس ، ثم قاتل يوم خيبر سنة ست ، ثم قاتل يوم الفتح فى رمضان سنة ثمان ، ثم قاتل يوم حنين وحاصر أهل الطائف فى شوال سنة ثمان ، ثم حج أبو بكر سنة تسع ، ثم حج رسول الله صلى الله عليه وسلم حجة الوداع سنة عشر ، وغزا ثلثى عشرة غزوة ولم يكن فيها قتال ، وكانت أول غزاة غزاها الأَبَواء .

وقال حنبل بن هلال ، عن إسحاق بن العلاء ، عن عبد الله بن جعفر الرقى ، عن مطرف بن مازن اليماني ، عن معمر ، عن الزهرى قال : أولُ آية نزلت فى القتال : « أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا » الآية بعد مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة .

فكان أولَ مشهد شهده رسول الله صلى الله عليه وسلم يومُ بدر ، يوم الجمعة لسبع عشرة من رمضان .

(١) هو أبو بكر هشام بن أبي عبد الله الدستوائى البصرى البكرى ، كان يبيع الثياب الدستوائية فنسب إليها . روى عن قتادة وأبى الزبير المسكى . مات سنة ثلاث أو أربع وخمسين ومائة . الباب ١/١٩٩

إلى أن قال : ثم غزا بنى النضير ، ثم غزا أحداً في شوال ، يعنى من سنة ثلاث ، ثم قاتل يوم الخندق في شوال سنة أربع ، ثم قاتل بنى لحيان في شعبان سنة خمس ، ثم قاتل يوم الفتح في شعبان سنة ثمان ، وكانت حنين في رمضان سنة ثمان . وغزا رسول الله صلى الله عليه وسلم إحدى عشرة غزوة لم يقابل فيها ، فكانت أول غزوة غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم الأبواء ، ثم العشيرة ، ثم غزوة غطفان ، ثم غزوة بنى سليم ، ثم غزوة الأبواء ، ثم غزوة بدر الأولى ، ثم غزوة الطائف ، ثم غزوة الحديبية ، ثم غزوة الصفراء ، ثم غزوة تبوك آخر غزوة . ثم ذكر البعوث .

هكذا كتبتُه من تاريخ الحافظ ابن عساكر ، وهو غريب جداً ، والصواب ما سنده فيما بعد إن شاء الله مرتباً .

وهذا الفن مما ينبغي الاعتناء به والاعتبار بأمره والتهيؤ له ، كما رواه محمد بن عمر الواقدي ، عن عبد الله بن عمر بن علي ، عن أبيه ، سمعت علي بن الحسين يقول : كنا نعلم مغازي النبي صلى الله عليه وسلم كما نعلم السورة من القرآن .

قال الواقدي : وسمعت محمد بن عبد الله يقول : سمعت عمي الزهري يقول : في علم المغازي علم الآخرة والدنيا .

وقال محمد بن إسحاق في المغازي ، بعد ذكره ما تقدم مما سقناه عنه ، من تعيين رؤوس الكفر من اليهود والمنافقين ، لعنهم الله أجمعين وجمعهم في أسفل سافلين .

ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم تهيأ لخر به وقام فيما أمره الله به من جهاد عدوه وقتال من أمره به ممن يليه من المشركين .

قال : وقد قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة يوم الاثنين حين اشتد الضحَاء وكادت الشمس تعتدل ، لثنتي عشرة ليلة مضت من شهر ربيع الأول ، ورسول الله صلى

الله عليه وسلم يومئذ ابن ثلاث وخمسين سنة ، وذلك بعد أن بعثه الله بثلاث عشرة سنة .
فأقام بقية شهر ربيع الأول وشهر ربيع الآخر وجادين ورجبا وشعبان وشهر رمضان
وشوالا وذا القعدة وذا الحجة ، وولي تلك الحجة المشركون ، والمحرم .
ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم غازياً في صفر على رأس اثني عشر شهراً
من مقدمه المدينة .

قال ابن هشام : واستعمل على المدينة سعد بن عباد .

قال ابن إسحاق : حتى بلغ ودّان وهي غزوة الأبواء . قال ابن جرير : ويقال لها
غزوة ودّان أيضاً . يريد قريشا وبنو ضمرة بن بكر بن عبد مناة بن كنانة ، فوادعته فيها
بنو ضمرة ، وكان الذي وادعه منهم نخشي بن عمرو الضمري ، وكان سيدهم في
زمانه ذلك .

ورجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ولم يلق كيذا ، فأقام بها بقية صفر
وصدّرا من شهر ربيع الأول .

قال ابن هشام : وهي أول غزوة غزاها عليه السلام .

قال الواقدي : وكان لواؤه مع عمه حمزة ، وكان أبيض .

قال ابن إسحاق : وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم في مقامه ذلك بالمدينة
عبدة بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف بن قصي في ستين ، أو ثمانين ، راكبا من
المهاجرين ، ليس فيهم من الأنصار أحد ، فسار حتى بلغ ماء بالحجاز أسفل ثنية المرأة
فلقي بها جمعا عظيما من قريش ، فلم يكن بينهم قتال ، إلا أن سعد بن أبي وقاص قد
رمى يومئذ بسهم ، فكان أول سهم رمى به في سبيل الله في الإسلام .

ثم انصرف القوم عن القوم ، وللمسلمين حامية ، وفرّ من المشركين إلى المسلمين

لقدادُ بن عمرو البَهْراني حليف بني زُهرة ، وعُتْبة بن غَزْوان بن جابر المازني حليف بني
وفل بن عبد مناف ، وكانا مسلمين ولكنهما خرجا ليتوصلا بالكفار .

قال ابن إسحاق : وكان على المشركين يومئذ عِكرمة بن أبي جهل .

وروى ابن هشام عن [ابن ^(١)] أبي عمرو بن العلاء ، عن أبي عمرو المدني أنه قال :
كان عليهم مِكرَز بن حفص .

قلت : وقد تقدم عن حكاية الواقدي قولان : أحدهما أنه مِكرَز ، والثاني أنه
أبو سفيان صخر بن حرب ، وأنه رجح أنه أبو سفيان . فالله أعلم .

ثم ذكر ابن إسحاق القصيدة المنسوبة إلى أبي [بكر] الصديق في هذه السرية
التي أولها :

أَمِنْ طَيْفٍ سَلَمَى بِالْبَطَاحِ الدَّمَائِثِ ^(٢) أَرِقْتَ وَأَمِرٍ فِي الْعَشِيرَةِ حَادِثٍ
تَرَى مِنْ لُؤْيٍ فِرْقَةً لَا يَصْدُهَا عَنْ الْكُفْرِ تَذْكِيرٌ وَلَا بَعْثُ بَاعِثٍ
رَسُولٌ أَتَاهُمْ صَادِقٌ فَتَكَذَّبُوا عَلَيْهِ وَقَالُوا لَسْتَ فِينَا بِمَا كَثُرَ
إِذَا مَادَعُونَاهُمْ إِلَى الْحَقِّ أَذْبَرُوا وَهَرُّوا هَرِيرَ الْمُجَحَّرَاتِ اللَّوَاهِثِ ^(٣)
القصيدة إلى آخرها ، وذكر جواب عبد الله بن الزُّبَيْرِي في مناقبتها
التي أولها :

أَمِنْ رَسْمٍ دَارٍ أَقْفَرْتَ بِالْعَنَاشِ ^(٤) بَكَيْتَ بَعِينَ دَمْعُهَا غَيْرُ لَابِثٍ
وَمِنْ عَجَبِ الْأَيَّامِ ، وَالْدَّهْرِ كُلِّهِ لَهُ عَجَبٌ مِنْ سَابِقَاتٍ وَحَادِثٍ

(١) من ابن هشام . (٢) الدمائث : اللينة .

(٣) هروا . وثبوا . والمجحرات : السحاب التي ألجئت إلى أجحارها .

(٤) العناث : أكاداس الرمل ، جمع عنث .

لجيشِ أُناتنا ذى عَرَامٍ يَقُودُهُ عُبَيْدَةُ يَدْعَى فِي الْهِيَا جِ ابْنَ حَارِثٍ
لِنَتْرِكَ أَصْنَامًا بِمَكَّةَ عَكْفًا مَوَارِيثُ مَوْرُوثٍ كَرِيمٍ لَوَارِثٍ
وَذَكَرَ تَمَامَ الْقَصِيدَةِ ، وَمَا مَنَعْنَا مِنْ إِيرَادِهَا بِتَمَامِهَا إِلَّا أَنَّ الْإِمَامَ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنَ هِشَامٍ
رَحِمَهُ اللَّهُ وَكَانَ إِمَامًا فِي اللُّغَةِ ، ذَكَرَ أَنَّ كَثْرَ أَهْلِ الْعِلْمِ بِالشَّعْرِ يَنْكُرُ هَاتَيْنِ الْقَصِيدَتَيْنِ .

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : وَقَالَ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَاصٍ فِي رَمِيَّتِهِ تِلْكَ فِيمَا يَذْكُرُونَ :

أَلَا هَلْ أَتَى رَسُولَ اللَّهِ أَنَّى حَمَيْتُ صَحَابَتِي بِصُدُورِ نَبْلِي
أُذَوِّدُ بِهَا أَوَائِلَهُمْ ذِيادًا بِكُلِّ حُزُونَةٍ وَبِكُلِّ سَهْلٍ
فَمَا يَعْتَدُّ رَامٍ فِي عَدُوٍّ بِسَهْمٍ يَارَسُولَ اللَّهِ قَبْلِي
وَذَلِكَ أَنَّ دِينَكَ دِينُ صِدْقٍ وَذُو حَقٍّ أَتَيْتَ بِهِ وَفَضْلٍ (١)
يَنْجِي الْمُؤْمِنُونَ بِهِ وَيُخْزِي بِهِ الْكَفَّارَ عِنْدَ مَقَامِ مَهْلٍ (٢)
فَهَلَّا قَدْ غَوَيْتَ فَلَا تَعْنِي غَوَى الْحَى وَيَحْكُ يَابْنَ جَهْلٍ

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : وَأَكْثَرُ أَهْلِ الْعِلْمِ بِالشَّعْرِ يَنْكُرُهَا لِسَعْدٍ .

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : فَكَانَتْ رَايَةُ عُبَيْدَةَ ، فِيمَا بَلَّغْنَا أَوَّلَ رَايَةِ عَقْدَهَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْإِسْلَامِ لِأَحَدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ .

وَقَدْ خَالَفَهُ الزُّهْرِيُّ وَمُوسَى بْنُ عُبْقَةَ وَالْوَاقِدِيُّ ، فَذَهَبُوا إِلَى أَنَّ بَعْثَ حَمْزَةِ قَبْلَ
بَعْثِ عُبَيْدَةَ بْنِ الْحَارِثِ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

وَسَيَأْتِي فِي حَدِيثِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَاصٍ أَنَّ أَمْرَاءَ السَّرَايَا عَبْدُ اللَّهِ بْنَ جَحْشٍ الْأَسَدِيَّ .

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : وَبَعْضُ الْعُلَمَاءِ يَزْعُمُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعَثَهُ حِينَ
أَقْبَلَ مِنْ غَزْوَةِ الْأَبْوَاءِ قَبْلَ أَنْ يَصِلَ إِلَى الْمَدِينَةِ . وَهَكَذَا حَكَى مُوسَى بْنُ عُبْقَةَ عَنِ الزُّهْرِيِّ .

(١) ابْنُ هِشَامٍ : وَعَدَلُ . (٢) وَتَرَوَى : سَهْلُ .

فصل

قال ابن إسحاق : وبعث رسولُ الله صلى الله عليه وسلم في مقامه ذلك حمزةَ بن عبد المطلب بن هاشم إلى سيف البحر من ناحية العيص في ثلاثين راكباً من المهاجرين ، ليس فيهم من الأنصار أحد ، فلقى أبا جهل بن هشام بذلك الساحل في ثلاثمائة راكب من أهل مكة ، فحجز بينهم مجديُّ بن عمرو الجهني ، وكان موادعاً للفريقين جميعاً ، فانصرف ، بعضُ القوم عن بعض ولم يكن بينهم قتال .

قال ابن إسحاق : وبعض الناس يقول : كانت راية حمزة أولَ راية عقدتها رسول الله صلى الله عليه وسلم لأحد من المسلمين ، وذلك أن بعثه وبعث عبدة كانا معاً ، فشبه ذلك على الناس .

قلت : وقد حكى موسى بن عقبة عن الزُّهري ، أن بعث حمزة قبل عبدة بن الحارث ، ونص على أن بعث حمزة كان قبل غزوة الأبواء ، فلما قفل عليه السلام من الأبواء بعث عبدة بن الحارث في ستين من المهاجرين . وذكر نحو ما تقدم .

وقد تقدم عن الواقدي أنه قال : كانت سرية حمزة في رمضان من السنة الأولى ، وبعدها سرية عبدة في شوال منها . والله أعلم .

وقد أورد ابن إسحاق عن حمزة رضي الله عنه شعراً يدل على أن رايته أول راية عقدت في الإسلام ، لكن قال ابن إسحاق : فإن كان حمزة قال ذلك فهو كما قال ، لم يكن يقول إلا حقاً ، والله أعلم أي ذلك كان . فأما ما سمعنا من أهل العلم عندنا : فعبيدة أول ، والقصيدة هي قوله :

ألا يلقومى للتحلم والجهل وللنقص من رأى الرجال وللعقل
وللا كيننا بالظالم لم نطأ لهم حرماً من سوام ولا أهل

كُنَّا تَبْلَنَاهُمْ وَلَا تَبِلْ^(١) عِنْدَنَا
وَأَمْرٍ بِإِسْلَامٍ فَلَا يَقْبَلُونَهُ
فَمَا بَرَحُوا حَتَّى انْتَدَبْتُ لِفَارَةٍ
بِأَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ أُولَ خَافِقٍ
لِوَالِدٍ لَهُ النِّصْرُ مِنْ ذِي كِرَامَةٍ
عَشِيَّةَ سَارُوا حَاشِدِينَ وَكَلَّنَا
فَلَمَّا تَرَاءَيْنَا أَنَاخُوا فَعَقَلُوا
وَقَلْنَا لَهُمْ حَبِلَ إِلَهُ نَصِيرُنَا
فَنَارَ أَبُو جَهْلٍ هُنَاكَ بَاغِيَا
وَمَا نَحْنُ إِلَّا فِي ثَلَاثِينَ رَاكِبَا
فِيَالِ لَوْى لَا تَطِيعُوا غَوَاتِكُمْ
فَإِنِّي أَخَافُ أَنْ يُصَبَّ عَلَيْكُمْ

لَهُمْ غَيْرُ أَمْرٍ بِالْعَفَافِ وَبِالْعَدْلِ
وَيَنْزِلُ مِنْهُمْ مِثْلَ مَنْزِلَةِ الْهَزْلِ
لَهُمْ حَيْثُ حَلُّوا أُبْتَغَى رَاحَةُ الْفَضْلِ
عَلَيْهِ لَوْاءٌ لَمْ يَكُنْ لَاحَ مِنْ قَبْلِ
إِلَهٍ عَزِيزٍ فَعَلُهُ أَفْضَلُ الْفَعْلِ
مَرَاجِلُهُ مِنْ غِيْظِ أَصْحَابِهِ تَغْلِي
مَطَايَا وَعَقَلْنَا مَدَى غَرَضِ النَّبْلِ
وَمَا لَكُمْ إِلَّا الضَّلَالَةُ مِنْ حَبْلِ
نَغَابٍ وَرَدَّ اللَّهُ كَيْدَ أَبِي جَهْلٍ
وَهُمْ مَائَتَانِ بَعْدَ وَاحِدَةٍ فَضْلٍ
وَفِيئُوا إِلَى الْإِسْلَامِ وَالْمَنْهَجِ السَّهْلِ
عَذَابٌ فَتَدْعُوا بِالنَّدَامَةِ وَالشُّكْلِ

قال : فأجابه أبو جهل بن هشام لعنه الله فقال :

عَجِبْتُ لِأَسْبَابِ الْحَفِيزَةِ وَالْجَهْلِ
وَلِلتَّارِكِينَ مَا وَجَدْنَا جِدْوَدَنَا
ثُمَّ ذَكَرَ تَمَامَهَا .

قال ابن هشام : وأكثر أهل العلم بالشعر ينكرون هاتين القصيدتين لحزمة رضى الله عنه ولأبي جهل لعنه الله .

(١) تَبْلَنَاهُمْ : عاديناهم . وى الأصل : تَبْلَنَاهُمْ محرفة .

غزوة بُواط من ناحية رَضوى

قال ابن إسحاق : ثم غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم في شهر ربيع الأول ،
يعنى من السنة الثانية ، يريد قريشا .

قال ابن هشام : واستعمل على المدينة السائب بن عثمان بن مظعون .
وقال الواقدي : استخلف عليها سعد بن معاذ . وكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم
في مائتي راكب ، وكان لواؤه مع سعد بن أبي وقاص وكان مقصده أن يعترض لعير
قريش وكان فيه أمية بن خلف ومائة رجل وألفان وخمسمائة بعير .
قال ابن إسحاق : حتى بلغ بُواط من ناحية رَضوى ، ثم رجع إلى المدينة ولم يلق
كيداً ، فلبث بها بقية شهر ربيع الآخر وبعض جمادى [الأولى] .

غزوة العشيرة

ثم غزا قريشا . يعنى ^(١) بذلك الغزوة التي يقال لها غزوة العشيرة وبالمهملّة ، والعشيرة
وبالمهملّة ، والعشيرة وبالمهملّة ^(٢) .

قال ابن هشام : واستعمل على المدينة أبا سلمة بن عبد الأسد .
قال الواقدي : وكان لواؤه مع حمزة بن عبد المطلب . قال : وخرج عليه السلام
بتمرّض لعيرات قريش ذاهبة إلى الشام .

قال ابن إسحاق : فسلك على نَقَب بنى دينار ، ثم على قَيْفَاء الخييار ، فنزل تحت
شجرة ببطحاء ابن أزره يقال لها ذات الساق ، فصلى عندها فتمّ مسجده ، فصنع له عندها

(١) أى ابن إسحق .

(٢) يريد حكاية الأقوال التي وردت في اسم تلك الغزوة ، فهي : العشيرة مصفرة وتروى بالسين .
والعشيرة مصفرة بدون هاء في آخره وتروى كذلك بالسين . والعشيرة مصفرة ممدودة وتروى بالسين .

طعام فأكل منه وأكل الناس معه ، فرُسوم ^(١) أنفاق البرمة معلوم هناك ، واستسقى له من ماء يقال له المشيرب .

ثم ارتحل فترك الخلائق ^(٢) يسار وسلك شعبة عبد الله ، ثم صَبَّ لاشاد ^(٣) حتى هبطَ يَلِيل ^(٤) ، فنزل بمجتمعه ومجتمع الضبوعة ، ثم سلك فَرَشَ مَلَك حتى لقي الطريق بصخيرات اليمام ، ثم اعتدل به الطريق حتى نزل العُشيرة من بطن يَنْدُب .

فأقام بها جمادى الأولى وليالى من جمادى الآخرة ، ووَادَعَ فيها بنى مُدْج وحلفاءهم من بنى ضَمْرَة ، ثم رجع إلى المدينة ولم يَلْتَقَ كيداً .

وقد قال البخارى : حدثنا عبد الله ، حدثنا وهب ، حدثنا شُعْبَة ، عن أبى إسحاق ، قال : كنت إلى جنب زيد بن أَرْقَمَ فقبل له : كم غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم مِنْ غَزْوَةٍ ؟ قال : تسع عشرة . قلت ^(٥) : كم غزوت أنت معه ؟ قال : سبع عشرة غزوة . قلت : فأيهن كان أول ؟ قال العُشَيْر ، أو العُسَيْر . فذكرت لقتادة فقال : العُشَيْر .

وهذا الحديث ظاهر فى أن أول الغزوات العشيرة ، ويقال بالسين ، وبهما مع حذف التاء ، وبهما مع اللد . اللهم إلا أن يكون المراد [أول] غزاة شهدها مع النبى صلى الله عليه وسلم زيد بن أَرْقَمَ العشيرة ، - وينتد لا ينفى أن يكون قبلها غيرها لم يشهدا زيد بن أَرْقَمَ ، وبهذا يحصل الجمع بين ما ذكره محمد بن إسحاق وبين هذا الحديث . والله أعلم .

قال محمد بن إسحاق : ويومئذ ^(٦) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلى ما قال .

(١) ابن هشام : فوضع . (٢) الخلائق جمع خلية وهى البرالتى لاماء فيها ، وهى آبار معلومة . الروض

(٣) صوبها الحشنى بأنها : صب لليسار .

(٤) الأصل : مال وهو تحريف . وما أثبتته عن ابن هشام . ويليل : قرية قرب وادى الصفراء من أعمال المدينة

(٥) البخارى : قيل . والقائل هو أبو إسحق السبيعى . (٦) ابن هشام : وفى تلك الغزوة قال .

حدثني يزيد بن محمد بن خثيم^(١)، عن محمد بن كعب القرظي، حدثني أبو يزيد محمد ابن خثيم^(٢)، عن عمار بن ياسر، قال: كنت أنا وعلى بن أبي طالب رفيقين في غزوة العُشيرة [من بطن يَنْبُع^(٣)] فلما نزلها رسول الله صلى الله عليه وسلم أقام بها شهراً، فصالح بها بني مُدْج وحلفاءهم من بني ضَمْرَة فوادعهم، فقال لي على بن أبي طالب: هل لك يا أبا اليقظان أن تأتي هؤلاء النفر من بني مدج يعملون في عين لهم، ننظر كيف يعملون؟ فأتيناهم فنظرنا إليهم ساعة فَعَشِينَا النوم، فعمدنا إلى صور^(٤) من النخل في دَقْعَاء^(٥) من الأرض فنمنا فيه، فوالله ما أهبنا إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم يحر كنا بقدمه، فجلسنا وقد تتربنا من تلك الدَقْعَاء، فيومئذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي: [مالك^(٦)] يا أبا تراب؟ لما عليه من التراب، فأخبرناه بما كان من أمرنا فقال: «ألا أخبركم بأشقى الناس رجلين؟» قلنا: بلى يا رسول الله. فقال: «أحيمر ثمود الذي عقر الناقة، والذي يضر بك يا عليّ على هذه، ووضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده على رأسه^(٧)، حتى تَبَلَّ منها هذه، ووضع يده على لحيته.»

وهذا حديث غريب من هذا الوجه له شاهد من وجه آخر في تسمية عليّ أبا تراب، كما في صحيح البخاري، أن علياً خرج مغاضباً فاطمة، فجاء المسجد فنام فيه فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأها عنه فقالت خرج مغاضباً فجاء إلى المسجد فأيقظه وجعل يمسح التراب عنه ويقول: «قُمْ أبا تراب قم أبا تراب.»

(١) الأصل: خثيم. وما أثبتته عن ابن هشام. (٢) ليست في ابن هشام. وبعدها اختلاف كثير عن نص ابن هشام. (٣) الصور: صغار النخل. (٤) الدقعاء: التراب. (٥) من ابن هشام. (٦) هامش ابن هشام: على قرنه.

غزوة بدر الأولى

قال ابن إسحاق : ثم لم يُقم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة حين رجع من العشرة إلا ليالي قلائل لا تبلغ العشر ، حتى أغار كرز بن جابر الفهري على سرح^(١) المدينة ، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في طلبه حتى بلغ وادياً يقال له سفوان من ناحية بدر ، وهى غزوة بدر الأولى ، وفاته كرز فلم يدركه .
وقال الواقدي : وكان لواؤه مع علي بن أبي طالب .

قال ابن هشام والواقدي : وكان قد استخلف على المدينة زيد بن حارثة .
قال ابن إسحاق : فرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأقام جمادى ورجبا وشعبان ، وقد كان بعث بين يدي ذلك سعداً في ثمانية رهط من المهاجرين ، فخرج حتى بلغ الخرار من أرض الحجاز .

قال ابن هشام : ذكر بعض أهل العلم أن بعث سعد هذا كان بعد حمزة . ثم رجع ولم يلق كيداً .

هكذا ذكره ابن إسحاق مختصراً وقد تقدم ذكر الواقدي لهذه البعوث الثلاثة ، أعنى بعث حمزة في رمضان ، وبعث عبيدة في شوال ، وبعث سعد في ذى القعدة كلها في السنة الأولى .

وقد قال الإمام أحمد : حدثني عبد المتعال بن عبد الوهاب ، حدثني يحيى بن سعيد ، وقال عبد الله بن الإمام أحمد : وحدثني سعيد بن يحيى بن سعيد الأموى ، حدثنا أبي ، حدثنا الجالد ، عن زياد بن علاقة ، عن سعد بن أبي وقاص ، قال : لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة جاءته جبهة فقالوا : إنك قد نزلت بين أظهرنا فأوثق حتى

(١) الشرح : مايرعى من النعم .

نأتيك وقومنا ، فأوثق لهم ، فأسلموا . قال : فبعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في رجب ولا نكون مائة ، وأمرنا أن نغير على حى من بنى كنانة إلى جنب جهينة ، فأغرنا عليهم وكانوا كثيراً فلجأنا إلى جهينة فمنعونا وقالوا : لم تقاتلون في الشهر الحرام ؟ فقال بعضنا لبعض : ماترون ؟ فقال بعضنا : نأتى نبي الله فنخبره . وقال قوم : لا بل نقيم هاهنا . وقلت أنا في أناس معى : لا بل نأتى غير قريش فنقتطعها . وكان الفىء إذ ذاك من أخذ شيئاً فهو له .

فانطلقنا إلى العير وانطلق أصحابنا إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فأخبروه الخبر فقام غضبان محمر الوجه ، فقال : « أذهبتُم من عندى جميعاً ورجعتم متفرقين ! إنما أهلك من كان قبلكم الفرقة ، لأبعثنَّ عليكم رجالاً ليس بخيركم أصبركم على الجوع والعطش » .

فبعث علينا عبد الله بن جحش الأسدى ، فكان أول أمير في الإسلام . وقد رواه البيهقي في الدلائل من حديث يحيى بن أبى زائدة ، عن مجالد به نحوه . وزاد بعد قولهم لأصحابه : لم تقاتلون في الشهر الحرام ؟ فقالوا : نقاتل في الشهر الحرام من آخر جنا من البلد الحرام .

ثم رواه من حديث أبى أسامة ، عن مجالد ، عن زياد بن علاقة ، عن قطبة بن مالك ، عن سعد بن أبى وقاص ، فذكر نحوه فأدخل بين سعد وزباد قطبة بن مالك وهذا أنسب . والله أعلم .

وهذا الحديث يقتضى أن أول السرايا عبد الله بن جحش الأسدى ، وهو خلاف ما ذكره ابن إسحاق أن أول الرايات عُقدت لمبيدة بن الحارث بن المطلب ، وللاواقدى حيث زعم أن أول الرايات عُقدت لحمة بن عبد المطلب . والله أعلم .

باب سرية عبد الله بن جحش

التي كان سببها ^(١) لغزوة بدر العظمى ، وذلك يوم الفرقان يوم التقى الجمعان
والله على كل شيء قدير

قال ابن إسحاق : وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن جحش بن رثاب
الأسدي في رجب مقفله من بدر الأولى ، وبعث معه ثمانية رهط من المهاجرين ، ليس
فيهم من الأنصار أحد ، وهم : أبو حذيفة بن عتبة ، وعكاشة بن محصن بن حُرثان
حليف بني أسد بن خزيمه ، وعُتبة بن غزوان حليف بني نوفل ، وسعد بن أبي وقاص
الزهري ، وعامر بن ربيعة الوائلي حليف بني عدى ، وواقد بن عبد الله بن عبد مناف بن
عَرِين بن ثعلبة بن يربوع التميمي حليف بني عدى أيضا ، وخالد بن البكير أحد بني
سعد بن ليث حليف بني عدى أيضا ، وسهل بن بيضاء الفهري ، فهؤلاء سبعة ثامنهم
أميرهم عبد الله بن جحش رضى الله عنه .

وقال يونس عن ابن إسحاق : كانوا ثمانية وأميرهم التاسع . فالله أعلم .

قال ابن إسحاق : وكتب له كتابا ، وأمره أن لا ينظر فيه حتى يسير يومين ، ثم ينظر
فيه فيمضى لما أمره به ، ولا يستكره من أصحابه أحدا .

فلما سار بهم يومين ففتح الكتاب فإذا فيه : « إذا نظرت في كتابي فامض حتى تنزل
نخلة بين مكة والطائف فترصد بها قريشا وتعلم لنا من أخبارهم » . فلما نظر في الكتاب
قال : سمعاً وطاعة . وأخبر أصحابه بما في الكتاب . وقال : قد نهاني أن أستكره أحداً
منكم ، فمن كان منكم يريد الشهادة ويرغب فيها فلينطلق ، ومن كره ذلك فليرجع ، فأما
أنا فماضٍ لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فمضى ومضى معه أصحابه لم يتخلف منهم أحد ، وسلك على الحجاز حتى إذا كان بمعدن فوق الفرع يقال له بحران ، أضلَّ سعدُ بن أبي وقاص وعُتْبة بن غَزْوانَ بغيراً لها كانا يعتقبانه فتخلفا في طلبه ، ومضى عبد الله بن جحش وبقية أصحابه حتى نزل نخلة .

فمرت غير لقريش فيها عمرو بن الحضرمي ، قال ابن هشام : واسم الحضرمي عبد الله ابن عباد [أحد ^(١)] الصَّدَف ^(٢) . وعثمان بن عبد الله بن المغيرة الخزومي ، وأخوه نوفل والحكم بن كيسان مولى هشام بن المغيرة .

فلما رأهم القوم هابوهم وقد نزلوا قريباً منهم ، فأشرف لهم عُكاشة بن مَخْصَنَ وكان قد حلق رأسه ، فلما رأوه أمنوا ، وقال عمار : لا بأس عليكم منهم .

وتشاور الصحابة فيهم ، وذلك في آخر يوم من رجب فقالوا : والله لئن تركتموهم هذه الليلة ليدخلنَّ الحرم فليمتنعنَّ به منكم ، ولئن قتلتموهم لتقتلنهم في الشهر الحرام . فتردد القوم وهابوا الإقدام عليهم .

ثم شجعوا أنفسهم عليهم وأجمعوا على قتل مَنْ قدروا عليه منهم وأخذ ما معهم ، فرمى واقد بن عبد الله النخعي عمرو بن الحضرمي بسهم فقتله ، واستأسر عثمان بن عبد الله والحكم بن كيسان ، وأفلت القوم نوفل بن عبد الله فأعجزهم .

وأقبل عبد الله بن جحش وأصحابه بالغير والأسيرين ، حتى قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقد ذكر بعض آل عبد الله بن جحش أن عبد الله قال لأصحابه : إن لرسول الله صلى الله عليه وسلم فيما غنمنا الخمس . فعزله وقسم الباقي بين أصحابه ، وذلك قبل أن ينزل الخمس .

قال : ولما نزل الخمس نزل كما قسمه عبد الله بن جحش . كما قاله ابن إسحاق .

(١) من ابن هشام (٢) قال ابن هشام : واسم الصدف : عمرو بن مالك .

فلما قدمو على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ما أمرتكم بقتالٍ في الشهر الحرام » فوقف العيرَ والأسيرين ، وأبى أن يأخذ من ذلك شيئاً .

فلما قال ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم أَسْقَطَ ^(١) في أيدي القوم ، وظنوا أنهم قد هلكوا ، وعَنَّفَهم إخوانهم من المسلمين فيما صنعوا ، وقالت قريش : قد استحلَّ محمد وأصحابه الشهرَ الحرام وسفكوا فيه الدم وأخذوا فيه الأموال وأسروا فيه الرجال . فقال من يردُّ عليهم من المسلمين ممن كان بمكة : إنما أصابوا ما أصابوا في شعبان . وقالت يهود : تُفائِل بذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم : عمرو بن الحضرمي قتله واقد بن عبد الله . عمرو : عمرت الحربُ ، والحضرمي : حَضَرَت الحرب . وواقد ابن عبد الله : وقَدَّت الحرب . فجعل الله ذلك عليهم لا لهم .

فلما أكثر الناسُ في ذلك أنزل الله تعالى على رسوله صلى الله عليه وسلم : « يسألونك عن الشهرِ الحرامِ قتالٍ فيه ، قُلْ : قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ، وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ ، وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَعْظَمُ كَبْرًا عِنْدَ اللَّهِ ، وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ ، وَلَا يَزَالُونَ يَقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا ^(٢) » .

أى إن كنتم قتلتم في الشهر الحرام ، فقد صدوكم عن سبيل الله مع الكفر به وعن المسجد الحرام ، وإخراجكم منه وأنتم أهله أَعْظَمُ كَبْرًا عِنْدَ اللَّهِ مِنْ قَتْلِ مَنْ قَتَلْتُمْ مِنْهُمْ ، وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ . أى قد كانوا يفتنون المسلم عن دينه حتى يردُّوه إلى الكفر بعد إيمانه ، فذلك أَعْظَمُ كَبْرًا عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الْقَتْلِ ، ثم هم مقيمون على أخبث ذلك وأعظمه غير تائبين ولا نازعين ، ولهذا قال الله تعالى : « وَلَا يَزَالُونَ يَقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا » الآية .

قال ابن إسحاق : فلما نزل القرآن بهذا الأمر وفرَّج الله عن المسلمين ما كانوا فيه من الشَّقِّ ، قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم العيرَ والأسيرين ، وبعثت قريش في فداء عثمان والحكم بن كيسان فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا نَقْدِكُوهما حتى يَقْدَمَ صاحبانا » ، يعني سعد بن أبي وقاص وعتبة بن غزوان « فإنا نَحْشَاكم عليهما . فإب تَقْتُلوهما نقتل صاحبيكم » .

فقدم سعد وعتبة ، فأفداهما رسولُ الله صلى الله عليه وسلم . فأما الحكم بن كيسان فأسلم فحسُن إسلامه ، وأقام عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قُتل يوم بئر معونة شهيداً ، وأما عثمان بن عبد الله فالحق بمكة فمات بها كافراً .

قال ابن إسحاق : فلما تجلَّى عن عبد الله بن جحش وأصحابه ما كانوا فيه حين نزل القرآن طمعوا في الأجر ، فقالوا : يا رسول الله أنطمع أن تكون لنا غزاةً نُعطى فيها أجر المجاهدين ؟ فأنزل الله فيهم : « إنَّ الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله أولئك يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ » ^(١) فوضعهم ^(٢) الله من ذلك على أعظم الرجاء .

قال ابن إسحاق : والحديثُ في ذلك عن الزهري ويزيد بن رومان ، عن عروة ابن الزبير .

ومكذا ذكر موسى بن عقبة في مغازيه ، عن الزهري ، وكذا روى شعيب عن الزهري ، عن عروة ، نحوه من هذا وفيه : وكان ابن الحضرمي أول قتيل قُتل بين المسلمين والمشرَكين .

وقال عبد الملك بن هشام : هو أول قتيل قتله المسلمون ، وهذه أول غنيمة غنمها

(١) سورة البقرة ٢١٨ . (٢) الأصل : فوضعهم . وما أثبتته عن ابن هشام .

المسلمون ، وعثمان والحكم بن كيسان أول من أسره المسلمون .

قلت : وقد تقدم فيما رواه الإمام أحمد عن سعد بن أبي وقاص أنه قال : فكان عبد الله بن جحش أول أمير في الإسلام .

وقد ذكرنا في التفسير لما أورده ابن إسحاق شواهد مُسندة .

فمن ذلك ما رواه الحافظ أبو محمد بن أبي حاتم ، حدثنا أبي ، حدثنا محمد بن أبي بكر المَدَنِي ، حدثنا المعتمر بن سليمان ، عن أبيه ، حدثني الحَضْرَمِي ، عن أبي السَّوَّار ، عن جُنْدَب بن عبد الله ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث رهطاً وبعث عليهم أبا عبيدة ابن الجراح ، أو عبيدة بن الحارث ، فلما ذهب بكى صباغةً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس ، فبعث عليهم مكانه عبد الله بن جحش وكتب له كتاباً ، وأمره ألاَّ يقرأه حتى يبلغ مكان كذا وكذا . وقال : « لا تُكرهن أحداً على المسير معك من أصحابك » .

فلما قرأ الكتاب استرجع وقال : سمعاً وطاعة لله ولرسوله . فخرَّبهم الخبر وقرأ عليهم الكتاب ، فرجع منهم رجلان وبقي بقيتهم ، فلقوا ابن الحَضْرَمِي فقتلوه ، ولم يدروا أن ذلك اليوم من رجب أو من جمادى ، فقال المشركون للمسلمين : قتلتم في الشهر الحرام ! فأنزل الله : « يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير » الآية .

وقال اسماعيل بن عبد الرحمن السُّدِّي الكبير في تفسيره ، عن أبي مالك ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس ، وعن مرة ، عن ابن مسعود ، عن جماعة من الصحابة « يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير » وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث سرية وكانوا سبعة نفر عليهم عبد الله بن جحش ، وفيهم : عمار بن ياسر ، وأبو حذيفة بن عتبة ، وسعد بن أبي وقاص ، وعتبة بن غزوان ، وسهل بن بيضاء

وعامر بن فهيرة ، وواقف بن عبد الله اليربوعي حليف لعمر بن الخطاب .

وكتب لابن جحش كتابا وأمره ألا يقرأه حتى ينزل بطن مَلَكٍ ، فلما نزل بطن مَلَكٍ فتش الكتاب ، فإذا فيه : أن سر حتى تنزل بطن نخلة . فقال لأصحابه : من كان يريد الموت فليمض وليوص ، فإنني مريض وماض لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فسار ، وتخلف عنه سعد وعتبة أضلا راحلة لهما فأقاما يطلبانها ، وسار هو وأصحابه حتى نزل بطن نخلة ، فإذا هو بالحكم بن كيسان والمغيرة بن عثمان وعبد الله ابن المغيرة .

فذكر قتل واقف لعمر بن الحضرمي ، ورجعوا بالغنيمة والأسيرين ، فكانت أول غنيمة غنمها المسلمون . وقال المشركون : إن محمدا يزعم أنه يتبع طاعة الله ، وهو أول من استحل الشهر الحرام وقتل صاحبنا في رجب . وقال المسلمون : إنما قتلناه في جمادى .

قال الشدي : وكان قتلهم له في أول ليلة من رجب وآخر ليلة من جمادى الآخرة .

قلت : لعل جمادى كان ناقصا فاعتقدوا بقاء الشهر ليلة الثلاثين ، وقد كان الهلال رؤى تلك الليلة . فالله أعلم .

وهكذا روى العوفي ، عن ابن عباس ، أن ذلك كان في آخر ليلة من جمادى ، وكانت أول ليلة من رجب ولم يشعروا .

وكذا تقدم في حديث جندب الذي رواه ابن أبي حاتم .

وقد تقدم في سياق ابن إسحاق أن ذلك كان آخر ليلة من رجب ، وخافوا إن لم يتداركوا هذه الغنيمة ويتهمزوا هذه الفرصة دخل أولئك في الحرّم فيتعذر عليهم ذلك ، فأقدموا عليهم عالمين بذلك .

وكذا قال الزهري عن عروة . رواه البيهقي . فله أعلم أى ذلك كان .
قال الزهري عن عروة : فبلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عقل ابن الحضرمي
وحرّم الشهر الحرام كما كان يحرمه ، حتى أنزل الله براءه . رواه البيهقي .

قال ابن إسحاق : فقال أبو بكر الصديق في غزوة عبد الله بن جحش ، جواباً
للمشركين فيما قالوا من إحلال الشهر الحرام . قال ابن هشام : هي لعبد الله بن جحش :
تعدّون قتلاً في الحرام عظيمةً وأعظمُ منه لو يرى الرّشدَ راشداً
صُدودكمُ عمّا يقولُ محمدٌ وكُفْرُ به والله راء وشاهدُ
وإخراجكم من مسجد الله أهله لثلاث يرى الله في البيت ساجداً
فإنّا وإن عيّزتمونا بقتله وأرجفَ بالإسلام باغٍ وحاسداً
سقيناً من ابن الحضرمي رماحنا بنخلة لما أوقد الحربَ واقدُ
دماً وابنُ عبد الله عُمانَ يبننا ينازعه غلٌّ من القيد عانداً

فصل

في تحويل القبلة في سنة ثنتين من الهجرة قبل وقعة بدر

وقال بعضهم : كان ذلك في رجب من سنة ثنتين . وبه قال قتادة وزيد بن أسلم وهو
رواية عن محمد بن إسحاق .

وقد روى أحمد عن ابن عباس ما يدل على ذلك ، وهو ظاهر حديث البراء بن عازب
كما سيأتي . والله أعلم . وقيل في شعبان منها .

قال ابن إسحاق بعد غزوة عبد الله بن جحش : ويقال صرفت القبلة في شعبان على
رأس ثمانية عشر شهراً من مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة .

وحكى هذا القول ابن جرير من طريق السدى، فسنده عن ابن عباس وابن مسعود وناس من الصحابة .

قال الجمهور الأعظم : إنما صرفت في النصف من شعبان ، على رأس ثمانية عشر شهراً من الهجرة .

ثم حكى عن محمد بن سعد ، عن الواقدي ، أنها حولت يوم الثلاثاء النصف من شعبان ، وفي هذا التحديد نظر . والله أعلم .

وقد تكلمنا على ذلك مستقصى في التفسير عند قوله تعالى : « قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها ، فول وجهك شطر المسجد الحرام ، وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره وإن الذين أوتوا الكتاب ليعلمون أنه الحق من ربهم وما الله بغافل عما يعملون » . وما قبلها وما بعدها ، من اعتراض سفهاء اليهود والمنافقين والجهلة الطغام على ذلك ، لأنه أول نسخ وقع في الإسلام .

هذا وقد أحال الله قبل ذلك في سياق القرآن تقرير جواز النسخ عند قوله « ما ننسخ من آية أو ننسها ، تأتي بخير منها أو مثلها ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير » .

وقد قال البخارى : حدثنا أبو نعيم ، سمع زهيراً ، عن أبي إسحاق ، عن البراء ، أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى إلى بيت المقدس ستة عشر شهراً ، أو سبعة عشر شهراً ، وكان يعجبه أن تكون قبلته إلى البيت ، وأنه صلى أول صلاة صلاها إلى الكعبة العصر ، وصلى معه قوم ، فخرج رجل ممن كان معه فمرّ على أهل مسجد وهم راكعون فقال : أشهد بالله لقد صليت مع النبي صلى الله عليه وسلم قبل مكة . فداروا كما هم قبل البيت . وكان الذى مات على القبلة قبل أن تحوّل رجال قتلوا ، لم ندر ما تقول فيهم ، فأنزل الله « وما كان الله ليضيع إيمانكم إن الله بالناس لرءوف رحيم »

رواه مسلم من وجه آخر .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو زُرعة ، حدثنا الحسن بن عطية ، حدثنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن البراء ، قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد صلى نحو بيت المقدس ستة عشر ، أو سبعة عشر شهراً ، وكان يحب أن يوجه نحو الكعبة ، فأنزل الله : « قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها ، فول وجهك شطر المسجد الحرام » . قال : فوجه نحو الكعبة .

قال السفهاء من الناس ، وهم اليهود : ما ولّاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها ؟ فأنزل الله : « قل لله المشرق والمغرب يُهْدَى من يشاء إلى صراطٍ مستقيم »

وحاصل الأمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصلى بمكة إلى بيت المقدس والكعبة بين يديه ، كما رواه الإمام أحمد عن ابن عباس رضى الله عنه ، فلما هاجر إلى المدينة لم يمكنه أن يجمع بينهما ، فصلى إلى بيت المقدس أول مقدمه المدينة واستدبر الكعبة ستة عشر شهراً ، أو سبعة عشر شهراً ، وهذا يقتضى أن يكون ذلك إلى رجب من السنة الثانية . والله أعلم .

وكان عليه السلام يحب أن يصرف قبلته نحو الكعبة ، قبلة إبراهيم ، وكان يكثر الدعاء والتضرع والابتهاال إلى الله عز وجل ، فكان مما يرفع يديه وطره إلى السماء سائلاً ذلك فأنزل الله عز وجل : « قد نرى تقلب وجهك في السماء ، فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام » الآية .

فلما نزل الأمر بتحويل القبلة خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين وأعلمهم بذلك ، كما رواه النسائي عن أبي سعيد بن الملقى ، وأن ذلك كان وقت الظهر .

وقال بعض الناس : نزل تحويلها بين الصلاتين . قاله مجاهد وغيره .

ويؤيد ذلك ما ثبت في الصحيحين عن البراء ، أن أول صلاة صلاها عليه السلام إلى الكعبة بالمدينة العصر .

والعجب أن أهل قُبَاء لم يبلغهم خبر ذلك إلى صلاة الصبح من اليوم الثاني ، كما ثبت في الصحيحين ، عن ابن عمر ، قال : بينما الناس بقباء في صلاة الصبح إذ جاءهم آت فقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أنزل عليه الليلة قرآن ، وقد أمر أن يستقبل الكعبة فاستقبلوها . وكانت وجوههم إلى الشام ، فاستداروا إلى الكعبة .
وفي صحيح مسلم عن أنس بن مالك نحو ذلك .

والمقصود أنه لما نزل تحويل القبلة إلى الكعبة ، ونسخ به الله تعالى حكم الصلاة إلى بيت المقدس ، طعن طاعنون من السفهاء والجهلة والأغبياء ، قالوا : ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها ؟

هذا والكفرة من أهل الكتاب يعلمون أن ذلك من الله ، لما يجدونه من صفة محمد صلى الله عليه وسلم في كتبهم ، من أن المدينة مهاجرة ، وأنه سيؤمر بالاستقبال إلى الكعبة كما قال : « وإن الذين أوتوا الكتاب ليعلمون أنه الحق من ربهم » الآية .
وقد أجابهم الله تعالى مع هذا كله عن سؤالهم ، ونعتهم فقال : « سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها . قل : لله المشرق والمغرب يهدي من يشاء إلى صراطٍ مستقيم » أي هو المالك المتصرف ، الحاكم الذي لامعقب لحكمه ، الذي يفعل ما يشاء في خلقه ، ويحكم ما يريد في شرعه ، وهو الذي يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم ، ويضل من يشاء عن الطريق القويم ، وله في ذلك الحكمة التي يجب لها الرضا والتسليم .

ثم قال تعالى : « وكذلك جعلناكم أمة وسطاً » أى خياراً « لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً » أى وكما اخترنا لكم أفضل الجهات فى صلاتكم وهديناكم إلى قبة أبيكم إبراهيم والد الأنبياء ، بعد التى كان يصلى بها موسى فمن قبله من المرسلين ، كذلك جعلناكم خيار الأمم وخلاصة العالم وأشرف الطوائف وأكرم التالذ والطارف ، لتكونوا يوم القيامة شهداء على الناس لإجماعهم عليكم وإشارتهم يومئذ بالفضيلة إليكم .

كما ثبت فى صحيح البخارى ، عن أبى سعيد مرفوعاً ، من استشهاد نوح بهذه الأمة يوم القيامة ، وإذا استشهد بهم نوح مع تقدم زمانه فمن بعده بطريق الأولى والأخرى .

ثم قال تعالى مبيناً حكمته فى حلول نعمته بمن شكَّ وارتاب بهذه الواقعة ، وحلول نعمته على من صدَّق وتابع هذه الكائنة ، فقال : « وما جعلنا القبلة التى كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول » . قال ابن عباس : إلا لنرى من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه .

« وإن كانت لكبيرة » أى وإن كانت هذه الكائنة لعظيمة الموقع كبيرة المحل شديدة الأمر ، إلا على الذى هدى الله ، أى فهم مؤمنون بها مصدقون لها ، لا يشكُّون ولا يرتابون ، بل يرضون ويؤمنون ويعملون ، لأنهم عبيد للحاكم العظيم ، القادر المقتدر الحليم الخبير ، اللطيف العليم .

وقوله : « وما كان الله ليضيع إيمانكم » أى بشرعته استقبال بيت المقدس والصلاة إليه : « إن الله بالناس لرؤوف رحيم » .

والأحاديث والآثار فى هذا كثيرة جداً يطول استقصاؤها ، وذلك مبسوط فى التفسير ، وسنزيد ذلك بياناً فى كتابنا « الأحكام الكبير » .

وقد روى الإمام أحمد ، حدثنا علي بن عاصم ، حدثنا حُصَيْن بن عبد الرحمن ، عن عمرو بن قيس ، عن محمد بن الأشعث ، عن عائشة ، قالت : قال رسول الله صلى الله وسلم ، يعنى فى أهل الكتاب : « إنيهم لم يحسدونا على شيء كما يحسدونا على يوم الجمعة التي هداانا الله إليها وضلوا عنها ، وعلى القبلة التي هداانا الله لها وضلوا ، وعلى قولنا خلف الإمام آمين » .

فصل

فى فريضة شهر رمضان سنة ثنتين ، قبل وقعة بدر

قال ابن جرير : وفى هذه السنة فرض صيام شهر رمضان . وقد قيل : إنه فرض فى شعبان منها ، ثم حكى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة وجد اليهود يصومون يومَ عاشوراء ، فسأهم عنه فقالوا : هذا يومُ نَجَّى الله فيه موسى . فقال : « نحن أحقُّ بموسى منكم » فصامه وأمر الناس بصيامه .

وهذا الحديث ثابت فى الصحيحين عن ابن عباس .

وقد قال الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون . أياماً معدودات ، فمن كان منكم مريضاً أو على سفرٍ فعِدَّةٌ من أيامٍ آخر ، وعلى الذين يُطيقونه فِدْيَةٌ طعامُ مسكين ، فمن تطوع خيراً فهو خيرٌ له وأن تصوموا خيرٌ لكم إن كنتم تعلمون ، شهرُ رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبيناتٍ من الهدى والفرقان ، فمن شهد منكم الشهرَ فليصمه ومن كان مريضاً أو على سفرٍ فعِدَّةٌ من أيامٍ آخر ^(١) » الآية .

وقد تكلمنا على ذلك فى التفسير بما فيه كفاية ، من إيراد الأحاديث المتعلقة بذلك

والآثار المروية في ذلك والأحكام المستفادة منه . والله الحمد .

وقد قال الإمام أحمد . حدثنا أبو النضر ، حدثنا المسعودي ، حدثنا عمرو بن مرة ، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، عن معاذ بن جبل ، قال : أُحيلت الصلاة ثلاثة أحوال ، وأُحيل الصيام ثلاثة أحوال . فذكر أحوال الصلاة . قال : وأما أحوال الصيام : فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قدّم المدينة فجعل يصوم من كل شهر ثلاثة أيام ، وصام عاشوراء .

ثم إن الله فرض عليه الصيام وأنزل : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ » إلى قوله : « وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ » فكان من شاء صام ومن شاء أطعم مسكيناً فأجزأ ذلك عنه ، ثم إن الله أنزل الآية الأخرى : « شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ » إلى قوله : « فَمَن شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ » فأثبت صيامه على المقيم الصحيح ورخص فيه للمريض والمسافر ، وأثبت الإطعام للكبير الذي لا يستطيع الصيام . فهذان حولان .

قال : وكانوا يأكلون ويشربون وباتون النساء ما لم يناموا ، فإذا ناموا امتنعوا . ثم إن رجلاً من الأنصار يقال له صرمة كان يعمل صائماً حتى أمسى ، فجاء إلى أهله فصلّى العشاء ثم نام فلم يأكل ولم يشرب حتى أصبح ، فأصبح صائماً ، فرآه رسول الله صلى الله عليه وسلم قد جهد جهداً شديداً فقال : « مَا لِي أَرَاكَ قَدْ جَهِدْتَ جَهْدًا شَدِيدًا ؟ » فأخبره قال : وكان عمر قد أصاب من النساء بعد ما نام ، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له ، فأنزل الله : « أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ ، هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ » إلى قوله « ثُمَّ آمَنُوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ ^(١) »

ورواه أبو داود في سننه والحاكم في مستدركه ، من حديث المسعودي نحوه .
وفي الصحيحين من حديث الزهري عن عمرو ، عن عائشة أنها قالت : كان
عاشوراء يُصام ، فلما نزل رمضان كان من شاء صام ومن شاء أفطر . وللبخاري عن ابن
عمر وابن مسعود مثله .

ولتحرير هذا موضع آخر من التفسير ومن الأحكام الكبير . وبالله المستعان .

قال ابن جرير : وفي هذه السنة أمر الناس بزكاة الفطر ، وقد قيل : إن رسول الله
صلى الله عليه وسلم خطب الناس قبل الفطر بيوم أو يومين ، وأمرهم بذلك .
قال : وفيها صلى النبي صلى الله عليه وسلم صلاة العيد وخرج بالناس إلى المصلى ،
فكان أول صلاة عيد صلاتها ، وخرجوا بين يديه بالحربة ، وكانت للزبير وهبها له
النجاشي ، فكانت تُحمَل بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم في الأعياد .
قلت : وفي هذه السنة فيما ذكره غير واحد من المتأخرين فُرِضت الزكاة ذات
النَّصَب^(١) : كما سيأتي تفصيل ذلك كله بعد وقعة بدر . إن شاء الله تعالى وبه الثقة وعليه
التكلان ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

غزوة بدر العظمى ، يوم الفرقان يوم التقى الجمعان

قال الله تعالى : « ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلةً فاتقوا الله لعلكم تشكرون^(١) » .
وقال الله تعالى « كما أخرجك ربك من بيتك بالحق ، وإن فريقاً من المؤمنين لكارهون . يجادلونك في الحق بعد ما تبين ، كأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون . وإذا بعدكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم ، وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم ، ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين . ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون » وما بعدها إلى تمام القصة من سورة الأنفال .

وقد تكلمنا عليها هنالك . وسنورد هاهنا في كل موضع ما يناسبه .

قال ابن إسحاق رحمه الله بعد ذكره سرية عبد الله بن جحش : ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع بأبي سفيان صخر بن حرب مقبلاً من الشام في غير لقريش عظيمة فيها أموال وتجارة ، وفيها ثلاثون رجلاً ، أو أربعون ، منهم مخزومة بن نوفل وعمر بن العاص .

قال موسى بن عقبة : عن الزهري ، كان ذلك بعد مقتل ابن الحضرمي بشهرين . قال : وكان في العير ألفٌ بغير تحمل أموال قريش بأسرها إلا حويط بن عبد العزى ، فلهذا تخلف عن بدر .

قال ابن إسحاق : فحدثني محمد بن مسلم بن شهاب ، وعاصم بن عمر بن قتادة

وعبد الله بن أبي بكر ، ويزيد بن رومان ، عن عروة بن الزبير ، وغيرهم من علمائنا ، عن ابن عباس ، كلُّ قد حدثني بعض الحديث فاجتمع حديثهم فيما سقتُ من حديث بذر قالوا : لمَ اسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بأبي سفيان مقبلاً من الشام نهب المسلمين إليهم وقال : « هذه غيرُ قريش فيها أموالهم ، فاخرجوا إليها لعل الله ينفلِكهموها » .

فانتدب الناسُ نخفَ بعضهم وثقلَ بعض ، وذلك أنهم لم يظنوا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يَلتقي حرباً ، وكان أبو سفيان حين دنا من الحجاز يتجسس^(١) من لقي من الركبان تخوفاً على أمر^(٢) الناس ، حتى أصاب خبراً من بعض الركبان : أن محمداً قد استنفر أصحابه لك ولعيرك . فحذر عند ذلك ، فاستأجر ضَمَمَ بن عمرو الغفاري ، فبعثه إلى مكة وأمره أن يأتي قريشاً فيستنفرهم إلى أموالهم ويخبرهم أن محمداً قد عرض لها في أصحابه ، فخرج ضَمَمَ بن عمرو سريعاً إلى مكة .

قال ابن إسحاق : فحدثني من لا أنهم ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ويزيد بن رومان عن عروة بن الزبير . قالوا : وقد رأت عاتكة بنت عبد المطلب قبل قدوم ضَمَمَ إلى مكة ثلاث ليال رؤيا أفزعته ، فبعثت إلى أخيها العباس بن عبد المطلب فقالت له : يا أخي والله لقد رأيت الليلة رؤيا أفظمتني وتخوّفت أن يدخل على قومك منها شرٌّ ومصيبة ، فآتكم على ما أحدثك . قال لها : وما رأيت ؟

قالت : رأيت راكباً أقبل على بعير له حتى وقف بالأبطح ثم صرخ بأعلى صوته : ألا انفروا يا آل غَدَر لمصارعكم في ثلاث . فأرى الناس اجتمعوا إليه ، ثم دخل المسجد والناس يتبعونه ، فبينما هم حوله مثل به بعيره على ظهر الكعبة ، ثم صرخ بمثلها : ألا انفروا يا آل غَدَر لمصارعكم في ثلاث . ثم مثل به بعيره على رأس أبي قُبَيْس ، فصرخ بمثلها ، ثم أخذ صخرة فأرسلها فأقبلت تهوى ، حتى إذا كانت بأسفل الجبل ارفضت ، فما بقي بيت من بيوت مكة ولا دارٍ إلا دخلتها منها فلكة .

(١) ابن هشام : يتجسس . (٢) ح : على أموال الناس .

قال العباس : والله إن هذه لرؤيا ، وأنت فاكتمها لا تذكريها لأحد .
ثم خرج العباس فلقى الوليد بن عتبة ، وكان له صديقا ، فذكرها له واستكتمه إياها ،
فذكرها الوليد لابنه عتبة ، ففشا الحديث حتى تحدثت به قريش .

قال العباس : ففدت لأطوف بالبيت ، وأبو جهل ابن هشام في رهط من قريش
قعود يتحدثون برؤيا عاتكة ، فلما رأني أبو جهل قال : يا أبا الفضل إذا فرغت من
طوافك فأقبل إلينا . فلما فرغت أقبلت حتى جلست معهم ، فقال أبو جهل : يا بني
عبد المطلب ، متى حدثت فيكم هذه النبئة ؟ قال : قلت : وما ذاك ؟ قال : تلك الرؤيا
التي رأت عاتكة . قال : قلت : وما رأت ؟ قال : يا بني عبد المطلب ، أما رضيتم أن يتنبأ
رجالكم حتى تنبأ نساؤكم ؟ قد زعمت عاتكة في رؤياها أنه قال : انفروا في ثلاث .
فسنتربص بكم هذه الثلاث ، فإن يك حقا ماتقول فسيكون ، وإن تَمُض الثلاث ولم يكن
من ذلك شيء نكتب عليكم كتابا أنكم أكذب أهل بيت في العرب .

قال العباس : فوالله ما كان مني إليه كبير شيء ، إلا أني جحدت ذلك وأنكرت
أن تكون رأت شيئا .

قال : ثم تفرقنا ، فلما أمسيت لم تبق امرأة من بني عبد المطلب إلا أتتني فقالت :
أقررتم لهذا الفاسق الخبيث أن يقع في رجالكم ، ثم قد تناول النساء وأنت تسمع ،
ثم لم يكن عندك غيرة لشيء مما سمعت ؟ قال : قلت : قد والله فعلت ، ما كان مني إليه
من كبير ، وأيم الله لأعرضنَّ له ، فإذا عاد لأكفيكنه .

قال : ففدت في اليوم الثالث من رؤيا عاتكة وأنا حديد مغضب ، أرى أني قد
فاتني منه أمر أحب أن أدركه منه .

قال : فدخلت المسجد فرأيت ، فوالله إنني لأمشي نحوه أعرضه ليعود لبعض
أما قال فأتع به ، وكان رجلا خفيفا حديد الوجه ، حديد اللسان حديد النظر ، قال :

إذ خرج نحوَ باب المسجد يشتد ، قال : قلت في نفسي : ماله لعنه الله ؟ أكلُ هذا فَرَقَ مني أن أُشَاتمه ؟ ! وإذا هو قد سمع ما لم أسمع ؛ صوتَ ضَمْضَم بن عمرو الغِفَارِي وهو يصرخ ببطن الوادي واقفا على بعيره ، قد جدع بعيره وحوّل رَحْلَه وشقّ قميصه وهو يقول : يامعشر قريش اللطيمة اللطيمة ، أموالكم مع أبي سفيان قد عَرَض لها محمد في أصحابه لا أرى أن تدركوها ، الغوث الغوث .

قال : فشغلني عنه وشغله عني ما جاء من الأمر .

فتجهز الناسُ سُرَاعًا وقالوا : أیظن محمد وأصحابه أن تكون كعير ابن الحضرمي ؟ !
[كَلَّا] ^(١) والله ليعلمنَّ غير ذلك .

وذكر موسى بن عُقبة رؤيا عاتكة كنعو من سياق ابن إسحاق .

قال : فلما جاء ضَمْضَم بن عمرو على تلك الصفة ، خافوا من رؤيا عاتكة فخرجوا على الصَّعب والذلول .

قال ابن إسحاق : فكانوا بين رجلين : إما خارج وإما باعث مكانه رجلا ، وأوعبت قريش فلم يتخلف من أشرافها أحد ، إلا أن أباهب بن عبد المطلب باعث مكانه العاصي بن هشام بن المغيرة ، استأجره بأربعة آلاف درهم كانت له عليه قد أفلس بها .

قال ابن إسحاق : وحدثني ابن أبي نَجِيح أن أمية بن خلف كان قد أجمع القعود ، وكان شيخا جليلا جسيما ثقيلا ، فأتاه عُقبة بن أبي مُعَيْط ، وهو جالس في المسجد بين ظهراني قومه ، بمجمرَةٍ يحملها فيها نار وتَجْمَر ، حتى وضعها بين يديه ثم قال : ياأبا علي استجمرْ فإنما أنت من النساء !

(١) من ابن هشام .

قال : قبحك الله ، وقبح ما جئت به . قال : ثم تجهز وخرج مع الناس .
هكذا قال ابن إسحاق في هذه القصة .

وقد رواها البخاري^(١) على نحو آخر فقال : حدثني أحمد بن عثمان ، حدثنا شريح
ابن مسلمة ، حدثنا إبراهيم بن يوسف ، عن أبيه ، عن أبي إسحاق ، حدثني عمرو بن
ميمون ، أنه سمع عبد الله بن مسعود حدث عن سعد بن معاذ ، أنه كان صديقا لأمية بن
خلف ، وكان أمية إذا مرَّ بالمدينة نزل على سعد بن معاذ ، وكان سعد إذا مرَّ بمكة
نزل على أمية .

فلما قَدِم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة انطلق سعد بن معاذ معتمراً فَنَزَلَ
على أمية بمكة ، قال سعد لأمية : انظر لي ساعة خَلْوة لعلِّي أطوف بالبيت ، فخرج به قريباً
من نصف النهار ، فلقِيهما أبو جهل ، فقال : يا صفوان من هذا معك ؟ قال : هذا سعد .
قال له أبو جهل : ألا أراك تطوف بمكة آمناً وقد أوتيت الصُّبَاة وزعمتم أنكم تنصرونهم
وتعينونهم ، أما والله لولا أنك مع أبي صفوان مارِجَتَ إلى أهلك سالماً .
فقال له سعد ، ورفع صوته عليه : أما والله لئن منعتني هذا لأمنعتك ما هو أشدُّ عليك
منه : طريقك على المدينة .

فقال له أمية : لا ترفع صوتك يا سعد على أبي الحكم ، فإنه سيدُ أهل الوادي . قال
سعد : دَعْنَا عَنْكَ يَا أمية ، فوالله لقد سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : «إنهم
قاتلونك» قال : بمكة ؟ قال : لا أدري .

ففرغ لذلك أمية فرعاً شديداً

فلما رجع إلى أهله قال : يا أم صفوان ألم تَرَيِ ما قال لي سعد ؟ قالت :
وما قال لك ؟ .

(١) في أول كتاب المغازي ، باب ذكر النبي صلى الله عليه وسلم من يقتل ببدر .

قال : زعم أن محمداً أخبرهم أنهم قاتلوا ، فقلت له : بمكة ؟ قال : لا أدري .
فقال أمية : والله لا أخرج من مكة .

فلما كان يوم بدر ، استنفر أبو جهل الناس ، فقال : أدركوا عيركم . ففكره أمية
أن يخرج ، فأنابه أبو جهل فقال : يا أبا صفوان ، إنك متى يراك الناس قد تحلف ، وأنت
سيد أهل الوادي ، تحلفوا معك .

فلم يزل به أبو جهل حتى قال : أما إذ غلبتني ^(١) فوالله لأشتري أجود
بغير بمكة .

ثم قال أمية : يا أم صفوان جهزني . فقالت له : يا أبا صفوان ، وقد نسيت ما قال
لك أخوك اليتيم ؟ قال : لا ، وما أريد أن أجوز معهم إلا قريبا .

فلما خرج أمية أخذ لا ينزل منزلا إلا عقل بعيره ، فلم يزل كذلك حتى قتله
الله ببدر .

وقد رواه البخاري في موضع آخر ^(٢) ، عن محمد بن إسحاق ، عن عبيد الله بن موسى ،
عن إسرائيل ، عن أبي إسحاق به نحوه .
تفرد به البخاري .

وقد رواه الإمام أحمد ، عن خلف بن الوليد ، وعن أبي سعيد ، كلاهما عن إسرائيل
وفي رواية إسرائيل قالت له امرأته : والله إن محمداً لا يكذب .

قال ابن إسحاق : ولما فرغوا من جهازهم وأجمعوا المسير ذكروا ما كان ^(٣)
بينهم وبين بني بكر بن عبد مناة بن كنانة من الحرب ، فقالوا : إنا نخشى أن يأتونا

(١) الأصل : عبتني . وهو تحريف ، وما أثبتته من صحيح البخاري .

(٢) في باب علامات النبوة . (٣) الأصل : ما كانوا . وما أثبتته عن ابن هشام

مِنْ خَلْفَنَا . وكانت الحرب التي كانت بين قريش وبين بنى بكر في ابنِ لِحَفْصِ بن الأَخِيفِ من بنى عامر بن لُؤى ، قتله رجل من بنى بكر ، بإشارة عامر بن يزيد بن عامر بن المُلَوَّح ، ثم أخذ بثأره أخوه مِكَرَز بن حَفْص ، فقتل عامراً وخاض بسيفه في بطنه ، ثم جاء من الليل فعلقه بأستار الكعبة ، فخافوهم بسبب ذلك الذى وقع بينهم .

قال ابن إسحاق : لخدثنى يزيد بن رومان ، عن عروة بن الزبير قال : لما أجمعت قريش المسيرَ ذكرت الذى كان بينها وبين بنى بكر ، فكاد ذلك أن يَنْتَهِم ، فبتدئ لهم إبليس في صورة سُرَاقَة بن مالك بن جُعْشُم المَذَلْجى ، وكان من أشرف بنى كنانة ، فقال : أنا لكم جارٌّ مِنْ أَنْ تَأْتِيَكُمْ كِنَانَة من خَلْفَكُمْ بشيء تَكْرَهُونه . فخرجوا سراعا .

قلت : وهذا معنى قوله تعالى : « ولا تكونوا كالذين خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيط . وَإِذْ زَيْنُ الشَّيْطَانُ أَعْمَاهُمْ وَقَالَ : لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّى جَارٌّ لَكُمْ . فَلَمَّا تَرَأَتِ الْقِفَّتَانُ نَكَصَ عَلَى عَقَبَيْهِ وَقَالَ : إِنِّى بَرِئٌ مِنْكُمْ إِنِّى أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّى أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ^(١) » .

غَرَّهم لعنه الله حتى ساروا وسار معهم منزلة منزلةً ، ومعه جنوده وراياته ، كما قاله غير واحد منهم ، فأسلمهم لمصارعهم . فلما رأى الجدَّ والملائكة تنزل للنصر وعابن جبريل نكص على عقبيه وقال : إِنِّى بَرِئٌ مِنْكُمْ إِنِّى أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّى أَخَافُ اللَّهَ . وهذا كقوله تعالى : « كَتَلَ الشَّيْطَانُ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُر . فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِئٌ مِنْكَ إِنِّى أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ » ^(٢) :

وقد قال الله تعالى : « وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا » ^(٣) .

فإبليس لعنه الله لما عاين الملائكة يومئذ تنزل للنصر فرّ ذاهباً ، فكان أولَ مَنْ هرب يومئذ ، بعد أن كان هو المشجّع لهم المحير لهم ، كما غرّهم ووعدهم ومنّاهم ، وما بعدهم الشيطانُ إلا غرورا .

وقال يونس عن ابن إسحاق : خرجت قريش على الصَّعب والدَّلُول في تسعمائة وخمسين مقاتلا معهم مائتا فرس يقودونها ، ومعهم القِيَّان يضرّون بالدُفوف ويغنّين بهجاء المسلمين .

وذكر المطعمين لقريش يوماً يوماً .

وذكر الأموى : أن أولَ مَنْ نحر لهم حين خرجوا من مكة أبو جهل ، نحر لهم عشراً ، ثم نحر لهم أمية بن خلف بعسفان تسعاً ، ونحر لهم سهيلُ بن عمرو بقديد عشراً ، ومالوا من قديد إلى ميساه نحو البحر فظلوا ^(١) فيها وأقاموا بها يوماً . فنحر لهم شيبةُ بن ربيعة تسعاً ، ثم أصبحوا بالجحفة فنحر لهم يومئذ عتبة بن ربيعة عشراً ، ثم أصبحوا بالأبواء فنحر لهم نُبَيْه ومُنْبه ابنا الحجاج عشراً ، ونحر لهم العباس بن عبد المطلب عشراً ، ونحر لهم على ماء بدر أبو البختري عشراً ، ثم أكلوا من أزوادهم .

قال الأموى : حدثنا أبي ، حدثنا أبو بكر الهذلي ، قال : كان مع المشركين ستون فرساً وستمئة درع ، وكان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فرسان وستون درعاً . هذا ما كان من أمر هؤلاء في تَفْيِدهم من مكة ومسيرهم إلى بدر .

وأما رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ابن إسحاق : وخرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم في لياليِ مُضْتٍ من شهر رمضان في أصحابه ، واستعمل ابنَ أم مكتوم على الصلاة بالناس ، وردَّ أبا كُبَّابة من الرِّوْحاء واستعمله على المدينة .

(١) في شرح الواهب : فظلوا فأقاموا يوماً .

ودَفَعَ اللّواءَ إلى مُضْعَبِ بْنِ عُمَيْرٍ وَكَانَ أَبْيَضَ ، وَبَيْنَ يَدَي رَسولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَائِتانِ سَوْدَاوانِ ، إِحْداهُما مَعَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ يُقالُ لَها : العُقَّابُ ، والأُخْرى مَعَ بَعْضِ الأَنْصارِ .

قال ابن هشام : كانت راية الأنصار مع سعد بن معاذ .
وقال الأُموي : كانت مع الحباب بن المنذر .

قال ابن إسحاق : وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم على الساقة قيسَ بنَ أبي صَعْصَعَةَ أَخا بَنِي مَازَنَ بْنِ النِجارِ . وقال الأُموي : وكان معهم فَرَسان ، على إِحْداهُما مُصْعَبُ ابْنِ عُمَيْرٍ ، وعلى الأُخْرى الزبير بن العوام ، ومن [الميمنة] سعد بن خيثمة ومن [الميسرة] المِقْدادُ ابنُ الأسود .

وقد روى الإمام أحمد من حديث أبي إسحاق ، عن حارثة بن مضرب ، عن علي ، قال : ما كان فينا فارسٌ يوم بدر غير المِقْدادِ .

وروى البيهقي من طريق ابن وهب ، عن أبي صخر ، عن أبي معاوية اليخني ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، أن علياً قال له : ما كان معنا إلا فرسان : فرس للزبير وفرس للمِقْدادِ بنِ الأسود ، يعني يوم بدر .

وقال الأُموي : حدثنا أبي ، حدثنا إسماعيل بن أبي خالد ، عن التيمي قال : كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر فارسان ، الزبير بن العوام على الميمنة ، والمِقْدادُ ابنُ الأسود على الميسرة .

قال ابن إسحاق : وكان معهم سبعون بعيراً يَعْتَقِبُونها ، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليّ ومَرْتَدُ بْنُ أَبِي مَرْتَدٍ يَعْتَقِبُونَ بَعيراً ، وكان حمزة وزيد بن حارثة وأبو كَبْشَةَ وَأَنسَةُ [مَوْلَيَا رسولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ] ^(١) يَعْتَقِبُونَ بَعيراً .

(١) من ابن هشام .

كذا قال ابن إسحاق رحمه الله تعالى .

وقد قال الإمام أحمد : حدثنا عفان ، عن حماد بن سلمة ، حدثنا عاصم بن بهدلة ، عن زِرِّ بن حُبَيْش ، عن عبد الله بن مسعود ، قال : كنا يومَ بدر كلُّ ثلاثة على بعير ، كان أبو لُبَابَةَ وَعَلَى زَمِيلَيَّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . قال : فكانت عُقْبَةُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقالا : نحن نمشي عنك . فقال : « ما أنتما بأقوى مني ، ولا أنا بأغنى عن الأجر منكما » .

وقد رواه النسائي ، عن الفلاس ، عن ابن مهدي ، عن حماد بن سلمة به . قلت : ولعل هذا كان قبل أن يردَّ أبا لُبَابَةَ مِنَ الرِّوْحَاءِ ، ثم كان زميلا له على ومَرَّتَهُ بدل أبي لُبَابَةَ . والله أعلم .

وقال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا سعيد ، عن قتادة ، عن زُرَّارة بن أبي أَوْفَى ، عن سعد بن هشام ، عن عائشة : أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمر بالأجراس أن تُقَطَّعَ من أعناق الإبل يوم بدر .

وهذا على شرط الصحيحين . وإنما رواه النسائي ، عن أبي الأشعث ، عن خالد بن الحارث ، عن سعيد بن أبي عروبة ، عن قتادة به .

قال شيخنا الحافظ المِزِّي في الأطراف : وتابعه سعيد بن بشر عن قتادة . وقد رواه هشام عن قتادة ، عن زُرَّارة ، عن أبي هريرة . فالحق أعلم .

وقال البخاري : حدثنا يحيى بن بُكَيْر ، حدثنا الليث ، عن عُقَيْل ، عن ابن شهاب ، عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك ، أن عبد الله بن كعب قال : سمعت كعب ابن مالك يقول : لم أتخلف عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في غزوةٍ غزاها إلا في غزوة تبوك ، غير أني تخلفت عن غزوة بدر ، ولم يعاتب الله أحدا تخلف عنها ، إنما

خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد غير قريش حتى جمع الله بينهم وبين عدوهم على غير ميعاد .

تفرّد به

قال ابن إسحاق : فسلك رسول الله صلى الله عليه وسلم طريقه من المدينة إلى مكة على نَقَبِ المدينة ، ثم على العقيق ، ثم على ذى الحليفة ، ثم على أولات الجيش ، ثم مرّ على تَرْبَان ، ثم على مَلَل ، ثم على غَميس الحمام ، ثم على صُخَيْرَات اليمامة ، ثم على السَّيَّالَة ، ثم على فَبَجِّ الرَّوْحاء ، ثم على شُنُوكة ، وهى الطريق المعتدلة .

حتى إذا كان بعرق الطَّيِّبَة لقي رجلاً من الأعراب ، فسأله عن الناس فلم يجدوا عنده خبراً ، فقال له الناس : سلّم على رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : أوفيكُم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ؟ قالوا : نعم . فسلّم عليه ، ثم قال : لئن كنت رسولَ الله فأخبرنى عما فى بطن ناقتى هذه . قال له سلمة بن سلامة بن وقش : لا تسأل رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، وأقبلْ علىّ فأنا أخبرك عن ذلك ، نزوتَ عليها فى بطنها منك سَخْلَة ^(١) . فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : مَهْ أَفْخِشْتَ على الرجل . ثم أعرض عن سلمة .

ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم سَجَسَج ، وهى بئر الروحاء ، ثم ارتحل منها ، حتى إذا كان منها بالمنصرف ترك طريق مكة بيسار وسلك ذات اليمين على النازية ، يريد بدرًا ، فسلك فى ناحية منها حتى إذا جَزَعَ واديا ^(٢) يقال له رُحْقَان ^(٣) بين النازية وبين مضيق الصفراء ، ثم على المضيق ، ثم انصبّ منه ، حتى إذا كان قريباً من الصفراء بعث

(١) السخلة : ولد الضأن أو الماعز ، واستعارها هنا لولد الناقة

(٢) جَزَعَ واديا : قطعه عرضاً . (٣) الأصل : وحقان . وما أثبتته عن ابن هشام .

بَسْبَسَ^(١) بن عمرو الجُهَنِي حليف بنى ساعدة وعدى بن أبي الزَّغْبَاء حليف بنى النجار إلى بدر ، يتجسسان الأخبار عن أبي سفيان صخر بن حرب وعيره .

وقال موسى بن عُقبة : بعثما قبل أن يخرج من المدينة ، فلما رجعا فأخبراه بخبر العير استنفر الناس إليها .

فإن كان ما ذكره موسى بن عقبة وابن إسحاق محفوظا فقد بعثما مرتين . والله أعلم .

قال ابن إسحاق رحمه الله : ثم ارتحل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد قدمها ، فلما استقبل الصفراء ، وهى قرية بين جبلين ، سأل عن جبلها ما اسمها^(٢) ؟ فقالوا : يقال لأحدهما مُسْلِح وللآخر تُحْرَى ، وسأل عن أهلها ف قيل : بنو النار ، وبنو حُرّاق ، بطنان من غِفَار . فكرههما رسول الله صلى الله عليه وسلم والمرور بينهما وتقاءل بأسمائهما وأسماء أهلها ، فتركهما والصفراء ييسار ، وسلك ذات اليمين على واد يقال له ذَفِران ، فجزع فيه ثم نزل .

وأناه الخبر عن قريش ومسيرهم لينعوا غيرهم .

فاستشار الناس وأخبرهم عن قريش .

فقام أبو بكر الصديق فقال وأحسن .

ثم قام عمر بن الخطاب فقال وأحسن .

(١) قال الزرقاني : ويقال له بسبسة ، كما وقع لجميع رواة مسلم وبعض رواة أبي داود . والأصح ما ذكره ابن إسحق . قال ابن الكلبي : إنه الذى أراداه الشاعر بقوله :

أَقِمْ لَهَا صُدُورَهَا يَا بَسْبَسُ إِنَّ مَطَايَا الْقَوْمِ لَا تُحْسَسُ

(٢) الأصل : ما أسماؤهما وما أثبتته عن ابن هشام .

ثم قام المقداد بن عمرو فقال : يا رسول الله امض لما أراك الله ، فنحن معك ، والله لا نقول لك كما قال بنو إسرائيل لموسى : اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون ، ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون ؛ فوالذى بعثك بالحق لو سرت بنا إلى برك الغماد ^(١) لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه .

فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم خيرا ودعا له .

ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أشيروا على أيها الناس » وإنما يريد الأنصار ، وذلك أنهم كانوا عدد الناس ، وأنهم حين بايعوه بالعقبة قالوا : يا رسول الله إنا برآء من ذمامك حتى تصل إلى ديارنا ، فإذا وصلت إلينا فأنت في ذمتنا نمنعك مما نمنع منه أبناءنا ونساءنا . فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخوف ألا تكون الأنصار ترى عليها نصره إلا من دهمه بالمدينة من عدوه ، وأن ليس عليهم أن يسير بهم إلى عدوٍ من بلادهم .

فما قال ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال له سعد بن معاذ : والله لكانك تريدنا يا رسول الله ؟ قال : « أجل » قال : فقد آمنا بك وصدقناك وشهدنا أن ما جئت به هو الحق ، وأعطيناك على ذلك عهدنا وموآثيقنا على السمع والطاعة لك ، فامض يا رسول الله إما أردت فنحن معك ، فوالذى بعثك بالحق لو استعرضت بنا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد ، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غداً ، إنا لصبر في الحرب صدق عند اللقاء ، لعل الله يريك منا ما تقر به عينك ، فسير على بركة الله .

قال : فسر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقول سعد ونشطه ، ثم قال : « سيروا

(١) برك الغماد : قال المازمي : موضع على خمس ليال من مكة إلى جهة اليمن . وقال البكرى : هي أقصى هجر . وقال الهمداني : هو في أقصى اليمن من شرح المواهب ١/٤١٢ .

وأبشروا ، فإن الله قد وعدني إحدى الطائفتين ، والله لكأني الآن أنظر إلى مصارع القوم .

هكذا رواه ابن إسحاق رحمه الله . وله شواهد من وجوه كثيرة .

فمن ذلك ما رواه البخاري في صحيحه : حدثنا أبو نعيم ، حدثنا إسرائيل ، عن مُخَارِق ، عن طارق بن شهاب ، قال سمعت ابن مسعود يقول : شهدت من المقداد بن الأسود مشهداً لأن أكون صاحبه أحبُّ إلى مما عُدِلَ به ، أتى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يدعو على المشركين . فقال : لا نقول كما قال قوم موسى لموسى : اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون . ولكن نقاتل عن يمينك وعن شمالك وبين يديك وخلفك .

فرايتُ النبي صلى الله عليه وسلم أشرق وجهه وسرَّه .

انفرد به البخاري دون مسلم ، فرواه في مواضع من صحيحه من حديث مُخَارِق به ، ورواه النسائي من حديثه ، وعنده : وجاء المقدادُ بن الأسود يوم بدر على فرسٍ . فذكره .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبيدة ، هو ابن حميد ، عن حميد الطويل ، عن أنس ، قال : استشار النبي صلى الله عليه وسلم تخرجه إلى بدر ، فأشار عليه أبو بكر ، ثم استشارهم فأشار عليه عمر ، ثم استشارهم فقال بعض الأنصار : إياكم يريد رسول الله يامعشر الأنصار .

فقال بعض الأنصار : يا رسول الله ، إذأ لا نقول كما قالت بنو إسرائيل لموسى : اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون ، ولكن والذي بعثك بالحق لو ضربت أكبادها إلى برك الغماد لاتبعناك .

وهذا إسناد ثلاثي صحيح على شرط الصحيح .

وقال أحمد أيضاً : حدثنا عفان ، حدثنا حماد ، عن ثابت ، عن أنس بن مالك ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم : شاور حين بلغه إقبال أبي سفيان ، قال : فتكلم أبو بكر فأعرض عنه ، ثم تكلم عمر فأعرض عنه ، فقال سعد بن عباد : إيانا يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والذي نفسى بيده لو أمرتنا أن نخيضها البحار لأخضناها ، ولو أمرتنا أن نضرب أكبادها إلى برك الغماد لفعلنا .

فندب رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس .

قال : فانطلقوا حتى نزلوا بدرأ ، ووردت عليهم روايا قریش وفيهم غلام أسود لبنى الحجاج فأخذوه ، وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألونه عن أبي سفيان وأصحابه فيقول : مالى علم بأبي سفيان ، ولكن هذا أبو جهل بن هشام وعتبة بن ربيعة ومية بن خلف . فإذا قال ذلك ضربوه ، فإذا ضربوه . قال : نعم ، أنا أخبركم ، هذا أبو سفيان . فإذا تركوه فسألوه قال : مالى بأبي سفيان علم ، ولكن هذا أبو جهل وعتبة وشيبة وأميه . فإذا قال هذا أيضاً ضربوه .

ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يصلى ، فلما رأى ذلك انصرف فقال : والذي نفسى بيده إنكم لتضربونه إذا صدق وتتركونه إذا كذبكم .

قال : وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هذا مضرع فلان ، يضع يده على الأرض هاهنا وهاهنا ، فما أطاق أحدكم عن موضع يد رسول الله صلى الله عليه وسلم .
ورواه مسلم عن أبي بكر ، عن عفان به نحوه .

وقد روى ابن أبي حاتم فى تفسيره وابن مردويه ، واللفظ له ، من طريق عبد الله ابن كريمة ، عن يزيد بن أبى حبيب ، عن أسلم ، عن أبى عمران ، أنه سمع أبا أيوب الأنصارى يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن بالمدينة : « إني أخبرت عن غير أبى سفيان أنها مقبلة ، فهل لكم أن نخرج قبل هذه العير لعل الله يغنمهاها ؟ » فقلنا : نعم .

نخرج وخرجنا ، فلما سرنا يوماً أو يومين قال لنا : « ماترون في القوم ، فإنهم قد أخبروا بمخرجكم ؟ » فقلنا : لا والله ما لنا طاقة بقتال القوم ، ولكننا أردنا العير .
ثم قال : « ماترون في قتال القوم ؟ » فقلنا مثل ذلك .

فقام المقداد بن عمرو [فقال] : إذاً لا نقول لك يا رسول الله كما قال قوم موسى لموسى : اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون .

قال : فتمنينا معشر الأنصار لو أننا قلنا مثل ما قال المقداد ، أحب إلينا من أن يكون لنا مال عظيم ، فأنزل الله عز وجل على رسوله : « كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وإن فريقاً من المؤمنين لكارهون » وذكر تمام الحديث .

ورى ابن مردويه أيضاً ، من طريق محمد بن عمرو بن علقمة بن وقاص الليثي ، عن أبيه عن جده ، قال : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بدر ، حتى إذا كان بالزواء خطب الناس فقال : « كيف ترون ؟ » فقال أبو بكر : يا رسول الله بلغنا أنهم بكذا وكذا . قال : ثم خطب الناس فقال : « كيف ترون ؟ » فقال عمر مثل قول أبي بكر .
ثم خطب الناس فقال : « كيف ترون ؟ » .

فقال سعد بن معاذ : يا رسول الله إيانا تريد ؟ فوالذي أكرمك وأنزل عليك الكتاب ما سلكتها قط ولا لي بها علم ، ولئن سرت حتى تأتي برك الغداح من ذي يمن لنسيرن معك ، ولا نكون كالذين قالوا لموسى : اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون . ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكم متبعون ، ولعل أن تكون خرجت لأمر وأحدث الله إليك غيره ، فانظر الذي أحدث الله إليك فامض ، فصل حبال من شئت ، واقطع حبال من شئت ، وعاد من شئت ، وسالم من شئت ، وخذ من أموالنا ما شئت .

فَنَزَلَ الْقُرْآنُ عَلَى قَوْلِ سَعْدٍ : « كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ ، وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ » الْآيَاتِ .

وَذَكَرَهُ الْأُمَوِيُّ فِي مَغَازِيهِ ، وَزَادَ بَعْدَ قَوْلِهِ : « وَخَذَ مِنْ أَمْوَالِنَا مَا شِئْتَ » : « وَأَعْطَانَا مَا شِئْتَ ؛ وَمَا أَخَذْتَ مِنْهَا كَانَ أَحَبَّ إِلَيْنَا مِمَّا تَرَكْتَ ؛ وَمَا أَمَرْتَ بِهِ مِنْ أَمْرٍ فَأَمَرْنَا تَبَعٌ لِأَمْرِكَ ، فَوَاللَّهِ لَأَنْتَ سَرْتُ حَتَّى تَبْلُغَ الْبَرَكُ مِنْ غَمْدَانٍ لِنَسِيرَنَّ مَعَكَ » .

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : ثُمَّ ارْتَحَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ ذَفْرَانَ ، فَسَلَكَ عَلَى ثَنَائِيَا يُقَالُ لَهَا الْأَصَافِرُ ، ثُمَّ انْحَطَّ مِنْهَا إِلَى بَلَدٍ يُقَالُ لَهُ الدَّابَّةُ ، وَتَرَكَ الْحَنَانُ بَيْمِينَ ، وَهُوَ كَثِيبٌ عَظِيمٌ كَالْجَبَلِ الْعَظِيمِ ، ثُمَّ نَزَلَ قَرِيبًا مِنْ بَدْرٍ ، فَرَكِبَ هُوَ وَرَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِهِ .
قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : هُوَ أَبُو بَكْرٍ .

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ ، كَمَا حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى بْنِ حَبَّانَ ، حَتَّى وَقَفَ عَلَى شَيْخٍ مِنَ الْعَرَبِ فَسَأَلَهُ عَنْ قَرِيشٍ وَعَنْ مُحَمَّدٍ وَأَصْحَابِهِ وَمَا بَلَغَهُ عَنْهُمْ ، فَقَالَ الشَّيْخُ : لَا أَخْبِرُكَ مَا حَتَّى تَخْبِرَانِي مِمَّنْ أَنْتُمَا ؟

فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِذَا أَخْبَرْتُنَا أَخْبِرْنَاكَ . فَقَالَ : أَوْ ذَاكَ بِذَاكَ ؟ قَالَ : نَعَمْ .

قَالَ الشَّيْخُ : فَإِنَّهُ بَلَغَنِي أَنَّ مُحَمَّدًا وَأَصْحَابَهُ خَرَجُوا يَوْمَ كَذَا وَكَذَا ، فَإِنْ كَانَ صَدَقَ الَّذِي أَخْبَرَنِي فَهَمَّ الْيَوْمَ بِمَكَانٍ كَذَا وَكَذَا . لِمَكَانٍ الَّذِي بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . وَبَلَغَنِي أَنَّ قَرِيشًا خَرَجُوا يَوْمَ كَذَا وَكَذَا ، فَإِنْ كَانَ الَّذِي أَخْبَرَنِي صَدَقَنِي فَهَمَّ الْيَوْمَ بِمَكَانٍ كَذَا وَكَذَا . لِمَكَانٍ الَّذِي بِهِ قَرِيشُ .

فَلَمَّا فَرَّغَ مِنْ خَبَرِهِ قَالَ : مِمَّنْ أَنْتُمَا ؟ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « نَحْنُ مِنْ مَاءٍ » ثُمَّ انْصَرَفَ عَنْهُ . قَالَ يَقُولُ الشَّيْخُ : مَا مِنْ مَاءٍ ؟ أَمِنْ مَاءِ الْعِرَاقِ ؟

قال ابن هشام : يقال لهذا الشيخ سُفَيان الضَّمَرى .

قال ابن إسحاق : ثم رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أصحابه ، فلما أَمَسَ بعث عليَّ بن أبي طالب والزبير بن العوام وسعد بن أبي وقاص ، في نفر من أصحابه ، إلى ماء بدر يلتمسون الخبر له ، كما حدثني يزيد بن رومان ، عن عروة بن الزبير .

فأصابوا راويةً لقريش فيها أسلم غلام بنى الحجاج ، وعريض أبو يسار غلام بنى العاص بن سعيد ، فأتوا بهما فسألوهما ، ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم قائمٌ يصلى ، فقالوا : نحن سقاة قريش بعثونا نسقيهم من الماء .

فكره القوم خبرهما ، ورجوا أن يكونا لأبي سفیان فضربوها ، فلما أذلقوها^(١) قالوا : نحن لأبي سفیان . فتركوها .

وركع رسول الله صلى الله عليه وسلم وسجد سجديته وسلم . وقال : « إذا صدقكم ضربتموها ، وإذا كذباكم تركتموها ! صدقا والله إنهما لقريش ، أخبراني عن قريش ؟ قالوا : هم [والله^(٢)] وراء هذا الكَثيب الذى ترى بالعدوة القصوى ، والكثيب المعنقل .

فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم : كم القومُ قالوا : كثير ، قال : ما عدتُهم ؟ قالوا : لا ندرى . قال : كم ينحرون كلَّ يوم ؟ قالوا : يوماً تسعاً ويوماً عشرة . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « القومُ ما بين التسعمائة إلى الألف » .

ثم قال لهما : فَمَنْ فيهم من أشرف قريش ؟

قالا : عتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، وأبو البَخْتَرى بن هشام ، وحكيم بن حزام ، ونوفل بن خويلد ، والحارث بن عامر بن نوفل ، وطُعيمة بن عدى بن نوفل ، والنضر

(١) أذلقوها : آذوهما . (٢) عن ابن هشام .

ابن الحارث ، وزمعة بن الأسود ، وأبو جهل بن هشام ، وأمّية بن خلف ، ونبیه ومنبه ابنا الحجاج ، وسُهیل بن عمرو وعمرو بن عبد ود .
قال : فأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم على الناس فقال : « هذه مكة قد ألقت إليكم أفلاذ كبدها » .

قال ابن إسحاق : وكان بسبس بن عمرو وعدى بن أبي الزغباء قد مضيا حتى نزلا بدرأ فأناخا إلى تلّ قريب من الماء ، ثم أخذا شئاً لهما يستقيان فيه ، ونجدى بن عمرو ألجھنى على الماء ، فسمع عدى وبسبس جاريتين من جواری الحاضر وهما يتلازمان ^(١) على الماء والملازمة تقول لصاحبتها : إنما تأتى العيرُ غداً أو بعد غد ، فأعملُ لهن ثم أقضيك الذى لك . قال نجدى : صدقت . ثم خلص بينهما .
وسمع ذلك عدى وبسبس فجلسا على بعيريهما ، ثم انطلقا حتى أتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأخبراه بما سمعا .

وأقبل أبو سفيان حتى تقدم العيرَ حذرا حتى ورد الماء ، فقال لمجدى بن عمرو : هل أحسست أحداً ؟ قال : ما رأيت أحداً أنكره ، إلا أنى قد رأيت راكبين قد أناخا إلى هذا التل ثم استقيا فى شئ لهما ثم انطلقا . فأتى أبو سفيان مناخهما فأخذ من أبعاد بعيريهما ففتته فإذا فيه النوى ، فقال : هذه والله علائف يثرب .

فرجع إلى أصحابه سريعا ، فضرب وجهه عيره عن الطريق فساحلَ بها ، وترك بدرأ بيسار ، وانطلق حتى أسرع .

وأقبلت قريش ، فلما نزلوا الجحفة رأى جهم بن الصلت بن مخزومة بن المطلب بن عبد مناف رؤيا ، فقال : إني رأيت فيما يرى النائم ، وإني لبئن النائم واليقظان ، إذ

(١) يتلازمان : يتقاضيان .

نظرت إلى رجل قد أقبل على فرس حتى وقف ومعه بعير له ، ثم قال : قُتِلَ عتبة بن ربيعة ،
وشيبة بن ربيعة ، وأبو الحكم بن هشام ، وأممية بن خلف وفلان وفلان ؛ فعدَّ رجالاً
من قُتِلَ يوم بدر من أشرف قريش ، ثم رأيتُه ضرب في لَبَّةٍ بعيره ثم أرسله في العسكر
فما بقي خِباء من أخبية العسكر إلا أصابه نَضْحٌ من دمه .

فبلغت أبا جهل لعنه الله فقال : هذا أيضاً نبيٌّ آخر من بني المطلب ! سيعلم غداً مَنْ
المقتولُ إن نحن التقينا .

قال ابن إسحاق : ولما رأى أبو سفيان أنه قد أحرزَ غيره أرسل إلى قريش : إنكم
إنما خرجتم لتنعوا غيركم ورجالكم وأموالكم ، فقد نجَّها الله فارجعوا .

فقال أبو جهل بن هشام : والله لا ترجع حتى تَرِدَ بدرًا ، وكان بدرٌ موسماً من مواسم
العرب يجتمع لهم به سوق كلِّ عام ، فنقيم عليه ثلاثاً فننحر الجزور^(١) ونطعم الطعام
ونسقي الخمر ونَعْرِفُ علينا القِيانَ ونسمع بنا العرب وبمسيرنا وجَعْنُنا ، فلا يزالون يهابوننا
أبدًا ، فامضوا .

وقال الأَخْنَسُ بن شَرِيق بن عمرو بن وهب الثَّقَفِيُّ ، وكان حليفاً لبني زُهرة ، وهم
بالجحفة : يا بني زهرة قد نَجَّى الله لسكم أموالكم ، وخالَصَ لكم صاحبكم مخَرَّمَةُ بن
نوفل ، وإنما نَفَرْتُم لتنعوه وماله ، فاجعلوا^(٢) بي جُنْبَهَا وارجعوا ، فإنه لا حاجة لكم
بأن تخرجوا في غير ضَيْعَةٍ ، لا ما يقول هذا .

قال : فرجعوا فلم يشهدوا زُهْرِيَّ واحد ، أطاعوه وكان فيهم مُطاعا .
ولم يكن بَقِيَ بطنٌ من قريش إلا وقد نَفَرَ منهم ناس إلا بني عَدَى ، لم يخرج منهم

(١) ابن هشام : الجزر . (٢) ابن هشام : فاجعلوا لي .

رجل واحد ، فرجعت بنو زهرة مع الأخنس ، فلم يشهد بدرأ من هاتين القبيلتين أحد .

قال : ومضى القوم ، وكان بين طالب بن أبي طالب ، وكان في القوم ، وبين بعض قريش محاورة ، فقالوا : والله لقد عرفنا يابني هاشم ، وإن خرجتم معنا ، أن هواكم مع محمد . فرجع طالب إلى مكة مع من رجع ، وقال في ذلك :

لَا هُمْ إِمَّا يَغْزُونَ طالباً في عُصْبَةٍ مُحَارَبُ
فِي مِقْنَبٍ مِنْ هَذِهِ الْمَقَانِبِ ^(١) فليكن الملسوبُ غيرَ السالِبِ
وليكن المغلوبُ غيرَ الغالبِ

قال ابن إسحاق : ومضت قريش حتى نزلوا بالعدوة القصوى من الوادى خلف العَقَنْقَلِ وبطن الوادى وهو يَلِيلُ ، بين بدر وبين العَقَنْقَلِ الكثيبُ الذى خَلْفَهُ قريش ، والقلب ببدر فى العدوّة الدنيا من بطن يَلِيلٍ إلى المدينة .

قلت : وفى هذا قال تعالى « إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُمْ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ » أى من ناحية الساحل « وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لِاخْتَلَقْتُمْ فِي الْمِيعَادِ ، وَلَكِنْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا » ^(٢) الآيات .

وبعث الله السماء ، وكان الوادى دَهْشًا ^(٣) فأصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه منها ماءً لَبَدَ لهم الأرضَ ولم يمنعهم من السير ، وأصاب قريشا منها ماءً لم يقدروا على أن يرتحلوا معه .

(١) المِقْنَب : الجماعة من الخيل مقدارها ثلاثمائة أو نحوها .

(٢) سورة الأنفال ٤٢ (٣) دَهْشًا : لينا .

قلت : وفي هذا قوله تعالى « وَيُنَزِّل عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رَجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ » ^(١) .

فذكر أنه طهرهم ظاهراً وباطناً ، وأنه ثبت أقدامهم وشجع قلوبهم وأذهب عنهم تخذيل الشيطان وتخويقه للنفوس ووسوسته الخواطر ، وهذا تثبيت الباطن والظاهر ، وأنزل النصر عليهم من فوقهم في قوله : « إِذْ يُوحَىٰ رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِي مَعَكُمْ ، فَثَبَّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا ، سَالَتْ فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ ، فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ » أي على الرؤوس « وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ » أي لئلا يستمسك منهم السلاح « ذَلِكَ بَأْنَهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ، ذَلِكَمَ فُذُّ قَوْمِهِ وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ » ^(٢) .

قال ابن جرير : حدثني هارون بن إسحاق ، حدثنا مُصْعَبُ بْنُ الْقُدَامِ ، حدثنا إسرائيل ، حدثنا أبو إسحاق ، عن حارثة ، عن علي بن أبي طالب ، قال : أصابنا من الليل طَشٌ ^(٣) من المطر ، يعني الليلة التي كانت في صبيحتها وقعة بدر ، فانطلقنا تحت الشجر والحُجُف ^(٤) نستظل تحتها من المطر ، وبات رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني قائماً يصلي ، وحرّض على القتال .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرحمن بن مهدي ، عن شُعْبَةَ عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ ، عن حارثة بن مضرب ، عن علي ، قال : ما كان فينا فارسٌ يوم بدر إلا المقداد ؛ ولقد رأيتنا وما فينا إلا نائم إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت شجرة يصلي ويبكي حتى أصبح .

وسياق هذا الحديث مطولا .

(١) سورة الأنفال ١٢ . (٢) سورة الأنفال ١٣ ، ١٤ . (٣) الطش : المطر الضعيف ، وهو فوق الرذاذ . (٤) الحُجُف : جمع حُجُفَة وهي الترس الصغير يطارق بين جلدتين .

ورواه النسائي عن بُندار، عن غُنْدَر، عن شُعْبَةَ به . وقال مجاهد : أنزل عليهم المطر فأطفأ به الغبار وتلبدت به الأرض وطابت به أنفسهم وتبقت به أقدامهم .
قلت : وكانت ليلة بدر ليلة الجمعة السابعة عشر من شهر رمضان ، سنة ثنتين من الهجرة ، وقد بات رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الليلة يصلي إلى جذم شجرة هناك ، ويكثر في سجوده أن يقول : « يا حيّ يا قيوم » يكرر ذلك ويُلظُّ به عليه السلام .

قال ابن إسحاق : فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يبادرهم إلى الماء حتى جاء أدنى ماء من بدر نزل به .

قال ابن إسحاق : فحدثت عن رجال من بني سلمة ، أنهم ذكروا أن الحباب ابن منذر بن الجحوح قال : يارسول الله أرأيتَ هذا المنزل ، أمئزلاً أنزلكه الله ليس لنا أن نتقدمه ولا نتأخر عنه ، أم هو الرأي والحرب والمكيدة ؟
قال : بل هو الرأي والحرب والمكيدة .

قال : يارسول الله ، فإن هذا ليس بمنزل ، فامض بالناس حتى نأتى أدنى ماء من القوم فننزله ، ثم نفور ماوراء من القلب ، ثم نبني عليه حوضاً فنملؤه ماء ، ثم نقاتل القوم فنشرب ولا يشربون .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لقد أشرت بالرأى » .

قال الأموي : حدثنا أبي ، قال : وزعم الكلبي ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس ، قال : بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يجمع الأقباص^(١) وجبريل عن يمينه إذا أتاه ملك من الملائكة فقال : يا محمد إن الله يقرأ عليك السلام . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(١) بالأصل غير منقوطة . ولم أجد هذا النص ، والقبس : الجماعة من الناس .

« هو السلام ومنه السلام وإليه السلام » فقال الملك : إن الله يقول لك : إن الأمر الذى أمرك به الحبابُ بن المنذر .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا جبريل هل تعرف هذا ؟ فقال : ما كلَّ أهل السماء أعرف ، وإنه لصادق وما هو بشيطان .

فنهض رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ومن معه من الناس فسار حتى أتى أدنى ماء من القوم نزل عليه ، ثم أمر بالقلب فغُورَّت ، وبني حوضاً على القلب الذى نزل عليه فلى ماء ، ثم قذفوا فيه الآنية .

وذَكَرَ بعضهم أن الحباب بن المنذر لما أشار بما أشار به على رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل ملك من السماء وجبريلُ عند النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال الملك : يا محمد ، ربُّك يقرأ عليك السلام ويقول لك : إن رأى ما أشار به الحباب ، فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى جبريل فقال : ليس كل الملائكة أعرفهم ، وإنه ملك وليس بشيطان .

وذَكَرَ الأُموي أنهم نزلوا على القلب الذى إلى المشركين نصفَ الليل ، وأنهم نزلوا فيه واستقوا منه وملاًوا الحياضَ حتى أصبحت ملاءً وليس للمشركين ماء .

قال ابن إسحاق : فحدثني عبد الله بن أبي بكر ، أنه حدث أن سعد بن معاذ قال يا نبي الله ألا نبني لك عريشاً تكون فيه ونعدُّ عندك ركائبك ، ثم نلقى عدونا ، فإن أعزَّنا الله وأظهرنا على عدونا كان ذلك ما أحببنا ، وإن كانت الأخرى جلست على ركائبك فلحقت بمن وراءنا من قومنا ، فقد تخلف عنك أقوام مانحن بأشدَّ حباً لك منهم ، ولو ظنوا أنك تلقى حرباً ما تخلفوا عنك ، يمنعك الله بهم يُنَاصِحونك ويجاهدون معك .

فَأَتْنِي عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَيْرًا وَدَعَا لَهُ بِخَيْرٍ ، ثُمَّ بُنِيَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَرِيشٌ كَانَ فِيهِ .

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : وَقَدْ ارْتَحَلَتْ قَرِيشٌ حِينَ أَصْبَحَتْ فَأَقْبَلَتْ .
فَلَمَّا رَأَاهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَصُوبٌّ مِنَ الْعَقَنْقَلِ ، وَهُوَ الْكَتِيبُ الَّذِي جَاءُوا مِنْهُ إِلَى الْوَادِي ، قَالَ : « اللَّهُمَّ هَذِهِ قَرِيشٌ قَدْ أَقْبَلَتْ بِجُيَلَاءِهَا وَفَخَرَهَا تُحَادُّكَ وَتَكْذِّبُ رُسُلَكَ ، اللَّهُمَّ فَتَصَرَّكَ الَّذِي وَعَدْتَنِي ، اللَّهُمَّ أَحْنِهِمْ ^(١) الْغَدَاةَ » .
وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَقَدْ رَأَى عَتَبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ فِي الْقَوْمِ وَهُوَ عَلَى جَمَلٍ لَهُ أَحْمَرٌ : إِنْ يَكُنْ فِي أَحَدٍ مِنَ الْقَوْمِ خَيْرٌ فَعِنْدَ صَاحِبِ الْجَمَلِ الْأَحْمَرِ ، إِنْ يَطِيعُوهُ يَرْشُدُوا .

قَالَ : وَقَدْ كَانَ خُفَافٌ بَنُ أَيْمَاءَ بْنِ رَحَضَةَ ، أَوْ أَبُوهُ أَيْمَاءُ بْنُ رَحَضَةَ الْغِفَارِيُّ ، بَعَثَ إِلَى قَرِيشٍ ابْنًا لَهُ بِجَزَائِرٍ أَهْدَاهَا لَهُمْ وَقَالَ : إِنْ أَحْبَبْتُمْ أَنْ تُنَدِّمَ بَسَاحٍ وَرِجَالٍ فَعَلْنَا قَالَ : فَأَرْسَلُوا إِلَيْهِ مَعَ ابْنِهِ : أَنْ وَصَلْتُكَ رَحِمَ ، وَقَدْ قَضَيْتَ الَّذِي عَلَيْكَ ، فَلَعَمْرِي إِنْ كُنَّا إِنَّمَا نَقَاتِلُ النَّاسَ مَا بِنَا ضَعْفٌ عَنْهُمْ ، وَإِنْ كُنَّا إِنَّمَا نَقَاتِلُ اللَّهَ ، كَمَا يَزْعُمُ مُحَمَّدٌ ، فَمَا لِأَحَدٍ بِاللَّهِ مِنْ طَاقَةٍ !

قَالَ : فَلَمَّا نَزَلَ النَّاسُ أَقْبَلَ نَفَرٌ مِنْ قَرِيشٍ حَتَّى وَرَدُوا حَوْضَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فِيهِمْ حَكِيمُ بْنُ حَزَامٍ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : دَعُوهُمْ . فَمَا شَرِبَ مِنْهُ رَجُلٌ يَوْمَئِذٍ إِلَّا قُتِلَ ، إِلَّا مَا كَانَ مِنْ حَكِيمِ بْنِ حَزَامٍ فَإِنَّهُ لَمْ يَقْتُلْ ، ثُمَّ أَسْلَمَ بَعْدَ ذَلِكَ فَخَسَنَ إِسْلَامَهُ ، فَكَانَ إِذَا اجْتَهَدَ فِي يَمِينِهِ قَالَ : لَا وَالَّذِي نَجَّأَنِي يَوْمَ بَدْرَ .

قُلْتُ : وَقَدْ كَانَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَئِذٍ ثَلَاثِمِائَةً وَثَلَاثَةَ عَشَرَ

(١) أَحْنَهُمْ : أَهْلَكَهُمْ .

رجلا كما سيأتى بيان ذلك فى فصل نَعْقِدُهُ بعد الوقعة ونذكر أسماءهم على حروف المعجم إن شاء الله .

فى صحيح البخارى عن البراء ، قال : كُنَّا نَتَحَدَّثُ ^(١) أَنَّ أَصْحَابَ بَدْرٍ ثَلَاثَةٌ وَبِضْعَةُ عَشْرٍ ، عَلَى عِدَّةِ أَصْحَابِ طَالُوتَ الَّذِينَ جَاوَزَا مَعَهُ النَّهْرَ ، وَمَا جَاوَزَهُ مَعَهُ إِلَّا مُؤْمِنٌ .

وللبخارى أيضا عنه قال : اسْتَصْغَرْتُ أَنَا وَابْنُ عُمَرَ يَوْمَ بَدْرٍ ، وَكَانَ الْمُهَاجِرُونَ يَوْمَ بَدْرٍ نَيْفًا عَلَى سِتِينَ ، وَالْأَنْصَارُ نَيْفٌ وَأَرْبَعُونَ وَمِائَتَانِ .

وروى الإمام أحمد عن نصر بن رِثَابٍ ، عن حجاج ، عن الحكم ، عن مقسم ، عن ابن عباس أنه قال : كَانَ أَهْلُ بَدْرٍ ثَلَاثَةً وَثَلَاثَةَ عَشْرٍ ، وَكَانَ الْمُهَاجِرُونَ سِتَّةً وَسَبْعِينَ وَكَانَتْ هَزِيمَةُ أَهْلِ بَدْرٍ لِسَبْعِ عَشْرَةِ مَضِينَ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ .

وقال الله تعالى : « إِذْ يُرِيكُهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا وَلَوْ أَرَاكَ كَثِيرًا لَفَشَيْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ ، وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ » ^(٢) الآية .

وكان ذلك فى منامه تلك الليلة . وقيل : إنه نام فى العريش ، وأمر الناس أن لا يقاتلوا حتى يأذن لهم ، فدنا القوم منهم فجعل الصديق يوقظه ويقول : يا رسول الله دنوا منا فاستيقظ . وقد أراه الله إياهم فى منامه قليلا .

ذكره الأموى وهو غريب جداً .

وقال تعالى : « وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ التَّيَمُّمِ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ ، لِيَقْضَى اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا » ^(٣) .

(١) البخارى . سمعت البراء رضى الله عنه يقول : حدثنى أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم من شهد بدرا أنهم كانوا عدة أصحاب طالوت .

(٢) سورة الأنفال ٤٤ .

(٣) سورة الأنفال ٤٣ .

فعند ما تقابل الفريقان قلَّ الله كلاًّ منهما في أعين الآخرين ليجترئ هؤلاء على هؤلاء وهؤلاء على هؤلاء ، لما له في ذلك من الحكمة البالغة .

وليس هذا معارضاً لقوله تعالى في سورة آل عمران : « قد كان لكم آيةٌ في فئتين التقتا ، فئةٌ تقاتل في سبيل الله ، وأخرى كافرةٌ يرونهم مثليهم رأيَ العين ، والله يؤيد بنصره من يشاء » .

فإن المعنى في ذلك على أصح القولين : أن الفرقة الكافرة ترى الفرقة المؤمنة مثلاً عدد الكافرة على الصحيح أيضاً ، وذلك عند التحام الحرب والمسايفة^(١) أوقع الله الوهن والرعب في قلوب الذين كفروا ، فاستدرجهم أولاً ، بأن أراهم إياهم عند المواجهة قليلاً ، ثم أيد المؤمنين بنصره ، فجعلهم في أعين الكافرين على الضعف منهم حتى وهنوا وضعفوا وغلبوا . ولهذا قال : « والله يؤيد بنصره من يشاء ، إن في ذلك لعلبةً لأولى الأبصار » . قال إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن أبي عبيد وعبد الله ، لقد قللوا في أعيننا يوم بدر ، حتى أنى لأقول لرجل إلى جنبي : أتراهم سبعين ؟ فقال : أراهم مائة !

قال ابن إسحاق : وحدثني أبي إسحاق بن يسار وغيره من أهل العلم ، عن أشياء من الأنصار قالوا : لما اطمأن القوم بعثوا عُمر بن وَهَب الجُمَحِي فقالوا اخزرننا القوم أصحاب محمد .

قال : فاستجال بفرسه حول العسكر ثم رجع إليهم فقال : ثلاثمائة رجل يز يدون قليلاً أو ينقصون ، ولكن أمهلوني حتى أنظر : ألقوم كمينٌ أو مدد .

قال : فضرب في الوادي حتى أبعد فلم ير شيئاً ، فرجع إليهم فقال : ما رأيت شيئاً ، ولكن قد رأيت يامعشر قريش البلايا تحمل المنايا ، نواضحٌ يترب تحمل الموت الناقع ،

(١) الأصل : والمسايفة وهو تحريف .

قومٌ ليس لهم منعة ولا ملجأ إلا سيوفهم ، والله ما أرى أن يُقتل رجلٌ منهم حتى يُقتل رجلاً منكم ، فإذا أصابوا منكم أعدادهم فما خيرُ العيش بعد ذلك !؟ فرَوَا رأيكم .
فلما سمع حكيم بن حزام ذلك مشى في الناس ، فأتى عتبة بن ربيعة فقال : يا أبا الوليد إنك كبير قریش وسيدها المطاع فيها ، هل لك إلى أن لا تزال تُذكر فيها بخير إلى آخر الدهر ؟

قال : وما ذاك يا حكيم ؟ قال : ترجع بالناس وتحمل أمرَ حليفك عمرو ابن الحضرمي . قال : قد فعلتُ ، أنت علىّ بذلك ، إنما هو حليفٌ فعليّ عقْله وما أصيب من ماله . فأُت ابن الحَنْظَلِيَّة ، يعني أبا جهل ، فأبى أن يأخذ ^(١) أمرَ الناس غيره .

ثم قام عتبة خطيباً فقال : يا معشر قریش إنكم والله ما تصنعون بأن تلقوا محمداً وأصحابه شيئاً ، والله لئن أصبتموه لا يزال الرجل ينظر إلى وجه رجل يكفره النظر إليه ، قتل ابن عمه ، أو ابن خاله ، أو رجلاً من عشيرته ، فارجعوا وخلوا بين محمد وبين سائر العرب ، فإن أصابوه فذلك الذي أردتم ، وإن كان غير ذلك ألقاكم ولم تعرّضوا منه ما تريدون .

قال حكيم : فانطلقت حتى جئت أبا جهل ، فوجدته قد نثل درعاً فهو يهينها ^(٢) فقلت له : يا أبا الحكم إن عتبة أرسلني إليك بكذا وكذا . فقال : انتفخ والله سحره ^(٣) حين رأى محمداً وأصحابه ، فلا والله لا نرجع حتى يحكم الله بيننا وبين محمد ، وما بعُتْبَةُ ما قال ، ولكنه رأى محمداً وأصحابه أكلة جزور ، وفيهم ابنه ، فقد تخوفكم عليه .
ثم بعث إلى عامر بن الحضرمي ؛ فقال : هذا حليفك يريد أن يرجع الناس ، وقد

(١) يشجر : يخالف ويفسد . وفي الأصل : يسجر . وما أثبتته عن ابن هشام (٢) نثل : أخرج .
ويهينها : يهينها ويصاحبها (٣) انتفخ سحره : جبن والسحر : الرثة .

رَأَيْتَ ثَارَكَ بِعَيْنِكَ فَقُمْ فَانْشُدْ خُفْرَتَكَ وَمَقْتَلَ أَخِيكَ .

فقام عامرُ بن الحضرمي فاكتشف ثم صرخ : واعمرأه واعمرأه . قال : فحُميت الحرب وحَقِبَ أمر الناس واستوثقوا على ما هم عليه من الشر ، وأفسد على الناس الرأي الذي دعاهم إليه عتبة .

فلما بلغ عتبة قولُ أبي جهل : انتفخ والله سَحْرَه ، قال : سيعلم مُصَفِّرُ استه^(١) من انتفخ سَحْرَه أنا أم هو !

ثم التمس عتبة بَيْضَةً ليدخلها في رأسه ، فما وجد في الجيش بَيْضَةً تَسَعُه مِنْ عِظَمِ رأسه ، فلما رأى ذلك اعتجر على رأسه يُرْدِله .

وقد روى ابنُ جرير من طريق مُسَوَّر بن عبد الملك اليربوعي ، عن أبيه ، عن سعيد بن المسيَّب قال : بينا نحن عند مروان بن الحكم إذ دخل حاجبه فقال : حكيم بن حزام يستأذن . قال : ائذن له . فلما دخل قال : مرحبا يا أبا خالد أدنُ ، فخال عن صدر المجلس حتى جلس بينه وبين الوسادة ثم استقبله فقال : حدثنا حديث بدر .

فقال : خرجنا حتى إذا كنا بالجحففة رجعت قبيلةٌ من قبائل قريش بأسرها ، فلم يشهد أحد من مشركيهم بدرًا ، ثم خرجنا حتى نزلنا العُدوة التي قال الله تعالى ، فحُتَّت عتبة بن ربيعة فقلت : يا أبا الوليد هل لك في أن تذهب بشرف هذا اليوم ما بقيت ؟ قال : أفعل ماذا ؟ قلت : إنكم لا تطلبون من محمد إلا دَمَ ابن الحضرمي وهو حليفك ، فتحَمَل بدِيته ويرجع الناس .

فقال : أنت علىَّ بذلك ، واذهب إلى ابن الحنظلية ، يعني أبا جهل ، فقل له :

(١) مصفر استه : أراد مصفر بدنه بالصفرة وهي الطيب . ولكنه قصد المبالغة بالذم فذكر ما يسوؤه أن يذكر .

هل لك أن ترجع اليوم بمن معك عن ابن عمك ؟

فجئته فإذا هو في جماعة من بين يديه ومن خلفه ، وإذا ابنُ الحضرمي واقف على رأسه وهو يقول : فسَخْتُ عقدي من عبد شمس ، وعقدي اليوم إلى بني مخزوم . فقلت له : يقول لك عتبة بن ربيعة : هل لك أن ترجع اليوم بمن معك ؟ قال : أما وجد رسولاً غيرك ؟ قلت : لا ، ولم أكن لأكون رسولاً لغيره .

قال حكيم : فخرجت مبادراً إلى عتبة لئلا يفوتني من الخبر شيء ، وعتبة متكئ على أيمناء بن رَحْصَةَ الغفاري ، وقد أهدى إلى المشركين عشرة جزائر .

فطلع أبو جهل الشرُّ في وجهه فقال لعتبة : انتفخ سَحْرُك ؟ فقال له عتبة : ستعلم . فسَلَّ أبو جهل سيفه فضرب به متن فرسه ، فقال أيمناء بن رَحْصَةَ : بئس القائل هذا . فعند ذلك قامت الحرب .

وقد صفَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه وعبَّاهم أحسن تعبئة .

فروى الترمذي عن عبد الرحمن بن عوف ، قال : صفَّنا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر ليلاً .

ورى الإمام أحمد من حديث ابن لهيعة ، حدثني يزيد بن أبي حبيب ، أنَّ أسلمَ أبا عمران حدَّته ، أنه سمع أبا أيوب يقول : صفَّنا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يومَ بدر ، فبدرت منا بادرةُ أمام الصف ، فنظر إليهم النبي صلى الله عليه وسلم فقال : « معي معي » .

تفرد به أحمد . وهذا إسناد حسن .

وقال ابن إسحاق : وحدثني حَبَّان بن واسع بن حَبَّان ، عن أشياخ من قومه ، أن

رسول الله صلى الله عليه وسلم عدل صفوف أصحابه يوم بدر ، وفي يده قِذْحٌ ^(١) يعدل به القوم ، فر بسواد بن غزيرة حليف بنى عدى بن النجار وهو مُسْتَنْتَلٌ ^(٢) من الصف . فطعن في بطنه بالقِذْح وقال : « استَوِ ياسواد » .

فقال : يا رسول الله أوجعتني وقد بعثك الله بالحق والعدل فأقذني . فكشف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بطنه فقال : استقِذْ . قال : فاعتنقه فقبل بطنه ، فقال : ما حملك على هذا يا سواد ؟ قال : يا رسول الله حضر ما ترى ، فأردتُ أن يسكون آخر العهد بك أن يمسَّ جلدى جلدك .

فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم بخير وقاله .

قال ابن إسحاق : وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة ، أن عوف بن الحارث ، وهو ابن عفراء ، قال : يا رسول الله ما يضحك ^(٣) الربَّ من عبده ؟ قال : « عَمَّسُهُ يَدَهُ في العدو حاسراً » .

فنزعه درعا كانت عليه فقتلها ، ثم أخذ سيفه فقاتل حتى قُتل رضى الله عنه .

قال ابن إسحاق : ثم عدل رسول الله صلى الله عليه وسلم الصفوف ورجع إلى العريش فدخله ومعه أبو بكر ليس معه فيه غيره .

وقال ابن إسحاق وغيره : وكان سعد بن معاذ رضى الله عنه واقفاً على باب العريش متقلداً بالسيف ومعه رجال من الأنصار ، يحرسون رسول الله صلى الله عليه وسلم خوفاً عليه من أن يذَّهمه العدو من المشركين ، والجنائبُ النجائبُ مهتأة لرسول الله صلى الله عليه وسلم إن احتاج إليها ركبها ورجع إلى المدينة ، كما أشار به سعد بن معاذ .

وقد روى البزار في مسنده من حديث محمد بن عقييل ، عن عليٍّ أنه خطبهم فقال : يا أيها الناس من أشجعُ الناس ؟ فقالوا : أنت يا أمير المؤمنين .

(١) القدح السهم . (٢) مستنزل : متقدم . (٣) يضحك : يرضى .

فقال : أما إني ما بارزني أحد إلا انتصفتُ منه ، ولكن هو أبو بكر ، إنا جعلنا لرسول الله صلى الله عليه وسلم عريشاً فقلنا : من يكون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لئلا يَهْوَى إليه أحدٌ من المشركين ؟ فوالله ما دنا منا أحد إلا أبو بكر شاهراً بالسيف على رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يَهْوَى إليه أحد إلا أهوى إليه . فهذا أشجع الناس .

قال : ولقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخذته قريش ، فهذا يحادّه ، وهذا يُتَلْتَلِه ، ويقولون : أنت جعلت الآلهة إلهاً واحداً ، فوالله ما دنا منا أحد إلا أبو بكر يضرب ويجاهد هذا ويُتَلْتَل هذا ، وهو يقول : ويلكم ! أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله .

ثم رفع على بردة كانت عليه فبكي حتى اخضلت لحيته ثم قال : أنشدكم الله : أمؤمن آلِ فرعون خيرٌ أم هو ؟ فسكت القوم ، فقال على : فوالله لساعةً من أبي بكر خير من ملء الأرض من مؤمن آل فرعون ، ذاك رجلٌ يَكُفُّ إيمانه ، وهذا رجل أعلن إيمانه .

ثم قال البزار : لا نعلمه يروى إلا من هذا الوجه .

فهذه خصوصية للصديق ، حيث هو مع الرسول في العريش ، كما كان معه في الغار رضى الله عنه وأرضاه .

ورسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر الاتِّهَال والتضرع والدعاء ، ويقول فيما يدعو به : « اللهم إنك إن تهلك هذه العصابة لا تُعبد بعدها في الأرض » وجعل يهتف بربه عز وجل ويقول : « اللهم أنجز لي ما وعدتني ، اللهم نصرّك » .

ويرفع يديه إلى السماء حتى سقط الرداء عن منكبيه ، وجعل أبو بكر رضى الله عنه

يلتزمه من ورائه ويسوَّى عليه رداءه ويقول مشفقاً عليه من كثرة الابتهاال : يا رسول الله بعض مناشدتك ربك ، فإنه سينجز لك ما وعدك .

هكذا حكى السهيلي عن قاسم بن ثابت ، أن الصديق إنما قال : بعض مناشدتك ربك ، من باب الإشفاق لما رأى مِنْ نَصَبِهِ في الدعاء والتضرع حتى سقط الرداء عن منكبيه فقال : بعض هذا يا رسول الله . أى : لم تُتعب نفسك هذا التعب ، والله قد وعدك بالنصر . وكان رضى الله عنه رقيق القلب شديد الإشفاق على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وحكى السهيلي عن شيخه أبى بكر بن العربى بأنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مقام الخوف ، والصديق فى مقام الرجاء ، وكان مقام الخوف فى هذا الوقت ، يعنى أكمل . قال : لأن الله أن يفعل ما يشاء ، يخاف أن لا يعبد فى الأرض بعدها ، فيخوفه ذلك عبادة .

قلت : وأما قول بعض الصوفية : إن هذا المقام فى مقابلة ما كان يوم الغار . فهو قول مردود على قائله ، إذ لم يتذكر هذا القائل عورَ ما قال ولا لازمه ولا ما يترتب عليه . والله أعلم .

هذا وقد تواجه الفتنان وتقابل الفريقان ، وحضر الخصمان بين يدى الرحمن ، واستغاث بربه سيد الأنبياء ، وضجَّ الصحابة بصنوف الدعاء إلى رب الأرض والسماء ، سامع الدعاء وكاشف البلاء .

فكان أول من قتل من المشركين الأسود بن عبد الأسد المخزومى .

قال ابن إسحاق : وكان رجلاً شرساً سيئ الخلق فقال : أعاهد الله لأشربنَّ من حوضهم أو لأهدمنه أو لأموتنَّ دونه . فلما خرج خرج إليه حمزة بن عبد المطلب ، فلما

التقياض ضربه حمزة فأطن^(١) قدمه بنصف ساقه وهو دون الحوض ، فوقع على ظهره تشخُب رجله دماً نحو أصحابه ، ثم حبا إلى الحوض حتى اقتحم فيه ، يريد ، زعم ، أن تبرئ يمينه ، وأتبعه حمزة فضر به حتى قتله في الحوض .

قال الأموى : فتحى عند ذلك عتبة بن ربيعة ، وأراد أن يظهر شجاعته ، فبرز بين أخيه شَيْبَةَ وابنه الوليد ، فلما توسطوا بين الصفين دعوا إلى البراز ، فخرج إليهم فتية من الأنصار ثلاثة ، وهم عوف ومعاذ ابنا الحارث وأمهما عَفْرَاء ، والثالث عبد الله بن رَوَاحَةَ فيما قيل ، فقالوا : من أنتم ؟ قالوا : رهط من الأنصار . فقالوا : مالنا بكم من حاجة . وفي رواية فقالوا : أكَفَاء كِرَام ، ولكن أخرجوا إلينا من بنى عمناء ، ونادى مناديتهم : يا محمد أخرج إلينا أكَفَاءنا من قومنا .

فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « قُمْ يَا عبيدةَ بن الحارث ، وقم يا حمزة ، وقم يا على » .

وعند الأموى أن النفر من الأنصار لما خرجوا كره ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لأنه أول موقف واجه فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم أعداءه ، فأحب أن يكون أولئك من عشيرته ، فأمرهم بالرجوع وأمر أولئك الثلاثة بالخروج .

قال ابن إسحاق : فلما دنوا منهم قالوا : من أنتم ؟ وفي هذا دليل أنهم كانوا مُلبسين لا يُعرفون من السلاح ، فقال عبيدةُ : عبيدة . وقال حمزة : حمزة . وقال على : على . قالوا : نعم ، أكَفَاء كرام . فبارز عبيدةُ ، وكان أسنَّ القوم ، عتبة ، وبارز حمزةُ شيبَةَ ، وبارز علىُّ الوليدَ بن عتبة .

فأما حمزة فلم يُمهل شيبَةَ أن قتله ، وأما على فلم يُمهل الوليدَ أن قتله ، واختلف

(١) أطن : أطار .

عبيدة وعتبة بينهما بضربتين ، كلاهما أثبت صاحبه ، وكرّ حمزة وعلى بأسيا فهما على عتبة فذفقا^(١) عليه ، واحتملا صاحبهما فحازاه إلى أصحابهما^(٢) . رضى الله عنه .

وقد ثبت في الصحيحين من حديث أبي مجلز ، عن قيس بن عباد ، عن أبي ذر : أنه كان يُقسم قسماً أن هذه الآية « هذان خصمان اختصموا في ربهم »^(٣) نزلت في حمزة وصاحبه ، وعتبة وصاحبه ، يوم برزوا في بدر .
هذا لفظ البخارى في تفسيرها .

وقال البخارى : حدثنا حجاج بن منهال ، حدثنا المعتمر بن سليمان ، سمعت أبا ، حدثنا أبو مجلز ، عن قيس بن عباد ، عن علي بن أبي طالب ، أنه قال : أنا أول من يجثو بين يدي الرحمن عز وجل في الخصومة يوم القيامة .

قال قيس : وفيهم نزلت : « هذان خصمان اختصموا في ربهم » قال : هم الذين بارزوا يوم بدر : على وحمزة وعبيدة وشيبة بن ربيعة وعتبة بن ربيعة والوليد بن عتبة .
تفرّد به البخارى .

وقد أوسعنا الكلام عليها في التفسير بما فيه كفاية والله الحمد والمنة .
وقال الأموى : حدثنا معاوية بن عمرو ، عن أبي إسحاق ، عن ابن المبارك ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن عبد الله البهيّ ، قال : برز عتبة وشيبة والوليد ، وبرز إليهم حمزة وعبيدة وعلى ، فقالوا : تكلّموا نعرفكم . فقال حمزة : أنا أسد الله وأسد رسول الله أنا حمزة بن عبد المطلب . فقال : كفى كريم . وقال على : أنا عبد الله وأخو رسول الله . وقال عبيدة : أنا الذى فى الحلفاء ، فقام كل رجل إلى رجل فقاتلوم فقتلهم الله .

(٢) ابن هشام : إلى أصحابه .

(١) ذفقا عليه : أجهزا .

(٣) سورة الحج ١٩ .

فقلت هند في ذلك :

أَعَيْنِي جُودِي بِدَمْعٍ سَرِبَ عَلَى خَيْرِ خِنْدِفٍ لَمْ يَنْقَلِبْ
تَدَاعَى لَهُ رَهْطُهُ غُدُوزَةً بَنُو هَاشِمٍ وَبَنُو الْمُطَّلِبِ
يَذِيقُونَهُ حَادًّا أَسْيَافَهُمْ يَعْلَوْنَهُ بِعَدِّ مَا قَدْ عَطِبَ
ولهذا نذرت هند أن تأكل من كبدة حمزة .

قلت : وعبيدة هذا هو ابن الحارث بن المطلب بن عبد مناف ، ولما جاءوا به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أضعموه إلى جانب موقف رسول الله صلى الله عليه وسلم فأشرفه ^(١) رسول الله صلى الله عليه وسلم قدمه فوضع خده على قدمه الشريفة وقال : يارسول الله لو رأيته أبو طالب لعلم أني أحق بقوله :

وَنُسَلِّمُهُ حَتَّى نُصَرِّعَ دُونَهُ وَتَذْهَلُ عَنْ أَبْنَائِنَا وَالْحَلَالِ

ثم مات رضى الله عنه . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أشهد أنك شهيد » .
رواه الشافعى رحمه الله .

وكان أول قتيل من المسلمين في المعركة مهجع مولى عمر بن الخطاب رُمى
بسهم فقتله .

قال ابن إسحاق : فكان أول من قُتل ، ثم رُمى بعده حارثة بن سُراقَة أحد بنى
عدى بن النجار وهو يشرب من الخوض بسهم فأصاب نحره فمات .

وثبت في الصحيحين ، عن أنس ، أن حارثة بن سُراقَة قُتل يوم بدر وكان في
النَّظَارَة ، أصابه سهمٌ غَرَبَ فقتله ، فجاءت أمه فقالت : يارسول الله أخبرنى عن حارثة ،
فإن كان في الجنة صبرت وإلا فليرين الله ما أصنع ، يعنى من النِّياح ، وكانت لم تُحَرِّم .

(١) كذا وفي لسان العيون : فأفرشه .

بعد . فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم « وَيْحَكَ أَهْبَيْتِ ، إِنِّهَا جِنَانٌ ثَمَانٌ ، وَإِنْ ابْنُكَ أَصَابَ الْفَرْدَوْسَ الْأَعْلَى ! » .

قال ابن إسحاق : ثم تراخف الناسُ ودنا بعضهم من بعض . وقد ^(١) أمر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أصحابه أن لا يحملوا حتى يأمرهم ، وقال : إِنْ اكْتَنَفَكُمُ الْقَوْمُ فَأَنْضَحُوهُمْ عَنْكُم بِالنَّبْلِ .

وفى صحيح البخارى عن أبى أسيد ، قال : قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر : إِذَا أَكْتَبُوكُمْ ، يَعْنِى الْمُشْرِكِينَ ، فَارْمُوهُمْ وَاسْتَنْبِقُوا نَبْلَكُمْ .

وقال البيهقى : أَخْبَرَنَا الْحَاكِمُ ، أَخْبَرَنَا الْأَصَمُّ ، حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْجَبَّارِ ، عَنْ يُونُسَ بْنِ بُكَيْرٍ ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ ، حَدَّثَنِى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزَّيْرِ ، قَالَ : جَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَعَارَ الْمُهَاجِرِينَ يَوْمَ بَدْرٍ : يَابْنَى عَبْدَ الرَّحْمَنِ . وَشَعَارَ الْخَزْرَجِ : يَابْنَى عَبْدَ اللَّهِ . وَشَعَارَ الْأَوْسِ : يَابْنَى عَبِيدَ اللَّهِ ، وَسَمَى خَيْلَهُ خَيْلَ اللَّهِ . قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : كَانَ شَعَارَ الصَّحَابَةِ يَوْمَ بَدْرٍ : أَحَدٌ أَحَدٌ .

قال ابن إسحاق : وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْعَرِيشِ مَعَهُ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، يَعْنِى وَهُوَ يَسْتَغِيثُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ ، كَمَا قَالَ تَعَالَى : « إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابْ لَكُمْ أَنِّ مُمِدُّكُمْ بِأَنْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ . وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ، إِنْ اللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ » ^(٢) .

قال الإمام أحمد : حَدَّثَنَا أَبُو نُوحٍ قُرَادٌ ، حَدَّثَنَا عِكْرَمَةُ بْنُ عَمَارٍ ، حَدَّثَنَا سِمَاكُ الْحَنْفِيُّ أَبُو زُمَيْلٍ ، حَدَّثَنِى ابْنُ عَبَّاسٍ ، حَدَّثَنِى عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ، قَالَ : لَمَّا كَانَ يَوْمَ بَدْرٍ

(١) الأصل : وقال . وهو تحريف . وما أثبتته عن ابن هشام .

(٢) سورة الأنفال ٩ ، ١٠ .

نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أصحابه وهم ثلاثمائة ونيف ، ونظر إلى المشركين فإذا هم ألف وزيادة ، فاستقبل النبي صلى الله عليه وسلم القبلة وعليه رداؤه وإزاره ثم قال : « اللهم أنجز لي ما وعدتني ، اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام فلا تُعبد بعدُ في الأرض أبداً » .

فما زال يستغيث بربه ويدعوه حتى سقط رداؤه ، فأتاه أبو بكر فأخذ رداءه فردّه ثم التزمه من ورائه ثم قال : يا رسول الله كفاك ^(١) مناشدتك ربك ، فإنه سينجز لك ما وعدك . فأنزل الله : « إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم بألف من الملائكة مُردّفين » .

وذكر تمام الحديث كما سيأتي .

وقد رواه مسلم وأبو داود والترمذي وابن جرير وغيرهم من حديث عكرمة بن عمار اليماني ، وصححه على ابن المديني والترمذي .

وهكذا قال غير واحد ، عن ابن عباس والسدي وابن جرير وغيرهم ، أن هذه الآية نزلت في دعاء النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر .

وقد ذكر الأموي وغيره أن المسامين عجبوا إلى الله عز وجل في الاستغاثة بحجابه والاستعانة به .

وقوله تعالى : « بألف من الملائكة مُردّفين » أي ردّفاً لكم ومددًا لفتحتكم .

رواه العوفي عن ابن عباس . وقاله مجاهد وابن كثير وعبد الرحمن بن زيد وغيرهم .

وقال أبو كدينة ، عن قابوس ، عن ابن عباس « مُردّفين » وراء كل ملك ملكٌ

(١) الأصل : كذاك . وهو تحريف .

وفي رواية عنه بهذا الإسناد « مُرْدَفِين » بعضهم على أثر بعض وكذا قال أبو ظبيان والضحاك وقتادة .

وقد روى على بن أبي طلحة الوالبي عن ابن عباس قال : وأمدَّ الله نبيَّه والمؤمنين بألف من الملائكة ، وكان جبريل في خمسمائة مُجَنَّبَةٍ وميكائيل في خمسمائة مجنبَةٍ ، وهذا هو المشهور .

ولكن قال ابن جرير : حدثني الثني ، حدثنا إسحاق ، حدثنا يعقوب بن محمد الزهري ، حدثني عبد العزيز بن عمران ؛ عن الربَّعي ، عن أبي الحويرث عن محمد بن جبیر ، عن علي ، قال : نزل جبريل في ألفٍ من الملائكة على ميمنة النبي صلى الله عليه وسلم وفيها أبو بكر ، ونزل ميكائيل في ألف من الملائكة على ميسرة النبي صلى الله عليه وسلم ، وأنا في الميسرة .

ورواه البيهقي في الدلائل ، من حديث محمد بن جبیر ، عن علي ، فزاد : ونزل إسرافيل في ألف من الملائكة .

وذكر أنه طعن يومئذ بالحربة حتى اختضبت إبطه من الدماء ، فذكر أنه نزلت ثلاثة آلاف من الملائكة .

وهذا غريب وفي إسناده ضعف ، ولو صح لكان فيه تقوية لما تقدم من الأقوال . ويؤيدها قراءة من قرأ : « بألفٍ من الملائكة مُرْدَفِين » بفتح الدال . والله أعلم .

وقال البيهقي : أخبرنا الحاكم ، أخبرنا الأصم ، حدثنا محمد بن سنان القزاز ، حدثنا عبيد الله بن عبد الحميد أبو علي الحنفي ، حدثنا عبيد الله بن عبد الرحمن بن موهب ، أخبرني إسماعيل بن عوف بن عبد الله بن أبي رافع ، عن عبد الله بن محمد بن عمر ابن علي بن أبي طالب ، عن أبيه عن جده ، قال : لما كان يوم بدر قاتلتُ شيئاً من قتال ، ثم جئت مسرعاً لأنظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما فعل ، قال : فجئت فإذا هو

ساجد يقول « يا حي يا قيوم يا حي يا قيوم » لا يزيد عليها . فرجعت إلى القتال ثم جئت وهو ساجد يقول ذلك أيضا ، فذهبت إلى القتال ثم جئت وهو ساجد يقول ذلك أيضا ، حتى فتح الله على يده .

وقد رواه النسائي في اليوم واللييلة ، عن بُندار ، عن عبيد الله بن عبد الحميد أبي على الحنفي .

وقال الأعمش : عن أبي إسحاق ، عن أبي عبيدة ، عن عبد الله بن مسعود ، قال : ما سمعت مُناشداً يَنشدُ أشدَّ من مُناشدة محمد صلى الله عليه وسلم يوم بدر ، جعل يقول : « اللهم إني أنشدك عهدك ووعدك ، اللهم إن تهلك هذه العصابة لا تُعبد » ثم التفت وكأن شقَّ وجهه القمرُ وقال : كأنني أنظر إلى مصارع القوم عشيةً .
رواه النسائي من حديث الأعمش به .

وقال : لما التقينا يوم بدر قام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فما رأيت مُناشداً يَنشدُ حقاً له أشدَّ مُناشدةً من رسول الله صلى الله عليه وسلم . وذكره .

وقد ثبت إخباره عليه السلام بمواضع مصارع رءوس المشركين يوم بدر في صحيح مسلم ، عن أنس بن مالك كما تقدم ، وسيأتي في صحيح مسلم أيضا عن عمر بن الخطاب .

ومقتضى حديث ابن مسعود أنه أخبر بذلك يوم الواقعة . وهو مناسب ، وفي الحديثين الآخرين عن أنس وعمر ما يدل على أنه أخبر بذلك قبل ذلك بيوم .

ولا مانع من الجمع بين ذلك ، بأن يخبر به قبلُ بيوم وأكثر ، وأن يخبر به قبل ذلك بساعة يوم الواقعة . والله أعلم .

وقد روى البخاري من طرق ، عن خالد الحذاء ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال وهو في قبة له يوم بدر « اللهم أنشدك عهدك ووعدك ،

اللهم إن شئت لم تعبد بعد اليوم أبداً » فأخذ أبو بكر بيده وقال : حسبك يا رسول الله أخلصت على ربك . فخرج وهو يثب في الدرع وهو يقول : « سيَهْزَمُ الجمع ويُولُون الدُّبْرَ . بل الساعة مَوْعِدُهُم والساعة أَدْهَى وأمرٌ » .

وهذه الآية مكية . وقد جاء تصديقها يوم بدر ، كما رواه ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا أبو الربيع الزَّهراني ، حدثنا حماد ، عن أيوب ، عن عكرمة قال : لما نزلت : « سيَهْزَمُ الجمع ويُولُون الدُّبْرَ » قال عمر : أيُّ جمع يهزم وأي جمع يغلب ؟ قال عمر : فلما كان يوم بدر رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يثب في الدرع وهو يقول : « سيَهْزَمُ الجمع ويُولُون الدُّبْرَ . بل الساعة مَوْعِدُهُم والساعة أَدْهَى وأمرٌ » ففرفت تأويلها يومئذ .

وروى البخاري من طريق ابن جريج ، عن يوسف بن ماهان ، سمع عائشة تقول : نزل على محمد بمكة - وإني لجارية ألعب - « بل الساعة مَوْعِدُهُم والساعة أَدْهَى وأمرٌ » .

قال ابن إسحاق : وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يناشد ربَّه ما وعده من النصر ويقول فيما يقول : « اللهم إن تهلك هذه العصابة اليوم لا تعبد » وأبو بكر يقول : يا نبي الله بعض مناشدتك ربك ، فإن الله منجز لك ما وعدك .

وقد حقق النبي صلى الله عليه وسلم [خفقة] وهو في العريش ، ثم انتبه فقال : « أبشر يا أبا بكر أتاك نصر الله ، هذا جبريل أخذ بعنان فرسه يقوده على ثنأياه النَّقْعُ » يعني الغبار .

قال : ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الناس فحزَّضهم وقال : « والذي نفس محمد بيده لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابراً محتسباً مقبلاً غير مدبر إلا أدخله الله الجنة » .

قال عُمير بن الحُمام ، أخو بني سلمة وفي يده تمرات يأكلهن : بخ بخ ! أفأبيئني وبين أن أدخل الجنة إلا أن يقتلني هؤلاء ؟ قال : ثم قذف التمرات من يده وأخذ سيفه فقاتل القوم حتى قتل . رحمه الله .

وقال الإمام أحمد : حدثنا هاشم بن سليمان ، عن ثابت ، عن أنس ، قال : بعث النبي صلى الله عليه وسلم بسبباً عيماً ينظر ما صنعت عيرُ أبي سفيان ، فجاء وما في البيت أحدٌ غيري وغير النبي صلى الله عليه وسلم . قال : لا أدري ما استثنى من بعض نسائه ، قال : لحديثه الحديث . قال : فخرج رسول الله فتكلم فقال « إن لنا طليبةً ، فمن كان ظهره حاضراً فليركب معنا » فجعل رجالٌ يستأذنونَه في ظهورهم في علو المدينة قال : « لا إلا من كان ظهره حاضراً » .

وانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه حتى سبقوا المشركين إلى بدر ، وجاء المشركون ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا يتقدمن أحد منكم إلى شيء حتى أكون أنا دونه » .

فدنا المشركون فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « قوموا إلى جنة عرضها السموات والأرض » .

قال يقول عُمير بن الحُمام الأنصاري : يا رسول الله جنة عرضها السموات والأرض؟! قال : نعم . قال : بخ بخ ؟ فقال رسول الله : « ما يحملك على قول بخ بخ ؟ قال : لا والله يا رسول الله إلا رجاء أن أكون من أهلها . قال : فإنك من أهلها .

قال : فأخرج تمرات من قرنه فجعل يأكل منهن ثم قال : لنن أنا حييت حتى آكل تمراتي هذه إنها حياة طويلة ! قال : فرمى ما كان معه من التمر ثم قاتلهم حتى قتل رحمه الله .

ورواه مسلم عن أبي بكر بن أبي شيبة وجماعة ، عن أبي النضر هاشم بن القاسم ،
عن سليمان بن المغيرة به .

وقد ذكر ابن جرير أن عُميراً قاتل وهو يقول رضى الله عنه :
رَكُضًا إِلَى اللَّهِ بِغَيْرِ زَادٍ إِلَّا التَّقَى وَعَمَلُ الْمَعَادِ
وَالصَّبْرُ فِي اللَّهِ عَلَى الْجِهَادِ وَكُلُّ زَادٍ عُرْضَةُ النِّفَادِ
غَيْرُ التَّقَى وَالْبِرِّ وَالرَّشَادِ

وقال الإمام أحمد : حدثنا حجاج ، حدثنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن حارثة
بن مضرب ، عن علي ، قال : لما قدمنا المدينة أصبنا من ثمارها فاجتويناها وأصابنا بها
وَعَكٌ ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتحيز عن بدر ، فلما بلغنا أن المشركين قد
أقبلوا سار رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بدر ، وبدر بئر ، فسبقنا المشركين إليها ،
فوجدنا فيها رجلين : رجلا من قريش ومولى لعقبة بن أبي معيط ، فأما القرشي فانفلت ،
وأما المولى فوجدناه ، فجعلنا نقول له : كم القوم ؟ فيقول : هم والله كثير عددهم شديد
بأسهم . فجعل المسلمون إذا قال ذلك ضربوه .

حتى انتهوا به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له : كم القوم ؟ قال : هم والله كثير
عددهم شديد بأسهم . فجهد النبي صلى الله عليه وسلم أن يخبره كم هم فأبى . ثم إن النبي
صلى الله عليه وسلم سأله : كم ينحرون من الجزر ؟ فقال : عَشْرًا كل يوم . فقال النبي
صلى الله عليه وسلم « القوم ألفٌ » ، كلُّ جزور لمائة وتبعها .

ثم إنه أصابنا من الليل طَشٌّ مِنْ مَنْ مَطَرٌ ، فانطلقنا تحت الشجر والحُجُفِ
نَسْتَبْطِلُ تَحْتَهَا مِنَ الْمَطَرِ ، وبات رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو ربه ويقول « اللهم
إنك إن تهلك هذه الفئة لا تعبد » .

فلما طلع الفجر نادى : الصلاة عبادَ الله . فجاء الناس من تحت الشجر والحجف ، فصلى بنا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وحرَّضَ على القتال ثم قال : « إنَّ جمع قريش تحت هذه الصَّلَعِ الحمراء من الجبل » .

فلما دنا القومُ منا وصافقناهم إذا رجلٌ منهم على جمل له أحمر يسير في القوم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا على ناد حمزة » ، وكان أقربهم من المشركين ، من صاحب الجمل الأحمر ؟ فجاء حمزة فقال : هو عتبة بن ربيعة . وهو ينهى عن القتال ويقول لهم : يا قوم اعصبوها برأسى وقولوا : جئنا عتبة بن ربيعة . وقد علمتُ أنى لست بأجنبكم .

فسمع بذلك أبو جهل فقال : أنت تقول ذلك ، والله لو غيرك يقوله لأعضضته ، قد ملأتُ رثك جوفك رعباً . فقال : إياي تعير يا مُصَفِّرَ استه ؟ ستعلم اليوم أينما الجبان .

فبرز عتبة وأخوه شيبة وابنه الوليد حميةً فقالوا : من يبارز ؟ فخرج فتية من الأنصار مشدبة ، فقال عتبة : لا نريد هؤلاء ، ولكن نبارز من بنى عننا من بنى عبد المطلب .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « قم يا حمزة ، وقم يا على ، وقم يا عبدة بن الحارث بن المطلب » .

فقتل الله عتبة وشيبة ابني ربيعة والوليد بن عتبة ، وجرح عبدة فقتلنا منهم سبعين ، وأسرونا سبعين .

وجاء رجل من الأنصار بالعباس بن عبد المطلب أسيراً ، فقال العباس : يا رسول الله الله إن هذا ما أسرنى ، لقد أسرنى رجلٌ أجْلَحَ من أحسن الناس وجهاً على فرس أبلق ما أراه في القوم . فقال الأنصارى : أنا أسرته يا رسول الله .

فقال : « اسكت ، فقد أيدك الله بملك كريم » .

قال : فأسرنا من بنى عبد المطلب العباس وعقيلاً ونوفلاً بن الحارث .

هذا سياق حسن ، وفيه شواهد لما تقدم ولما سيأتى ، وقد تفرد بالإمام أحمد ،

وروى أبو داود بعضه من حديث إسرائيل به .

ولما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم من العرش وحرّض الناس على القتال ، والناس على مصافقتهم صابرين ذاكرين الله كثيراً ، كما قال الله تعالى آمراً لهم « يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيراً^(١) » الآية .

وقال الأموى : حدثنا معاوية بن عمرو ، عن أبي إسحاق ، قال : قال الأوزاعى : كان يقال : قلماً ثبت قومٌ قياماً ، فمن استطاع عند ذلك أن يجلس أو يفضّ طرفه ويذكر الله رجوتُ أن يسلم من الرياء .

وقال عتبة بن ربيعة يوم بدر لأصحابه : ألا ترونهم ، يعنى أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، جثياً على الركب كأنهم حرس ، يتلظظون كما تتلظظ الحيات ، أو قال الأفاعى .

قال الأموى فى مغازيه : وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم حين حرض المسلمين على القتال قد نقل كل امرئ ما أصاب ، وقال : « والذى نفسى بيده لا يقاتلهم اليوم رجل [فيقتل] صابراً محسباً مقبلاً غير مُذبر إلا أدخله الله الجنة » . وذكر قصة عمير ابن الحمام كما تقدم .

وقد قاتل بنفسه الكريمة قتالاً شديداً ببذنه ، وكذلك أبو بكر الصديق ، كما كانا

في العريش يجاهدان بالدعاء والتضرع ، ثم نزلا فحرّضا وحشّا على القتال ، وقاتلا بالأبدان
تجمعا بين المقامين الشريفين .

قال الإمام أحمد : حدثنا وكيع ، حدثنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن حارثة
ابن مضرب ، عن علي ، قال : لقد رأيتنا يوم بدر ونحن نلوذ برسول الله صلى الله عليه
وسلم وهو أقربنا من العدو ، وكان من أشد الناس يومئذ بأسا .

ورواه النسائي من حديث أبي إسحاق عن حارثة ، عن علي قال : كنا إذا حجي
البأس ولقي القوم اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقال الإمام أحمد : حدثنا أبو نعيم ، حدثنا مسعر ، عن أبي عون ، عن أبي صالح
الخنفي ، عن علي ، قال : قيل لعلي ولأبي بكر رضي الله عنهما يوم بدر : مع أحدكما
جبريل ومع الآخر ميكائيل ، وإسرافيل ملك عظيم يشهد القتال ولا يقاتل . أو قال :
يشهد الصف .

وهذا يشبه ما تقدم من الحديث : أن أبا بكر كان في الميمنة ، ولما تنزل الملائكة
يوم بدر تنزيلا ، كان جبريل على أحد المجنبتين في خمسمائة من الملائكة ، فكان في
الميمنة من ناحية أبي بكر الصديق ، وكان ميكائيل على الجنبه الأخرى في خمسمائة من
من الملائكة فوققوا في اليسرة ، وكان علي بن أبي طالب فيها .

[وفي حديث رواه أبو يعلى ، من طريق محمد بن جبير بن مطعم ، عن علي ، قال
كنت أسبح على القلب يوم بدر ، فجاءت ريح شديدة ثم أخرى ثم أخرى ، فنزل ميكائيل في ألف
من الملائكة فوق علي يمين رسول الله صلى الله عليه وسلم وهناك أبو بكر ، وإسرافيل
في ألف في اليسرة وأنا فيها ، وجبريل في ألف قال : ولقد طفت يومئذ حتى
بلغ إبطي] (١) .

وقد ذكر صاحب العقد وغيره أن أنخرَ بيت قالته العرب قول حسان بن ثابت :
وبئسر بدرٍ إذ يكفُّ مطيهم جبريلُ تحت لوائنا ومحمدُ

وقد قال البخارى : حدثنا إسحاق بن إبراهيم ، حدثنا جبرير ، عن يحيى بن سعيد ،
عن معاذ بن رفاع بن رافع الزُرُقى ، عن أبيه ، وكان أبوه من أهل بدر ، قال : جاء
جبريل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ماتعدون أهلَ بدر فيكم ؟ قال : من أفضل
المسلمين ، أو كلمة نحوها ، قال : وكذلك من شهد بدرًا من الملائكة .
انفرد به البخارى .

وقد قال الله تعالى : « إذ يوحى ربك إلى الملائكة أئى معكم فثبتوا الذين آمنوا ،
سألتنى فى قلوب الذين كفروا الرعب ، فاضربوا فوق الأعناق - يعنى الرؤوس -
واضربوا منهم كلَّ بنان » .

وفى صحيح مسلم من طريق عكرمة بن عمار ، عن أبي زُمَيْل ، حدثنى ابن عباس ،
قال : بينما رجل من المسلمين يشتد فى أثر رجل من المشركين أمامه ، إذ سمع ضربة
بالسوط فوقه وصوت الفارس [يقول : (١) أقدم حيزوم ، إذ نظر إلى المشرك أمامه قد
خرَّ مُستلقيا ، فنظر إليه فإذا هو [قد] (١) حُطِمَ [أنفه] (١) وشقَّ وجهه بضربة (٢) السوط
فاخضرَّ (٣) ذلك أجمع ، فجاء الأنصارى فحدث ذلك (٤) رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال :
« صدقتَ ذلك من مدد السماء الثالثة . » فقتلوا يومئذ سبعين ، وأسرُوا سبعين .

قال ابن إسحاق : حدثنى عبد الله بن أبي بكر بن حزم ، عن حدثه ، عن ابن
عباس ، عن رجل من بنى غِفَار ، قال : حضرت أنا وابنُ عمِّ لى بدرًا ونحن على شَرِّ كُفَا ،

(١) من صحيح مسلم . (٢) ضربة السوط .

(٣) الأصل : وحضر . بالحاء والضاد . وما أثبتته عن صحيح مسلم بشرح النووى ١٢ / ٨٦

(٤) مسلم : بذلك .

وإننا لفي جبل ننتظر الوقعة على مَنْ تكون الدائرة ^(١) ، فأقبلت سحابة ، فلما دنت من الجبل سمعنا منها حَمَمَةَ الخيل ، وسمعنا قائلاً يقول : أَقْدِمُ حَيَزُومُ : فأما صاحبي فأنكشف قِنَاعُ قلبه فمات مكانه ، وأما أنا لَكِدْتُ ^(٢) أن أهلك ثم انتعشت ^(٣) بعد ذلك .

وقال ابن إسحاق : وحدثني عبد الله بن أبي بكر ، عن بعض بني ساعدة ، عن أبي أسيد مالك بن ربيعة ، وكان شهيد بدرًا ، قال ، بعد أن ذهب بصره : لو كنت اليومَ ببدر ومعى بصرى لأريتكم الشَّعْبَ الذى خرجت منه الملائكة لا أشك فيه ولا أتمارى .

فلما نزلت الملائكة ورآها إبليس وأوحى الله إليهم : « أنى معكم فثبَّتُوا الذى آمنوا » . وثبتيتهم : أن الملائكة كانت تأتى الرجلَ فى صورة الرجل يعرفه فيقول له : أبشروا فإنهم ليسوا بشيء ، والله معكم ، كُرُّوا عليهم .

وقال الواقدي : حدثني ابن أبي حبيبة ، عن داود بن الحصين ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : كان الملك يتصوَّر فى صورة مَنْ يعرفون فيقول : إني قد دنوت منهم وسمعتهم يقولون : لو حملوا علينا ما ثبتتنا . ليسوا بشيء . إلى غير ذلك من القول .
فذلك قوله : « إذ يوحى ربك إلى الملائكة أنى معكم فثبَّتُوا الذين آمنوا » الآية .

ولما رأى إبليسُ الملائكة نكَّصَ على عقبيه وقال : « إني بريء منكم ، إني أرى مالا تَرَوْنَ » وهو فى صورة سُراقَة .

وأقبل أبو جهل يحرِّض أصحابه ويقول : لا يهْؤُلنكم خذلانُ سُراقَة إياكم ، فإنه كان على مَوْعد من محمد وأصحابه . ثم قال : واللّات والعزى لا نرجع حتى نفرِّق محمداً وأصحابه فى الجبال ، فلا تقتلوهم وخذوهم أخذاً .

(١) ابن هشام وأبو نعيم : الديرة . (٢) ابن هشام وأبو نعيم : فكنت .

(٣) ابن هشام وأبو نعيم : ثم تماسكت .

وروى البيهقي من طريق سلامة ، عن عُقيل ، عن ابن شهاب ، عن أبي حازم ، عن سهل بن سعد ، قال : قال أبو أسيد ، بعد ما ذهب بصره : يا ابن أخي والله لو كفت أنا وأنت بيدر ، ثم أطلق الله بصرى ، لأريتكَ الشعب الذى خرجت علينا منه الملائكة من غير شك ولا تمار .

وروى البخارى ، عن إبراهيم بن موسى ، عن عبد الوهاب ، عن خالد ، عن عكرمة ، عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم بدر : « هذا جبريل آخذ برأس فرسه وعليه أداة الحرب » .

وقال الواقدي : حدثنا ابن أبي حبيبة ، عن داود بن الحصين ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، وأخبرني موسى بن محمد بن إبراهيم التيمي ، عن أبيه ، وحدثني عابد بن يحيى ، عن أبي الحويرث ، عن سمارة بن أكيمة الليثي ، عن عكرمة ، عن حكيم بن حزام ، قالوا : لما حضر القتال ورسول الله صلى الله عليه وسلم رافع يديه يسأل الله النصر وما وعده يقول « اللهم إن ظهروا على هذه العصاة ظهر الشرك ولا يقوم لك دين » وأبو بكر يقول : والله لينصرك الله وليبيضن وجهك . فأنزل الله ألفا من الملائكة مُردفين عند اكتاف العدو .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أبشر يا أبا بكر هذا جبريل مُعْتَجِرٌ بعمامة صفراء آخذ بعنان فرسه بين السماء والأرض ، فلما نزل إلى الأرض تغيب عنى ساعة ثم طلع وعلى ثناياه النقع يقول : أتاك نصرُ الله إذ دعوته » .

وروى البيهقي عن أبي أمامة بن سهل ، عن أبيه ، قال : يا بني لقد رأيتنا يوم بدر وإن أحدنا ليشير إلى رأس المشرك فيقع رأسه عن جسده قبل أن يعل إليه السيف .

وقال ابن إسحاق : حدثني والدي ، حدثني رجال من بني مازن ، عن أبي واقد الليثي ، قال : إني لأتبع رجلاً من المشركين لأضربه ، فوقع رأسه قبل أن يصل إليه سيفي ، فعرفت أن غيرى قد قتله .

وقال يونس بن بُكَيْر ، عن عيسى بن عبد الله التيمي ، عن الربيع بن أنس ، قال : كان الناس يعرفون قتلَى الملائكة مَن قتلوه بضرِبٍ فوقَ الأعناقِ وعلى البَنانِ مثلَ سِمَةِ النارِ وقد أحرق به .

وقال ابن إسحاق : حدثني من لا أتهم ، عن مقسم ، عن ابن عباس ، قال : كانت سيماء الملائكة يوم بدر عمائم بيضا قد أرخواها على ظهورهم إلا جبريل ، فإنه كانت عليه عمامة صفراء .

وقد قال ابن عباس : لم تقاتل الملائكةُ في يومٍ سوى يوم بدر من الأيام ، وكانوا يكونون فيما سواه من الأيام عدداً ومدداً لا يضربون .

وقال الواقدي : حدثني عبد الله بن موسى بن أبي أمية ، عن مصعب بن عبد الله ، عن مولى لسهيل بن عمرو ، سمعت سهيل بن عمرو يقول : لقد رأيت يوم بدر رجلاً بيضاً على خيلٍ بُلقٍ بين السماء والأرض مُعلِّمين يقتلون ويأسرون .

وكان أبو أسيد يحدث بعد أن ذهب بصره ، قال : لو كنتُ معكم الآن بيدري ومعى بصرى ، لأريتكم الشعب الذى خرجت منه الملائكة لأشك ولا أمتري .

قال : وحدثني خارجة بن إبراهيم ، عن أبيه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجبريل : « من القاتل يوم بدر من الملائكة أقدم حيزوم ؟ » فقال جبريل : يا محمد ما كل أهل السماء أعرف .

قلت : وهذا الأثر مرسل ، وهو يرد قول من زعم أن حيزوم اسم فرس جبريل ، كما قاله السهيلي وغيره . والله أعلم .

وقال الواقدي : حدثني إسحاق بن يحيى ، عن حمزة بن صهيب ، عن أبيه قال : فما أدري كم يدٍ مقطوعة وضربة جائفة لم يدم كملها قد رأيتها يوم بدر !

وحدثني محمد بن يحيى ، عن أبي عقيل ، عن أبي بُردة بن نيار ، قال : جئت يوم

بدر بثلاثة أرؤس فوضعتهم بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلت : أما رأسان فقتلتكما ، وأما الثالث فإني رأيت رجلاً طويلاً [قتله] فأخذت رأسه .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ذاك فلان من الملائكة » .

وحدثني موسى بن محمد بن إبراهيم ، عن أبيه ، قال : كان السائب بن أبي حُبَيْش يحدث في زمن عمر يقول : والله ما أسرني أحدٌ من الناس . فيقال : فمن ؟ يقول : لما انهزمت قريش انهزمتُ معها ، فأدركني رجل أشعر طويل على فرس أبيض فأوثقني رباطاً ، وجاء عبد الرحمن بن عوف فوجدني مربوطاً فنادى في العسكر : من أسرَ هذا ؟ حتى انتهى بي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : من أسرك ؟ قلت : لا أعرفه . وكرهت أن أخبره بالذي رأيت . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أسرك ملك من الملائكة اذهب يا بن عوف بأسيرك » .

وقال الواقدي : حدثني عابد بن يحيى ، حدثنا أبو الخوَيْرِث ، عن عمارة بن أكيمة ، عن حكيم بن حزام ، قال : لقد رأيتنا يومَ بدر وقد وقعَ بِجَادٌ ^(١) من السماء قد سدَّ الأفق ، فإذا الوادي يسيل سهلاً ، فوقع في نفسي أن هذا شيء من السماء أُيِّد به محمد ، فما كانت إلا الهزيمةُ ولقى الملائكة .

[وقال إسحاق بن راهويه ، حدثنا وهب بن جرير بن حازم ، حدثني أبي ، عن محمد بن إسحاق ، حدثني أبي ، عن جبير بن مطعم ، قال : رأيت قبلَ هزيمة القوم ، والناس يقتتلون ، مثل البجَاد الأسود قد نزل من السماء مثل النمل الأسود ، فلم أشك أنها الملائكة فلم يكن إلا هزيمة القوم] ^(٢) .

ولما تنزَّلت الملائكة للنصر وراهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أغفىَ إغفاءً

ثم استيقظ ، وبشّر بذلك أبا بكر وقال « أبشر يا أبا بكر هذا جبريل يقود فرسه على ثناياه النَّقْعَ » يعنى من المعركة .

ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من العريش فى الدَّرْع فجعل يحرض على القتال ، ويبشّر الناس بالجنة ويشجعهم بنزول الملائكة ، والناس بعدُ على مصافهم لم يحملوا على عدوهم ، حصل لهم السكينة والطمأنينة .

وقد حصل النعاسُ الذى هو دليلٌ على الطمأنينة والثبات والإيمان ، كما قال : « إِذْ يُغَشِّيكُمُ النَّعَاسَ أَمْنَةً مِنْهُ » وهذا كما حصل لهم بعد ذلك يوم أحد بنص القرآن .

ولهذا قال ابن مسعود : النعاسُ فى المصافِّ من الإيمان ، والنعاس فى الصلاة من النفاق .

وقال الله تعالى : « إِنْ أَسْتَفْتَحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ ، وَإِنْ تَذَنَّهُوا فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ ، وَإِنْ تَعُودُوا نَعُدْ وَلَنْ تُغْنِيَ عَنْكُمْ فِتْنَتُكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَإِنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ^(١) » .

قال الإمام أحمد . حدثنا يزيد بن هارون ، حدثنا محمد بن إسحاق ، حدثني الزُّهْرَى ، عن عبد الله بن ثعلبة ، أن أبا جهل قال ، حين التقى القوم : اللهم أقطعنا للرحم وآتانا بما لا نعرف فأحِثَّه الغداة : فكان هو المستفتح .

وكذا ذكره ابن إسحاق فى السيرة ، ورواه النسائي من طريق صالح بن كيسان عن الزهري ، ورواه الحاكم من حديث الزهري أيضاً . ثم قال : صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه .

وقال الأُمَوِي : حدثنا أسباط بن محمد القرشي ، عن عطية ، عن مطرف ، فى قوله :

« إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح » قال : قال أبو جهل : اللهم [أعن] أعزّ الفثنين ، وأكرم القبيلتين ، وأكثر الفريقين . فنزلت : « إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح » .
وقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس في قوله : « وإذا يَعدكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم » قال : أقبلت عيه أهل مكة تريد الشام ، فبلغ ذلك أهل المدينة فخرجوا ومعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يريدون العير .
فبلغ ذلك أهل مكة فأسرعوا إليها لكيلا يَغلب عليها النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، فسبقت العيرُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، وكان الله قد وعدهم إحدى الطائفتين ، وكانوا يحبون أن يَلقوا العير .

وسار رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمسلمين يريد القوم ، وكره القوم مسيرهم لشوكة القوم ؛ فنزل النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمون ، وبينهم وبين الماء رملةٌ دِغْصَة ، ^(١) فأصاب المسلمون ضعف شديد ، وألقى الشيطان في قلوبهم الغيظ يوسوسهم تزعمون أنكم أولياء الله وفيكم رسوله ، وقد غلبكم المشركون على الماء وأنتم كذا ^(٢) .

فأمطر الله عليهم مطراً شديداً ، فشرب المسلمون وتطهروا ، فأذهب الله عنهم رجز الشيطان ، فصار الرمل لبداً ومشى الناس عليه والدواب .

فساروا إلى القوم وأيد الله نبيّه والمؤمنين بألفٍ من الملائكة ، فكان جبريل في خمسمائة من الملائكة مجنبة ، وميكائيل في خمسمائة من الملائكة مجنبة .

وجاء إبليس في جند من الشياطين ومعه ذريته وهم في صورة رجال من بني مُدْجَل ، والشيطان في صورة سراقَة بن مالك بن جعشم ، وقال الشيطان للشركين : « لا غالب لكم اليوم من الناس ، وإني جارٌ لكم » .

(١) الدغصة : المستدير من الرمل . (٢) في الروايات أن بعضهم كانوا محدثين من الاحتلام .

فلما اصطَفَ الناسُ قال أبو جهل : اللهم أُولَانَا بالحق فانصره .

ورفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه فقال : « يارب إن تَهْلِكَ هذه العصابة فلن تُعبد في الأرض أبداً » .

فقال له جبريل : خذ قبضةً من التراب . فأخذ قبضةً من التراب فرمى بها وجوههم ، فما من المشركين من أحد إلا وأصاب عينيه ومنخره وفمه تراب من تلك القبضة ، فوَلَّوْا مدبرين .

وأقبل جبريل إلى إبليس فلما رآه ، وكانت يده في يد رجل من المشركين ، انتزع إبليس يده ثم وَلَّى مدبراً وشيعته ، فقال الرجل : ياسراقَة أَمَا زَعَمْتَ أَنَّكَ لَنَا جَارٌ ؟ قال : إني أرى مالا ترون ، إني أخاف الله والله شديد العقاب . وذلك حين رأى الملائكة . رواه البيهقي في الدلائل .

[وقال الطبراني : حدثنا مسعدة بن سعد العطار حدثنا إبراهيم بن المنذر الحزامي ، حدثنا عبد العزيز بن عمران ، حدثنا هشام بن سعد ، عن عبد ربه بن سعيد بن قيس الأنصاري ، عن رفاعة بن رافع ، قال : لما رأى إبليس ما فعل الملائكة بالمشركين يوم بدر أشفق أن يُخْلَص إليه ، فتشبث به الحارث بن هشام ، وهو يظن أنه سراقَة بن مالك ، فوكز في صدر الحارث ثم خرج هارباً حتى ألقى نفسه في البحر ورفع يديه فقال : اللهم إني أسألك نظرتك إياي ، وخاف أن يخلص القتل إليه . وأقبل أبو جهل فقال يامعشر الناس لا يَهُولُنْكُمْ خذلانُ سُرَاقَة بن مالك ، فإنه كان على ميعاد من محمد ، ولا يَهُولُنْكُمْ قتل شيبَة وعُتْبَة والوليد فإنهم قد عَجَلُوا ، فواللات والعزى لا نرجع حتى نفرقهم بالجبال ، فلا ألفين رجلاً منكم قَتَلَ رجلاً ، ولكن خذوهم أخذاً حتى تعرفوهم سوء صنيعهم ، من مفارقهم إياكم ورغبهم عن اللات والعزى .

ثم قال أبو جهلا متمثلاً :

ماتتكم الحربُ الشَّمُوسُ متى بازل عامين حديثٌ سني

لمثل هذا ولدتني أُمي^(١)

وروى الواقدي ، عن موسى بن يعقوب الزمعي ، عن أبي بكر بن أبي سليمان ، عن أبي حنمة ، سمعت مروان بن الحكم يسأل حكيم بن حزام عن يوم بدر ، فجعل الشيخ يكره ذلك ، فألحَّ عليه فقال حكيم : التقينا فاقتلنا ، فسمعت صوتاً وقع من السماء إلى الأرض مثل وقعة الحصاة في الطست ، وقبض النبي صلى الله عليه وسلم القبضة التراب فرمى بها فانهزمنا .

قال الواقدي : وحدثنا إسحاق بن محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله ، عن عبد الله بن ثعلبة بن صُقَيْر^(٢) ، سمعت نوفل بن معاوية الديلمي يقول : انهزمنا يوم بدر ونحن نسمع صوتاً كوقع الحصى في الطاس في أفئدتنا ومن خلفنا ، وكان ذلك من أشدَّ الرعب علينا .

وقال الأموي : حدثنا أبي ، حدثنا ابن أبي إسحاق ، حدثني الزهري ، عن عبد الله ابن ثعلبة بن صُقَيْر ، أن أبا جهل حين التقى القوم قال : اللهم أقطعنا للرحم وآتانا بما لا نعرف فأحينه الغداة . فكان هو المستفتح .

فبينما هم على تلك الحال ، وقد شجع الله المسلمين على لقاء عدوهم وقلَّهم في أعينهم حتى طمعوا فيهم ، خفق رسول الله صلى الله عليه وسلم خفقةً في العريش ثم انتبه فقال : « أبشر يا أبا بكر هذا جبريل مُعْتَجِرٌ بعامتة آخذ بعِمان فرسه يقوده ، على ثناياه النَّقْع ، أتاك نصر الله وعِدَّتُهُ » .

(١) سقط من أ (٢) المطبوعة : صغير . وهو خطأ .

وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذ كفًّا من الحصى بيده ، ثم خرج فاستقبل القوم فقال : « شأهت الوجوه » ثم نفحهم بها ، ثم قال لأصحابه : احمّلوا .

فلم تكن إلا الهزيمة ، فقتل الله من قُتل من صناديدهم ، وأسر من أسر منهم .
وقال زياد عن ابن إسحاق : ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ حفنة من الحصباء فاستقبل بها قريشاً ثم قال : « شأهت الوجوه » ثم نفحهم بها وأمر أصحابه فقال : « شدّوا » فكانت الهزيمة ، فقتل الله من قتل من صناديد قريش ، وأسر من أسر من أشرافهم .

وقال السدّي الكبير : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلّ يوم بدر : « أعطى حصباء من الأرض » فناولوه حصباء عليها تراب ، فرمى به في وجوه القوم فلم يبقَ مشرك إلا دخل في عينيه من ذلك التراب شيء ، ثم ردّهم المسلمون يقتلونهم ويأسرونهم ، وأنزل الله في ذلك : « فلم تقتلهم ولكن الله قتلهم ، وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى » .

وهكذا قال عروة وعكرمة ومجاهد ومحمد بن كعب ومحمد بن قيس وقتادة وابن زيد وغيرهم : إن هذه الآية نزلت في ذلك يوم بدر .

وقد فعل عليه السلام مثل ذلك في غزوة حنين . كما سيأتى في موضعه إذا انتهينا إليه إن شاء الله وبه الثقة .

وذكر ابن إسحاق أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما حرّض أصحابه على القتال ورمى المشركين بما رماهم به من التراب وهزمهم الله تعالى ، صعد إلى العريش أيضاً ومعه أبو بكر ، ووقف سعد بن معاذ ومن معه من الأنصار على باب العريش ومعهم السيوف خيفة أن تكرّر راجعة من المشركين إلى النبي صلى الله عليه وسلم .

قال ابن إسحاق : ولما وضع القوم أيديهم يأسرون ، رأى رسول الله صلى الله

عليه وسلم ، فيما ذكر لي ، في وجه سعد بن معاذ الكراهية لما يصنع الناس ، فقال له :
« كَأَنِّي بَكَ يَا سَعْدُ تَكْرَهُ مَا يَصْنَعُ الْقَوْمُ ؟ » قال : أَجَلُ وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، كَانَتْ
أَوَّلُ وَقْعَةٍ أَوْقَعَهَا اللَّهُ بِأَهْلِ الشَّرْكِ ، فَكَانَ الْإِثْمَانُ فِي الْقَتْلِ أَحَبَّ إِلَى مَنْ
اسْتَبَقَاءَ الرِّجَالَ .

قال ابن إسحاق : وحدثني العباس بن عبد الله بن معبد ، عن بعض أهله ، عن عبد الله
ابن عباس ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه يومئذ « إِنِّي قَدْ عَرَفْتُ أَنَّ رِجَالَ
مَنْ بَنَى هَاشِمٌ وَغَيْرُهُمْ قَدْ أَخْرَجُوا كُرْهًا لَا حَاجَةَ لَهُمْ بِقِتَالِنَا ، فَمَنْ لَقِيَ مِنْكُمْ أَحَدًا مِنْ بَنِي
هَاشِمٍ فَلَا يَقْتُلْهُ ، وَمَنْ لَقِيَ أَبَا الْبَخْتَرِيِّ بْنَ هِشَامٍ بْنَ الْحَارِثِ بْنِ أَسَدٍ فَلَا يَقْتُلْهُ ، وَمَنْ
لَقِيَ الْعَبَّاسَ بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ عَمَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَا يَقْتُلْهُ ، فَإِنَّهُ إِنَّمَا
خَرَجَ مُسْتَكْرَهًا » .

فقال أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة : أَنْقَتِلْ آبَاءَنَا وَأَبْنَاءَنَا وَإِخْوَانَنَا وَنَتْرِكَ الْعَبَّاسَ ،
وَاللَّهِ لَئِنْ لَقِيتُهُ لِأَلْحَمَّتْهُ بِالسَّيْفِ .

فبلغت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لعمر : « يَا أَبَا حَفْصٍ » قال عمر : وَاللَّهِ إِنَّهُ
لَأَوَّلُ يَوْمٍ كُنَّا فِيهِ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَبِي حَفْصٍ ، « أَيُضْرَبُ وَجْهُ عَمَّ
رَسُولَ اللَّهِ بِالسَّيْفِ ! » .

فقال عمر : يَا رَسُولَ اللَّهِ دَعْنِي فَلَا تُضْرَبُ عُنُقُهُ بِالسَّيْفِ فَوَاللَّهِ لَقَدْ نَافَقَ .
فقال أبو حذيفة : مَا أَنَا بِأَمِنْ مِنْ تِلْكَ الْكَلِمَةِ الَّتِي قُلْتَ يَوْمَئِذٍ ، وَلَا أَزَالُ مِنْهَا
خَائِفًا إِلَّا أَنْ تَكْفُرَها عَنِّي الشَّهَادَةُ . فَقُتِلَ يَوْمَ الْيَمَامَةِ شَهِيدًا . رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

مَقْتُلُ أَبِي الْبَخْتَرِيِّ بْنِ هِشَامٍ

قال ابن إسحاق : وَإِنَّمَا نَهَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ قَتْلِ أَبِي الْبَخْتَرِيِّ

لأنه كان أكفّ القوم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بمكة . كان لا يؤذيه ولا يبلغه عنه شيء يكرهه ، وكان ممن قام في نقض الصحيفة ، فلقبه المجذّر بن زياد البكوى حليف الأنصار فقال له : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهانا عن قتلك . ومع أبي البختري زميل له خرج معه من مكة ، وهو جُنادة بن نعلية وهو من بني ليث . قال : وزميلي ؟ فقال له المجذّر : لا والله ما نحن بتاركى زميلك ، ما أمرنا رسول الله إلا بك وحدك ، قال : لا والله إذاً لأموتن أنا وهو جميعا ، لا يتحدث عنى نساء قريش بمكة أنى تركت زميلي حرصاً على الحياة !

وقال أبو البختري وهو ينازل المجذّر :

لن يترك^(١) ابن حرة زميله حتى يموت أو يرى سبيله

قال : فاقْتتلا فقتله المجذّر بن زياد . وقال في ذلك :

إما جهلت أو نسيت نسي الطاعنين برماح اليزنى
فأثبت النسبة إني من بلي والطاعنين^(٢) الكباش حتى ينحنى
بشريتهم من أبوه البختري أو بشرن بمثلها مني بني
أنا الذي يقال أصلي من بلي أطمعن بالصعدة^(٣) حتى تنثنى
وأعبط القرن بعضب مشرفي أرزم للموت كإرزام المرى^(٤)
فلا ترى مجذراً يفرى فرى^(٥)

ثم أتى المجذّر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : والذي بعثك بالحق لقد جهدت عليه أن يستأسر فأتيك به فأبى إلا أن يقاتلنى ، فقاتلته فقتلته .

(١) ابن هشام : لن يسلم (٢) ابن هشام : الضاريين (٣) الصعدة : الرمح .

(٤) أعبط : أقتل . والقرن : النظير في الحرب . والعضب : السيف القاطع . وأرزم : أحن . والمرى :

التي يستنزل لبها على عسر . (٥) يفرى فرى : يصنع صنعى

فصل

في مقتل أمية بن خلف

قال ابن إسحاق ، وحدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه . وحدثني أمية بن عبد الله بن أبي بكر وغيرهما ، عن عبد الرحمن بن عوف ، قال : كان أمية بن خلف لي صديقاً بمكة ، وكان اسمي عبد عمرو فتسميت حين أسلمت عبد الرحمن ، فكان يلقيني ونحن بمكة فيقول : يا عبد عمرو أرغبت عن اسم سمالكه أبوك ؟ قال : فأقول : نعم . قال ^(١) : فإني لا أعرف الرحمن ، فأجعل بيني وبينك شيئاً أدعوك به ، أما أنت فلا تجيئني باسمك الأول ، وأما أنا فلا أدعوك بما لا أعرف . قال : وكان إذا دعاني يا عبد عمرو لم أجبه . قال : فقلت له : يا أبا علي اجعل ماشئت . قال : فأت عبد الإله . قال : قلت : نعم .

قال : فكنت إذا مررت به قال : يا عبد الإله . فأجيبه فأنتحدث معه .

حتى إذا كان يوم بدر مررت به وهو واقف مع ابنه علي وهو آخذ بيده ، قال : ومعى أذراع لي قد استلبتها فأنا أحملها ، فلما رأيته قال : يا عبد عمرو فلم أجبه ، فقال : يا عبد الإله . فقلت : نعم . قال : هل لك في فأنا خير لك من هذه الأذراع التي معك ؟ قال : قلت : نعم ها الله ^(٢) .

قال : فطرحته الأذراع من يدي وأخذت بيده ويده ابنه ، وهو يقول ما رأيت كاليوم قط ، أما لكم حاجة في اللبن ^(٣) ؟ ثم خرجت أمشي بهما .

قال ابن إسحاق : حدثني عبد الواحد بن أبي عون ، عن سعد بن إبراهيم ، عن

(١) ابن هشام : فيقول . (٢) ابن هشام : ها الله ذا . وها : حرف تنبيه ولفظ الجلالة مجرور بحرف قسم مضمّر قام التنبيه مقامه . (٣) قال ابن هشام : يريد باللبن أن من أسرنى اختديت منه بإبل كثيرة اللبن .

أبيه ، عن عبد الرحمن بن عوف ، قال : قال لى أمية ابن خلف وأنا بينه وبين ابه آخذاً بأيديهما : يا عبد الإله من الرجلُ منكم المُعَلَّم بريشه نعمة في صدره ؟ قال : قلت : حمزة قال : ذاك الذى فعل بنا الأفاعيل .

قال عبد الرحمن : فوالله إني لأقودها إذ رآه بلال معي ، وكان هو الذى يعذب بلالاً بمكة على الإسلام ، فلما رآه قال : رأسُ الكفر أمية بن خلف ، لا نجوتُ إن نجا . قال قلت : أى بلال ، أسيرى ، قال : لا نجوتُ إن نجا . قال : ثم صرخ بأعلى صوته : يا أنصار الله ، رأسُ الكفر أمية بن خلف ، لا نجوتُ إن نجا . فأحاطوا بنا حتى جعلونا في مثل المسكة^(١) فانا أذبُّ عنه ، قال : فأخلف رجلُ السيف فضرب رجلَ ابنه فوقع ، وصاح أمية صيحةً ما سمعتُ بمثله قط . قال : قلت : انجُ بنفسك ولا نجاء [بك]^(٢) ، فوالله ما أغنى عنك شيئاً . قال : فهبروها بأسياهم حتى فرغوا منها . قال : فكان عبد الرحمن يقول : يرحم الله بلالا ، فجئني بأدراعى وبأسيرى !

وهكذا رواه البخارى في صحيحه قريباً من هذا السياق ، فقال في الوكالة : حدثنا عبد العزيز ، هو ابن عبد الله ، حدثنا يوسف ، هو ابن الماجشون ، عن صالح بن ابراهيم ابن عبد الرحمن بن عوف ، عن أبيه ، عن جده عبد الرحمن بن عوف ، قال : كاتبُ أمية ابن خلف كتاباً بأن يحفظني في صاغيتي^(٣) بمكة وأحفظه في صاغيته بالمدينة ، فلما ذكرتُ الرحمن قال : لا أعرف الرحمن ، كاتبني باسمك الذى كان في الجاهلية . فكاتبته عبد عمرو ، فلما كان يوم بدر خرجت إلى جبل لأحرزه حين نام الناس فأبصره بلال فخرج حتى وقف على مجلس [من] الأنصار فقال : أمية بن خلف ؟ ! لا نجوتُ إن نجا أمية بن خلف .

فخرج معه فريق من الأنصار في آثارنا ، فلما خشيت أن يلحقونا خلّفت لهم ابنه

(١) المسكة : السوار ، أى أحدقوا بهم . (٢) من ابن هشام . (٣) صاغيتي : خاصتي .

لأشفلهم فقتلوه ، ثم أتوا حتى تبعونا وكان رجلاً ثقيلاً ، فلما أدركونا قلت له : ابرك . فبرك .
فألقيت عليه نفسي لأمنعه ، فتخللوه بالسيوف من تحتي حتى قتلوه ، وأصاب أحدهم رجلى
بسيفه ، فكان عبد الرحمن بن عوف يرينا ذلك في ظهر قدمه .

سمع يوسف صالحاً وإبراهيم أباه .

تفرد به البخاري من بينهم كلهم . وفي مسند رفاعه بن رافع أنه هو الذي قتل
أمية بن خلف .

مقتل أبي جهل لعنه الله

قال ابن هشام : وأقبل أبو جهل يومئذ يرتجز [وهو يقاتل] ^(١) ويقول :

ما تنقيم الحرب العوان متى بازِلُ عامين حديث سني

لمثل هذا ولدني أمي

قال ابن إسحاق : ولما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من عدوه أمر بأبي جهل
أن يُبَلِّغَ في القتلى .

وكان أول من لقي أبا جهل كما حدثني ثور بن زيد ، عن عكرمة ، عن ابن عباس
وعبد الله بن أبي بكر أيضاً ، قد حدثني ذلك ، قالوا : قال معاذ بن عمرو بن الجموح
أخو بني سلمة : سمعت القوم وأبو جهل في مثل الحرجة ^(٢) وهم يقولون : أبو الحكم
لا يُخلَص إليه .

فلما سمعتها جعلته من شأني فصممت نحوه ، فلما أمكنتني حملت عليه فضر بته ضربة
أطنت ^(٣) قدمه بنصف ساقه ، فوالله ما شبهتها حين طاحت إلا بالنواة تطيح من تحت
مرضة النوى حين يُضرب بها . قال : وضر بني ابنه عكرمة على عاتق فطرح يدي

(١) من ابن هشام . (٢) قال ابن هشام : الحرجة : الشجر الملتف . (٣) أطنت : أطارت .

فتملقت بجلدة من جنبي ، وأجهضني^(١) القتالُ عنه ، فلقد قاتلتُ عامةَ يومي وإني لأسحبها خلفي ، فلما آذنتني وضعت عليها قدمي ثم تمطيت بها عليها حتى طرحتها .

قال ابن إسحاق : ثم عاش بعد ذلك حتى كان زمن عثمان .

ثم مرَّ بأبي جهل ، وهو عَقِير ، مُعَوِّذُ بن عَفْرَاءَ فضر به حتى أثبتته ، وتركه وبه رَمَقٌ ، وقاتل معوذ حتى قُتل .

فر عبد الله بن مسعود بأبي جهل ، حين أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يلتبس في القتلى ، وقد قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيما بلغني : انظروا إن خفي عليكم في القتلى إلى أثر جرح في ركبته ، فإني ازدحت أنا وهو يوماً على مأذبة لعبد الله بن جُدْعَانٍ ونحن غلامان وكنت أشفَّ منه بيسير ، فدفعته فوق علي ركبتيه فجَحَشَ^(٢) في أحدهما جَحَشًا لم يزل أثره به .

قال ابن مسعود : فوجدته بآخر رمق فعفرته ، فوضعت رجلي على عنقه . قال : وقد كان ضَبَّ بِي^(٣) مرةً بمسكة فأذاني ولكرني ، ثم قلت له : هل أخزأك الله ياعدو الله ؟ قال : وبماذا أخزاني [قال^(٤)] أَعْمَدُ من رجل قتلتموه^(٥) . أخبرني لمن الدائرة اليوم ؟ قال : قلت لله ولرسوله .

قال ابن إسحاق : وزعم رجال من بني تَحْزُوم أن ابن مسعود كان يقول : قال لي : لقد ارتقيت مُرْتَقَى صَعْبًا يَارُوعِي الغنم . ثم احتزرتُ رأسه ، ثم جثت به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلت : يارسول الله هذا رأسُ عدو الله . فقال : « آله الذي لا إله غيره ؟ » . وكانت يمين رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقلت : نعم والله الذي لا إله غيره . ثم ألقيتُ رأسه بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فحمد الله .

(١) أجهضني : غلبني . (٢) جحش : انخدش . (٣) ضب : قبض عليه ولزمه .

(٤) ليست في ابن هشام . (٥) ابن هشام : أعمد من رجل قتله قومه .

هكذا ذكر ابن إسحاق رحمه الله .

وقد ثبت في الصحيحين من طريق يوسف بن يعقوب بن الماسجون ، عن صالح ابن ابراهيم بن عبد الرحمن بن عوف ، عن أبيه ، عن عبد الرحمن بن عوف ، قال : إني لواقفٌ يومَ بدر في الصف ، فنظرت عن يميني وشمالى ، فإذا أنا بين غلامين من الأنصار حديثه أسنانهما ، فتمنيت أن أكون بينَ أَظْلَع^(١) منهما ، فغمزنى أحدهما فقال : يا عم أتعرف أبا جهل ؟ فقلت : نعم وما حاجتك إليه ؟ قال : أخبرت أنه بسب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والذي نفسى بيده لئن رأيته لا يفارق سوادى سواده حتى يموت الأعجلُ منا . فتمعجت لذلك ، فغمزنى الآخر فقال لى أيضاً مثلهما . فلم أنشب أن نظرت إلى أبى جهل وهو يحول فى الناس ، فقلت : ألا ترى أن هذا صاحبكم الذى تسألان عنه . فابتدراه بسيفيهما فضرباه حتى قتلاه ، ثم انصرفا إلى النبى صلى الله عليه وسلم فأخبراه فقال : « أَيْكَمَا قَتَلَهُ ؟ » . قال كلُّ منهما : أنا قتلاته . قال : « هل مسحتما سيفيكما ؟ » قالوا : لا . قال : فنظر النبى صلى الله عليه وسلم فى السيفين فقال : « كلاهما قتله » وقضى بسكبه لمعاذ بن عمرو بن الجموح ، والآخر معاذ بن عَفْرَاء . وقال البخارى : حدثنا يعقوب بن إبراهيم ، حدثنا ابراهيم بن سعد ، عن أبيه عن جده ، قال : قال عبد الرحمن : إني لفي الصف يوم بدر إذ التفتُ فإذا عن يميني وعن سارى فتیان حديثا السن ، فكأنى لم آمنَ بمكانهما إذ قال لى أحدهما سرًّا من صاحبه : يا عم أرنى أبا جهل . فقلت : يا بن أخى ما تصنع به ؟ قال : عاهدتُ الله إن أيتَه أن أقتله أو أموت دونه . وقال لى الآخر سرًّا من صاحبه مثله . قال : فما سرّنى ننى بين رجلين مكانهما ، فأشرت لهما إليه ، فشَدَّا عليه مثل الصقرين حتى ضرباهما ابنا عفراء .

(١) أَظْلَع : أضعف .

وفى الصحيحين أيضا من حديث أبي سليمان التيمي ، عن أنس بن مالك ، قال : قال رسول الله صلى عليه الله وسلم « من ينظر ماذا صنع أبو جهل ؟ » قال ابن مسعود : أنا يا رسول الله . فانطلق فوجده قد ضربه ابنا عقراء حتى برد . قال : فأخذ بلحيته قال فقلت : أنت أبو جهل ؟ فقال : وهل فوق رحل قتلتموه . أو قال : قتله قومه !

وعند البخارى ، عن أبي أسامة ، عن إسماعيل بن قيس ، عن ابن مسعود ، أنه أتى أبا جهل فقال : هل أخزأك الله ؟ فقال : هل اعمد من رجل قتلتموه !

وقال الأعمش ، عن أبي إسحاق ، عن أبي عبيدة ، عن عبد الله ، قال : انتهيت إلى أبي جهل وهو صريع وعليه بيضة ومعه سيف جيد ، ومعى سيف ردىء ، فجعلت أنقف رأسه بسيفي وأذكر نَقْعًا كان ينقف رأسى بمكة حتى ضعفت ^(١) يده ، فأخذت سيفه فرفع رأسه فقال : على من كانت الدائرة ، لنا أو علينا ؟ ألسن رؤيعينا بمكة ؟

قال : فقتلته ، ثم أتيت النبي صلى الله عليه وسلم ، فقلت : قتلْتُ أبا جهل . فقال : الله الذى لا إله إلا هو ؟ فاستحلفنى ثلاث مرات . ثم قام معى إليهم فدعا عليهم .

وقال الإمام أحمد : حدثنا وكيع ، حدثنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن أبي عبيدة ، قال : قال عبد الله : انتهيت إلى أبي جهل يوم بدر وقد ضربت رجله وهو يذبُ الناس عنه بسيف له ، فقلت : الحمد لله الذى أخزأك الله يا عدو الله . قال : هل هو إلا رجل قتله قومه !

فجعلت أتناوله بسيف لى غير طائل ، فأصبت يده ، فندر ^(٢) سيفه ، فأخذته فضربته حتى قتلتته .

قال : ثم خرجت حتى أتيت النبي صلى الله عليه وسلم كأنما أقول ^(٣) من الأرض فأخبرته فقال : « الله الذى لا إله إلا هو ؟ » فرددها ثلاثا . قال : قلت : الله الذى لا إله إلا هو .

(١) : صفت . (٢) : ندر : سقط . (٣) : أقول : أحمل .

قال : فخرج يمشى معى حتى قام عليه فقال : « الحمد لله الذى قد أخزأك الله يا عدوَّ الله ، هذا كان فرعون هذه الأمة » .

وفى رواية أخرى قال ابن مسعود : فَتَقَلَّنِي سَيِّقَهُ .

وقال أبو إسحاق الفزاريّ ، عن الثوريّ ، عن أبي إسحاق ، عن أبي عبيدة ، عن ابن مسعود قال : أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر فقلت : قد قتلت أبا جهل فقال : « آله الذى لا إله إلا هو ؟ » فقلت : آله الذى لا إله إلا هو مرتين ، أو ثلاثا .

قال : فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « الله أكبر ، الحمد لله الذى صدّق وعده ، ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده » ثم قال : « انطلق فأرنيه ، فانطلقت فأريته ، فقال : « هذا فرعون هذه الأمة » .

ورواه أبو داود والنسائي من حديث أبي إسحاق السبّيعيّ به .

وقال الواقدي : وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على مَصْرَع ابني عَفْرَاء فقال : « رحم الله ابنيَّ عفراء ، فهما شركاء فى قتل فرعون هذه الأمة ورأس أئمة الكفر » فقيل : يا رسول الله ومن قتله معهما ؟ قال : « الملائكة » ، وابن مسعود قد شَرِك في قتله .
رواه البيهقي .

وقال البيهقي : أخبرنا الحاكم ، أخبرنا الأصمّ ، حدثنا أحمد بن عبد الجبار ، حدثنا يونس بن بُكَيْر ، عن عَنبَسَةَ بن الأزهر ، عن أبي إسحاق ، قال : لما جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم البشيرُ يوم بدر بقتل أبي جهل استحلفه ثلاثة أيمان بالله الذى لا إله إلا هو لقد رأيته قتيلا ؟ فحلف له ، فخر رسول الله صلى الله عليه وسلم ساجداً .

ثم روى البيهقي من طريق أبي نُعَيْم ، عن سلمة بن رجاء ، عن الشَّعْثَاء ، امرأة من بنى أسد ، عن عبد الله بن أبي أَوْفَى ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى ركعتين حين بُشِّر بالفتح وحين جرى برأس أبي جهل .

وقال ابن ماجه : حدثنا أبو بشر بكر بن خلف ، حدثنا سلمة بن رجاء ، قال حدثني شعثة ، عن عبد الله بن أبي أوفى ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى يوم بُشِّرَ برأس أبي جهل ركعتين .

وقال ابن أبي الدنيا : حدثنا أبي ، حدثنا هشام ، أخبرنا مجالد ، عن الشعبي ، أن رجلاً قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : إني مررت ببدر فرأيت رجلاً يخرج من الأرض فيضربه رجل بمقمة معه حتى يغيب في الأرض ، ثم يخرج فيفعل به مثل ذلك مراراً . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ذاك أبو جهل بن هشام ، يعذب إلى يوم القيامة .

وقال الأُموي في مغازيه : سمعت أبي ، حدثنا المجالد بن سعيد ، عن عامر ، قال جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم : فقال إني رأيت رجلاً جالساً في بدر ورجل يضرب رأسه بعمود من حديد حتى يغيب في الأرض ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ذاك أبو جهل وكل به ملائكة يفعل به كلما خرج ، فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة » .

وقال البخاري : حدثنا عبيد بن إسماعيل ، حدثنا أبو أسامة ، عن هشام ، عن أبيه قال : قال الزبير : لقيت يوم بدر عبيدة بن سعيد بن العاص وهو مدجج لا يرى منه إلا عيناه ، وهو يُكنى أبا ذات الكرش ، فقال : أنا أبو ذات الكرش ، فحملت عليه بعزة قطعته في عينه فمات . قال هشام : فأخبرت أن الزبير قال : لقد وضعت رجلي عليه ثم تمطيت ، فكان الجهد أن نزعتها وقد انثنى طرفاها ، قال عروة : فسأله إياها رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعطاه إياها ، فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذها ثم طلبها أبو بكر فأعطاه إياها ، فلما قبض أبو بكر سأله إياه عمر بن الخطاب فأعطاه إياها ، فلما قبض عمر أخذها ، ثم طلبها عثمان منه فأعطاه إياها ، فلما قتل عثمان وقعت عند آل علي فطلبها عبد الله بن الزبير فكانت عنده حتى قتل .

وقال ابن هشام : حدثني أبو عبيدة وغيره من أهل العلم بالمغازي ، أن عمر بن الخطاب قال لسعيد بن العاص ، ومرّ به ؛ إني أراك كأن في نفسك شيئا ، أراك تظن أني قتلت أباك ؟ إني لو قتلت لم أعتذر إليك من قتله ، ولكني قتلتُ خالي العاص بن هشام بن المغيرة ، فأما أبوك فإني مررت به وهو يبحث بحث الثور برّوقه ، فجذتُ عنه وقصد له ابنُ عمه عليّ فقتله .

قال ابن إسحاق : وقاتل عُكاشة بن مُخَصَّن بن حَرِثان الأسدي حليف بني عبد شمس يوم بدر بسيفه حتى انقطع في يده فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعطاه جَدَلًا من حطب فقال : « قاتل بهذا يا عكاشة » .

فلما أخذه من رسول الله صلى الله عليه وسلم هزّة فعاد سيفاً في يده طويل القامة شديد المتن أبيض الحديد ، فقاتل به حتى فتح الله على المسلمين ، وكان ذلك السيف يسمّى العَوْن ، ثم لم يزل عنده يشهد به المشاهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قتله طليحة الأسدي أيام الردة ، وأنشد طليحة في ذلك قصيدة منها قوله :

عُشِيَّة غادرتُ ابنَ أَفْرَمَ ثاوياً وَعُكَّاشَةُ الْغَنَمَى عِنْدَ مَجَالِ

وقد أسلم بعد ذلك طليحة ، كما سيأتي بيانه .

قال ابن إسحاق : وعُكاشة هو الذي قال حين بَشَّرَ رسول الله صلى الله عليه وسلم أمته بسبعين ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب : ادع الله أن يجعلني منهم قال : « اللهم اجعله منهم » .

وهذا الحديث مخرّج في الصحاح والحسان وغيرها .

قال ابن إسحاق : وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم - فيما بلغني - « منا خيرُ فارسٍ في العرب » قالوا : ومن هو يا رسول الله ؟ قال « عُكاشة بن مُخَصَّن » فقال ضرار

ابن الأزرور : ذاك رجل منا يارسول الله . قال : ليس منكم ، ولكنه منا للحِلف .

وقد روى البيهقي ، عن الحاكم ، من طريق محمد بن عمر الواقدي ، حدثني عمر بن عثمان الخشنى ، عن أبيه ، عن عمته ، قالت : قال عكاشة بن محصن : انقطع سيفي يوم بدر فأعطاني رسول الله صلى الله عليه وسلم عوداً فإذا هو سيف أبيض طويل ، فقاتلت به حتى هزم الله المشركين ، ولم يزل عنده حتى هلك .

وقال الواقدي : وحدثني أسامة بن زيد ، عن داود بن الحصين ، عن رجال من بني عبد الأشهل ، عِدَّة ، قالوا : انكسر سيفُ سلمة بن حريش يوم بدر ، فبقى أعزل لا سلاح معه ، فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم قضيباً كان في يده من عراجين ابنِ طاب ^(١) فقال : اضرب به . فإذا سيفٌ جيد ، فلم يزل عنده حتى قتل يوم جِسر أبي عبيدة .

ردّه عليه السلام عين قتادة

قال البيهقي في الدلائل : أخبرنا أبو سعد الماليني ، أخبرنا أبو أحمد بن عدى ، حدثنا أبو يعلى ، حدثنا يحيى الحماني ، حدثنا عبد العزيز بن سليمان بن الفسيل ، عن عاصم بن عمر بن قتادة ، عن أبيه ، عن جده قتادة بن النعمان ، أنه أصيبت عينه يوم بدر فسالت حدقته على وجنته ، فأرادوا أن يقطعوها فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « لا » فدعاه فغمز حدقته براحتة ، فكان لا يدرى أىّ عينيه أصيب !

وفي رواية : فكانت أحسن عينيه .

وقد روينا عن أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز أنه لما أخبره بهذا الحديث عاصم ابن عمر بن قتادة وأنشد مع ذلك :

(١) ابن طاب : ضرب من الرطب .

أنا ابنُ الذي سألتَ على الخدِّ عَيْنُهُ فرُدَّتْ بكفُّ المصطفى أَيْمًا رَدَّ
فقال عمر بن عبد عبد العزيز رحمه الله عند ذلك ، منشدا قول أمية بن أبي الصلت
في سيف بن ذى يَزَن ، فأنشده عمر في موضعه حقا :
تلك المكارمُ لا قَعْبَانُ من لبِنٍ شَيْبَا بماء فعادا بعدُ أبوالا

فصل في قصة أخرى شبيهة بها

قال البيهقي : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، أخبرنا محمد بن صالح ، أخبرنا الفضل بن
محمد الشَّعْرَانِي ، حدثنا إبراهيم بن المنذر ، أخبرنا عبد العزيز بن عمران ، حدثني رفاعه بن
يحيى ، عن معاذ بن رفاعه بن رافع ، عن أبيه رافع بن مالك ، قال : لما كان يوم بدر
تجمع الناس على أبيّ بن خلف ، فأقبلتُ إليه فنظرتُ إلى قطعة من درعه قد انقطعت من
تحت إبطه ، قال : فطعنته بالسيف فيها طعنة ، ورُميت بسهم يوم بدر ، ففُقُتْ عيني ،
فبصق فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعا لي ، فما آذاني منها شيء .
وهذا غريب من هذا الوجه ، وإسناده جيد ولم يخرجوه . ورواه الطبراني من
حديث إبراهيم بن المنذر .

قال ابن هشام : ونادى أبو بكر ابنه عبد الرحمن ، وهو يومئذ مع المشركين لم يُسلم
بعد ، فقال : أين مالى يا خبيث ؟ فقال عبد الرحمن :
لم يَبْقَ إِلَّا شَكَّةٌ وَيَعْبُوبٌ وَصَارُمٌ يَقْتُلُ ضُلَّالَ الشَّيْبِ
يعنى لم يبق إلا عدة الحرب وحصان وهو اليعبوب ، يقاتل عليه شيوخ الضلالة .
هذا يقوله في حال كفره .

وقد روينا في مغازى الأموى ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل يمشى هو

وأبو بكر الصديق بين القتلى ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « نَفَقَ هَامًا » :
فيقول الصديق :

مِنْ رِجَالٍ أَعِزَّةٍ عَلَيْنَا ، وَهُمْ كَانُوا أَعْقَ وَأَظْلَمًا !

ذكر طرح رءوس الكفر في بئر يوم بدر

قال ابن إسحاق : وحدثني يزيد بن رومان ، عن عروة ، عن عائشة ، قالت : لما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقتلى أن يطرحوا في القليب ، طُرِحُوا فِيهِ ، إِلَّا مَا كَانَ مِنْ أُمِيَّةَ بْنِ خَلْفٍ فَإِنَّهُ انْتَفَخَ فِي دَرَعِهِ فَلَأَاهَا ، فَذَهَبُوا لِيُخْرِجُوهُ فَتَزَايَلُ [لَحْمُهُ] فَأَقْرَوَهُ وَأَلْقَوْا عَلَيْهِ مَا غِيَّبَهُ مِنَ التُّرَابِ وَالْحِجَارَةِ .

فلما ألقاهم في القليب وقف عليهم فقال : « يَا أَهْلَ الْقَلِيبِ ، هَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَكُمْ رَبُّكُمْ حَقًّا ، فَإِنِّي قَدْ وَجَدْتُ مَا وَعَدَنِي رَبِّي حَقًّا ؟ » .

قالت فقال له أصحابه : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَتَكَلِّمُ قَوْمًا مَوْتَى ؟ !
فقال : « لَقَدْ عَلِمُوا أَنَّ مَا وَعَدَهُمْ رَبُّهُمْ حَقٌّ » .

قالت عائشة : وَالنَّاسُ يَقُولُونَ : لَقَدْ سَمِعُوا مَا قُلْتُ لَهُمْ . وَإِنَّمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : لَقَدْ عَلِمُوا .

قال ابن إسحاق : وحدثني حميد الطويل ، عن أنس بن مالك ، قال : سَمِعْتُ أَصْحَابَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَسُولَ اللَّهِ مِنْ جَوْفِ اللَّيْلِ وَهُوَ يَقُولُ « يَا أَهْلَ الْقَلِيبِ ، يَا عَتَبِيَّةَ ابْنَ رَبِيعَةَ ، وَيَا شَيْبَةَ ابْنَ رَبِيعَةَ ، وَيَا أُمِيَّةَ ابْنَ خَلْفٍ ، وَيَا أَبَا جَهْلَ ابْنَ هِشَامٍ ، فَعَدَدٌ مِنْ كَازٍ مِنْهُمْ فِي الْقَلِيبِ ، هَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا فَإِنِّي قَدْ وَجَدْتُ مَا وَعَدَنِي رَبِّي حَقًّا .

فقال المسلمون : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَتُنَادِي قَوْمًا قَدْ جَيَّفُوا ؟ .

فقال : « ما أنتم بأسمع لما أقول منهم ، ولكنهم لا يستطيعون أن يحيبوني » .
وقد رواه الإمام أحمد عن ابن أبي عدي ، عن حميد ، عن أنس . فذكر نحوه . وهذا
على شرط الشيخين .

قال ابن إسحاق : وحدثني بعض أهل العلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :
يا أهل القلب بئس عشيرة النبي كنتم لنبيكم ، كذبتموني وصدقني الناس ، وأخترتموني
وأوآنى الناس ، وقالتتموني ونصرني الناس ؛ هل وجدتكم ما وعدكم ربي حقاً ؟ فإني قد وجدت
ما وعدني ربي حقاً » .

قلت : وهذا مما كانت عائشة رضي الله عنها تتأوله من الأحاديث ، كما قد يُجمع
ما كانت تتأوله من الأحاديث في جزء ، وتعتقد أنه معارض لبعض الآيات .

وهذا المقام مما كانت تعارض فيه قوله : « وما أنت بمسمعٍ من في القبور » وليس
هو بمعارض له ، والصواب قول الجمهور من الصحابة ومن بعدهم ، للأحاديث الدالة نصاً
على خلاف ما ذهب إليه رضي الله عنها وأرضاها .

وقال البخاري : حدثنا عبيد بن إسماعيل ، حدثنا أبو أسامة ، عن هشام بن عروة ،
عن أبيه قال : ذكر عند عائشة أن ابن عمر رفع إلى النبي صلى الله عليه وسلم أن الميت
يعذب في قبره ببكاء أهله . فقالت : رحمه الله ! إنما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنه
ليعذب بخطيئته وذنبه ، وإن أهله ليكون عليه الآن » .

قالت : وذلك مثل قوله : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قام على القلب وفيه قتلى
بدر من المشركين ، فقال لهم ما قال ، قال : إنهم ليسمعون ما أقول . وإنما قال : « إنهم
الآن ليعلمون أن ما كنت أقول لهم حق » ثم قرأت : « إنك لا تسمع الموتى »
و « ما أنت بمسمعٍ من في القبور » تقول : حين تبوأوا مقاعدكم من النار .
وقد رواه مسلم عن أبي كريب عن أبي أسامة به .

وقد جاء التصريح بسماع الميت بعد دفنه في غير ما حديث ، كما سنقرر ذلك في كتاب الجنائز من الأحكام الكبير إن شاء الله .

ثم قال البخارى : حدثني عثمان ، حدثنا عُبَيْدَة ، عن هشام ، عن أبيه ، عن ابن عمر قال : وقف النبي صلى الله عليه وسلم على قليب بدر فقال : « هل وجدتم ما وعد ربكم حقا » ثم قال : « إنهم الآن يسمعون ما أقول لهم » .

وذُكر لعائشة فقالت : إنما قال النبي صلى الله عليه وسلم : إنهم الآن ليعلمون أن الذى كنت أقول لهم هو الحق . ثم قرأت : « إنك لا تُسمع الموتى » حتى قرأت الآية . وقد رواه مسلم عن أبي كُرَيْب ، عن أبي أسامة ، وعن أبي بكر بن أبى شَيْبَةَ ، عن وكيع ، كلاهما عن هشام بن عروة .

وقال البخارى : حدثنا ^(١) عبد الله بن محمد ، سمع رَوْحَ بن عُبَادَةَ ، حدثنا سعيد بن أبى عَرُوبَةَ ، عن قتادة قال : ذُكر لنا أنس بن مالك ، عن أبى طلحة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر يوم بدر بأربعة وعشرين رجلا من صناديد قريش فُقذُوا فى طَوْيٍ ^(٢) من أطواء بَدْرٍ خَبِيثٍ نُحِبُّ ، وكان إذا ظهر على قوم أقام بالعرصة ^(٣) ثلاث ليال ، فلما كان ببدر اليوم الثالث أمر براجلته فشدَّ عليها رحلها ، ثم مشى وتبعه أصحابه وقالوا ما نرى ينطلق إلا لبعض حاجته . حتى قام على شفة الرَّكِيّ ، فجعل يناديهم بأسمائهم وأسماء آبائهم : يا فلان بن فلان ، ويا فلان بن فلان ، يسرُّكم ^(٤) أنكم أطيتم الله ورسوله ؟ فإننا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا ، فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا ! » .

فقال عمر : يا رسول الله ماتكم من أجساد لا أرواح فيها ؟

(١) البخارى : حدثني . (٢) الطوى : البئر المبنية بالحجارة (٣) العرصة : الموضع الواسع لابتداء فيه .

(٤) البخارى : أيسرُكم .

فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « والذي نفس محمد بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم » .

قال قتادة : أحياءهم الله حتى أسمعهم قوله توبيخاً وتصغيراً ونقمةً وحسرةً وندماً . وقد أخرجه بقية الجماعة إلا ابن ماجه من طرق ، عن سعيد بن أبي عروبة .

ورواه الإمام أحمد ، عن يونس بن محمد المؤدب ، عن شيبان بن عبد الرحمن ، عن قتادة ، قال : حدث أنس بن مالك . فذكر مثله . فلم يذكر أبا طلحة . وهذا إسناد صحيح ، ولكن الأول أصح وأظهر . والله أعلم .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عفان ، حدثنا حماد ، عن ثابت ، عن أنس ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ترك قتلى بدر ثلاثة أيام حتى جفوا ، ثم أتاهم فقام عليهم فقال : « يا أمية ابن خلف ، يا أبا جهل بن هشام ، يا عتبة بن ربيعة ، يا شيبة بن ربيعة ، هل وجدتم ما وعد ربكم حقاً ؟ فإني قد وجدت ما وعدني ربي حقاً » .

قال : فسمع عمر صوته فقال : يا رسول الله أتناديهم بعد ثلاث وهل يسمعون ؟ يقول الله تعالى : « إنك لا تسمع الموتى » فقال : « والذي نفسى بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم ، ولكن لا يستطيعون أن يجيبوا » .
ورواه مسلم ، عن هذبة بن خالد ، عن حماد بن سلمة به .

وقال ابن إسحاق : وقال حسان بن ثابت :

عرفتُ ديارَ زينبٍ بالكِثيبِ	كخطَّ الوَحْيِ في الورقِ القَشِيبِ ^(١)
تداولها الرياحُ وكلُّ جَوْنٍ	من الوَسْمِ ^(٢) مُنْهَمِرٍ سَكُوبٍ
فأمسى رَشْمُهَا خَلْقاً وأمستْ	يَبَاباً بعدَ ساكنها الحَبِيبِ
فدَعَّ عنكَ التذَكُّرَ كلَّ يومٍ	ورُدَّ حرارةَ القلبِ الكِثِيبِ ^(٣)

(١) الوحى : الكتابة . (٢) الوسمى : مطر الخريف . (٣) ابن هشام : الصدر الكتيب .

وخبَّرَ بالذی لا عَیْبَ فِیهِ بِصِدْقٍ غَیْرِ إِبْخَارِ الْكَذُوبِ
بِمَا صَنَعَ الْمَلِیکُ غَدَاةَ بَدْرِ لِنَافِی الْمَشْرِکِیْنِ مِنَ النَّصِیبِ
غَدَاةَ کَانَ جَمْعُهُمْ حِرَاءَ بَدَتْ أَرْكَانُهُ جُنْحَ الْفُرُوبِ
فَلَاقِینَاهُمْ مَتَا یَجْمَعُ کَأَسَدِ الْغَابِ مِرْدَانٍ وَشِیبِ
أَمَامَ مُحَمَّدٍ قَدْ وَازَرُوهُ عَلَی الْأَعْدَاءِ فِی لَفْحِ الْحُرُوبِ
بِأَیْدِهِمْ صَوَارِمُ مُرْهَفَاتٍ وَکُلُّ مُجَرَّبٍ خَاطِی الْکُؤُوبِ
بَنُو الْأَوْسِ الْغَطَارِفِ وَازَرَتْهَا بَنُو النَّجَّارِ فِی الدِّینِ الصَّلِیبِ
فَفَادَرْنَا أَبَا جَبَلٍ صَرِیمَا وَعُتْبَةَ قَدْ تَرَکْنَا بِالْجُبُوبِ ^(١)
وَشِیْبَةً قَدْ تَرَکْنَا فِی رِجَالِ ذَوِی حَسْبٍ إِذَا نُسِبُوا حَسِیبِ
یَنَادِیهِمْ رَسُولُ اللَّهِ لَمَّا قَذَفْنَاهُمْ کِبَاکِبَ فِی الْقَلِیبِ
أَلَمْ تَجِدُوا کَلَامِی کَانَ حَقًّا وَأَمْرُ اللَّهِ یَأْخُذُ بِالْقُلُوبِ
فَمَا نَطَقُوا وَلَوْ نَطَقُوا لَقَالُوا صَدَقْتَ وَکُنْتَ ذَا رَأَیٍ مُصِیبِ

قال ابن إسحاق : ولما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يُلقوا في القليب أخذ عتبة بن ربيعة فسُحب في القليب ، فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم - فيما بلغني - في وجه أبي حذيفة بن عتبة فإذا هو كئيب قد تغير لونه فقال : « يا حذيفة لعلك قد دخلك من شأن أبيك شيء ؟ » أو كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فقال : لا والله يا رسول الله ، ما شككت في أبي ولا في مضرعه ، ولكني كنت أعرف من أبي رأياً وحلماً وفضلاً ، فكنت أرجو أن يهديه ذلك للإسلام ، فلما رأيت ما أصابه ، وذكرت ما مات عليه من الكفر بعد الذي كنت أرجو له ، أحزنتني ذلك . فدعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم بخير وقال له خيراً .

وقال البخاري : حدثنا الحميدي ، حدثنا سفيان ، حدثنا عمرو ، عن عطاء ، عن ابن عباس : « الذين بدلوا نعمة الله كفراً » قال : هم والله كفار قريش . قال عمرو : هم قريش ، ومحمد نعمة الله : « وأحلوا قومهم دار البوار » قال : النار يوم بدر . قال ابن إسحاق : وقال حسان بن ثابت :

قوى الذين هم آووا نبيهم	وصدقوه وأهل الأرض كفار
إلا خصائص أقوام هم سلف	للصالحين من الأنصار أنصار
مستبشرين بقسم الله قولهم	لما أتاهم كريم الأصل مختار
أهلاً وسهلاً في أمن وفي سعة	نعم النبي ونعم القسم والجار
[فأنزلوه بدار لا يخاف بها	من كان جارهم داراً هي الدار ^(١)]
وقاسموهم بها الأموال إذ قدّموا	مهاجرين وقسم الجاحد ^(٢) النار
سيرنا وساروا إلى بدر لحينهم	لو يعلمون يقين العلم ماساروا
والاهم ^(٣) بفرور ثم أسأهم	إن الخبيث لمن والاه غرّار
وقال إني لكم جار فأوردتم	شرّ الموارد فيه الخزي والعار
ثم التقينا فولّوا عن سرائهم	من منجدين ومنهم فرقة غاروا

وقال الإمام أحمد : حدثنا يحيى بن أبي بكر وعبد الرزاق ، قالا : حدثنا إسرائيل ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : لما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من القتلى قيل له : عليك العير ليس دونها شيء . فناداه العباس وهو في الوثاق : إنه لا يصلح لك . قال : لم ؟ قال : لأن الله وعدك إحدى الطائفتين ، وقد أنجز لك ما وعدك .

(١) من ابن هشام . (٢) الأصل : الجاهل . وما أثبتته عن ابن هشام

(٣) ابن هشام : دلام

وقد كانت جملة مَنْ قُتِلَ من سرّاة الكفار يوم بدر سبعين ، هذا مع حضور ألف من الملائكة .

وكان قَدَرُ الله السابق فيمن بَقِيَ منهم أَنْ سيُسَلِّمَ منهم بشر كثير ، ولو شاء الله لسلط عليهم ملكاً واحداً فأهلكهم عن آخرهم ، ولكن قَتَلُوا من لا خير فيه بالكلية .

وقد كان في الملائكة جبريل الذي أمره الله تعالى فاقتلع مدائن قوم لوط ، وكنَّ سَبْعَا فيهن من الأمم والدواب والأراضي والمزروعات ، وما لا يعلمه إلا الله ، فرفعهن حتى بلغ بهن عنان السماء على طرف جناحه ، ثم قلبهن منكسات وأتبعهن بالحجارة التي سوّمت لهم . كما ذكرنا ذلك في قصة قوم لوط .

وقد شرع الله جهادَ المؤمنين للكافرين ، ويبيّن تعالى حكمه في ذلك فقال : « فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب ، حتى أَدْمَغْتُمُوهُمْ فَجُدُوا الْوِثَاقَ فَإِمَامَةً بَعْدُ وَإِمَا فِدَاءً ، حتى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ، ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ » ^(١) الآية . وقال تعالى : « قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِمَهُمْ وَيَنْصَرِكُمْ عَلَيْهِمْ وَيُشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ . وَيُذْهِبَ غِظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ » ^(٢) الآية .

فكان قتلُ أبي جهل على يدي شاب من الأنصار ، ثم بعد ذلك يوقف عليه عبد الله بن مسعود ومسك بلحيته وصعد على صدره حتى قال له : لقد رقيت مرتقياً صعباً يارؤيى الغنم . ثم بعد هذا حَزَّ رأسه واحتمله حتى وضعه بين يدي رسول الله .

فشفى الله به قلوب المؤمنين ، كان هذا أبلغ من أن تأتيه صاعقة أو أن يسقط عليه سقف منزله أو يموت حتف أنفه ! والله أعلم .

وقد ذكر ابن إسحاق فيمن قُتل يوم بدر مع المشركين ، ممن كان مسلماً ولكنه خرج معهم تقيّة منهم ، لأنه كان فيهم مضطهداً قد فتنوه عن إسلامه ، جماعة منهم : الحارث بن زَمْعَة بن الأسود ، وأبو قيس بن الفاكه ، [وأبو قيس بن الوليد بن المغيرة]^(١) وعلى بن أمية بن خلف ، والعاص بن مُنْبه بن الحجاج .

قال : وفيهم نزل قوله تعالى : « إن الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم ، قالوا : فيم كنتم . قالوا : كنا مُستضعفين فى الأرض . قالوا : ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها . فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيراً »^(٢) .

وكان جملة الأسارى يومئذ سبعين أسيراً ، كما سيأتى الكلام عليهم فيما بعد إن شاء الله ، منهم من آل رسول الله صلى الله عليه وسلم : عمه العباس بن عبد المطلب ، وابن عمه عَقِيل بن أبى طالب ، ونوفل بن الحارث بن عبد المطلب .

وقد استدلل الشافعى والبخارى وغيرهما بذلك على أنه ليس كلُّ مَنْ مَلَكَ ذا رحم مُحَرَّم يَعتَق عليه ، وعارضوا به حديث الحسن ، عن ابن سمرّة فى ذلك . فالله أعلم .

وكان فيهم أبو العاص ابن الربيع بن عبد شمس بن أمية زوج زينب بنت النبى صلى الله عليه وسلم .

فصل

وقد اختلف الصحابة في الأسارى : أَيْقَتلون أو يُقَادون على قولين .

كما قال الإمام أحمد : حدثنا علي بن عاصم ، عن حميد ، عن أنس ، وذكر رجل ، عن الحسن ، قال : استشار رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس في الأسارى يوم بدر فقال : « إن الله قد أمكنكم منهم » .

قال : فقام عمر فقال : يا رسول الله اضرب أعناقهم ، قال : فأعرض عنه النبي صلى الله عليه وسلم .

ثم عاد النبي فقال للناس مثل ذلك ، فقام أبو بكر الصديق فقال : يا رسول الله نرى أن تعفو عنهم وأن تقبل منهم الفداء .

قال : فذهب عن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان فيه من الغم ، فعفا عنهم وقبل منهم الفداء .

قال وأنزل الله تعالى : « لولا كتابٌ من الله سبق لمسكم » الآية .

انفرد به أحمد .

وقد روى الإمام أحمد ، واللفظ له ، ومسلم وأبو داود والترمذي وصححه وكذا على ابن المديني وصحَّحه ، من حديث عكرمة بن عمار ، حدثنا سمالك الحنفي أبو زميل ، حدثني ابن عباس ، حدثني عمر بن الخطاب قال : نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أصحابه يوم بدر وهم ثلاثمائة ونيف ، ونظر إلى المشركين فإذا هم ألف وزيادة .

فذكر الحديث كما تقدم إلى قوله : فقتل منهم سبعون رجلا ، وأسر منهم سبعون رجلا .

واستشار رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر وعليًا وعمر ، فقال أبو بكر : يا رسول الله هؤلاء بنو العم والعشيرة والإخوان ، وإنى أرى أن تأخذ منهم الفدية ،

فيكون ما أخذناه قوة لنا على الكفار ، وعسى أن يهديهم الله فيكونوا لنا عضداً .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ماترى يا بن الخطاب ؟ » قال : قلت : والله ما أرى ما رأى أبو بكر ، ولكن أرى أن تمكنني من فلان ، قريب لعمر ، فأضرب عنقه ، وتمكن علياً من عقيل فيضرب عنقه ، وتمكن حمزة من فلان أخيه فيضرب عنقه ، حتى يعلم الله أنه ليست في قلوبنا هوداة للمشركين ، وهؤلاء صناديدهم وأئمتهم وقادتهم .
فهو ي رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال أبو بكر ولم يهو ما قلت وأخذ منهم الفداء .

فلما كان من الغد قال عمر : فغدوت إلى النبي صلى الله عليه وسلم وأبى بكر وهما يبيكان فقلت : يا رسول الله أخبرني ماذا يبكيك أنت وصاحبك ، فإن وجدت بكاءً بكيتُ ، وإن لم أجد بكاءً تباكيت لبكائكما ؟

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : للذي عَرَضَ على أصحابك من أخذهم الفداء ، قد عَرَضَ على عذابكم أدنى من هذه الشجرة . لشجرة قريبة .
وأنزل الله تعالى : « ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض ، ترويدن عَرَضَ الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم . لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم » من الفداء ، ثم أحلّ لهم الفنائم . وذَكَرَ تمام الحديث .

وقال الإمام أحمد : حدثنا أبو معاوية ، حدثنا الأعمش ، عن عمرو بن مرة ، عن عبيدة ، عن عبد الله ، قال : لما كان يوم بدر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما تقولون في هؤلاء الأسرى ؟ قال : فقال أبو بكر : يا رسول الله قومك وأهلك استبقهم واستأن بهم لعل الله أن يتوب عليهم .

قال : وقال عمر : يا رسول الله أخرجوك وكذبوك ، قرَّبهم فأضرب أعناقهم .

قال : وقال عبد الله بن رَوَاحَة : يارسول الله انظر وادياً كثير الخطب فأدخلهم فيه ثم أضرمه عليهم ناراً .

قال : فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يردّ عليهم شيئاً . فقال ناس : يأخذ بقول أبي بكر . وقال ناس : يأخذ بقول عمر ، وقال ناس يأخذ بقول عبد الله بن رَوَاحَة . فخرج عليهم فقال : « إن الله كيل قلوب رجال فيه حتى تكون ألين من اللبن وإن الله ليشد قلوب رجال فيه حتى تكون أشد من الحجارة ، وإن مثلك يا أبا بكر كمثل إبراهيم قال : « فمن تبعني فإنه مني ومن عصاني فإنك غفور رحيم » ومثلك يا أبا بكر كمثل عيسى قال : « إن تعذبهم فإنهم عبادك ، وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم » وإن مثلك يا عمر كمثل نوح قال : « رب لا تدز على الأرض من الكافرين دياراً » وإن مثلك يا عمر كمثل موسى قال : « ربنا اطمس على أموالهم واشد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم » أنتم عالة فلا يبقين أحد إلا بفداء أو ضربة عنق . قال عبد الله : فقلت : يارسول إلا سهيل بن بيضاء فإني قد سمعته يذكر الإسلام . قال : فسكت .

قال : فما رأيتني في يوم أخوف أن تقع على حجارة من السماء من ذلك اليوم . حتى قال : « إلا سهيل بن بيضاء » .

قال : فأنزل الله : « ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض ، تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم ، لولا كتاب من الله سبق لمسكم إلى آخر الآيتين .

وهكذا رواه الترمذي والحاكم من حديث أبي معاوية ، وقال الحاكم : صحيح الإسناد ولم يخرجاه . ورواه ابن مردويه من طريق عبد الله بن عمر وأبي هريرة بنحو ذلك . وقد روى عن أبي أيوب الأنصاري بنحوه .

وقد روى ابن مردويه والحاكم في المستدرک ، من حديث عبيد الله بن موسى ،

حدثنا إسرائيل ، عن إبراهيم بن مهاجر ، عن مجاهد ، عن ابن عمر ، قال : لما أُسر الأسارى يوم بدر أُسر العباس فيمن أُسر ، أسره رجل من الأنصار . قال : وقد أوعده الأنصار أن يقتلوه . فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال : « إني لم أنم الليلة من أجل عمي العباس ، وقد زعمت الأنصار أنهم قاتلوه » قال عمر : أفأتيهم؟ قال : نعم .

فأتى عمر الأنصارَ فقال لهم : أرسلوا العباس . فقالوا : لا والله لا نرسله . فقال لهم عمر : فإن كان لرسول الله رضا؟ قالوا فإن كان له رضا فخذْه . فأخذ عمر ، فلما صار في يده قال له عمر : يا عباس أسلم ، فوالله لئن تسلم أحب إلى من أن يسلم الخطّاب . وما ذاك إلا لما رأيت رسول الله يعجبه إسلامك .

قال : واستشار رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر ، فقال أبو بكر : عشيرتك فأرسلهم . واستشار عمر فقال : اقتلهم . فقاداهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأنزل الله : « ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض » الآية . ثم قال الحاكم في صحيحه : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه .

وروى الترمذى والنسائى وابن ماجه ، من حديث سفيان الثورى ، عن هشام بن حسان ، عن محمد بن سيرين ، عن عبيدة ، عن علي ، قال : جاء جبريل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : خير أصحابك في الأسارى إن شاءوا الفداء وإن شاءوا القتل ، على أن يقتل عاماً قابلاً منهم مثلهم . قالوا : الفداء أو يقتل منا .

وهذا حديث غريب جداً ، ومنهم من رواه مراسلاً عن عبيدة . والله أعلم . وقد قال ابن إسحاق ، عن ابن أبي نجيح ، عن عطاء ، عن ابن عباس ، في قوله : « لولا كتاب من الله سبق لمسّكم فيما أخذتم عذاب عظيم » يقول : لولا أنى لا أعذب من عصانى حتى أتقدم إليه لمسّكم فيما أخذتم عذاب عظيم . وهكذا روى عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد أيضاً . واختاره ابن إسحاق وغيره .

وقال الأعمش : سَبَقَ مِنْهُ أَلَا يَعْذِبُ أَحَدًا شَهِدَ بِدِرًّا . وَهَكَذَا رَوَى عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَاصٍ وَسَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ وَعَطَاءُ بْنُ أَبِي زُبَاحٍ .

وقال مجاهد والثوري : « لَوْلَا كِتَابُ اللَّهِ سَبَقَ » أَيْ لَمْ يَلْغُ بِالْمَغْفِرَةِ .

وقال الواجبى : عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، سَبَقَ فِي أُمِّ الْكِتَابِ الْأَوَّلِ أَنْ الْمَغَانِمِ وَفِدَاءِ الْأَسَارَى حَلَالٌ لَكُمْ ، وَلِهَذَا قَالَ بَعْدَهُ : « فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا » .

وهكذا روى عن أبي هريرة وابن مسعود وسعيد بن جبيرة وعطاء والحسن وقتادة والأعمش ، واختاره ابن جرير .

وقد تَرَجَّحَ هَذَا الْقَوْلُ بِمَا ثَبَتَ فِي الصَّحِيحَيْنِ ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَ مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ قَبْلِي ؛ نُصِرْتُ بِالرَّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ ، وَجُعِلَتْ لِيَ الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهْرًا ، وَحَلَّتْ لِيَ الْغَنَائِمُ وَلَمْ تَحِلْ لِأَحَدٍ قَبْلِي ، وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ ، وَكَانَ النَّبِيُّ يَبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ وَبَعَثَتْ إِلَى النَّاسِ عَامَةً » .

وروى الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم « لَمْ تَحِلْ الْغَنَائِمُ لِسُودِ الرُّعُوسِ غَيْرَنَا » .

ولهذا قال تعالى : « فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا » فَأُذِنَ لِلَّهِ تَعَالَى فِي أَكْلِ الْغَنَائِمِ وَفِدَاءِ الْأَسَارَى .

وقد قال أبو داود : حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ الْمُبَارَكِ الْعَبْسِيُّ ، حَدَّثَنَا سَفْيَانُ بْنُ حَبِيبٍ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ ، عَنْ أَبِي الْعَبَّاسِ ، عَنْ أَبِي الشَّعْثَاءِ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَعَلَ فِدَاءَ أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ يَوْمَ بَدْرٍ أَرْبَعًا ، وَهَذَا كَانَ أَقَلَّ مَا فُودِيَ بِهِ أَحَدٌ مِنْهُمْ مِنَ الْمَالِ ، وَأَكْثَرُ مَا فُودِيَ بِهِ الرَّجُلُ مِنْهُمْ أَرْبَعَةُ آلَافِ دِرْهَمٍ .

وقد وعد الله من آمن منهم بالخلف عما أخذ منه في الدنيا والآخرة ، فقال تعالى :
« يا أيها النبي قل لمن في أيديكم من الأسرى إن يعلم الله في قلوبكم خيراً يؤتكم خيراً مما أخذ منكم ويغفر لكم » الآية .

وقال الواحشي ، عن ابن عباس ، نزلت في العباس ففادى نفسه بالأربعين أوقية من ذهب . قال العباس : فأتاني الله أربعين عبداً . يعني كلهم يتجر له . قال : وأنا أرجو المغفرة التي وعدنا الله جل ثناؤه .

وقال ابن إسحاق : حدثني العباس بن عبد الله بن معبد^(١) ، عن بعض أهله ، عن ابن عباس ، قال : لما أمسى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر والأسارى محبوسون بالوثاق ، بات النبي صلى الله عليه وسلم ساهراً أول الليل ، فقال له أصحابه : مالك لا تنام يا رسول الله ؟ فقال : سمعت أنين عمي العباس في وثاقه « فأطلقوه ، فسكت ، فنام رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال ابن إسحاق : وكان رجلاً موسراً ففادى نفسه بمائة أوقية من ذهب .

قلت : وهذه المائة كانت عن نفسه وعن ابني أخويه عقيل ونوفل ، وعن حليفه عتبة بن عمرو أحد بني الحارث بن فهر ، كما أمره بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم حين ادعى أنه كان قد أسلم ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أما ظاهرك فكان علينا ، والله أعلم بإسلامك وسيجزيك » فادّعى أنه لا مال عنده .

قال : « فأين المال الذي دفنته أنت وأم الفضل وقلت لها : إن أصبت في سفري فهذا لبنى الفضل وعبد الله وقيم ؟ » .

فقال : والله إنى لأعلم أنك رسول الله ، إن هذا شيء ما علمه إلا أنا وأم الفضل .

رواه ابن إسحاق ، عن ابن أبي نجیح ، عن عطاء ، عن ابن عباس .

وثبت في صحيح البخارى من طريق موسى بن عقبة ، قال الزهرى : حدثني أنس

(١) الأصل : معقل . وهو تحريف . وهو العباس بن عبد الله بن معبد بن العباس بن عبد المطلب الهاشمي المدني .

ابن مالك ، قال : إن رجالاً من الأنصار استأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا : إيدن لنا فلنترك لابن أختنا العباس فداءه . فقال : « لا والله لا تذرُون منه درهما » .

قال البخارى : وقال ابراهيم بن طهمان ، عن عبد العزيز بن صهيب ، عن أنس ، أن النبي صلى الله عليه وسلم أُوتى بمال من البحرين فقال : « انثروه في المسجد » فكان أكثر مالٍ أُتِيَ به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إذ جاءه العباس فقال : يا رسول الله أعطنى ، إني فاديت نفسى وفاديتُ عقيلاً . فقال : خذ . فحُثَا في ثوبه ، ثم ذهب يقبله فلم يستطع ، فقال مُرْ بعضهم يرفعه إلى . قال : لا . قال : فارفعه أنت على . قال : لا . فنثر منه ثم ذهب يقبله فلم يستطع ، فقال : مُرْ بعضهم يرفعه إلى . قال : لا . قال : فارفعه أنت على . قال : لا . فنثر منه ثم احتمله على كاهله ثم انطلق . فما زال يُتَبَّعه بصره حتى خَفِيَ علينا عجباً من حرصه !
فما قام رسول الله صلى الله عليه وسلم وثُمَّ منها درهم .

وقال البيهقي : أخبرنا الحاكم ، أخبرنا الأصم ، عن أحمد بن عبد الجبار ، عن يونس ، عن أسباط بن نصر ، عن إسماعيل بن عبد الرحمن السدى ، قال : كان فداء العباس وابنى أخويه عقيل بن أبى طالب ونوفل بن الحارث بن عبد المطلب ، كلُّ رجل أربعائة دينار ، ثم توعَّد تعالى الآخرين فقال : « وإن يريدوا خيانتك فقد خانوا الله من قبل فأمكن منهم والله عليمٌ حكيم » .

فصل

والمشهور أن الأسارى يوم بدر كانوا سبعين ، والقتلى من المشركين سبعين كما ورد في غير ما حديث مما تقدم وسيأتى إن شاء الله ، وكما في حديث البراء بن عازب في صحيح البخارى أنهم قتلوا يوم بدر سبعين ، وأسروا سبعين .

وقال موسى بن عقبة : قُتل يومَ بدر من المسلمين من قريش ستة ومن الأنصار

ثمانية ، وقتل من المشركين تسعة وأربعون ، وأسروهم تسعة وثلاثون .
هكذا رواه البيهقي عنه .

قال : وهكذا ذكر ابن كهيعة ، عن أبي الأسود ، عن عروة ، في عدد من استشهد
من المسلمين وقتل من المشركين .

ثم قال : أخبرنا الحاكم ، أخبرنا الأصم ، أخبرنا أحمد بن عبد الجبار ، عن يونس
بن بُكَيْر ، عن محمد بن إسحاق ، قال : واستشهد من المسلمين يوم بدر أحد عشر رجلا
أربعة من قريش وسبعة من الأنصار ، وقتل من المشركين بضعة وعشرون رجلا .
وقال في موضع آخر : وكان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعون أسيراً ،
وكانت القتل مثل ذلك .

ثم روى البيهقي ، من طريق أبي صالح ، كاتب الليث ، عن الليث ، عن عُقَيْل ،
عن الزُّهْرِي ، قال : وكان أول قتيل من المسلمين مُنْجَع مولى عمر ، ورجل من الأنصار
وقتل يومئذ من المشركين زيادةً على سبعين ، وأسروهم مثل ذلك .

قال : ورواه ابن وهب ، عن يونس بن يزيد ، عن الزهري ، عن عروة بن الزبير ،
قال : قال البيهقي : وهو الأصح فيما رويناه في عدد من قُتل من المشركين وأسروهم .
ثم استدللَّ على ذلك بما ساقه هو والبخاري أيضاً من طريق أبي إسحاق ، عن البراء
ابن عازب ، قال : أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم على الرماة يوم أحد عبد الله بن
جبير ، فأصابوا منا سبعين . وكان النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه قد أصابوا من المشركين
يوم بدر أربعين ومائة ، سبعين أسير ، وسبعين قتيلاً .

قلت : والصحيح أن جملة المشركين كانوا مابين التسعمائة إلى الألف .
وقد صرَّح قتادة بأنهم كانوا تسعمائة وخمسين رجلاً ، وكأنه أخذه من هذا الذي
ذكرناه . والله أعلم .

وفى حديث عمر المتقدم أنهم كانوا زيادة على الألف ، والصحيح الأول ، لقوله عليه السلام « القوم ما بين التسعمائة إلى الألف » .

وأما الصحابة يومئذ فكانوا ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً ، كما سيأتى التنصيص على ذلك وعلى ، أسمائهم إن شاء الله .

وتقدم فى حديث الحكم ، عن مقسم ، عن ابن عباس أن وقعة بدر كانت يوم الجمعة السابع عشر من شهر رمضان ، وقاله أيضاً عروة بن الزبير وقتادة وإسماعيل والسدى الكبير وأبو جعفر الباقر .

وروى البيهقى ، من طريق قتبية ، عن جرير ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن الأسود عن عبد الله بن مسعود فى ليلة القدر ، قال : « تحرّوها لإحدى عشرة بقين فإن صبيحتها يوم بدر » .

قال البيهقى : وروى عن زيد بن أرقم ، أنه سئل عن ليلة القدر فقال : ليلة تسع عشرة ما شك . وقال : يوم الفرقان يوم التقى الجمعان .

قال البيهقى : والمشهور عن أهل المغازى أن ذلك لسبع عشرة ليلة مضت من شهر رمضان .

ثم قال البيهقى : أخبرنا أبو الحسين بن بشران ، حدثنا أبو عمرو بن السّمّاك ، حدثنا حنبل بن إسحاق ، حدثنا أبو نعيم ، حدثنا عمرو بن عثمان ، سمعت موسى بن طلحة يقول : سئل أبو أيوب الأنصارى عن يوم بدر ، فقال : إما لسبع عشرة خلت ، أو ثلاث عشرة خلت ، أو لإحدى عشرة بقيت ، وإما لسبع عشرة بقيت . وهذا غريب جداً .

[وقد ذكر الحافظ ابن عساكر فى ترجمة قُبات بن أَشيم اللّيثى ، من طريق الواقدي

وغيره بإسنادهم إليه ، أنه شهد يوم بدر مع المشركين ، فذكر هزيمتهم مع قلة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : وجعلت أقول في نفسي : ما رأيت مثل هذا الأمر فرّ منه إلا النساء ، والله لو خرجت نساء قريش بالسّهاء^(١) ردت محمداً وأصحابه . فلما كان بعد الخندق قلت : لو قدمت المدينة فنظرت إلى ما يقول محمد . وقد وقع في نفسي الإسلام ، قال : فقدمتها فسألت عنه ، فقالوا : هو ذاك في ظل المسجد في ملأ من أصحابه . فأتيته وأنا لا أعرفه من بين أصحابه ، فسلمت فقال : يا قباث بن أشيم ، أنت القائل يوم بدر : ما رأيت مثل هذا الأمر فرّ منه إلا النساء ؟ فقلت : أشهد أنك رسول الله فإن هذا الأمر ما خرج مني إلى أحد قط ولا تزمزمت به ، إلا شيئاً حدثت به نفسي ، فلولا أنك نبي ما أطلعك عليه ، هلم أبايحك على الإسلام فأسلمت^(٢) .

فصل

وقد اختلفت الصحابة رضى الله عنهم يوم بدر في المغنم من المشركين يومئذ لمن تكون منهم .

وكانوا ثلاثة أصناف حين ولّى المشركون : ففرقة أخذت برسول الله صلى الله عليه وسلم تحرسه ، خوفاً من أن يرجع أحد من المشركين إليه .
وفرقة ساقط وراء المشركين يقتلون منهم ويأسرون .
وفرقة جمعت المغنم من متفرقات الأماكن .

فادّعى كل فريق من هؤلاء أنه أحقّ بالمغنم من الآخرين لما صنع من الأمر المهم . قال ابن إسحاق : لحدثني عبد الرحمن بن الحارث وغيره عن سليمان بن موسى ، عن مكحول ، عن أبي أمامة الباهلي قال : سألت عبادة بن الصامت ، عن الأنفال فقال : فينا أصحاب بدر نزلت حين اختلفنا في النفل وساءت فيه أخلاقنا ، فنزعه الله من أيدينا

فجعله إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقسمه بين المسلمين عن بواء . يقول : عن سواء . وهكذا رواه أحمد عن محمد بن سلمة ، عن محمد بن إسحاق به .

ومعنى قوله : « على الداء » أى ساوى فيها بين الذين جمعوها ، وبين الذين اتبعوا العدو ، وبين الذين ثبتوا تحت الرايات ، لم يخصص بها فريقاً منهم من ادعى التخصيص بها

ولا ينفى هذا تخميسها وصرف الخمس في مواضعه ، كما قد يتوهمه بعض العلماء ، منهم أبو عبيدة وغيره ، والله أعلم . بل قد تنفل رسول الله صلى الله عليه وسلم سيفه ذا الفقار من مغنم بدر .

قال ابن جرير : وكذا اصطفى جملاً لأبي جهل كان في أنفه بُرّة من فضة ، وهذا قبل إخراج الخمس أيضاً .

وقال الإمام أحمد : حدثنا معاوية بن عمرو ، حدثنا ابن إسحاق ، عن عبد الرحمن ابن الحارث بن عبد الله بن عباس بن أبي ربيعة ، عن سليمان بن موسى ، عن أبي سلام ، عن أبي أمامة ، عن عبادة بن الصامت ، قال : خرجنا مع النبي صلى الله عليه وسلم فشهدت معه بدرًا ، فالتقى الناس فهزم الله العدو ، فانطلقت طائفة في آثارهم يهزمون ويقتلون ، وأكبت طائفة على المغنم يحوزونه ويجمعونه ، وأحدقت طائفة برسول الله صلى الله عليه وسلم لا يصيب العدو منه غرة ، حتى إذا كان الليل وفاء الناس بعضهم إلى بعض قال الذين جمعوا الغنائم : نحن حويناها وليس لأحد فيها نصيب ، وقال الذين خرجوا في طلب العدو : لستم بأحق به منا ، نحن نفينا منها العدو وهزمناهم ، وقال الذين أحدقوا برسول الله صلى الله عليه وسلم : خفنا أن يصيب العدو منه غرة فاشتغلنا به . فأنزل الله : « يسألونك عن الأنفال قل الأنفال لله والرسول ، فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين » .

قسمها رسول الله بين المسلمين : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أغار في أرض العدو نفل الربع ، فإذا أقبل راجعا نفل الثالث ، وكان يكره الأنفال .

وقد روى الترمذى وابن ماجه ، من حديث الثورى ، عن عبد الرحمن بن الحارث آخره . وقال الترمذى : هذا حديث حسن . ورواه ابن حبان فى صحيحه والحاكم فى مستدركه من حديث عبد الرحمن ، وقال الحاكم : صحيح على شرط مسلم ولم يخرجه .

وقد روى أبو داود والنسائى وابن حبان والحاكم من طرق ، عن داود بن أبى هند ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : لما كان يوم بدر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من صنع كذا وكذا فله كذا وكذا . فسارع فى ذلك شبان الرجال وبقى الشيوخ تحت الرايات ، فلما كانت الغنائم جاءوا يطلبون الذى جعل لهم ، قال الشيوخ : لا تستأثروا علينا ، فإننا كنا رذءا لكم لو انكشفتم لفتنم إلينا . فتنازعوا ، فأنزل الله تعالى : « يسألونك عن الأنفال ، قل الأنفال لله والرسول فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين » .

وقد ذكرنا فى سبب نزول هذه الآية آثارا آخر يطول بسطها ها هنا

ومعنى الكلام : أن الأنفال مَرَّجَعها إلى حكم الله ورسوله يحكمان فيها بما فيه المصلحة للعباد فى المعاش والمعاد ، ولهذا قال تعالى : « قل الأنفال لله والرسول فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين » .

ثم ذكر ما وقع فى قصة بدر ، وما كان من الأمر حتى انتهى إلى قوله : « واعلموا أن ما غنمتم من شىء فإن لله خمسهُ وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل » الآية فالظاهر أن هذه الآية مبينة لحكم الله فى الأنفال الذى جعل مردّه إليه وإلى رسوله صلى الله عليه وسلم ، فبيّنه تعالى وحكم فيه بما أراد تعالى ، وهو قول أبى زيد .

وقد زعم أبو عبيد القاسم بن سلام رحمه الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم

قسم غنائم بدر على السَّواء بين الناس ، ولم يُخْمَسْها . ثم نزل بيان الخُمُس بعد ذلك ناسخاً لما تقدم .

وهكذا روى الواليُّ ، عن ابن عباس ، وبه قال مجاهد وعكرمة والسُّدي ، وفي هذا نظر . والله أعلم . فإن في سياق الآيات قبل آية الخُمُس وبعدها كلها في غزوة بدر ، فيقتضى أن ذلك نزل جملةً في وقت واحد غير متفاصل بتأخر يقتضى نَسَخَ بعضه بعضاً .

ثم في الصحيحين عن علي رضي الله عنه ؛ أنه قال في قصة شارٍ فيه الذين اجْتَبَ أَسْنِمَتُهما حمزة ، أن إحداهما كانت من الخُمُس يوم بدر ، مايردُ صريحاً على أبي عبيد أن غنائم بدر لم تَحْمَس . والله أعلم . بل خُمِّسَتْ كما هو قول البخاري وابن جرير وغيرهما ، وهو الصحيح الراجح . والله أعلم .

فصل

في رجوعه عليه السلام من بدر إلى المدينة ، وما كان من الأمور في مسيره إليها مؤيداً منصوراً ، عليه من ربه أفضل الصلاة والسلام

وقد تقدم أن الوقعة كانت يوم الجمعة السابع عشر من رمضان سنة اثنتين من الهجرة .

وثبت في الصحيحين أنه كان إذا ظهر على قوم أقام بالعرصة ثلاثة أيام ، وقد أقام عليه السلام بعرصة بدر ثلاثة أيام كما تقدم ، وكان رحيله منها ليلة الاثنين ، فركب ناقته ووقف على قليب بدر ، فقرع أولئك الذين سُحبوا إليه كما تقدم ذكره .

ثم سار عليه السلام ومعه الأسارى والغنائم الكثيرة ، وقد بعث عليه السلام بين يديه بشيرين إلى المدينة بالفتح والنصر والظفر على من أشرك بالله وجحد به كفر ؛ أحدهما عبد الله بن رواحة إلى أعالي المدينة ، والثاني زيد بن حارثة إلى السافلة .

قال أسامة بن زيد : فأتانا الخبر حين سوَّينا على رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان زوجها عثمان بن عفان رضى الله عنه قد احتبس عندها يمرضها بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد ضرب له رسول الله بسهمه وأجره في بدر .

قال أسامة : فلما قدم أبي زيدُ بن حارثة جثته وهو واقف بالمصلى وقد غشيه الناس وهو يقول : قُتل عتبة بن ربيعة ، وأبو جهل بن هشام ، وزمعة بن الأسود ، وأبو البختري العاص بن هشام ، وأميمة بن خلف ، ونُبيه ومُنْبة ابنا الحجاج . قال : قلت : يا أبا أحقُّ هذا ؟ قال : إى والله يابنى .

وروى البيهقي من طريق حماد بن سلمة ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن أسامة ابن زيد ، أن النبي صلى الله عليه وسلم خلف عثمانَ وأسامة بن زيد على بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجاء زيدُ بن حارثة على العَصْبَاء ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبشارة ، قال أسامة : فسمعت الهَيْعَةَ فخرجت ، فإذا زيد قد جاء بالبشارة ، فوالله ما صدقت حتى رأينا الأسارى . وضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم لعثمان بسهمه .

وقال الواقدي : صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مرجعه من بدرِ العَصْرِ بالأَثِيل ، فلما صلى ركعة تبسَّم ، فسُئِلَ عن تبسمه فقال : يرى ميكائيل وعلى جناحه النِّقْع فتبسَّم إلى وقال : إني كنت في طلب القوم . وأتاه جبريل حين فرغ من قتال أهل بدر على فرس أنثى معقود الناصية وقد عَصَمَ نَنْيَاهُ الغبار فقال : يا محمد إن ربى بعثنى إليك وأمرنى ألا أفارقك حتى ترضى ، هل رضيت ؟ قال : نعم .

قال الواقدي : قالوا : وقدَّم رسول الله صلى الله عليه وسلم زيدَ بن حارثة وعبدَ الله ابن رواحة من الأَثِيل فجاء يوم الأحد حين اشتد الضحى ، وفارق عبدُ الله بن رواحة زيدَ بن حارثة من العَقِيق ، فجعل عبد الله بن رواحة ينادى على راحلته : يا معشر الأنصار أهبِّروا بسلامة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقتل المشركين وأسْرهم ، قُتل ابنا ربيعة ، وابنا الحجاج ، وأبو جهل ، وقتل زمعة بن الأسود ، وأميمة بن خلف ، وأسْر سهيل بن عمرو .

قال عاصم بن عدى: فقمتم إليه فذبحوه فقلت: أحقاً يا بن رواحة؟ فقال: إى والله، وغداً يقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالأسرى مقرّنين. ثم تتّبع دور الأنصار بالعالية يبشّرون داراً داراً، والصبيان ينشدون معه يقولون: قُتل أبو جهل الفاسق، حتى إذا انتهى إلى دار بنى أمية وقدم زيد بن حارثة على ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم القصواء يبشرون أهل المدينة، فلما جاء المصلّى صاح على راحلته: قتل عتبة وشيبة ابنا ربيعة، وابنا الحجاج، وقُتل أمية بن خلف وأبو جهل وأبو البختري وزمعة بن الأسود، وأسير سهيل ابن عمرو ذو الأنياب، فى أسرى كثير.

فجعل بعض الناس لا يصدقون زيدا ويقولون: ما جاء زيد بن حارثة إلا فلا^(١) حتى غاظ المسلمين ذلك وخافوا.

وقدم زيد حين سويّا على رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبيع، وقال رجل من المنافقين لأسامة: قتل صاحبكم ومن معه. وقال آخر لأبى لبابة: قد تفرق أصحابكم تفرقاً لا يجتمعون فيه أبداً، وقد قُتل عليه أصحابه، قُتل محمد، وهذه ناقته نعرفها، وهذا زيد لا يدري ماذا يقول من الرعب، وجاء فلا. فقال أبو لبابة: يكذب الله قولك. وقالت اليهود: ما جاء زيد إلا فلا.

قال أسامة: فجئت حتى خلوت بأبى فقلت: أحق ما تقول؟ فقال: إى والله حق ما أقول يا بنى.

فقويت نفسى، ورجعت إلى ذلك المنافق فقلت: أنت المرجف برسول الله وبالمسلمين لتقدمك إلى رسول الله إذا قدم فليضر بن عنقك. فقال: إنما هو شيء سمعته من الناس يقولونه.

قال: فجئ بالأسرى وعليهم شقران مولى رسول الله صل الله عليه وسلم، وكان قد شهد معهم بذراً، وهم تسعة وأربعون رجلاً الذين أحضوا.

قال الواقدي : وهم سبعون في الأصل مُجْتَمِعٌ عَلَيْهِ لا شك فيه .

قال : ولقي رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الرِّوْحاءِ رءوسَ الناسِ يَهْنَأُونَ بما فتح الله عليه . فقال له أُسَيْدُ بْنُ الْحَضِيرِ : يا رسول الله الحمد لله الذي أظفرك وأقرَّ عينك ، والله يا رسول الله ما كان تخلفني عن بدر وأنا أظن أنك تَلْقَى عدوًّا ، ولكن ظننت أنها غيرُ ، ولو ظننت أنه عدوٌّ ما تخلفتُ .

فقال له رسول الله : « صدقت » .

قال ابن إسحاق : ثم أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم قافلاً إلى المدينة ومعه الأسارى ، وفيهم عُقْبَةُ بْنُ أَبِي مُعَيْطٍ ، والنضر بن الحارث ، وقد جعل على النفل عبد الله بن كعب بن عمرو بن عوف بن مَبْدُولِ بْنِ عمرو بن غَنَمِ بْنِ مازن بن النجار . فقال راجز من المسلمين . قال ابن هشام : [يقال إنه] هو عدى بن أبي الزَّغْبَاءِ :

أَقِمْ لَهَا صَدُورَهَا يَا بَسْبَسَ ليس بذى الطَّلَحِ لها مُعَرَّسٌ^(١)
ولا بصحراءٍ عُمَيْرٍ يُحْبَسُ إنَّ مطايا القوم لا تُحْبَسُ
فَحَمَلُهَا عَلَى الطَّرِيقِ أَكْنَسُ قد نصر الله وفرَّ الأَخْنَسُ

قال : ثم أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى إذا خرج من مضيق الصفراء نزل على كثيب بين المضيق وبين النازية يقال له سَيْرٌ إِلَى سَرْحَةٍ بِهِ ، فقسَّم هُنَالِكَ النفلَ الذي أفاء الله على المسلمين من المشركين على السواء ، ثم ارتحل ، حتى إذا كان بالروحاء لقيه المسلمون يَهْنَأُونَهُ بما فتح الله عليه ومن معه من المسلمين ، فقال لهم سلامة بن سلامة بن وقش ، كما حدثني عاصم بن عمر ويزيد بن رومان : ما الذي تهنئوننا به ؟ ! والله إن لقينا إلا عجائز صُلَعًا كَالْبُدْنِ الْمُعَقَّلَةِ فَنَحْرُهَا .

فتبسَّم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال : « أَيْ ابْنِ أَخِي أَوْلَتْكَ الْمَلَأُ » .

قال ابن هشام : يعنى الأشرافَ والرؤساء .

مقتل النضر بن الحارث وعقبة بن أبي معيط لعنهما الله

قال ابن إسحاق : حتى إذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصفراء قُتِلَ النُّضْرُ ابن الحارث ، قتله على بن أبي طالب ، كما أخبرني بعض أهل العلم من أهل مكة ، ثم خرج حتى إذا كان بِعِرْقِ الظُّبِيَةِ قُتِلَ عقبة بن أبي معيط .

قال ابن إسحاق : فقال عقبة حين أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتله : فَمَنْ لِلصُّبْيَةِ يا محمد ؟ قال : « النار ! » .

وكان الذى قتله عاصم بن ثابت بن أبي الأثلَح ، أخو بني عمرو بن عوف ، كما حدثني أبو عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر .

وكذا قال موسى بن عُقْبَةَ فى مغازيه ، وزعم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يقتل من الأسارى أسيراً غيره .

قال : ولما أُقْبِلَ إليه عاصم بن ثابت قال : يامعشر قريش ، علام أُقْتِلَ مِنْ بَيْنِ مَنْ هَاهُنَا ؟

قال : على عداوتك الله ورسوله .

وقال حماد بن سلمة ، عن عطاء بن السائب ، عن الشَّعْبِيِّ ، قال : لما أمر النبي صلى الله عليه وسلم بقتل عقبة قال : أتقتلني يا محمد من بين قريش ؟

قال : نعم أتدرون ما صنع هذا بي ؟ جاء وأنا ساجد خلف المقام ، فوضع رجله على عنقي وغمزها فما رفعها حتى ظننت أن عينيَّ ستندران ، وجاء مرةً أخرى بسلاشاة فألقاه على رأسي وأنا ساجد ، فجاءت فاطمة ففسلته عن رأسي .

قال ابن هشام : ويقال بل قَتَلَ عُقْبَةَ علىُّ بن أبي طالب ، فيما ذكره الزهري وغيره من أهل العلم .

قلت : كان هذان الرجلان من شر عباد الله ، وأكثيرهم كفراً وعناداً وبنياً وحسداً
 وهجاء للإسلام وأهله . لعنهما الله ، وقد فعل !
 قال ابن هشام : فقالت قَتَيْلَةُ بنت الحارث ، أخت النَّضْرِ بن الحارث ، في
 مقتل أخيها^(١)

يَا رَا كِبَاً إِنَّ الْأَثِيلَ ^(٢) مَظَنَّةٌ	مِنْ صُبْحِ خَامِسَةٍ وَأَنْتَ مُوَفَّقٌ
أَبْلَغُ بِهَا مَيْتًا بِأَنْ تَحْيَا	مَا إِنْ تَزَالُ بِهَا النِّجَابُ تَحْنُقُ
مَتَى إِلَيْكَ وَعَبْرَةٌ مَسْفُوحَةٌ	جَادَتْ بِوَابِلِهَا وَأُخْرَى تَحْنُقُ
هَلْ يَسْمَعَنَّ النَّضْرُ إِنْ نَادَيْتُهُ	أَمْ كَيْفَ يَسْمَعُ مَيْتٌ لَا يَنْطِقُ
أُمَحَّدٌ يَا خَيْرَ ضِيٍّ كَرِيمَةٍ	مِنْ قَوْمِهَا وَالْفَحْلُ لُحْلٌ مَعْرَقُ ^(٣)
مَا كَانَ ضَرْكَ لَوْ مَنَنْتَ وَرَبَّمَا	مَنْ الْفَتَى وَهُوَ الْمَغِيظُ الْمُخَنْقُ
أَوْ كُنْتَ قَابِلَ فِدْيَةٍ فَلْيُنْفَقَنَّ	بَاعِزٌ مَا يَغْلُو بِهِ مَا يُنْفَقُ ^(٤)
وَالنَّضْرُ أَقْرَبُ مَنْ أَسْرَتْ قَرَابَةً	وَأَحَقُّهُمْ إِنْ كَانَ عِتْقٌ يُعْتَقُ
ظَلَّتْ سَيْوْفُ بَنِي أَبِيهِ تَنْوُسُهُ	لِلَّهِ أَرْحَامُ هُنَالِكَ ^(٥) تُشَقَّقُ
صَبْرًا يَقَادُ إِلَى الْمَنِيَةِ مُتَعَبًا	رَسَفَ الْمُقَيَّدُ وَهُوَ عَانٍ مُوثَقُ

قال ابن هشام : ويقال ، والله أعلم ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بلغه هذا
 الشعر قال : « لو بلغني هذا قبل قتله لَمَنْتُ عليه ! » .

قال ابن إسحاق : وقد تلقى رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذا الموضع أبو هند
 مولى فروة بن عمرو البياضى حجَّامه عليه السلام ، ومعه زِقٌّ خمر^(٦) مملوء حَيْسًا ،

(١) ابن هشام تبكيه . (٢) الأثيل ، موضع قرب المدينة بين بدر ووادى الصفراء .

(٣) الضى : الأصل . وتروى : ضئ . والمعرق الكريم (٤) الأغاني ١/١٩ :

لو كنت قَابِلَ فِدْيَةٍ فَلَنَأْتِيَنَّ بِأَعَزِّ مَا يَغْلُو لَدَيْكَ وَيُنْفَقُ

(٥) ابن هشام : هناك (٦) ابن هشام : ولقى رسول الله .. بحميت مملوء حيسا . والحميت : الزق

وهو التمر والسويق بالسمن ، هدية لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقبله منه ووصى به الأنصار .

قال ابن إسحاق : ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قدم المدينة قبل الأسارى بيوم .

قال ابن إسحاق : وحدثني نبيه بن وهب أخو بني عبد الدار ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أقبل بالأسارى فرقهم بين أصحابه وقال : « استوصوا بهم خيراً » .

قال : وكان أبو عزيز بن عمير بن هاشم أخو مصعب بن عمير لأبيه وأمه في الأسارى ، قال أبو عزيز : مرَّ بي أخي مُصْعَبُ بن عمير ورجل من الأنصار يأسرني فقال : شديديك به ، فإن أمه ذات متاع لعلها تقدِّيه منك .

قال أبو عزيز : فكنت في رهط من الأنصار حين أقبلوا بي من بدر ، فكانوا إذا قدَّموا غداءهم وعشاءهم خصَّوني بالخبز وأكلوا التمر لوصية رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم بنا ، ما تقع في يد رجل منهم كسرة خبز إلا نفحنى بها فاستحى فأردُّها فيردها على ما يمسُّها !

قال ابن هشام : وكان أبو عزيز هذا صاحب لواء المشركين بيدربعد النصر بن الحارث ، ولما قال أخوه مصعب لأبني اليُسْر ، وهو الذي أسره ما قال ، قال له أبو عزيز : يا أخي هذه وصاتك بي ! فقال له مُصْعَبُ : إنه أخي دونك .

فسألت أمه عن أغلى ما فدى به قرشي ، فقيل لها : أربعة آلاف درهم ، فبعنت بأربعة آلاف درهم فقدته بها .

قلت : وأبو عزيز هذا اسمه زرارة ، فيما قاله ابن الأثير في غابة الصحابة ، وعده خليفة بن خياط في أسماء الصحابة . وكان أخا مصعب بن عمير لأبيه ، وكان لها أخ آخر

لأبويهما وهو أبو الروم بن عمير ، وقد غَلِطَ مَنْ جعله قُتِلَ يوم أحد كافرًا ، ذاك أبو عَزَّة ، كما سيأتى فى موضعه . والله أعلم .

قال ابن إسحاق : حدثنى عبد الله بن أبى بكر ، أن يحيى بن عبد الله بن عبد الرحمن ابن سعد بن زرارة قال : قُدِمَ بالأسارى حين قدم بهم وسَوْدَة بنت زَمْعَةَ زوج النبی صلی الله عليه وسلم عند آل عَفْرَاء فى مناحتهم على عوف ومعوذ ابني عفراء ، قال : وذلك قبل أن يُضْرَبَ عليهن الحجابُ . قال : تقول سودة : والله إني لَعندهم إذ أتينا فقبل : هؤلاء الأسارى قد أتى بهم . قالت : فرجعت إلى بيتي ورسول الله صلی الله عليه وسلم فيه ، وإذا أبو يزيد سُهَيْل بن عمرو فى ناحية الحجرة مجموعةً يداه إلى عنقه بحبل ، قالت : فلا والله ما مَلَكْتُ نفسى حين رأيت أبا يزيد كذلك أن قلت : أى أبا يزيد ، أعطيتكم بأيديكم ، ألا مِتُّم كراما ؟ !

فوالله ما أنْهَيْتُ إلا قولُ رسول الله صلی الله عليه وسلم مِنَ البيت : « يَسْوَدَة أعلی الله وعلى رسوله تحرّضين !! » قال : قلت : يارسول الله والذى بعثك بالحق ما مَلَكْتُ نفسى حين رأيت أبا يزيد مجموعةً يداه إلى عنقه أن قلتُ ما قلتُ .

ثم كان من قصة الأسارى بالمدينة ماسياتى بيانه وتفصيله فيما بعد ، من كيفية فدائهم وكَيْتِه . إن شاء الله .

ذكر فرح النجاشى بوقعة بدر رضى الله عنه

قال الحافظ البيهقى : أخبرنا أبو القاسم عبد الرحمن بن عبيد الله الحُرْفِى ببغداد ، حدثنا أحمد بن سلمان النّجّاد ، حدثنا عبد الله بن أبى الدنيا ، حدثنى حمزة بن العباس ، حدثنا عَبدان بن عثمان ، حدثنا عبد الله بن المبارك ، أخبرنا عبد الرحمن بن يزيد ، عن جابر ، عن عبد الرحمن ، رجل من أهل صنعاء ، قال : أرسل النجاشى ذات يوم إلى

جعفر بن أبي طالب وأصحابه فدخلوا عليه وهو في بيت عليه خلقان ثياب جالس على التراب . قال جعفر : فأشفقنا منه حين رأيناه على تلك الحال ، فلما أن رأى مافي وجوهنا قال : إني أبشركم بما يسركم ، إنه جاءني من نحو أرضكم عينٌ لي فأخبرني أن الله قد نصر نبيّه وأهلك غدوّه وأسر فلان وفلان وقتل فلان وفلان ، التقوا بواد يقال له بدر كثير الأراك كأني أنظر إليه ، كنت أرى لسیدی رجل من بني ضمرة إبله .

فقال له جعفر : ما بالك جالسا على التراب ليس تحتك بساط و عليك هذه الأخطا ؟ قال : إنا نجد فيما أنزل الله على عيسى : إن حقّا على عباد الله أن يُخَدِّثوا الله تواضعا عند ما يُخَدِّث لهم من نعمة . فلما أحدث الله لي نصرَ نبيه صلى الله عليه وسلم أحدثُ له هذا التواضع ^(١) .

فصل في وصول خبر مصاب أهل بدر إلى أهاليهم بمكة

قال ابن إسحاق : وكان أول من قدم مكة بمصاب قريش الحِيسْمَان بن عبد الله الخزاعي فقالوا له : ما وراءك ؟ قال : قُتِلَ عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة ، وأبو الحكم ابن هشام ، وأمّية بن خلف ، وزمعة بن الأسود ، ونُبَيْه ومُنْبَه ، وأبو البَخْتَرِي ابن هشام .

فلما جعل يعدد أشراف قريش قال صفوان بن أمية : والله لن ^(٢) يعقل هذا ، فسأله عنى . فقالوا : ما فعل صفوان بن أمية ؟ قال : هو ذاك جالسا في الحجر ، قد والله رأيت أباه وأخاه حين قُتلا .

قال موسى بن عقبة : ولما وصل الخبر إلى أهل مكة وتحقّوه قطعت النساء شعورهن وعُقرت خيولٌ كثيرة ورواحل .

(١) يبدو على هذا الخبر الافتعال والصنعة . وفي سنده من هو مجهول الحال . وأبو القاسم الحرفي كان مضطرب السماع .
(٢) ابن هشام : والله إن يعقل .

وذكر السهيلي عن كتاب الدلائل لقاسم بن ثابت أنه قال لما كانت وقعة بدر سمع أهل مكة هاتفا من الجن يقول :

أَزَارَ الْخَفِيفُونَ بَدْرًا وَقِيعَةً سَيْفَقَضُّ مِنْهَا رَكْنُ كَسْرَى وَقِصْرًا
أَبَادَتِ رَجَالًا مِنْ لُؤَيٍّ وَأَبْرَزَتْ خِرَائِدَ يَضْرِبُ التَّرَائِبَ حُسْرًا
فَيَاوِيحُ مِنْ أَمْسَى عَدُوِّ مُحَمَّدٍ لَقَدْ جَارَ عَنْ قَصْدِ الْهُدَى وَتَحْيِرًا

قال ابن إسحاق : وحدثني حسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس ، عن عكرمة مولى ابن عباس قال : قال أبو رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم : كنت غلاما للعباس بن عبد المطلب ، وكان الإسلام قد دخلنا أهل البيت ، فأسلم العباس وأسلمت أم الفضل وأسلمت ، وكان العباس يهاب قومه ويكره خلافهم وكان يكتم إسلامه ، وكان ذا مال كثير متفرق في قومه . وكان أبو لهب قد تخلف عن بدر فبعث مكانه العاص ابن هشام بن المغيرة ، وكذلك كانوا صنعوا ، لم يتخلف منهم رجل إلا بعث مكانه رجلا . فلما جاءه الخبر عن مُصاب أصحاب بدر من قريش كبته الله وأخزاه ووجدنا في أنفسنا قوةً وعزاً ، قال : وكنت رجلا ضعيفا وكنت أعمل الأقداح أنحتها في حجرة زمزم ، فوالله إني لجالس فيها أنحت أقداحي وعندي أم الفضل جالسة وقد سرنا ما جاءنا من الخبر ، إذ أقبل أبو لهب يجرُ رجله بشر حتى جلس على طُنب ^(١) الحجرة فكان ظهره إلى ظهري ، فبينما هو جالس إذ قال الناس : هذا أبو سفيان ، واسمه المغيرة بن الحارث بن عبد المطلب قد قديم . قال : فقال أبو لهب : هلم إليّ ، فعندك لعمري الخبر .

قال : فجلس إليه والناس قيام عليه فقال : يا ابن أخي أخبرني كيف كان أمر الناس ؟

قال : والله ما هو إلا أن لقينا القومَ فمَنَحْنَاهُمْ أَكْتَفَانَا يقتلوننا كيف شاءوا ،

(١) الطنب : الطرف .

ويأسروننا كيف شاءوا ، وإيم الله مع ذلك ما لُمتُ الناسَ ، لَقِينَا رَجَالاً بِيضاً عَلَى خَيْلٍ بُلُقٍ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ، وَاللَّهُ مَا تُلِقُ ^(١) شَيْئاً وَلَا يَقُومُ لَهَا شَيْءٌ .

قال أبو رافع : فرفعت طُنْبُ الحِجْرَةِ بِيَدِي ثُمَّ قُلْتُ : تَلَكُ وَاللَّهِ الْمَلَأْتُكَ !
قال : فرفع أبو لهب يده فضرب وجهي ضربة شديدة ، قال وثأورته ^(٢) فاحتلمني وضرب بي الأرض ثم برك علىّ بضربتي ، وكنت رجلاً ضعيفاً ، فقامت أم الفضل إلى عمود من عمد الحِجْرَةِ فَأَخَذَتْهُ فَضَرَبَتْهُ بِهِ ضَرْبَةً فَبَلَّغَتْ فِي رَأْسِهِ شَجَةً مَنْكَرَةً ، وَقَالَتْ : اسْتَضَعِفْتُهُ أَنْ غَابَ عَنْهُ سَيْدُهُ !

فقام مولياً ذليلاً ، فوالله ما عاش إلا سبع ليالٍ حتى رماه الله بالعدسة ^(٣) فقتلته .
زاد يونس عن ابن إسحاق : فلقد تركه ابنه بعد موته ثلاثاً ما دفناه حتى أنتن .
وكانت قريش تتقي هذه العدسة كما تتقي الطاعون ، حتى قال لهم رجل من قريش :
وَيْحَكُمْ أَلَا تَسْتَحْيَانِ أَنْ أَبَاكُمْ قَدْ أَنْتَنَ فِي بَيْتِهِ لَا تَدْفَنَانِهِ ؟ فَقَالَا : إِنَّا نَخْشَى عَذُوبَةَ هَذِهِ الْقَرْحَةِ ، فَقَالَ : انْطَلِقَا فَاُنَا أَعَيْنَكُمَا عَلَيْهِ . فوالله ما غسلوه إلا قَذْفًا بِالمَاءِ عَلَيْهِ مِنْ بَعِيدٍ مَا يَدْنُونُ مِنْهُ ، ثُمَّ احْتَمَلُوهُ إِلَى أَعْلَى مَكَّةَ فَأَسْنَدُوهُ إِلَى جِدَارٍ ثُمَّ رَضَمُوا عَلَيْهِ بِالْحِجَارَةِ .

[قال يونس عن ابن إسحاق : وحدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه ، عن عائشة أم المؤمنين ، أنها كانت لا تمرُّ على مكان أبي لهب هذا إلا تسترَّتْ بشوبها حتى تَجُوزَ ^(٤)] .

قال ابن إسحاق : وحدثني يحيى بن عباد قال : ناحت قريش على قتلاهم ، ثم قالوا :

(١) تليق : تبق . (٢) ثأورته : واثبته . وفي ١ : بادرته .

(٣) العدسة : قرحة فاتلة كانت تنشأ بها العرب . (٤) سقط من ١ .

لا تفعلوا يبلغ^(١) محمداً وأصحابه فيشمتوا بكم ، ولا تبعثوا في أسراكم حتى تستأنسوا بهم
لا يَأْرَبُ^(٢) عليكم محمد وأصحابه في الفداء .

قلت : وكان هذا من تمام ما عذب الله به أحياءهم في ذلك الوقت وهو ترّكهم
النوح على قتلاهم ، فإن البكاء على الميت مما يبيلُ فؤاد الحزين .

قال ابن إسحاق : وكان الأسود بن المطلب قد أصيب له ثلاثة من ولده ، زَمْعَة
وعَقِيل والحارث ، وكان يحب أن يبكي على بنيه قال : فيينا هو كذلك إذ سمع نائحة من
الليل ، فقال لغلام له ، وكان قد ذهب بصره ، انظر هل أُحِلَّ النَّحْبُ ؟ هل بكت
قريش على قتلاها ؟ لعلى أبكي على أبي حَكِيمَة ، يعني ولده زَمْعَة ، فإن جوفى
قد احترق !

قال : فلما رجع إليه الغلام قال : إنما هي امرأة تبكي على بعير لها أضلّته . قال : فذاك
حين يقول الأسود :

أَتَبْكِي أَنْ أَضِلُّ ^(٣) لَهَا بَعِيرٌ	وَيَمْنَعُهَا مِنَ النُّومِ الشُّهُودُ
فَلَا تَبْكِي عَلَيَّ بَكَرٍ وَلَكِنْ	عَلَى بَدْرِ تَقَاصَّرَتِ الْجُدُودُ ^(٤)
عَلَى بَدْرِ سَرَاةِ بَنِي هُصَيْنٍ	وَمُخْزُومٍ وَرَهْطِ أَبِي الْوَلِيدِ
وَبَكِّي إِنْ بَكَيتِ أَبَا عَقِيلٍ ^(٥)	وَبَكِّي حَارِثًا أَسَدَ الْأَسُودِ
وَبَكِّيهِمْ وَلَا تَسْمِي جَمِيعًا	وَمَا لَأَبِي حَكِيمَةٍ مِنْ نَدِيدٍ ^(٦)
أَلَا قَدْ سَادَ بَعْدَهُمْ رِجَالُ	وَلَوْ لَا يَوْمٌ بِدْرِ لَمْ يَسُودُوا ^(٧)

(١) ابن هشام : فيبلغ . (٢) لا يَأْرَبُ : لا يشتد . (٣) ابن هشام : أن يضل .
(٤) البكر . الفتى من الإبل . والجدود : الخطوط . (٥) ابن هشام : على عقيل .
(٦) تسمى : تسمى . والنديد . الشبيه . (٧) هنا إقواء .

فصل

في بعث قريش إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فداء أسراهم

قال ابن إسحاق : وكان في الأسارى أبو وداعة بن ضُبيرة السهمي ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن له بمكة ابناً كيساً تاجراً ذا مال ، وكأنكم به قد جاء في طلب فداء أبيه » فلما قالت قريش : لا تعجلوا بفداء أسراكم لا يَأرب عليكم محمد وأصحابه ؛ قال المطلب بن أبي وداعة ، وهو الذي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عني : صدقتم لا تعجلوا . وانسل من الليل وقدم المدينة ، فأخذ أباه بأربعة آلاف درهم فانطلق به .

قلت : وكان هذا أول أسير فُدى ثم بعث قريش في فداء أسراهم فقدم مكرز ابن حفص بن الأخيف في فداء سهيل بن عمرو ، وكان الذي أسره مالك بن الدُخشم أخو بني سالم بن عوف ، فقال في ذلك :

أسرتُ سهيلاً فلا أبتغي أسيراً به من جميع الأمم
وخندفُ تعلم أن الفتى فتاها سهيلاً إذا يظلم
ضربت بذي الشفر حتى انثنى وأكرهت نفسي على ذى العلم

قال ابن إسحاق : وكان سهيل رجلاً أعلم من شفته السفلى .

قال ابن إسحاق : وحدثني محمد بن عمرو بن عطاء أخو بني عامر بن لؤي ، أن عمر ابن الخطاب قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : دعني أنزع ثنية سهيل بن عمرو يدلع لسانه فلا يقوم عليك خطيباً في موطن أبداً . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا أمثل به فيمثل الله بي وإن كنت نبياً » .

قلت : هذا حديث مرسل بل مُعْضَل .

قال ابن إسحاق : وقد بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعمر في هذا : « إنه عسى أن يقوم مقاماً لا تدمه » .

قلت : وهذا هو المقام الذي قامه سهيل بمكة حين مات رسول الله صلى الله عليه وسلم وارتد من ارتد من العرب ، ونجم النفاق بالمدينة وغيرها ، فقام بمكة فخطب الناس وثبَّتْهم على الدين الخفيف . كما سيأتي في موضعه .

قال ابن إسحاق : فلما قاوهم فيه مَكْرَز وانتهى إلى رضائهم ، قالوا : هات الذي لنا . قال : اجعلوا رجلى مكان رجله وخلوا سبيله حتى يبعث إليكم بفدائه ، فخلوا سبيل سهيل وحبسوا مكرزاً عندهم .

وأُشْدِلَه ابن إسحاق في ذلك شعراً أنكره ابن هشام ، فالله أعلم .

قال ابن إسحاق : وحدثني عبد الله بن أبي بكر قال : وكان في الأسارى عمرو بن أبي سفيان صخر بن حرب .

قال ابن إسحاق : وكانت أمه بنت عقبة بن أبي مُعِيط . قال ابن هشام : بل كانت أمه أخت أبي معيط .

قال ابن هشام : وكان الذي أسره على بن أبي طالب .

قال ابن إسحاق : وحدثني عبد الله بن أبي بكر قال : فقيل لأبي سفيان : أفدى عمراً ابنك ، قال : أيجتمع على دمي ومالي ! قتلوا حنظلةً وأفدى عمراً ؟ دعوه في أيديهم يمسكوه ما بدا لهم .

قال : فبينما هو كذلك محبوس بالمدينة إذ خرج سعد بن النعمان بن أكَال ، أخو بني عمرو بن عوف ثم أحد بني معاوية ، معتمراً ومعه مربية^(١) له ، وكانت شيخاً مسلماً ، في

(١) مربية : تصغير امرأة .

غنى له بالبقيع ، فخرج من هنالك معتمراً ، ولم يظن أنه يُحبس بمكة إنما جاء معتمراً ، وقد كان عهد قريش أن قريشا لا يعرضون لأحد جاء حاجاً أو معتمراً إلا بخير ، فعدا عليه أبو سفيان بن حرب بمكة فحبسه بابه عمرو ، وقال في ذلك :

أرھط ابن أكال أجيبوا دعاءه تعاقدتم لا تسلموا السيد الكهل
فإن بنى عمرو لئام أذلة لئن لم يكفوا^(١) عن أسيرهم الكبل
قال : فأجابه حسان بن ثابت يقول :

لو كان سعد يوم مكة مطلقاً لأكثر فيكم قبل أن يؤسر القتل
بعضب حسام أو بصفراء نبعة تحن إذا ما أنبضت تحفز النبلا^(٢)

قال : ومشى بنو عمرو بن عوف إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبروه خبره ، وسألوه أن يعطيهم عمرو بن أبي سفيان فيفكوا به صاحبهم ، فأعطاهم النبي ، فبعثوا به إلى أبي سفيان فغلى سبيل سعد .

قال ابن إسحاق : وقد كان في الأسارى أبو العاص بن الربيع بن عبد العزى بن عبد شمس بن أمية ، حتن رسول الله صلى الله عليه وسلم وزوج ابنته زينب . قال ابن هشام : وكان الذي أسره خراش بن الصمة أحد بني حرام .
قال ابن إسحاق : وكان أبو العاص من رجال مكة المعدودين مالا وأمانة وتجارة ، وكانت أمه هالة بنت خويلد أخت خديجة بنت خويلد ، وكانت خديجة هي التي سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يزوجه بابنتها زينب وكان لا يخالفها ، وذلك قبل الوحي .

وكان عليه السلام قد زوج ابنته رقية ، أو أم كلثوم ، من عتبة بن أبي لهب ، فلما جاء الوحي قال أبو لهب : اشغلوا محمداً بنفسه . وأمر ابنه عتبة فطلق ابنة رسول الله صلى

(١) وتروى : يفكوا .

(٢) الصفراء : القوس . والنبع : شجر تصنع منه القسي . تحن : بصوت وترها . أنبضت : حركت .

الله عليه وسلم قبل الدخول ، فتزوجها عثمان بن عفان رضى الله عنه . ومشوا إلى أبي العاص فقالوا : فارق صاحبك ونحن نزوجك بأى امرأة من قريش شئت . قال : لا والله إذاً لا أفارق صاحبتى وما أحب أن لى بامرأتى امرأة من قريش . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يثنى عليه فى صهره فيما بلغنى .

قلت : الحديث بذلك فى الثناء عليه فى صهره ثابت فى الصحيح ، كما سيأتى . قال ابن إسحاق : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يخلُ بمكة ولا يُحرِّم ، مغلوباً على أمره ، وكان الإسلام قد فرق بين زينب ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين أبي العاص ، وكان لا يقدر على أن يفرِّق بينهما .

قلت : إنما حرَّم الله المسلمات على المشركين عام الحديبية سنة ست من الهجرة . كما سيأتى بيانه إن شاء الله تعالى .

قال ابن إسحاق : حدثنى يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه ، عن عائشة قالت : لما بعث أهل مكة فى فداء أسراهم بعثت زينب بنت رسول الله فى فداء أبي العاص بمال ، وبعثت فيه بقلادة لها كانت خديجة أدخلتها بها على أبي العاص حين بنى عليها .

قالت : فلما رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم رقَّ لها رقَّة شديدة وقال : « إن رأيتم أن تطلقوها أسيرها وتردُّوا عليها الذى لها فافعلوا » . قالوا : نعم يا رسول الله ، فأطلقوه وردوا عليها الذى لها .

قال ابن إسحاق : فكان ممن سى لنا ممن منَّ عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأسارى بغير فداء من بنى أمية : أبو العاص بن الربيع ، ومن بنى مخزوم المطلب بن حنطب بن الحارث بن عبيد بن عمر بن مخزوم أسره بعض بنى الحارث بن الخزرج ، فترك فى أيديهم حتى خلَّوا سبيله فلحق بقومه .

قال ابن إسحاق : وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أخذ عليه أن يخلَّى

سبيل زينب ، يعنى أن تهاجر إلى المدينة ، فوفى أبو العاص بذلك كما سيأتى .
وقد ذكر ذلك ابن إسحاق ها هنا فأخبرناه لأنه أنسب . والله أعلم .
وقد تقدم ذكر افتداء العباس بن عبد المطلب عم النبي صلى الله عليه وسلم نفسه وعقيل
ونوفلا ابني أخويه بمائة أوقية من الذهب .

وقال ابن هشام : كان الذى أسر أبا العاص أبو أيوب خالد بن زيد .
قال ابن إسحاق : وصيفى بن أبى رفاعه بن عائذ بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ،
ترك فى أيدي أصحابه ، فأخذوا عليه ليبيعتن لهم بقدائه فخلوا سبيله ولم يف لهم . قال حسان
بن ثابت فى ذلك :

ما كان صيفى ليوفى أمانةً قفا ثعلب أعياء ببعض الموارد
✕ قال ابن إسحاق : وأبو عزة عمرو بن عبد الله بن عثمان بن أهيب بن حذافة بن جهم
كان محتاجا ذا بنات ، قال : يارسول الله لقد عرفت مالى من مال ، وإنى لذو حاجة وذو
عيال فامتن على ، فمن عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخذ عليه ألا يظاهر عليه
أحدًا ، فقال أبو عزة يمدح رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك :

مَنْ مُبْلَغٌ عَنِ الرَّسُولِ مُحَمَّدًا بَأْنِكَ حَقٌّ وَالْمَلِيكُ حَمِيدُ
وَأَنْتَ امْرُؤٌ تَدْعُو إِلَى الْحَقِّ وَالْهُدَى عَلَيْكَ مِنَ اللَّهِ الْعَظِيمِ شَهِيدُ
وَأَنْتَ امْرُؤٌ بَوِّثٌ فِينَا مَبَاءً لَهَا دَرَجَاتٌ سَهْلَةٌ وَصَعُودُ
فَأَنْتَ مَنْ حَارَبْتَهُ لَمْ حَارِبْ شَقِيٌّ وَمَنْ سَالَمْتَهُ لَسَعِيدُ
وَلَكِنْ إِذَا ذُكِّرْتُ بِدَرَأٍ وَأَهْلٍ تَأَوَّبَ مَا بَى حَسْرَةٍ وَقَعُودُ

قلت : ثم إن أبا عزة هذا نقض ما كان عاهد الرسول عليه ، ولعب المشركون بعقله ،
فرجع إليهم ، فلما كان يوم أحد أمر أيضاً ، فسأل من النبي صلى الله عليه وسلم أن يمن
عليه أيضاً فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « لا أدعك تمسح عارضيك وتقول : خدعت
محمدا مرتين ! » ثم أمر به فضربت . عنقه كما سيأتى فى غزوة أحد .

ويقال : إن فيه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا يُلدغ المؤمن من جُحر مرتين » وهذا من الأمثال التي لم تسمع إلا منه عليه السلام .

قال ابن إسحاق : وحدثني محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عروة بن الزبير ، قال : جلس عُمر بن وهب الجحى مع صفوان بن أمية في الحجر بعد مُصاب أهل بدر ييسر ، وكان عمر بن وهب شيطاناً من شياطين قريش ، ومن كان يؤذى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ويلقون منه عناء وهو بمكة ، وكان ابنه وهب بن عمر في أسارى بدر .

قال ابن هشام : والذي أسره رفاعه بن رافع أحد بني زريق .

قال ابن إسحاق : فحدثني محمد بن جعفر ، عن عروة فذكر أصحاب القلب ومصابهم ، فقال صفوان : والله ما إن في العيش [بعدهم] خير . قال له عمر : صدقت ، أما والله لولا دين عليّ ليس عندي قضاؤه وعياله أخشى عليهم الضيعة بعدى لركبت إلى محمد حتى أقتله ، فإن لي فيهم علة ، ابني أسير في أيديهم .

قال : فاعثمتها صفوان بن أمية فقال : عليّ دينك أنا أقضيه عنك ، وعيالك مع عيالي أواسيهم ما بقوا ، لا يسعني شيء ويعجز عنهم .

فقال له عمر : فاكم عليّ شأني وشأنك . قال : سأفعل .

قال : ثم أمر عمر بسيفه فشحذ له وسّم ، ثم انطلق حتى قدم المدينة ، فبينما عمر بن الخطاب في نفر من المسلمين يتحدثون عن يوم بدر ويذكرون ما أكرمهم الله به وما أراهم في عدوهم ، إذ نظر عمر إلى عمر بن وهب وقد أناخ على باب المسجد متوشعا السيف . فقال : هذا الكلب عدو الله عمر بن وهب ماجاء إلا لشر ، وهو الذي حرّش بيننا وحرّنا^(١) للقوم يوم بدر .

ثم دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا نبي الله هذا عدو الله عمير بن وهب قد جاء متوشحاً سيفه . قال : فأدخله على . قال : فأقبل عمر حتى أخذ بحمالة سيفه في عنقه فلبَّه بها وقال لمن كان معه من الأنصار : ادخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجلسوا عنده ، واحذروا عليه من هذا الخبيث فإنه غير مأمون .

ثم دخل به على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما رآه رسول الله وعمر أخذ بحمالة سيفه في عنقه قال : « أرسله يا عمر ، اذنُ يا عمير » فدنا ثم قال : أنعم صباحاً . وكانت تحية أهل الجاهلية بينهم . فقال رسول الله : « قد أكرمنا الله بتحية خير من تحيتك يا عمير ، بالسلام تحية أهل الجنة » قال : أما والله يا محمد إن كنت بها لحديث عهد .

قال : « فما جاء بك يا عمير ؟ » قال : جئت لهذا الأسير الذي في أيديكم فأحسنوا فيه .

قال : « فما بال السيف في عنقك ؟ »

قال : قبضها الله من سيوف وهل أغنت شيئاً ! .

قال : « اصدقني ما الذي جئت له ؟ » قال : ما جئت إلا لذلك .

قال : « بل قعدت أنت وصفوان بن أمية في الحجر ، فذكرتما أصحاب القليب من قريش ، ثم قلت : لولا دين على وعيال عندى لخرجت حتى أقتل محمداً ، فتحمل لك صفوان بن أمية بدينك وعيالك ، على أن تقتلني له ، والله حائل بينك وبين ذلك » فقال عمير : أشهد أنك رسول الله ، قد كنا يا رسول الله نكذبك بما كنت تأتينا به من خبر السماء وما ينزل عليك من الوحي ، وهذا أمر لم يحضره إلا أنا وصفوان ، فوالله إني لأعلم ما أتاك به إلا الله ، فالحمد لله الذي هداني للإسلام وساقني هذا المساق . ثم شهد شهادة الحق .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « فقهوا أخاكم في دينه ، وعلموه القرآن وأطلقوا أسيره » ففعلوا .

ثم قال : يا رسول الله إني كنت جاهداً على إطفاء نور الله ، شديد الأذى لمن كان

على دين الله ، وأنا أحب أن تأذن لي فأقدم مكة فأدعوهم إلى الله وإلى رسوله وإلى الإسلام
لعل الله يهديهم ، وإلا آذيتهم في دينهم كما كنت أؤذي أصحابك في دينهم .

فأذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلحق بمكة .
وكان صفوان حين خرج عمير بن وهب يقول : أبشروا بوقعة تأتاكم الآن في أيام
تنسيكم وقعة بدر .

وكان صفوان يسأل عنه الركبان ، حتى قدم راكب فأخبره عن إسلامه ، فحلف ألا
يكلمه أبداً ولا ينفعه بنفع أبداً .

قال ابن إسحاق : فلما قدم عمير مكة أقام بها يدعو إلى الإسلام ويؤذي من خالفه
أذى شديداً ، فأسلم على يديه ناس كثير .

قال ابن إسحاق : وعمير بن وهب ، أو الحارث بن هشام ، هو الذي رأى عدو
الله إبليس حين نكص على عقبيه يوم بدر وفرّ هارباً وقال : إني برئ منكم إني أرى
مالاً ترون ، وكان إبليس يومئذ في صورة سراقه بن مالك بن جُعشم أمير مدلج .

فصل

ثم إن الإمام محمد بن إسحاق رحمه الله تكلم على ما نزل من القرآن في قصة بدر ،
وهو من أول سورة الأنفال إلى آخرها ، فأجاد وأفاد ، وقد تفصينا الكلام على ذلك في
كتابنا التفسير فمن أراد الاطلاع على ذلك فلينظره ثم ، والله الحمد والمنة .

فصل

ثم شرع ابن إسحاق في تسمية من شهد بدرًا من المسلمين ، فسرّد أسماء من شهدها
من المهاجرين أولاً ، ثم أسماء من شهدها من الأنصار أو سبها وخزرجها إلى أن قال :
فجميع من شهد بدرًا من المسلمين من المهاجرين والأنصار ، من شهدها ومن ضرب له
بسمه وأجره ، ثلاثمائة رجل وأربعة عشر رجلاً .

من المهاجرين ثلاثة وثمانون .

ومن الأوس : أحدٌ وستون رجلاً . ومن الخزرج : مائة وسبعون رجلاً .

وقد سردهم البخارى فى صحيحه^(١) مرتبين على حروف المعجم بعد البداءة برسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أبى بكر وعثمان وعلى رضى الله عنهم .

وهذه تسمية من شهد بدرًا من المسلمين مرتبين على حروف المعجم وذلك من كتاب الأحكام الكبير للحافظ ضياء الدين محمد بن عبد الواحد المقدسى وغيره ، بعد البداءة باسم رئيسهم ونخبرهم وسيد ولد آدم محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(١) ذكر البخارى منهم أربعة وثلاثين غير رسول الله .

أسماء أهل بدر مرتبة على حروف المعجم

حرف الألف

أَبِي بن كعب النُّجَارِي سِيد القراء ، الأَرْقَم بن أَبِي الأَرْقَم ، وأبو الأَرْقَم عبد مناف ابن أسد بن عبد الله بن عمر بن مخزوم المخزومي ، أسعد بن يزيد بن الفاكه بن يزيد بن خَلْدَة بن عامر بن العَجْلَان .

أسود بن زيد بن ثعلبة بن عُبيد بن غَنَم ، كذا قال موسى بن عقبة . وقال موى : سواد بن رزام بن ثعلبة بن عبيد بن عدى شك فيه ، وقال سلمة بن الفضل عن ابن إسحاق : سواد بن زُرَيْق بن ثعلبة ، وقال ابن عائذ : سواد بن زيد . أسير بن عمرو الأنصاري أبو سليط ، وقيل أسير بن عمرو بن أمية بن لَوْذَان بن سالم بن ثابت الخزرجي ، ولم يذكره موسى بن عقبة . أنس بن قَتَادَة بن ربيعة بن خالد بن الحارث الأوسي ، كذا سماه موسى بن عقبة ، و [سماه] الأموي في السيرة : أنيس .

قلت : وأنس بن مالك خادم النبي صلى الله عليه وسلم ، لما روى عمر بن شَبَّة التميمي حدثنا محمد بن عبد الله الأنصاري ، عن أبيه ، عن ثُمَامَة بن أنس ، قال : قيل لأنس بن مالك أشهدتَ بدرًا ؟ قال : وأين أغيب عن بدر لا أمَّ لك !

وقال محمد بن سعد : أخبرنا محمد بن عبد الله الأنصاري ، حدثنا أبي ، عن مولى لأنس ابن مالك ، أنه قال لأنس : شهدتَ بدرًا ؟ قال : لا أمَّ لك ! وأين أغيب عن بدر .

قال محمد بن عبد الله الأنصاري : خرج أنس بن مالك مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بدر وهو غلام يخدمه .

قال شيخنا الحافظ أبو الحجاج المزي في تهذيبه : هكذا قال الأنصارى ، ولم يذكر ذلك أحد من أصحاب المغازى .

أنس بن معاذ بن أنس بن قيس بن عبيد بن زيد بن معاوية بن عمرو بن مالك بن النجار ، أنسة الحبشى مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أوس بن ثابت بن المنذر النجارى .

أوس بن خولى بن عبد الله بن الحارث بن عبيد بن مالك بن سالم بن غنم بن عوف بن الخزرج الخزرجى . وقال موسى بن عقبة : أوس بن عبد الله بن الحارث بن خولى ، أوس بن الصامت الخزرجى أخو عبادة بن الصامت ، إياس بن البكير بن عبد ياليل بن ناشب بن غيرة بن سعد بن ليث بن بكر حليف بنى عدى بن كعب .

حرف الباء

بجير بن أبى بجير حليف بنى النجار ، بَحَّاث^(١) بن ثعلبة بن خزيمة بن أصرم بن عمرو بن عماره البلوى حليف الأنصار ، بَسْبَسَ بن عمرو بن ثعلبة بن خَرْشة بن زيد ابن عمرو بن سعيد بن ذبيان بن رشدان بن قيس بن جهينة الجهنى حليف بنى ساعدة ، وهو أحد العَيْنَيْنِ هو وعدى بن أبى الزغباء كما تقدم ، بَشْر بن البراء بن معرور الخزرجى الذى مات بجير من الشاة المسمومة ، بَشِير بن سعد بن ثعلبة الخزرجى والد النعمان بن بشير ، ويقال إنه أول من بايع الصديق ، بشير بن عبد المنذر أبو لُبَابَة الأوسى ، ردّه عليه السلام من الروحاء واستعمله على المدينة وضرب له بسهمه وأجره .

حرف التاء

تميم بن يعار بن قيس بن عدى بن أمية بن جدارة بن عوف بن الحارث بن

(١) ويقال له : نحاب وهى رواية ابن إسحاق . وما هنا قول ابن هشام .

الخرزج ، تميم مولى خِرَاش بن الصَّمَّة ، تميم مولى بنى غَنَم بن السَّلَم . وقال ابن هشام :
هو مولى سعد بن خيشمة .

حرف الثاء

ثابت بن أَقْرَم بن ثعلبة بن عَدَى بن العَجَلَان ، ثابت بن ثعلبة ، ويقال لثعلبة هذا :
الجذَع بن زيد بن الحارث بن حَرَام بن غَنَم بن كعب بن سلمة .

ثابت بن خالد بن النعمان بن خنساء بن عسيرة بن عبد بن عوف بن غَنَم بن مالك
ابن النجار النجاري ، ثابت بن خنساء بن عمرو بن مالك بن عَدَى بن عامر بن غَنَم بن
عَدَى بن النجار النجاري .

ثابت بن عمرو بن زيد بن عَدَى بن سَواد بن مالك بن غَنَم بن عَدَى بن النجار
النجاري ، ثابت بن هَزَال الخزرجي ، ثعلبة بن حاطب بن عمرو بن عبيد بن أمية بن
زيد بن مالك بن الأوس ، ثعلبة بن عمرو بن عبيد بن مالك النجاري ، ثعلبة بن عمرو
بن مَحْصَن الخزرجي ، ثعلبة بن عَنَمَة^(١) بن عَدَى بن نابي السلمي ، ثَقَف بن عمرو من
بنى حجر آل بنى سليم ، وهو من حلفاء بنى كثير بن غَنَم بن دُودان بن أسد .

حرف الجيم

جابر بن خالد بن [مسعود بن] عبد الأشهل بن حارثة بن دينار بن النجار
النجاري ، جابر بن عبد الله بن رِثَاب بن النعمان بن سِنَان بن عبيد بن عَدَى بن غَنَم بن
كعب بن سلمة السلمي أحد الذين شهدوا العقبة .

قلت : فأما جابر بن عبد الله بن عمرو بن حَرَام السلمي أيضا ، فذكره البخاري
فيهم في مسند عن سعيد بن منصور عن أبي معاوية عن الأعمش ، عن أبي سفيان ع
جابر ، قال : كنت أمتح لأصحابي المساء يوم بدر .

(١) ويقال : ابن غنمة كما في الاستيعاب .

وهذا الإسناد على شرط مسلم ، لكن قال محمد بن سعد : ذكرت لمحمد بن عمر يعني الواقدي ، هذا الحديث فقال : هذا وهم من أهل العراق . وأنكر أن يكون جابر شهد بدمراً .

وقال الإمام أحمد بن حنبل : حدثنا رَوْح بن عبادة ، حدثنا زكريا بن إسحاق ، حدثنا أبو الزبير ، أنه سمع جابر بن عبد الله يقول : غزوت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم تسع عشرة غزوة ولم أشهد بدمراً ولا أحداً ، منعتني أبي ، فلما قُتل أبي يوم أحد لم أنخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عن غزاة .

ورواه مسلم عن أبي خَيْثَمَةَ عن رَوْح .

جَبَّار بن صخر الشَّامِي ، جَبْرِ بن عَتِيكَ الأنصاري ، جُبَيْر بن إِيَّاس الخزرجي .

حرف الحاء

الحارث بن أنس بن رافع الخزرجي ، الحارث بن أوس بن معاذ بن أخي سعد بن معاذ الأوسي ، الحارث بن حاطب بن عمرو بن عبيد بن أمية بن زيد بن مالك بن الأوس ، ردّه عليه السلام من الطريق وضرب له بسهمه وأجره ، الحارث بن خزيمة بن عدى بن أبي غنم ابن سالم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج حليف لبني زُعُور بن عبد الأشهل ، الحارث بن الصُّمَّة الخزرجي ، ردّه عليه السلام لأنه كُسر من الطريق ، وضرب له بسهمه وأجره ، الحارث بن عُرْفُجَة الأوسي ، الحارث بن قيس بن خَلْدَة أبو خالد الخزرجي ، الحارث ابن النعمان بن أمية الأنصاري ، حارثة بن سُراقَة النجاري أصابه سهمٌ غَرَبٌ وهو في النَّظَّارَة فرفع إلى الفردوس ، حارثة بن النعمان بن رافع الأنصاري حاطب بن أبي بَلْتَعَة اللَّخْمِي حليف بني أسد بن عبد العزى بن قصي .

حاطب بن عمرو بن عبيد بن أمية الأشجعي من بني دهمان . هكذا ذكره ابن هشام عن غير ابن إسحاق . وقال الواقدي : حاطب بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ودّ ،

كذا ذكره ابن عائذ في مغازيه . وقال ابن أبي حاتم : حاطب بن عمرو بن عبد شمس ، سمعته من أبي وقال : هو رجل مجهول .

الحَبَّابُ بن المنذر الخزرجي ، ويقال كان لواء الخزرج معه يومئذ .

حبيب بن أسود مولى بني خرام من بني سلمة ، وقال موسى بن عقبة : حبيب ابن سعد بدل أسود ، وقال ابن أبي حاتم : حبيب بن أسلم مولى آل جُشم بن الخزرج ، أنصاري بدرى .

حُرَيْث بن زيد بن ثعلبة بن عبد ربه الأنصاري ، أخو عبدالله بن زيد الذي أرى النداء ، الحصين بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف ، حمزة بن عبد المطلب بن هاشم عم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

حرف الحاء

خالد بن البُكَيْر أخو إياس المتقدم . خالد بن زيد أبو أيوب النجاري ، خالد بن قيس بن مالك بن العجلان الأنصاري ، خازجة بن الحمير حليف بني خنساء من الخزرج ، وقيل اسمه حارثة بن الحمير وسماه ابن عائذ خازجة . فالله أعلم . خازجة بن زيد الخزرجي صهر الصديق ، خَبَّاب بن الأرت حليف بني زهرة ، وهو من المهاجرين الأولين وأصله من بني تميم ويقال من خزاعة ، خَبَّاب مولى عتبة بن غزوان من المهاجرين الأولين ، خِرَاش بن الصمة السلمي ، حُبيب بن إساف بن عنبه الخزرجي ، خُرَيْم بن فاتك ذكره البخاري فيهم ، خليفة بن عدى الخزرجي ، خُليد بن قيس بن النعمان بن سنان بن عبيد الأنصاري السلمي ، خُنَيْس بن حُذافة بن قيس بن عدى بن سعد بن سهم بن عمرو بن هُصَيْن بن كعب بن اؤى السهمي ، قتل يومئذ فتأيّمت منه حفصة بنت عمر بن الخطاب ، خَوَّات بن جُبَيْر الأنصاري ضرب له بسهمه وأجره لم يشهدا بنفسه ، خَولى بن أبي خولى العجلي حليف بني عدى من المهاجرين الأولين ،

خَلَّادُ بنِ رَافِعٍ ، وَخَلَّادُ بنِ سُويدٍ ، وَخَلَّادُ بنِ عمرو بنِ الجُمُوحِ الخَزْرَجِيُّونَ .

حرف الذال

ذَكْوَانُ بنِ عَبْدِ قَيْسِ الخَزْرَجِيِّ ، ذُو الشَّامِلِينَ بنِ عَبْدِ بنِ عمرو بنِ نَضْلَةَ من غَبْشَانَ
ابنِ سَلِيمِ بنِ مَلِكَانَ بنِ أَفْصَى بنِ حَارِثَةَ بنِ عمرو بنِ عامرٍ من بَنِي خَزَاعَةَ حَلِيفِ
لِبنِي زُهْرَةَ قَتَلَ يَوْمَئِذٍ شَهِيداً . قَالَ ابنُ هِشَامٍ : وَاسْمُهُ عَمِيرٌ وَإِنَّمَا قِيلَ لَهُ ذُو الشَّامِلِينَ لِأَنَّهُ
كَانَ أَعْسَرَ .

حرف الراء

رَافِعُ بنِ الْحَارِثِ الْأَوْسِيِّ ، رَافِعُ بنِ عُنَجْدَةَ . قَالَ ابنُ هِشَامٍ : هِيَ أُمُّهُ ، رَافِعُ بنِ
الْمَعْلِيِّ بنِ لُؤْذَانَ الخَزْرَجِيِّ قَتَلَ يَوْمَئِذٍ ، رَبِيعِي بنِ رَافِعِ بنِ الْحَارِثِ بنِ زَيْدِ بنِ حَارِثَةَ بنِ
الْجَدِ بنِ عَجْلَانَ بنِ ضُبَيْعَةَ وَقَالَ مُوسَى بنُ عَقْبَةَ : رَبِيعِي بنِ أَبِي رَافِعٍ ، رَبِيعِي بنِ إِيَّاسَ
الْخَزْرَجِيِّ ، رَبِيعَةَ بنِ أَكْثَمِ بنِ سَخْبَرَةَ بنِ عمرو بنِ لَكِيْزِ بنِ عامرٍ بنِ غَمٍّ دُودَانَ
ابنِ أَسَدِ بنِ خَزِيمَةَ حَلِيفِ لِبَنِي عَبْدِ شَمْسٍ بنِي عَبْدِ مَنَافٍ وَهُوَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ الْأَوَّلِينَ ،
رَخِيلَةَ بنِ ثَعْلَبَةَ بنِ خَالِدِ بنِ ثَعْلَبَةَ بنِ عامرٍ بنِ بَيَاضَةَ الْخَزْرَجِيِّ ، رِفَاعَةَ بنِ رَافِعِ الزُّرْقِيِّ أَخُو خَلَّادِ بنِ
رَافِعٍ ، رِفَاعَةَ بنِ عَبْدِ الْمُنْذَرِ بنِ زُنَيْرِ الْأَوْسِيِّ أَخُو أَبِي لُبَابَةَ ، رِفَاعَةَ بنِ عمرو بنِ
زَيْدِ الْخَزْرَجِيِّ .

حرف الزاي

الزَّيْبِرُ بنِ الْعَوَامِ بنِ خُوَيْلِدِ بنِ أَسَدِ بنِ عَبْدِ الْعَزَى بنِ قَصِيٍّ ، ابنُ عَمَةِ رَسُولِ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَحَوَارِيهِ .

زِيَادُ بنِ عمرو . وَقَالَ مُوسَى بنُ عَقْبَةَ : زِيَادُ بنِ الْأَخْرَسِ بنِ عمرو الْجُهَنِيِّ .
وَقَالَ الْوَاقِدِيُّ : زِيَادُ بنِ كَعْبِ بنِ عمرو بنِ عَدِيِّ بنِ رِفَاعَةَ بنِ كَلِيبِ بنِ بَرْدَعَةَ بنِ

عدى بن عمرو بن الزُّبَيْرِ بن رشدان بن قيس بن جهينة .

زياد بن كَيْد الزُّرْق ، زياد بن المزين بن قيس الخزرجى ، زيد بن أسلم بن ثعلبة
ابن عدى بن عَجَلان بن ضُبَيْعة ، زيد بن حارثة بن شُرْحَبِيل مولى رسول الله صلى
الله عليه وسلم رضى الله عنه ، زيد بن الخطاب بن نفيل أخو عمر بن الخطاب رضى الله
عنهما ، زيد بن سهل بن الأسود بن حَرَام النجارى أبو طلحة رضى الله عنه .

حرف السين

سالم بن عمير الأوسى ، سالم بن [غنم بن] عوف الخزرجى ، سالم بن معقل مولى
أبى حذيفة ، السائب بن عثمان بن مظعون الجهمى ، شهد مع أبيه ، سبيع بن قيس بن
عَيْشَةَ الخزرجى ، سَبْرَة بن فاتك ذكره البخارى ، سراقَة بن عمرو النجارى ، سراقَة بن
كعب النجارى أيضا ، سعد بن خولة مولى بنى عامر بن لؤى من المهاجرين الأولين ،
سعد بن خيشمة الأوسى قتل يومئذ شهيداً ، سعد بن الربيع الخزرجى الذى قتل يوم أحد
شهيداً ؛ سعد بن زيد بن مالك الأوسى ، وقال الواقدى : سعد بن زيد بن الفاكه
الخزرجى ، سعد بن سهيل بن عبد الأشهل النجارى ، سعد بن عبيد الأنصارى ،
سعد بن عثمان بن خلدة الخزرجى أبو عبادة ، وقال ابن عائذ : أبو عبيدة .
سعد بن معاذ الأوسى وكان لواء الأوس معه .

سعد بن عبادة بن دُلَيْم الخزرجى ، ذكره غير واحد منهم عروة والبخارى وابن
أبى حاتم والطبرانى فيمن شهد بدرأ ، ووقع فى صحيح مسلم ما يشهد بذلك حين شاور
النبي صلى الله عليه وسلم فى ملتقى النفير من قريش ، فقال سعد بن عبادة : كأنك تريدنا
يا رسول الله الحديث . والصحيح أن ذلك سعد بن معاذ .

والشهور أن أسعد بن عبادة رَدَّه من الطريق ، قيل : لاستنابته على المدينة وقيل
لذعته حية فلم يتمكن من الخروج إلى بدر .

حكاه السهيل عن بن قتيبة فالله أعلم .

سعد بن أبي وقاص . مالك بن أهيب الزهري أحد العشرة ، سعد بن مالك أبو سهل ، قال الواقدي : تجهز ليخرج فرض فأت قبل الخروج .

سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل العدوي ابن عم عمر بن الخطاب ، يقال : قدم من الشام بعد مرجعه من بدر فضرب له رسول الله صلى الله عليه وسلم بنهما وأجره .

سفيان بن بشر بن عمرو الخزرجي ، سلمة بن أسلم بن حريش الأوسي ، سلمة بن ثابت بن وقش بن زغبة ، سلمة بن سلامة بن وقش بن زغبة ، سليم بن الحارث النجاري ، سليم بن عمرو السلمي ، سليم بن قيس بن فهد الخزرجي ، سالم بن ملحان أخو حرام بن ملحان النجاري ، سماك بن أوس بن خرشة أبو دجانة ، ويقال سماك بن خرشة ، سماك بن سعد بن ثعلبة الخزرجي وهو أخو بشير بن سعد المتقدم . سهل بن حنيف الأوسي ، سهل بن عتيك النجاري ، سهل بن قيس السلمي ، سهيل بن رافع النجاري الذي كان له ولأخيه موضع المسجد النبوي كما تقدم ، سهيل بن وهب الفهري ، وهو ابن بيضاء وهي أمه ، سنان بن أبي سنان بن محسن بن حرثان من المهاجرين حليف بني عبد شمس بن عبد مناف ، سنان بن صيفي السلمي ، سواد بن زريق بن زيد الأنصاري . وقال الأموي : سواد بن رزام . سواد بن غزيرة بن أهيب البلوي ، سويط بن سعد بن حرملة العبدي ، سويد بن مخشي أبو مخشي الطائي حليف بني عبد شمس ، وقيل اسمه أزيد بن حمير .

حرف الشين

شجاع بن وهب بن ربيعة الأسدي ، أسد بن خزيمة حليف بني عبد شمس من المهاجرين الأولين . شماس بن عثمان الخزومي . قال ابن هشام : واسمه عثمان بن عثمان وإنما

سمى شماساً لحسنه وشبهه شماساً كان في الجاهلية ، شقران مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال الواقدي : لم يُسهم له وكان على الأسرى فأعطاه كل رجل ممن له في الأسرى شيئاً ، فحصل له أكثر من سهم .

حرف الصاد

صُهيب بن سنان الرومي من المهاجرين الأولين ، صفوان بن وهب بن ربيعة القهري أخو سهيل بن بيضاء ، قتل شهيداً يومئذ ، صخر بن أمية بن خنساء السلمى .

حرف الضاد

ضحّاك بن حارثة بن زيد السلمى ، ضحّاك بن عبد عمرو النجاري ، ضمرة بن عمرو الجهني . وقال موسى بن عقبة : ضمرة بن كعب بن عمرو حليف الأنصار ، وهو أخو زياد بن عمرو .

حرف الطاء

طلحة بن عبيد الله التيمي أحد العشرة قدم من الشام بعد مرجعهم من بدر ، فضرب له رسول الله صلى الله عليه وسلم بسهمه وأجره ، طفيل بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف من المهاجرين ، وهو أخو حصين وعبيدة ، طفيل بن مالك بن خنساء السلمى طفيل بن النعمان بن خنساء السلمى ابن عم الذي قبله ، طليب بن عمير بن وهب بن أبي كبير بن عبد بن قصي . ذكره الواقدي .

حرف الظاء

ظهير بن رافع الأوسي ذكره البخاري .

حرف العين

عاصم بن ثابت بن أبي الأثلح الأنصاري ، الذي حمته الدَّبر^(١) حين قُتل بالرَّجيع عاصم بن عدى بن الجدِّ بن عجلان ، ردَّه عليه السلام من الروحاء وضرب له بسهمه وأجره ، عاصم بن قيس بن ثابت الخزرجي ، عاقل بن البكير أخو إياس وخالد وعامر ، عامر بن أمية بن زيد بن الحُصْحاس النجاري ، عامر بن الحارث الفهري كذا ذكره سلمة عن ابن إسحاق وابن عائذ . وقال موسى بن عقبة وزياذ عن ابن إسحاق : عمرو بن الحارث ، عامر بن ربيعة بن مالك العنزي حليف بني عدى من المهاجرين ، عامر بن سلمة بن عامر ابن عبد الله البلوي القُضَاعِي حليف بني سالم بن مالك بن سالم بن غَنَم . قال ابن هشام : ويقال عمر بن سلمة ، عامر بن عبد الله بن الجراح بن هلال بن أهيب بن ضَبَّة بن الحارث بن فهر أبو عبيدة بن الجراح أحد العشرة من المهاجرين الأولين ، عامر بن فهيرة مولى أبي بكر ، عامر بن مُحَمَّد النجاري ، عائذ بن ماعِض بن قيس الخزرجي ، عَبَّاد بن بشر بن وَقْش الأوسى ، عَبَّاد بن قيس بن عامر الخزرجي ، عَبَّاد بن قيس بن عَيْشَة الخزرجي أخو سُبَيْع المتقدم ، عباد بن الخشخاش القضاعي ، عبادة بن الصامت الخزرجي ، عبادة بن قيس بن كعب بن قيس ، عبد الله بن أمية بن عُرْفُطَة ، عبد الله بن ثعلبة بن خزيمة أخو بَحَّاث المتقدم ، عبد الله بن جحش بن رَبَّاب الأسدي ، عبد الله بن جُبَيْر ابن النعمان الأوسى .

عبد الله بن الجدِّ بن قيس السلمي ، عبد الله بن حقّ بن أوس الساعدي .
وقال موسى بن عقبة والواقدي وابن عائذ : عبد رب بن حق ، وقال ابن هشام :
عبد ربه بن حق .

(١) الدبر : النحل .

عبد الله بن الحخير حليف لبني حَرَام ، وهو أخو خاتجة بن الحخير من أشجع ، عبد الله ابن الربيع بن قيس الخزرجي ، عبد الله بن رواحة الخزرجي عبد الله بن زيد بن عبد ربه ابن ثعلبة الخزرجي ، الذي أرى النداء .

عبد الله بن سُرَاقَة العدوي لم يذكره موسى بن عُقبة ولا الواقدي ولا ابن عائذ ، وذكره ابن إسحاق وغيره .

عبد الله بن سلمة بن مالك العجلان حليف الأنصار ، عبد الله بن سهل بن رافع أخو بني زَعُورَا ، عبد الله بن سُهَيْل بن عمرو خرج مع أبيه والمشركين ثم فرَّ من المشركين إلى المسلمين فشهداها معهم ، عبد الله بن طارق بن مالك القضاعي حليف الأوس ، عبد الله بن عامر من بَلِيٍّ ، ذكره ابن إسحاق .

عبد الله بن عبد الله بن أبي بن سلول الخزرجي وكان أبوه رأس المنافقين ، عبد الله ابن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم أبو سلمة زوج أم سلمة ، قُتِل يومئذ ، عبد الله بن عبد مناف بن النعمان السلمي ، عبد الله بن عابس ، عبد الله بن عثمان ابن عامر بن عمرو بن كعب بن تيم بن مُرَّة بن كعب أبو بكر الصديق رضي الله عنه ، عبد الله بن عُرْفُطَة بن عَدَى الخزرجي .

عبد الله بن عمر بن حَرَام السلمي أبو جابر ، عبد الله بن عُمَيْر بن عَدَى الخزرجي ، عبد الله بن قيس بن خالد النجاري ، عبد الله بن قيس بن صخر بن حَرَام السلمي . عبد الله بن كعب بن عمرو بن عوف بن مَبْدُول بن عمرو بن غَنَم بن مازن بن النجار ، جعله النبي صلى الله عليه وسلم مع عَدَى بن أبي الزَّغْبَاء على النفل يوم بدر .

عبد الله بن حَخْرَمَة بن عبد العُزْرى من المهاجرين الأولين ، عبد الله بن مسعود الهذلي حليف بني زُهْرَة من المهاجرين الأولين ، عبد الله بن مَطْعُون الجحفي من المهاجرين الأولين ، عبد الله بن النعمان بن بَلْدَمَة السلمي ، عبد الله بن أُنَيْسَة بن النعمان السلمي ،

عبد الرحمن بن جبر بن عمرو أبو عيسى الخزرجي ، عبد الرحمن بن عبد الله بن
نُعامة أبو عقيل القُضاعي البَلَوِي .

عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف بن عبد الحارث بن زُهرة بن كلاب الزهري
أحد العشرة رضى الله عنهم ، عبس بن عامر بن عدى السلمى ، عبيد بن التَّيْهَان أخو أبو
الهيثم بن التَّيْهَان ، ويقال عَتِيك بدل عبيد .

عبيد بن ثعلبة من بنى غَنَم بن مالك ، عبيد بن زيد بن عامر بن عمرو بن العَجَلان بن
عامر ، عبيد بن أبي عبيد .

عُبَيْدَة بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف أخو الحُصَيْن والطُّفَيْل ، وكان أحد
الثلاثة الذين بارزوا يوم بدر فقطعت يده ثم مات بعد المعركة ، رضى الله عنه .

عُتْبَان بن مالك بن عمرو الخزرجي ، عتبة بن ربيعة بن خالد بن معاوية البَهْرَانِي
حليف بنى أمية بن لَوْذَان ، عتبة بن عبد الله بن صخر السلمى ، عتبة بن غَزْوَان بن جابر
من المهاجرين الأولين .

عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف الأموي أمير
المؤمنين أحد الخلفاء الأربعة وأحد العشرة ، تخلف على زوجته رقية بنت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يَرْضَاهَا حتى ماتت فضرِبَ له بسهمه وأجره .

عثمان بن مظعون الجُمَحِي أبو السائب ، أخو عبد الله وقدامة من المهاجرين الأولين .
عَدَى بن أبي الزَّغْبَاء الجُهَنِي ، وهو الذى أرسله رسول الله صلى الله عليه وسلم
وَبَسَّسَ بن عمرو بين يديه عَيْنًا .

عِصْمَة بن الحصين بن وَبَرَة بن خالد بن العَجَلان ، عَضِيمَة حليف لبنى الحارث بن سِوَار
من أَشْجَع ، وقيل من بنى أسد بن خزيمة ، عطية بن نُويرَة بن عامر بن عطية الخزرجي ،
عُقْبَة بن عامر بن نَابِي السلمى ، عقبة بن عثمان بن خَلْدَة الخزرجي أخو سعد بن عثمان .

عقبة بن عمرو أبو مسعود البدرى ، وقع فى صحيح البخارى أنه شهد بدرًا وفيه نظر عند كثير من أصحاب المغازى ، ولهذا لم يذكره .

عقبة بن وهب بن ربيعة الأسدى ، أسد خزيمه ، حليف لبنى عبد شمس وهو أخو شجاع بن وهب من المهاجرين الأولين ، عُقبة بن وهب بن كَلْدَة حليف بنى غطفان .

عُكَّاشَة بن مَخْصَن الغنمى من المهاجرين الأولين ، وممن لا حساب عليه .

على بن أبى طالب الهاشمى أمير المؤمنين ، أحد الخلفاء الأربعة ، وأحد الثلاثة الذين بارزوا يومئذ رضى الله عنه .

عمار بن ياسر العنسى المذحجى من المهاجرين الأولين ، عمارة بن حزم بن زيد النجارى .
عمر بن الخطاب أمير المؤمنين أحد الخلفاء الأربعة وأحد الشيخين المقتدى بهما رضى الله عنهما .

عمر بن عمرو بن إياس من أهل اليمن حليف لبنى كَوْذان بن عمرو بن سالم ، وقيل هو أخو ربيع وورقة ، عمرو بن ثعلبة بن وهب بن عدى بن مالك بن عدى بن عامر أبو حكيم .

عمرو بن الحارث بن زهير بن أبى شداد بن ربيعة بن هلال بن أهيب بن ضَبْشَة بن الحارث بن فهر الفهرى ، عمرو بن سُراقَة العدوى من المهاجرين ، عمرو بن أبى سَرْح الفهرى من المهاجرين . وقال الواقدى وابن عائذ : معمر بدل عمرو .

عمرو بن طَلْق بن زيد بن أمية بن سِنَان بن كعب بن غنم ، وهو فى بنى حَرَام ، عمرو ابن الجُوح بن حَرَام الأنصارى ، عمرو بن قيس بن زيد بن سَواد بن مالك بن غنم .
ذكره الواقدى والأموى .

عمرو بن قيس بن مالك بن عدى بن خنساء بن عمرو بن مالك بن عدى بن عامر أبو خَارِجَة ، ولم يذكره موسى بن عقبة .

عمرو بن عامر بن الحارث الفهري ذكره موسى بن عقبة ، عمرو بن معبد بن الأزعر الأوسي ، عمرو بن معاذ الأوسي أخو سعد بن معاذ ، عمير بن الحارث بن ثعلبة ويقال عمرو بن الحارث بن كبدة بن ثعلبة السلمي ، عمير بن حرام بن الجموح السلمي ، ذكره ابن عائذ والواقدي .

عمير بن الحُطام بن الجُمُوح ابن عم الذي قُبِلَه ، قُتِلَ يومئذ شهيداً ، عمير بن عامر بن مالك ابن الخنساء بن مَبْدُول بن عمرو بن غَنَم بن مازن أبو داود المازني .

عمير بن عوف مولى سُهيل بن عمرو ، وسماه الأموي وغيره : عمرو بن عوف . وكذا وقع في الصحيحين في حديث بَعَثَ أَبِي عبيدة إلى البحرين .

عمير بن مالك بن أَهْيَب الزهري أخو سعد بن أبي وقاص قتل يومئذ شهيداً ، عنتره مولى بني سليم وقيل إنه منهم ، فالله أعلم . عوف بن الحارث بن رفاعه بن الحارث النَّجَّارِي وهو ابن عفراء بنت عبيد بن ثعلبة النجارية قتل يومئذ شهيداً ، عُوَيْم بن ساعدة الأنصاري من بني أمية بن زيد ، عِيَّاض بن غَنَم الفهري من المهاجرين الأولين . رضى الله عنهم أجمعين .

حرف الغين

غَنَّام بن أوس الخزرجي . ذكره الواقدي وليس بمُجْمَع عليه .

حرف الفاء

الفاكه بن بِشْر بن الفاكه الخزرجي ، فَرْوَة بن عمرو بن ودْفَة ^(١) الخزرجي .

حرف القاف

قَتَادَة بن النعمان الأوسي . قُدَّامة بن مظعون الجحفي من المهاجرين أخو عثمان وعبدالله

(١) في الاشتقاق ٤٦١ : ابن ودْفَة . قال : والودْفَة زعموا الروضة .

قُطَيْبَةُ بْنُ عَامِرٍ بْنِ حَدِيدَةَ السَّلْمِيِّ . قَيْسُ بْنُ السَّكَنِ النُّجَارِيُّ ، قَيْسُ بْنُ أَبِي سَعْدَةَ
عَمْرُو بْنُ زَيْدِ الْمَازَنِى كَانَ عَلَى السَّاقَةِ يَوْمَ بَدْرَ . قَيْسُ بْنُ مُحْصَنٍ بْنُ خَالِدِ الْخَزْرَجِيِّ ، قَيْسُ
ابْنِ مُخَلَّدٍ بْنُ ثَعْلَبَةَ النُّجَارِيِّ .

حرف الكاف

كَعْبُ بْنُ حَمَانَ^(١) وَيُقَالُ جَمَّارٌ وَيُقَالُ جَمَّازٌ . وَقَالَ ابْنُ هِشَامٍ : كَعْبُ بْنُ غُبْشَانَ^(٢)
وَيُقَالُ : كَعْبُ بْنُ مَالِكِ بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ جَمَازٍ . وَقَالَ الْأُمَوِيُّ : كَعْبُ بْنُ ثَعْلَبَةَ بْنِ حَبَالَةَ بْنِ غَنَمِ
الْفَسَّانِيِّ مِنْ حُلَفَاءِ بَنِي الْخَزْرَجِ بْنِ سَاعِدَةَ .

كَعْبُ بْنُ زَيْدِ بْنِ قَيْسِ النُّجَارِيِّ ، كَعْبُ بْنُ عَمْرٍو أَبُو الْيُسْرِ السَّلْمِيُّ ، كَلْبَةُ بْنُ ثَعْلَبَةَ
أَحَدَ الْبَكَاثِينَ ذَكَرَهُ مُوسَى بْنُ عَقِبَةَ ، كَنْزَانُ بْنُ حُصَيْنٍ بْنُ يَرْبُوعٍ أَبُو مَرْثَدَ الْغَنَوِيِّ ،
مِنْ الْمُهَاجِرِينَ الْأَوَّلِينَ .

حرف الميم

مَالِكُ بْنُ الدُّخْشَمِ وَيُقَالُ ابْنُ الدُّخْشَنِ الْخَزْرَجِيُّ ، مَالِكُ بْنُ أَبِي خَوْلَى الْجَعْفِيُّ حَلِيفُ
بَنِي عَدَى ، مَالِكُ بْنُ رَبِيعَةَ أَبُو أَسِيدِ السَّاعِدِيِّ ، مَالِكُ بْنُ قَدَامَةَ الْأَوْسِيُّ ، مَالِكُ بْنُ
عَمْرٍو أَخُو ثَقْفِ بْنِ عَمْرٍو وَكِلَاهُمَا مُهَاجِرِيٌّ ، وَهُمَا مِنْ حُلَفَاءِ بَنِي تَمِيمٍ بْنِ دُودَانَ بْنِ أَسَدَ ،
مَالِكُ بْنُ قَدَامَةَ الْأَوْسِيُّ ، مَالِكُ بْنُ مَسْعُودِ الْخَزْرَجِيِّ ، مَالِكُ بْنُ ثَابِتٍ بْنُ كُنَيْسَةَ الْمَزَنِيِّ
حَلِيفُ ابْنِ عَمْرٍو بْنِ عَوْفٍ ، مَبْشَرُ بْنُ عَبْدِ الْمَنْذَرِ بْنِ زَنْبَرِ الْأَوْسِيِّ أَخُو أَبِي إِبْرَاهِيمَ وَرَفَاعَةَ ،
قَتْلُ يَوْمَنْدَ شَهِيداً ، الْحِذْرُ بْنُ زِيَادٍ^(٣) الْبَلَوِيُّ مُهَاجِرِيٌّ ، مُحَرِّزُ بْنُ عَامِرِ النُّجَارِيِّ ، مُحَرِّزُ
ابْنِ نَضْلَةَ الْأَسَدِيِّ حَلِيفُ بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ مُهَاجِرِيٌّ ، مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ حَلِيفُ بَنِي عَبْدِ

(١) ابْنُ هِشَامٍ : ابْنُ حَمَارٍ . (٢) ابْنُ هِشَامٍ : كَعْبُ بْنُ جَمَازٍ وَهُوَ مِنْ غُبْشَانَ .

(٣) الْأَصْلُ زِيَادٌ . وَهُوَ تَخْرِيفٌ وَمَا أَثْبَتَهُ عَنِ الْإِسْتِثْقَاءِ لِابْنِ دُرَيْدٍ ٥٥٠ .

الأشمل ، مُذَلَجٌ ويقال مِذْلَاجٌ بن عمرو أخو ثَقَف بن عمرو مهاجري ، مَرْتَدٌ بن أبي مَرْتَدٍ الفَنَوِي ، مِسْطَحٌ بن أَثَاثَةَ بن عَبَّاد بن المطلب بن عبد مناف من المهاجرين الأولين ، وقيل اسمه عوف ، مسعود بن أوس الأنصاري النجَّاري ، مسعود بن خَلْدَةَ الخَزْرَجِي ، مسعود بن ربيعة القاري حليف بنى زهرة مهاجري ، مسعود بن سعد ويقال ابن عبد سعد بن عامر بن عدى بن جُشَم بن مَجْدَعَةَ بن حارثة بن الحارث ، مسعود بن سعد بن قيس الخزرجي ، مُصْعَب بن عُمير العبدي مهاجري كان معه اللواء يومئذ ، معاذ بن جبل الخزرجي ، معاذ بن الحارث النجَّاري وهذا هو ابن عَفْرَاء أخو عوف ومُعَوِّذ ، معاذ بن عمرو بن الجموح الخزرجي ، معاذ بن ما عِض الخزرجي أخو عائذ .
مَعْبِد بن عَبَّاد بن قُشَيْر بن الْقِدَم^(١) بن سالم بن غَنَم ، ويقال مَعْبِد بن عُبَادَةَ بن قيس وقال الواقدي : قَشْعَر بدل قشِير . وقال ابن هشام : قشعر أبو خميسة .

مَعْبِد بن قيس بن صخر السلمي أخو عبد الله بن قيس ، مُعْتَب بن عبيد بن إياس البلوي القضاعي ، معتب بن عوف الخزاعي ، حليف بنى مخزوم من المهاجرين ، مُعْتَب بن قشِير الأوسِي ، مَعْقِل بن المنذر السلمي ، معمر بن الحارث الجحفي من المهاجرين ، مَعْنُ ابن عدى الأوسِي ، مُعَوِّذ بن الحارث الجحفي وهو ابن عفراء ، أخو معاذ بن عوف ، معوذ ابن عمرو بن الجموح السلمي لعله أخو معاذ بن عمرو ، الْقِدَاد بن عمرو البَهْرَانِي ، وهو المقداد ابن الأسود من المهاجرين الأولين وهو ذو المقال الحمود ، ابن المتقدم ذكره وكان أحد الفرسان يومئذ ، مُكَلِيل بن وَبَرَةَ الخزرجي ، المنذر بن عمرو بن خُنَيْس الساعدي ، المنذر بن قدامة بن عَرَجَةَ الخزرجي ، المنذر بن محمد بن عُقْبَةَ الأنصاري من بني جَعْفَجِي مِنْهَجَم مولى عمر بن الخطاب أصله من اليمن وكان أول قتيل من المسلمين يومئذ .

١٠ (١) الأصل : القدم . وما أثبتته من الاشتقاق ٤٥٩ . والقدم : السيد المعطاء .

حرف النون

نصر بن الحارث بن عبد رزاح بن ظُفر بن كعب ، نعمان بن عبد عمرو النجاري ، وهو أخو الضَّحَّاك . نعمان بن عمرو بن رفاعة النجاري ، نعمان بن عمرو بن الحارث حليف لبني الأوس ، نعمان بن مالك بن ثعلبة الخزرجي ، ويقال له قَوْقُل ، نعمان بن يسَّار مولى لبني عبید ، ويقال نعمان بن سنان . نوفل بن عبید الله بن نَضْلَة الخزرجي .

حرف الهاء

هانيء بن نِيَّار أبو بُرْدَة البَلَوِي ، خال البراء بن عازب . هلال بن أمية الواقي ، وقع ذكره في أهل بدر في الصحيحين في قصة كعب بن مالك ، ولم يذكره أحد من أصحاب المغازي . هلال بن المعلّى الخزرجي ، أخو رافع بن المعلّى .

حرف الواو

واقد بن عبد الله التميمي ، حليف بني عدى من المهاجرين ، ودِيعَة بن عمرو بن جَرَاد الجُهَنِي ، ذكره الواقدي وابن عائذ ، ورقة بن إِيَّاس بن عمرو الخزرجي أخو ربيع بن إِيَّاس ، وهب بن سعد بن أبي سَرَح ، ذكره موسى بن عقبة وابن عائذ والواقدي في بني عامر بن لؤي ولم يذكره ابن اسحاق .

حرف الياء

يزيد بن الأخنس بن جَنَّاب بن حبيب بن جرّة السُّلَمِي . قال السُّهَيْلِي : شهد هو وأبوه وابنه يعني بدرًا ، ولا يعرف لهم نظير في الصَّجَابَة ، ولم يذكرهم ابن إسحاق والأَكْثَرُونَ ، لكن شهدوا معه بيعة الرضوان .

يزيد بن الحارث بن قيس الخزرجي ، وهو الذي يقال له ابن فُسْحَم^(١) وهي أمه ،
قتل يومئذ شهيداً ببدر ، يزيد بن عامر بن حديدة أبو المنذر السلمي ، يزيد بن المنذر بن
سرح السلمي وهو أخو معقل بن المنذر .

باب الكنى

أبو أسيد مالك بن ربيعة تقدم ، أبو الأعور بن الحارث بن ظالم النجاري ، وقال
ابن هشام : أبو الأعور الحارث بن ظالم . وقال الواقدي : أبو الأعور كعب بن الحارث
ابن جُنْدَب بن ظالم ، أبو بكر الصديق عبد الله بن عثمان ، تقدم ، أبو حَبَّة بن عمرو بن
ثابت ، أحد بني ثعلبة بن عمرو بن عوف الأنصاري . أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة من
المهاجرين وقيل اسمه مِهْشَم ، أبو الحمراء مولى الحارث بن رفاعه بن عفراء ، أبو خزيمة
ابن أوس بن أَضْرَم النجاري ، أبو سبرة مولى أبي رُهم بن عبد العزى من المهاجرين ،
أبو سنان بن مُحْصَن بن حُرْثَان ، أخو عكاشة ومعه ابنه سنان من المهاجرين .

أبو الصياح بن النعمان وقيل : عمير بن ثابت بن النعمان بن أمية بن امرئ القيس
ابن ثعلبة ، رجع من الطريق وقتل يوم خيبر ، رجع لجرح أصابه من حجر فصرب له
بسهمه ، أبو عَرَجَة من حلفاء بني جَحْجَجِي ، أبو كبشة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
أبو لُبَابَة بشير بن عبد المنذر ، تقدم ، أبو مرثد الغنوي كَنَاز بن حُصَيْن تقدم ، أبو مسعود
البدرى عقبة بن عمرو تقدم ، أبو مُكَيْل بن الأزعر بن زيد الأوسى .

فصل

فكان جملة من شهد بدرًا من المسلمين ثلثمائة وأربعة عشر رجلاً ، منهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم .

(١) الأصل : قسح . وصوابه عن القاموس . وفصح أمه .

كما قال البخارى : حدثنا عمرو بن خالد ، حدثنا زهير ، حدثنا أبو إسحاق ، سمعت البراء بن عازب يقول : حدثني أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ورضي عنهم ممن شهد بدرًا ، أنهم كانوا عِدَّةَ أصحاب طالوت الذين جاوزوا معه النهر ، بضعة عشر وثلاثمائة . قال البراء : لا والله ما جاوز معه النهر إلا مؤمن .

ثم رواه البخارى من طريق إسرائيل وسفيان الثورى ، عن أبي إسحاق عن البراء نحوه .

قال ابن جرير : وهذا قول عامة السلف أنهم كانوا ثلاثمائة وبضعة عشر رجلا . وقال أيضاً : حدثنا محمود ، حدثنا وهب ، عن شعبة ، عن أبي إسحاق ، عن البراء ، قال : استُصغرت أنا وابنُ عمر يومَ بدر ، وكان المهاجرون يوم بدرَ نبيًا على ستين ، والأنصار نبيًا وأربعين ومائتين . هكذا وقع في هذه الرواية .

وقال ابن جرير : حدثني محمد بن عُبيد المُحاربى ، حدثنا أبو مالك الجُبَنيّ ، عن الحجاج ، وهو ابن أَرْطاة ، عن الحكم ، عن مِقْسَم ، عن ابن عباس قال : كان المهاجرون يوم بدر سبعين رجلا ، وكان الأنصار مائتين وستة وثلاثين رجلا ، وكان حامل راية النبي صلى الله عليه وسلم على بن أبي طالب ، وحامل راية الأنصار سعد بن عباد . وهذا يقتضى أنهم كانوا ثلثمائة وستة رجال .

قال ابن جرير : وقيل : كانوا ثلثمائة وسبعة رجال . قلت : وقد يكون هذا عدًّا معهم النبي صلى الله عليه وسلم والأول عدًّا بدونه . والله أعلم .

وقد تقدم عن ابن إسحاق أن المهاجرين كانوا ثلاثة وثمانين رجلا ، وأن الأوس أحد وستون رجلا . والخزرج مائة وسبعون رجلا وسردهم .

وهذا مخالف لما ذكره البخارى ، ولما زوى عن ابن عباس فأله أعلم .
وفى الصحيح ، عن أنس أنه قيل له : شهدتَ بَدْرًا ؟ فقال : وأين أُغيب .
وفى سنن أبى داود عن سعيد بن منصور ، عن أبى معاوية ، عن الأعمش ، عن أبى
سفيان طلحة بن نافع ، عن جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام أنه قال : كنت أُمْتَح
لأَصْحَابِ الْمَاءِ يَوْمَ بَدْر .
وهذان لم يذكرهما البخارى ولا الضياء . فأله أعلم .

قلت : وفى الذين عدَّهم ابن إسحاق فى أهل بدر من صُرب له بسهم فى مَنَعَمَها وإنه
لم يحضرها ، تخلف عنها لعذر أذن له فى التخلف بسببها ، وكانوا ثمانية أو تسعة وهم :
عثمان بن عفان تخلف على رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم يمرضها حتى ماتت
فضرب له بسهمه وأجره ، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل كان بالشام فضرب له
بسهمه وأجره .

وطلحة بن عبيد الله كان بالشام أيضاً فضرب له بسهمه وأجره .
وأبو لُبَابَةَ بَشِير بن عبد المنذر رده رسول الله صلى الله عليه وسلم من الرُّوحاء . حين
بلغه خروج النفي من مكة ، فاستعمله على المدينة وضرب له بسهمه وأجره .
والحارث بن حاطب بن عبيد بن أمية ، رده رسول الله صلى الله عليه وسلم أيضاً
من الطريق وضرب له بسهمه وأجره .

والحارث بن الصَّمَّة ، كُسِر بالرُّوحاء فرجع فضرب له بسهمه زاد الواقدي : وأجره .
وَحَوَّات بن جبير لم يحضر الواقعة وضرب له بسهمه وأجره .
وأبو الصياح بن ثابت ، خرج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فأصاب ساقه فصيلُ حجر
فرجع وضرب له بسهمه وأجره .

قال الواقدي : وسعد أبو مالك ، تجهز ليخرج فمات وقيل : إنه مات بالروحاء
فضرب له بسهمه وأجره .

وكان الذين استشهدوا من المسلمين يومئذ أربعة عشر رجلاً ، من المهاجرين ستة وهم : عبيدة بن الحارث بن المطلب ، قطعت رجله فمات بالصفراء رحمه الله ، وعُمير بن أبي وقاص ، أخو سعد بن أبي وقاص الزهري قتله العاص بن سعيد وهو ابن ست عشرة سنة ، ويقال إنه كان قد أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم بالرجوع لصغره فبكى فأذن له في الذهاب فقتل رضى الله عنه ، وحليفهم ذو الشَّمالين ابن عبد عمرو الخزاعي ، وصفوان بن بيضاء ، وعافل بن البكير الليثي حليف بني عدى ، ومِهْجَع مولى عمر بن الخطاب وكان أول قتيل قتل من المسلمين يومئذ .

ومن الأنصار ثمانية وهم : حارثة بن سُراقَة رماه حَبَّان بن العرقَة بسهم فأصاب حنجرته فمات ، ومعوذ وعوف ابنا عفراء ، ويريد بن الحارث ، ويقال : ابن فُسْحَم ، وعُمير بن الحمام ، ورافع بن المعلى بن لوذان ، وسعد بن خيثمة ، ومبشر بن عبد المنذر رضى الله عن جميعهم .

وكان مع المسلمين سبعون بغيراً كما تقدم .

قال ابن إسحاق : وكان معهم فرسان على أحدهما المقداد بن الأسود واسمها بَعْرَجَة ، ويقال سَبْعَة ، وعلى الأخرى الزبير بن العوام واسمها اليَعْسُوب .

وكان معهم لواء يحمله مصعب بن عمير ، ورايتان يحمل إحداها للمهاجرين على ابن أبي طالب ، والتي للأنصار يحملها سعد بن عبادَة .

وكان رأس مشورة للمهاجرين أبو بكر الصديق ، ورأس مشورة الأنصار سعد ابن معاذ .

وأما جمع المشركين : فأحسن ما يقال فيهم : إنهم كانوا ما بين التسعمائة إلى الألف وقد نصَّ عروة وقتادة أنهم كانوا تسعمائة وثلاثين رجلاً .

وقال الواقدي : كانوا تسعمائة وثلاثين رجلاً .

وهذا التحديد يحتاج إلى دليل ، وقد تقدم في بعض الأحاديث أنهم كانوا أزيد من ألف ، فلعله عدّد أتباعهم معهم والله أعلم .
وقد تقدم الحديث الصحيح عند البخاري عن البراء أنه قُتل منهم سبعون وأُسِر سبعون .

وهذا قول الجمهور ، ولهذا قال كعب بن مالك في قصيدة له :

فَأَقَامَ بِالْعَطَنِ الْمَعَطَنِ مِنْهُمْ سَبْعُونَ عُتْبَةً مِنْهُمْ وَالْأَسُودَ

وقد حكى الواقدي الإجماع على ذلك . وفيما قاله نظر ، فإن موسى بن عقبة وعروة ابن الزبير قالا خلاف ذلك ، وهما من أئمة هذا الشأن ، فلا يمكن حكاية الاتفاق بدون قولهما ، وإن كان قولهما مرجوحاً بالنسبة إلى الحديث الصحيح . والله أعلم .
وقد سرد أسماء القتلى والأسارى ابنُ إسحاق وغيره ، وحرّر ذلك الحافظ الضياء في أحكامه جيداً .

وقد تقدم في غرضون سياقات القصة ذكر أول من قُتل منهم ، وهو الأسود بن عبد الأسد المخزومي ، وأول من فرّ وهو خالد بن الأعلم الخزاعي ، أو العقيلي ، حليف بني مخزوم ، وما أفاده ذلك ، فإنه أُسِر ، وهو القاتل في شعره :
ولسنا على الأعقاب تَدْمَى كلومُنَا ولكنْ على أقدامنا يَقْطُرُ الدَّمُ
فما صدق في ذلك .

وأول من أسروا عقبة بن أبي مُعيط والنضر بن الحارث ، قُتلا صبراً بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم من بين الأسارى ، وقد اختلف في أيهما قُتل أولاً على قولين .

وأنه عليه السلام أطلق جماعة من الأسارى مجاناً بلا فداء ، منهم أبو العاص بن

الربيع الأموى ، والمطلب بن حنطب بن الحارث المخزومى ، وصيفى بن أبى رفاعه كما تقدم ، وأبو عزة الشاعر ، ووهب بن عمير بن وهب الجحى كما تقدم ، وفادى بقيتهم حتى عمه العباس أخذ منه أكثر مما أخذ من سائر الأسرى ، لئلا يحاييه لكونه عمه ، مع أنه قد سألته الذين أسروه من الأنصار أن يتركوا له فداءه فأبى عليهم ذلك ، وقال : لا تتركوا منه درهما .

وقد كان فداؤهم متفاوتا ، فأقل ما أخذ أربعائة ، ومنهم من أخذ منه أربعون أوقية من ذهب .

قال موسى بن عقبة : وأخذ من العباس مائة أوقية من ذهب .

ومنهم من استؤجر على عمل بمقدار فدائه كما قال الإمام أحمد : حدثنا على بن عاصم ، قال : قال داود : حدثنا عكرمة ، عن ابن عباس قال : كان ناسٌ من الأسرى يوم بدر لم يكن لهم فداء ، فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم فداءهم أن يعلموا أولادَ الأنصار الكتابة ، قال : فجاء غلام يوما يبكى إلى أمه فقالت : ما شأنك ؟ فقال : ضربنى معلّى فقالت : الخبيث يطلب بدخل^(١) بدّر ! والله لا تأتیه أبداً .

انفرد به أحمد وهو على شرط السنن . وتقدم بسط ذلك كله والله الحمد والمنة .

فصل فى فضل من شهد بدرا من المسلمين

قال البخارى فى هذا الباب : حدثنا عبد الله بن محمد ، حدثنا معاوية بن عمرو ، حدثنا أبو إسحاق ، عن حميد ، سمعت أنساً يقول : أصيب حارثة يوم بدر فجاءت أمه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : يا رسول الله قد عرفت منزلة حارثة منى فإن يك فى الجنة أصبر وأحسب ، وإن تكن الأخرى فترى ما أصنع . فقال : « ويحك أو هبّلت أو جنة واحدة هى ؟ إنها جنان كثيرة وإنه فى جنة الفردوس » .

(١) الدحل : الثأر . وفى الأصل : بدخل . محرفة .

تفرد به البخارى من هذا الوجه .

وقد روى من غير هذا الوجه من حديث ثابت وقتادة عن أنس ، وأن حارثة كان فى النَّظَّارة وفيه : « إن ابنك أصاب الفردوسَ الأعلى » .

وفى هذا تنبيه عظيم على فضل أهل بدر ، فإن هذا الذى لم يكن فى بُجُوحَةِ القتال^(١) ولا فى حَوْمَةِ الوغى ، بل كان من النَّظَّارة من بعيد ، وإنما أصابه سَهْمٌ غَرِبَ وهو يشرب من الحوض ، ومع هذا أصاب بهذا الموقف الفردوسَ التى هى أعلى الجنان وأوسط الجنة ، ومنه تفجَّرَ أنهار الجنة التى أمر الشارع أمته إذا سألوا الله الجنة أن يسألوه إياها .

فإذا كان هذا حالَ هذا ، فما ظنُّكَ بمن كان واقفاً فى نَحْرِ العدو ، وعدوهم على ثلاثة أضعافهم عدداً وعدداً ؟ !

ثم روى البخارى ومسلم جميعاً عن إسحاق بن راهويه ، عن عبد الله بن إدريس ، عن حصين بن عبد الرحمن ، عن سعد بن عبيدة ، عن أبي عبد الرحمن السُّلَمى ، عن على بن أبي طالب قصة حاطب بن أبى بلتعة وبمَّته الكتاب إلى أهل مكة عام الفتح ، وأن عمر استأذن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فى ضرب عنقه فإنه قد خان الله ورسوله والمؤمنين . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « قد شهد بدرًا ، وما يدريك لعل الله أطَّلَعَ على أهل بدر فقال : اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم » .

ولفظ البخارى : « أليس من أهل بدر ؟ ولعل الله أطَّلَعَ على أهل بدر فقال : اعملوا ما شئتم فقد وجبت لكم الجنة ، أو قد غفرت لكم » .
فدمعت عينا عمر وقال : الله ورسوله أعلم .

(١) تبجج : تمكن فى المقام والحلول . وبجوحه المكان وسطه . وفى الأصل : بججة . محرفة

وروى مسلم عن قتيبة ، عن الليث ، عن أبي الزبير ، عن جابر ، أن عبداً لحاطب جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم يشكو حاطباً قال : يا رسول الله ليدخلن حاطب النار . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كذبت ، لا يدخلها ، إنه شهد بدرأ والحديبية » .

وقال الإمام أحمد : حدثنا سليمان بن داود ، حدثنا أبو بكر بن عيَّاش ، حدثني الأعمش ، عن أبي سفيان ، عن جابر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لن يدخل النار رجلٌ شهد بدرأ أو الحديبية » .
تفرد به أحمد وهو على شرط مسلم .

وقال الإمام أحمد : حدثنا يزيد ، أنبأنا حماد بن سلمة ، عن عاصم بن أبي النجود ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم « قال : إن الله اطلع على أهل بدر فقال : اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم » .

ورواه أبو داود عن أحمد بن سنان ، وموسى بن إسماعيل ، كلاهما عن يزيد ابن هارون به .

وروى البزار في مسنده : حدثنا محمد بن مرزوق ، حدثنا أبو حذيفة ، حدثنا عكرمة ، عن يحيى بن أبي كثير ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إني لأرجو أن لا يدخل النار من شهد بدرأ إن شاء الله » .
ثم قال : لا نعلم يُروى عن أبي هريرة إلا من هذا الوجه .

فات : وقد تفرد البزار بهذا الحديث ولم يخرجوه ، وهو على شرط الصحيح . والله أعلم .

وقال البخاري في باب شهود الملائكة بدرأ : حدثنا إسحاق بن إبراهيم ،

حدثنا جرير ، عن يحيى بن سعيد ، عن معاذ بن رفاع بن رافع الزُّرقى ،
عن أبيه ، وكان أبوه من أهل بدر ، قال : جاء جبريل إلى النبي صلى الله
عليه وسلم فقال : ماتعدُّون أهلَ بدر فيكم ؟ قال : من أفضل المسلمين ، أو
كلمة نحوها .

قال : وكذلك من شهد بدرًا من الملائكة
انفرد به البخارى .

فصل

في قدوم زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم مهاجرةً من مكة إلى المدينة
بعد وقعة بدر بشهر ، يمتضى ما كان شرط زوجها أبو العاص
للنبي صلى الله عليه وسلم كما تقدم

قال ابن إسحاق : ولما رجع أبو العاص إلى مكة وقد خلى سبيله ، يعنى كما تقدم ،
بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة ورجلاً من الأنصار مكانه فقال :
كونا بيطن بأجج حتى تمر بكما زينب فتصحبها فتأينى بها . فخرجا مكانهما وذلك
بعد بدر بشهر أو شيعه ^(١) .

فلما قدم أبو العاص مكة أمرها باللاحق بأبيها فخرجت تجهز .

قال ابن إسحاق : فحدثني عبدالله بن أبي بكر ، قال : حدثت عن زينب أنها قالت :
بينما أنا أتجهز لقيتني هند بنت عتبة فقالت : يا ابنة محمد ، ألم يبلغني أنك تريدين اللحق
بأبيك ؟ قالت : فقلت : ما أردت ذلك . فقالت : أى ابنة عم ، لا تفعل ، إن كان لك
حاجة بمتاع مما يرفق بك في سفرك أو بمال تتبلغين به إلى أبيك فإن عندى حاجتك
فلا تضطنى ^(٢) منى فإنه لا يدخل بين النساء ما بين الرجال . قالت : والله ما أراها
قالت ذلك إلا لتفعل . قالت : ولكنى خفتها فأنكرت أن أكون أريد ذلك .

قال ابن إسحاق : فتجهزت ، فلما فرغت من جهازها قدم إليها أخو زوجها كنانة بن
الربيع بعيراً فركبته وأخذ قوسه وكنانته ، ثم خرج بها نهراً يقود بها وهى فى هودج لها ،
وتحدث بذلك رجال من قريش ، فخرجوا فى طلبها حتى أدركوها بذي طوى ، وكان أول

(٢) لا تضطنى : لا تنقبض منى . وأصله : اضطأ .

(١) شيعه : قريب منه .

من سبق إليها هَبَّار بن الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى الفهري ، فروَّعها هبار بالرمح وهي في الهودج ، وكانت حاملاً فيما يزعمون فطرحته ، وبرك حموها كنفانة ونثر كنفانته ثم قال : والله لا يدنو مني رجل إلا وضعت فيه سهماً . فتكره الناس عنه .

وأتى أبو سفيان في جِلَّة من قريش فقال : يا أيها الرجل كَفَّ عنا نَبْلِكَ حتى نكلِّمك . فكف ، فأقبل أبو سفيان حتى وقف عليه فقال : إنك لم تُصِبْ ، خرجت بالمرأة على رموس الناس علانية ، وقد عرفت مصيبتنا ونكبتنا وما دخل علينا من محمد ، فيظن الناس إذ خرجت بابنته إليه علانية على رموس الناس من بين أظهرنا ، أن ذلك عن ذلِّ أصابنا ، وأن ذلك ضعفٌ منا ووَهْنٌ ، ولعمري مالنا بحبسها من أيها من حاجة وما لنا من ثُورة^(١) ، ولكن ارجع بالمرأة حتى إذا هددت الأصوات وتحدث الناس أن قد رددناها فسلِّها سرًّا وألحقها بأبيها . قال : ففعل .

وقد ذكر ابن إسحاق أن أولئك النفر الذين ردوا زينب لما رجعوا إلى مكة قالت هند تذهبهم على ذلك :

أَفَى السَّـلْمِ أَغْيَاراً جَفَاءً وَغِلَظَةً وَفِي الْحَرْبِ أَشْبَاهَ النِّسَاءِ الْعَوَارِكِ^(٢)

وقد قيل إنها قالت ذلك للذين رجعوا من بدر بعد ما قُتِل منهم الذين قتلوا .

قال ابن إسحاق : فأقامت ليالى ، حتى إذا هددت الأصوات خرج بها ليلاً حتى أسلمها إلى زيد بن حارثة وصاحبه ، فقدا بها ليلاً على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقد روى البيهقي في الدلائل من طريق عمر بن عبد الله بن عروة بن الزبير ، عن

(٢) العوارك : الخوائض .

• (١) الثُورة : طلب الثأر .

عروة ، عن عائشة فذكر قصة خروجها وردَّهم لها ووَضَعها مافي بطنها ، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث زيد بن حارثة وأعطاه خاتمه لتجىء معه فتلطَّف زيد فأعطاه راعياً من مكة فأعطى الخاتم لزَيْنب ، فلما رأته عرفته فقالت : من دفع إليك هذا؟ قال : رجل في ظاهر مكة . فخرجت زينب ليلاً فركبت وراءه حتى قدم بها المدينة .

قال : فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « هي أفضلُ بناتي أُصِيبَتْ فيَّ » .

قال : فبلغ ذلك عليَّ بن الحسين بن زين العابدين ، فاتى عروة فقال : ما حديثٌ بلغني أنك تحدِّثته؟ فقال عروة : والله ما أحب أن لي ما بين المشرق والمغرب وأنى أنتقص فاطمة حقاً هولها ، وأما بعد ذلك أن لا أحدث به أبداً .

قال ابن إسحاق : فقال في ذلك عبد الله بن رواحة أو أبو خَيْثَمَة أخو بني سالم بن عوف . قال ابن هشام : هي لأبي خَيْثَمَة :

أتانى الذى لا يَقْدِر الناس قدره	لزينب فيهم من عُقُوقٍ ومَأْثَمٍ
وإخراجهم لم يُخْزَ فيها محمدٌ	على مَأْظُفٍ وَيَنْبِنَا عِطْرُ مَنْشَمٍ ^(١)
وأمسى أبو سفيان من حِلْفِ ضَنْمٍ	ومن حربنا فى رَغَمِ أَنْفٍ وَمَنْدَمٍ
قرناً ابنته عمرأ ومولى يمينه	بذى حَلَقٍ جَلَدِ الصَّلَاصِلِ مُحْكَمٍ ^(٢)
فأقسمتُ لا تنفكُ منّا كتابُ	سُرَّةُ خَمِيسٍ من لُهامٍ مُسَوِّمٍ ^(٣)
نروع قريشَ الكُفْرَ حتى نَعْلُها ^(٤)	بمُخاطِمةٍ فوقَ الأنوفِ بِمِيسَمٍ

(١) المَأْظُف : معترك الحرب ، وعطر منشم : كناية عن شدة الحرب . ومنشم : كانت امرأة تباع العطر فيبشترى منها العوتى ، حتى تشاءموا بها .

(٢) ذو حلق : أراد به الفل . والصلاصل جمع صلصلة ، وهى صلصلة الحديد .

(٣) اللهام : الكثير . والمسوم : العلم . (٤) نروع : نزع . ونعلها : نذيقها الحرب مرة بعد مرة .

نَزَّلَهُمْ أَكْنَافَ نَجْدٍ وَنَخْلَةٍ وَإِنْ يُبْتِهَمُوا بِالْخَيْلِ وَالرَّجُلِ تُنْتَهَمُ
يَدُ^(١) الدَّهْرِ حَتَّى لَا يَبْعُوجَ سِرْبُنَا وَنُلْحَقَهُمْ آثَارَ عَادٍ وَجُـرْهُمُ
وَيَنْدُمُ قَوْمٌ لَمْ يَطِيعُوا مَحْمُوداً عَلَى أَمْرِهِمْ وَأَيَّ حَيْنٍ تَنْدَمُ
فَأَبْلَغُ أَبَا سَفِيَانَ إِمَّا لَقِيْتَهُ لَنْ أَنْتَ لَمْ تُخْصِ سَجُوداً وَتُسَلِّمُ
فَأَبْشِرْ بِخَزْيٍ فِي الْحَيَاةِ مَعْجَلٍ وَسِرْبَالٍ قَارٍ خَالِداً فِي جَهَنَّمَ
قال ابن إسحاق : ومولى يمين أبي سفيان الذى عنه الشاعر هو عامر بن الحضرمى .
وقال ابن هشام : إنما هو عقبة بن عبد الحارث بن الحضرمى ، فأما عامر بن الحضرمى
فإنه قُتل يوم بدر .

قال ابن إسحاق : وقد حدثني يزيد بن أبي حبيب ، عن بُكَيْرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْأَشْجِ ،
عن سليمان بن يسار ، عن أبي إسحاق الدَّوْسِيِّ ، عن أبي هريرة . قال : بعث النبي صلى
الله عليه وسلم سرية أنا فيها فقال : « إِنْ ظَفَرْتُمْ بِهَبَّارِ بْنِ الْأَسَدِ وَالرَّجُلِ الَّذِي سَبَقَ مَعَهُ
إِلَى زَيْنَبَ فَحَرِّقُوهُمَا بِالنَّارِ » .

فلما كان الغد بعث إلينا فقال : إني قد كنت أمرتكم بتحريق هذين الرجلين إِنْ
أَخَذْتُمُوهُمَا ، ثُمَّ رَأَيْتَ أَنَّهُ لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ أَنْ يَحْرِقَ بِالنَّارِ إِلَّا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ، فَإِنْ ظَفَرْتُمْ
بِهِمَا فَاقْتُلُوهُمَا » .

تفرد به ابن إسحاق وهو على شرط السنن ولم يخرجوه .

وقال البخارى : حدثنا قتيبة حدثنا الليث ، عن بُكَيْرِ ، عن سليمان بن يسار ، عن
أبي هريرة أنه قال : بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بعث فقال : « إِنْ وَجَدْتُمْ فَلَانًا
وَفَلَانًا فَاحْرَقُوهُمَا بِالنَّارِ » ثُمَّ قَالَ حِينَ أَرَدْنَا الْخُرُوجَ : إِنْ أَمَرْتُمْ أَنْ تَحْرِقُوا فَلَانًا وَفَلَانًا ،
وَإِنْ النَّارُ لَا يَعْذِّبُ بِهَا إِلَّا اللَّهُ ، فَإِنْ وَجَدْتُمُوهُمَا فَاقْتُلُوهُمَا .

(١) يد الدهر : مد زمانه . وفى الأصل : يدى . وما أثبتته عن ابن هشام .

وقد ذكر ابن إسحاق أن أبا العاص أقام بمكة على كفره واستمرت زينب عند أبيها بالمدينة ، حتى إذا كان قبيل الفتح خرج أبو العاص في تجارة لقريش ، فلما قفل من الشام لقيته سرية فأخذوا مامعه وأعجزهم هرباً ، وجاء تحت الليل إلى زوجته زينب فاستجار بها فأجارتها .

فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم لصلاة الصبح وكبر وكبر الناس صرخت من صفة النساء : أيها الناس أجرت أبا العاص بن الربيع .

فلما سلم رسول الله صلى الله عليه وسلم أقبل على الناس فقال : « أيها الناس هل سمعتم الذى سمعت ؟ » قالوا : نعم . قال : « أما الذى نفس محمد بيده ما علمتُ بشيء حتى سمعت ماسمعت ، وإنه يُحير على المسلمين أذناهم » . ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل على ابنته زينب فقال : « أئى بُنية أكرمى مثواه ولا يخلص إليك فإنك لا تحلين له » قال : وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فحتمهم على رد ما كان معه ، فردوه بأسرره لا يفقد منه شيئاً .

فأخذه أبو العاص فرجع به إلى مكة ، فأعطى كل إنسان ما كان له ثم قال : يامعشر قريش ، هل بقي لأحد منكم عندى مال لم يأخذه ؟ قالوا : لا نجزأك الله خيراً فقد وجدناك وفيّاً كريماً .

قال : فإني أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ، والله مامنعنى عن الإسلام عنده إلا تخوف أن تظنوا أنى إنما أردت أن آكل أموالكم ، فلما أداها الله إليكم وفرغت منها أسلمت .

ثم خرج حتى قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال ابن إسحاق : فحدثني داود بن الحصين ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : ردّ عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب على النكاح الأول ولم يُحدث شيئاً .

وهذا الحديث قد رواه الإمام أحمد وأبو داود والترمذى وابن ماجه من حديث محمد بن إسحاق ، وقال الترمذى : ليس بإسناده بأس .

ولكن لا نعرف وجه هذا الحديث ، ولعله قد جاء من قِبَل حِفْظ داود بن الحصين وقال السهيلي : لم يَقُلْ به أحد من الفقهاء فيما علمت .

وفى لفظ : رَدَّهَا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ست سنين ، وفى رواية : بعد سنتين بالنكاح الأول . رواه ابن جرير . وفى رواية : لم يُحْدِثْ نكاحا .

وهذا الحديث قد أشكل على كثير من العلماء ، فإن القاعدة عندهم أن المرأة إذا أسلمت وزوجها كافر ، فإن كان قبل الدخول تعجلت الفرقة ، وإن كان بعده انتظر إلى انقضاء العدة ، فإن أسلم فيها استمر على نكاحها ، وإن انقضت ولم يُسَلِّمْ انفسخ نكاحها وزينب رضى الله عنها أسلمت حين بُعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وهاجرت بعد بدر بشهر ، وحُرِّمَ المسلمات على المشركين عام الحديبية سنة ست ، وأسلم أبو العاص قبل الفتح سنة ثمان

فمن قال : رَدَّهَا عليه بعد ست سنين ، أى من حين هجرتها فهو صحيح . ومن قال : بعد سنتين . أى من حين حُرِّمَتِ المسلمات على المشركين فهو صحيح أيضا .

وعلى كل تقدير فالظاهر انقضاء عدتها فى هذه المدة التى أقلها سنتان من حين التحريم أو قريب منها ، فكيف رَدَّهَا عليه بالنكاح الأول ؟

فقال قائلون : يحتمل أن عدتها لم تَنقُضْ ، وهذه قصة يمين يتطرق إليها الاحتمال . وعارض آخرون هذا الحديث بالحديث الأول الذى رواه أحمد والترمذى وابن ماجه من حديث الحجاج بن أرطاة ، عن عمرو بن شعيب ، عن أبيه عن جده ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رَدَّ بنته على أبى العاص بن الربيع بمهر جديد ونكاح جديد .

قال الإمام أحمد : هذا حديث ضعيف وإِياه لم يسمعه الحجاج من عمرو بن شعيب ، إنما سمعه من محمد بن عبيد الله العَرَزَمِي ، والعرزمي لا يساوي حديثه شيئاً ، والحديث الصحيح الذي روى أن النبي صلى الله عليه وسلم أقرها على النكاح الأول .
وهكذا قال الدارقطني : لا يثبت هذا الحديث ، والصواب حديث ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ردها بالنكاح الأول .

وقال الترمذي : هذا حديث في إسناده مقال . و[الذي] العمل عليه عند أهل العلم ، أن المرأة إذا أسلمت قبل زوجها ثم أسلم زوجها أنه أحق بها ما كانت في العدة ، وهو قول مالك والأوزاعي والشافعي وأحمد وإسحاق . وقال آخرون : بل الظاهر انقضاء عدتها ، ومن رَوَى أنه جدد لها نكاحاً فضعيف .

ففي قضية زينب ، والحالة هذه ، دليل على أن المرأة إذا أسلمت وتأخر إسلام زوجها حتى انقضت عدتها ، فنكاحها لا يفسخ بمجرد ذلك ، بل يبقى بالخيار إن شاءت تزوجت غيره وإن شاءت تربصت وانتظرت إسلام زوجها أي وقت كان ، وهي امرأته ما لم تزوج .

وهذا القول فيه قوة وله حظ من جهة . الفقه والله أعلم .

ويستشهد لذلك بما ذكره البخاري حيث قال : نكاح من أسلم من المشركات وعدتهن : حدثنا إبراهيم بن موسى ، حدثنا هشام ، عن ابن جريج ، عن عطاء ، عن ابن عباس ، كان المشركون على منزلتين من رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ، كانوا مشركي أهل الحرب يقاتلونهم ويقاتلونه ، ومشركي أهل عهد لا يقاتلهم ولا يقاتلونه . فكان إذا هاجرت امرأة من أهل الحرب لم تُخطب حتى تحيض وتطهر ، فإذا طهرت حل لها النكاح ، فإن هاجر زوجها قبل أن تنكح ردت إليه ، وإن هاجر عبد منهم أو

أمة فهما حران ولهما ما للمهاجرين .

ثم ذكر من أهل العهد مثل حديث مجاهد .

هذا لفظه بحروفيه .

فقوله : « فكان إذا هاجرت امرأة من أهل الحرب لم تخطب حتى تحيض وتطهر »

يقتضى أنها كانت تستبرئ بحیضة لا تعتد بثلاثة قروء ، وقد ذهب قوم إلى هذا .

وقوله : فإن هاجر زوجها قبل أن تنكح ردت إليه ، يقتضى أنه وإن هاجر بعد انقضاء

مدة الاستبراء والعدة أنها تردّ إلى زوجها الأول ما لم تنكح زوجا غيره ، كما هو الظاهر من

قصة زينب بنت النبي صلى الله عليه وسلم ، وكما ذهب إليه من ذهب من العلماء . والله أعلم .

فصل

فيما قيل من الأشعار في غزوة بدر العظمى^(١)

فمن ذلك ما ذكره ابن إسحاق ، عن حمزة بن عبد المطلب ، وأنكرها ابن هشام :

ألم ترَ أمراً كان من عجب الدهر	وللحين أسباب مبينة الأمر
وما ذاك إلا أن قوما أفادهم ^(٢)	فخانوا ^(٣) تواص بالعقوق وبالكفر
عشية راحوا نحو بدرٍ بجمعهم	وكانوا رهوناً للركية من بدر ^(٤)
وكننا طلبنا العير لم نبغ غيرها	فساروا إلينا فالتقينا على قدر
فلما التقينا لم تكن مثنوية ^(٥)	لنا غير طعن بالثقة السمر
وضرب ببيض يختلي الهام حدها	مشهرة الألوان بيئة الأثر ^(٦)
ونحن تركنا عتبة الفى ثاوياً	وشيبة في قتلى تجرجم في الجفر ^(٧)
وعمرو ثوى فيمن ثوى من حماتهم	فشقت جيوب النائح على عمرو
جيوب نساء من لوى بن غالب	كرام تفرعن الذوائب من فهر
أولئك قوم قتلوا في ضلالهم	وخلوا لواء غير مختصر النصر
لواء ضلال قاد إبليس أهله	نحاس بهم إن الخبيث إلى غدر
وقال لهم إذ عاين الأمر واضحاً	برئت إليكم ما بى اليوم من صبر

(١) أكثر ما ذكره ابن إسحاق من الأشعار التي قيلت في غزوة بدر مصنوع مخلق ، لا تبدو عليه مسحة ذلك العصر ، كما نبه على ذلك ابن هشام ، وهو من صنع بعض النظامين الذين كانوا يتصورون الحادث ثم يصوغون الأشعار على مقتضاه .

(٢) أفادهم : أهلكتهم . (٣) الأصل : فخافوا . وما أثبتته عن ابن هشام .

(٤) رهونا : جمع رهن ، والركية : البئر التي لم تطو بالحجارة . (٥) المثنوية : أراد الرجوع .

(٦) يختلي : يقطع . والأثر : فرند السيف . (٧) تجرجم : تسقط . والجفر : البئر لم تطو .

فإني أرى مالا ترون وإني أخاف عقاب الله والله ذو قسَمٍ
 فقدّمهم للحِجّين حتى تورّطوا وكان بما لم يخبر القوم ذا خَبرٍ
 فكانوا غداة البئر ألفاً وجمعنا ثلاثُ مئتين كالسُدّمة^(١) الزُّهر
 وفيما جنود الله حين يُمدّنا بهم في مقام ثمّ مُستوضح الذِّكر
 فشدّ بهم جبريلُ تحتَ لوائنا لدا ما زقٍ فيه منايهمُ تجري
 وقد ذكر ابن إسحاق جوابها من الحارث بن هشام تركناها عمدا .

وقال علي بن أبي طالب وأنكرها ابن هشام :
 ألم ترَ أن الله أبلى رسوله بلاءً عزيزٍ ذى اقتدار وذى فضلٍ
 بما أنزل الكفارَ دارَ مذلةٍ فلاقوا هواناً من أسارى ومن قتلٍ
 فأَمسى رسولُ الله قد عزّ نصره وكان رسول الله أرسل بالعدلِ
 فجاء بفرقان من الله مُنزَلٍ مبيّنة آياته لذوى العقلِ
 فأمن أقوامٌ بذاك وأيقنوا فأمسوا بحمد الله مجتمعي الشَّمَلِ
 وأنكر أقوامٌ فزاحت قلوبهم فزادهم ذو العرش خَبلاً على خَبَلٍ
 وأمكن منهم يومَ بدر رسوله وقوما غضاباً فعلهم أحسنُ الفعلِ
 بأيديهم بيضُ خفافٍ عصوا بها وقد حادثوها بالجلاء وبالصقلِ
 فكم تركوا من ناشئ ذى حمية صريعاً ومن ذى نَجدة منهم كهلٍ
 تبّيت عيونُ النائماتِ عليهم تجود بأَسبالِ الرِّشاشِ وبالوَبالي^(٢)
 نوائح تنعى عتبة الغي وابنه وشيبة تنعاه وتنعى أبا جهل
 وذا الرّجل^(٣) تنعى وابن جدعان فيهم مُسَلّبة حرّى مبيّنة الشُّكلِ

(١) السدّم : الفعل الهاج . وانزهر : المشرقة اللون .

(٢) الرشاش : المطر الضعيف . والوبل : الكثير . استعاره للسمع .

(٣) يريد بنى الرجل الأسود بن عبد الأسد الذى قطعت رجله وهو يقتحم الخوض .

ثوى منهم في بدر عصابة ذوو نجدات في الحروب وفي الحُل
دعا النى منهم من دعا فأجاباه ولقى أسباباً مرمقة الوصل^(١)
فأضحوا لدى دار الجحيم بمعزلٍ عن الشغب والعدوان في أسفل السفلى^(٢)
وقد ذكر ابن إسحاق تقيضها من الحارث أيضاً تركناها قصداً .

وقال كعب بن مالك :

عجبتُ لأمر الله والله قادرُ على ما أراد ليس الله قاهرُ
قضى يومَ بدرٍ أن نلاقى معشراً بفؤاد وسبيلُ البغي بالناس جائرُ
وقد حشدوا واستنفروا من يليهم من الناس حتى جمعهم متكاثراً
وسارت إلينا لا نحاول غيرنا بأجمعها كعبٌ جميعاً وعامرُ
وفينا رسولُ الله والأوسُ حوله له مقبل منهم عزيزٌ وناصرُ
وجمعُ بني النجار تحتَ لوائه يُمشون في الماذي^(٣) والنقعُ نائرُ
فلما لقيناهم وكلُّ مجاهدٍ لأصحابه مُستبسلُ النفس صابرُ
شهدنا بأنَّ الله لا ربَّ غيره وأن رسولَ الله بالحق ظاهرُ
وقد عريتُ بيضَ خفافِ كأنها مقاييسُ يزهيها لعينيك شاهرُ
هنَّ أبدنا جمعهم فتبهددوا وكان يلاقى الحين من هو فاجرُ
فكُلبَ أبو جهل صريعاً لوجهه وعتبةٌ قد غادرته وهو عائرُ
وشيبةٌ والتَّيْمى غادرتُ في الوغى وما منهم إلا بذى العرش كافرُ
فأمسوا وقودَ النار في مستقرِّها وكلُّ كفورٍ في جهنم صائرُ

(١) مرمقة : ضعيفة واهية . (٢) ابن هشام : في أسفل السفلى .

(٣) الماذي : الدرع اللينة السهلة ، وتطلق على السلاح كله .

تَلْغَى عَلَيْهِمْ وَهِيَ قَدْ شَبَّ حَیْهَا
وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ قَدْ قَالَ أَقْبِلُوا
لَأْمُرٍ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَهْلِكَوا بِهِ
وَقَالَ كَعْبُ فِي يَوْمِ بَدْرٍ :

أَلَا هَلْ أَتَى غَسَّانَ فِي نَأَى دَارِهَا
بِأَنْ قَدْ رَمَتْنا عَنْ قِيسٍ عِدَاوَةً
لِأَنَّ عَبْدَنَا اللَّهُ لَمْ نَرْجُ غَيْرَهُ
نَبِيُّهُ لَهُ فِي قَوْمِهِ إِرْثُ عِزَّةٍ
فَسَارُوا وَسِرُّنَا فَالتَقِينَا كَأَنَّنا
ضَرْبَانَهُمْ حَتَّى هَوَى فِي مَكْرِنَا
فَوُتُّوا وَدُسْنَانَهُمْ بَيِضُ صَوَارِمٍ
وَقَالَ كَعْبُ أَيْضًا :

لَعَمْرُ أَيْكَا يَا بَنِي لُؤَيٍّ
لَمَّا حَامَتِ فَوَارِسُكُمْ بِيَدِ
وَرْدَنَاهُ وَنَوْرُ اللَّهِ يَنْجُو
رَسُولُ اللَّهِ يَقْدُمُنَا بِأَمْرِ
فَمَا ظَفَرَتْ فَوَارِسُكُمْ بِيَدِ
فَلَا تَعْجَلْ أَبَا سَفِيَانَ وَارْقُبْ
بِنَصْرِ اللَّهِ رُوحُ الْقُدُسِ فِيهَا
عَلَى زَهْوٍ لَدَيْكُمْ وَاتْتِخَاءِ
وَلَا صَبْرُوا بِهِ عِنْدَ اللَّقَاءِ
دُجَى الظَّلَمَاءِ عَنَّا وَالْفُطَاءِ
مِنْ أَمْرِ اللَّهِ أَحْكُمَ بِالْقَضَاءِ
وَمَا رَجَعُوا إِلَيْكُمْ بِالسَّوَاءِ
جِيَادَ الْخَيْلِ تَطْلُعُ مِنْ كَدَاءِ
وَمِيكَالٍ فَيَا طَيْبَ الْمَلَاءِ

وَقَالَ حَسَنُ بْنُ ثَابِتٍ ، قَالَ ابْنُ هِشَامٍ وَيُقَالُ هُوَ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَارِثِ السَّهْمِيِّ :

مُسْتَشْعِرِي حَلَقِ الْمَاضِي يَقْدُمُهُمْ
أَعْنَى رَسُولَ إِلَهٍ ائْتَلَقَ فَضْلُهُ
وَقَدْ زَعَمْتَ أَنَّ تَحْمَمُوا ذِمَارَكُمْ
[ثُمَّ وَرَدْنَا وَلَمْ نَسْمَعْ لِقَوْلِكُمْ
مُسْتَعْصِمِينَ بِجَبَلٍ غَيْرِ مُنْجِذٍ
فِينَا الرَّسُولُ وَفِينَا الْحَقُّ تَتَّبِعُهُ
وَافٍ وَمَاضٍ شَهَابٌ يُسْتَضَاءُ بِهِ
وَقَالَ حَسَنُ بْنُ ثَابِتٍ أَيْضًا :

أَلَا لَيْتَ شَعْرِي هَلْ أَتَى أَهْلَ مَكَّةَ
قَتَلْنَا سَرَاةَ الْقَوْمِ عِنْدَ مَجَالِنَا
قَتَلْنَا أَبَا جَهْلٍ وَعُتْبَةَ قَبْلَهُ
قَتَلْنَا سُودًا ثُمَّ عُتْبَةَ بَعْدَهُ
فَكَمْ قَدْ قَتَلْنَا مِنْ كَرِيمٍ مُسَوَّدٍ ^(١)
تَرَكْنَاهُمْ لِلْعَاوِيَاتِ يَنْبَنَّهُمْ ^(٢)
لَعَمْرُكَ مَا حَامَتْ فَوَارِسُ مَالِكٍ
وَأَشْيَاعُهُمْ يَوْمَ التَّقِينَا عَلَى بَدْرِ
إِبَادَتُنَا الْكَفَّارَ فِي سَاعَةِ الْعُسْرِ
فَلَمْ يَرْجِعُوا إِلَّا بِقَاصِمَةِ الظُّهْرِ
وَشَيْبَةَ يَكْبُو لِلْيَدِينِ وَلِلنَّحْرِ
وَطُعْمَةً أَيْضًا عِنْدَ ثَائِرَةِ الْقَتْرِ ^(٣)
لَهُ حَسَبٌ فِي قَوْمِهِ نَابُهُ الَّذِي كَرَّ
وَيَصْلُونَ نَارًا بَعْدُ حَامِيَةَ الْقَعْرِ
وَأَشْيَاعُهُمْ يَوْمَ التَّقِينَا عَلَى بَدْرِ

وَقَالَ عُبَيْدَةُ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمَطْلَبِ فِي يَوْمِ بَدْرٍ ، فِي قِطْعِ رَجُلِهِ فِي مَبَارَزَتِهِ هُوَ
وَحِمَزَةٌ وَعَلَى مَعَ عَتْبَةَ وَشَيْبَةَ وَالْوَلِيدُ بْنُ عَتْبَةَ . وَأَنْكَرَهَا ابْنُ هِشَامٍ :
سَتَبْلُغُ عَنَّا أَهْلَ مَكَّةَ وَقَعَةً يَهْبُ لَهَا مَنْ كَانَ عَنْ ذَلِكَ نَائِيًا

(١) الْمَاضِي : الدُّرُوعُ الْإِيَّةُ . وَالْمُسْتَشْعِرُ : الْإِبْسَ عَلَى جِسْمِهِ بِغَيْرِ حَاجِزٍ . وَالنَّحِيزَةُ : الطَّيْمَةُ .
وَالرَّعْدِيدُ : الْجَبَانُ .
(٢) مِنْ ابْنِ هِشَامٍ . (٣) الْقَتْرُ : الْغُبَارُ .
(٤) ابْنُ هِشَامٍ : مَرْزَأُ . (٥) يَنْبَنُّهُمْ : يَعَاوِدُهُمْ .

بِعْتَبَةٍ إِذْ وَلَّى وَشِيبَةٌ بِعَدَهُ وما كان فيها بِكْرُ عْتَبَةٍ رَاضِيَا
فَإِنْ تَقَطَّعُوا رِجْلِي فَإِنِّي مُسَلِّمٌ أَرْجِي بِهَا عَيْشًا مِنْ اللَّهِ دَانِيَا
مَعَ الْخُورِ أَمْثَالُ التَّمَاثِيلِ أُخْلِصَتْ من الجنة العُلْيَا مَنْ كَانَ عَالِيَا
وَبَعْتُ بِهَا عَيْشًا تَعْرِفْتُ صَفْوَهُ وعاجلته حتى فَقَدْتُ الْأَدَانِيَا
فَأَكْرَمَنِي الرَّحْمَنُ مِنْ فَضْلٍ مِنْهُ بثوبٍ مِنَ الْإِسْلَامِ غَطَّى الْمَسَاوِيَا
وَمَا كَانَ مَكْرُوهًا إِلَى قَتَالِهِمْ غَدَاةُ دَعَا الْأَكْفَاءَ مَنْ كَانَ دَاعِيَا
وَلَمْ يَبْنَعْ إِذْ سَأَلُوا النَّبِيَّ سِوَانَا ثَلَاثَتُنَا حَتَّى حَضَرْنَا الْمُنَادِيَا
لَقِينَاهُمْ كَالْأَسَدِ تَخْطُرُ بِالْقَنَا نُقَاتِلُ فِي الرَّحْمَنِ مَنْ كَانَ عَاصِيَا
فَمَا بَرَحَتْ أَقْدَامُنَا مِنْ مَقَامِنَا ثَلَاثَتُنَا حَتَّى أَزَيَّرُوا النَّائِيَا^(١)

وقال ابن إسحاق : وقال حسان بن ثابت أيضا يذم الحارث بن هشام على فراره يوم بدر وتره كه قومه لا يقاتل دونهم :

تَبَلَّتْ فَوَادُكَ فِي الْمَنَامِ خَرِيدَةٌ^(٢) تَشْفِي^(٣) الضَّجِيعَ بِبَارِدِ بَسَامِ
كَالْمَسْكِ تَخْلُطُهُ بِمَاءِ سَحَابَةٍ أَوْ عَاتِقٍ كَدَمِ الدَّيْبِجِ مُدَامِ
نُفْجِ الْحَقِيئَةِ بَوْضُهَا مُتَنَفِّذٌ بَلْهَاءَ غَيْرِ وَشِيكَةِ الْأَقْسَامِ^(٤)
بُنِيَتْ عَلَى قَطَنِ أَجَمٍّ كَأَنَّهُ فَضْلًا إِذَا قَعَدَتْ مَدَاكُ رُخَامِ^(٥)
وَتَكَادُ تَكْسِلُ أَنْ تَجِيءَ فَرَاشُهَا فِي جِسْمِ خَرْعَةٍ^(٦) وَحُسْنِ قَوَامِ

(١) النائيا : النايا ، فزيدت فيه الهزة .

(٢) الخريدة : الحساء الناعمة . (٣) تشفي : تسقي .

(٤) نفج : عالية . وأراد بالحقيئة الأرداف . والبوس : الردف . ومتنضد : يملو بعضه بعضاً . والبلهاء : الغافلة . والأقسام : جمع قسم . أى أنها لا تمضى قسمها . (٥) القطن : الوسط . والأجم : الذى لا عظام فيه . وفضلاً : نصب على الحال . والمداك : مدق الطيب . (٦) الحرعة : الحسنة القوام .

أما النهارَ فلا أُفترِّ ذِكْرَها والليلَ تُوْزِعُنِي بها أحلامِي
أقسمتُ أنساها وأترك ذِكْرَها حتى تغيبَ في الضريحِ عظامِي
بل مَنْ لِعِاذَلَةٍ تلومُ سفاهةً ولقد عصيتُ على الهوى لُوْأَمِي
بكرتُ إلى بسُخْرةٍ بعدَ الكرى وتقاربِ مِنْ حادثِ الأيامِ
زعمتُ بأن المرءَ يَكْرِبُ عمره عذمٌ لمعتكرٍ من الأصرامِ^(١)
إن كنتِ كاذبةً الذي حدَّثتِنِي فنجوتِ مَنْجَى الحارثِ بن هشامِ
ترك الأُحبةَ أن يقاتلَ دونهم ونجاً برأسِ طِمْرَةٍ ولجامِ^(٢)
يذرُ العناجيجَ الجِيادَ بقفرةٍ مرَّةَ الدُمُوكِ بِمُخَصَدٍ ورجامِ^(٣)
ملأتُ به الفَرَجينَ فارمدتُ به وثوىَ أحبتهُ بشرَّ مَقامِ
وبنو أَيْمِهِ ورهطُهُ في معزكِ نصرَ الإلهَ به ذَوِي الإسلامِ
طحنتهمُ واللهُ يُنفذُ أمره حربٌ يُشبُّ سَعِيرُها بِضرامِ
لولا الإلهَ وجَرِيها لتركتهُ جزرَ السَّبَّاعِ ودُسْنِهِ بِحَوَامِي^(٤)
مِنْ بَيْنِ مَأْسُورٍ يُشَدُّ وَثاقُهُ صَفَرٍ إذا لاقى الأُسنةَ حامِي
ومجدَلٍ لا يستجيبُ لدعوةٍ حتى تزولَ شوامخُ الأعلامِ
بالعارِ والذلِّ المبينِ إذا رأى بيضَ السيوفِ تَسوقُ كُلَّهُم
بيدَيَّ أغرَّ إذا اتَمَّى لم يُخزهِ نَسَبُ القِصارِ سَمِيعِ^(٥) مِقْدَامِ
بيضٍ إذا لاقَتْ حديدًا صُمِّمَتْ كالبرقِ تحتَ ظلالٍ كُلِّ غمامِ

(١) يكرِب : يحزن . والأصرام : جمع الجمع لصرمة ، وهي القطعة من الإبل ما بين العشرين إلى الأربعين .
والمعتكر : المختلط لا يستطاع عده . (٢) الطمرة : الفرس الجواد .

(٣) العناجيج : جِياذ الحَيْل . والدُمُوك : البكرة السريعة المرسى بها على السانية . والمُخَصَد : الحبل المقتول . والرجام : حجر يشد بطرف الدلو لتمرع في البئر . يصف الفرس بسرعة الجرى . هذا وفي الأصل : « مر الذمول » وهو تحريف . صوابه من ابن هشام والديوان .

(٤) الحوامى : ميامن الحافر ومياسره . (٥) السميع : السيد .

قال ابن هشام : تركنا في آخرها ثلاث أبيات أفدع فيها .

قال ابن هشام : فأجابه الحارث بن هشام أخو أبي جهل عمرو بن هشام فقال :

القوم^(١) أعلم ما تركت قتالهم حتى رموا فرسي^(٢) بأشقر مزيدي
وعرفت أني إن أقاتل واحداً أقتل ولا ينفكي عدوي مشهدي
فصددت عنهم والأحبة فيهم طمعاً لهم بعقاب يوم مفسد

وقال حسان أيضاً :

يا حارٍ قد عولت غير معولٍ عند الهياج وساعة الأحساب
إذ تمتطى سرح اليمين نجية مرطى الجراء طويلة الأقراب^(٣)
والقوم خلفك قد تركت قتالهم ترجو النجاء وليس حين ذهاب
ألا عطف على ابن أمك إذ نوى قمع الأسنة^(٤) ضائع الأسلاب
عجل المليك له فأهلك جمعه بشنار مخزية وسوء عذاب

وقال حسان أيضاً :

لقد علمت قريش يوم بدر غداة الأسر والقتل الشديد
بأننا حين تشتجر العوالي حماة الحرب يوم أبي الوليد
قتلنا ابني ربيعة يوم سارا إلينا في مضاعفة الحديد
وفر بها حكيم يوم جالت بنو النجار تنظر كالأسود
وولت عند ذاك جموع مهزلة وأسلمها الحويرث من بعيد
لقد لاقيتم ذلاً وقتلاً جبراً نافذاً تحت الوريد
وكل قوم قد ولوا جميعاً ولم يلوا على الحسب التليد

(٢) ابن هشام : حتى حبوا مهري .

(١) ابن هشام : الله أعلم .

(٣) السرح : السريعة . ومرطى الجراء : سريعة الجرى . والأقرب جمع قرب وهو الخاصرة ، أو من

الشاكلة إلى مراق البطن . (٤) القمع : أن يصاب برمية فيموت مكانه .

وقالت هند بنت أثاثه بن عباد بن المطلب ترثي عبيدة بن الحارث بن المطاب :

لقد ضمن الصفراء مجدداً وسودداً . وحلما أصيلاً وافر اللب والعقل .
عبيدة فابكيه لأضياف غربة . وأرملة تهوى لأشعث كالجلد .
وبكيه للأقوام في كل شتوة . إذا احمر آفاق السماء من المحل .
وبكيه للأيتام والريح زفرف . وتشيب قدر طالما أزدبت تغلى .
فإن تصبح النيران قد مات ضوءها . فقد كان يذ كيهن بالخطب الجزل .
لطارق ليل أو للتمس القرى . ومستنبح أضحى لديه على رسل .

وقال الأموي في مغازيه : حدثني سعيد بن قطن قال : قالت عاتكة بنت عبد المطلب في رؤياها التي رأت وتذكر بدرأ :

ألمّا تكن رؤياي حقاً وباتكم . بتأويلها فل من القوم هارب .
رأى فاتاكم باليقين الذي رأى . بعينه ما تفرى السيوف القواضب .
فقاتم ولم أكذب عليكم وإنما . يكذبني بالصدق من هو كاذب .
وما جاء إلا رهبة الموت هارباً . حكيم وقد أعيت عليه المذاهب .
أقامت سيوف الهند دون رؤوسكم . وخطية^(١) فيها الشبأ والتغالب .
كأن حريق النار لمع ظلماتها . إذا ما تعاطتها الليوث المشاغب .
ألا بأبي يوم اللقاء محمداً . إذ أعرض من عون الحروب الغوارب .
مرى بالسيوف المرهفات نفوسكم . كيفاً كما تمرى السحاب الجنايب^(٢) .
فكم بردت أسيافه من مليكة . وزرع ورد بعد ذلك صالب .

(١) الخطية : الرماح . (٢) الجنايب : الرياح التي تهب جنوباً ، وهي تمرى السحاب تستغل مطره . وأصل المرى مسح ضرع الناقة ليدبر لبنها .

فما بال قَتَلَى فِي الْقَلِيبِ وَمِثْلَهُمْ لَدَى ابْنِ أَخِي أُسْرَى لَهُ مَا يَضَارِبُ
فَكَانُوا نِسَاءً أَمْ أَتَى لِنَفْسِهِمْ مِنْ اللَّهِ حَيْنٌ سَاقٍ وَالْحَيْنُ حَالِبُ
فَكَيْفَ رَأَى عِنْدَ الْلِقَاءِ مُحَمَّدًا بَنُو عَمِّهِ وَالْحَرْبُ فِيهَا التَّجَارِبُ
أَلَمْ يَفْشِكُمْ ضَرْبًا يَحَارُّ لَوْقَمَهُ الْجَبَانُ وَتَبْذُو بِالنَّهَارِ الْكُوكِبُ
حَلَفْتُ لَنْ عَادُوا لِنَضْطَلِينَهُمْ بَحَارًا تَرْدَى تَجْرٍ فِيهَا^(١) الْقَانِبُ
كَأَنَّ ضِيَاءَ الشَّمْسِ لَمَعَ ظُبَاتِهَا لَهَا مِنْ شُعَاعِ النُّورِ قَرْنٌ وَحَاجِبُ
وَقَالَتْ عَاتِكَةُ أَيْضًا فِيمَا نَقَلَ الْأُمَوِيُّ :

هَلَّا صَبَرْتُمْ لِلنَّبِيِّ مُحَمَّدٍ بِيَدِي وَمَنْ يَفْشَى الْوَغَى حَقٌّ صَابِرُ
وَلَمْ تَرْجِعُوا عَنْ مُرْهَفَاتِ كَأَنِّهَا حَرِيقٌ بِأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ بَوَاتِرُ
وَلَمْ تَصْبِرُوا لِلْبَيْضِ حَتَّى أَخَذْتُمْ قَلِيلًا بِأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ الْمَشَاعِرُ
وَوَلَيْتُمْ نَفَرًا وَمَا الْبَطْلُ الَّذِي يِقَاتِلُ مِنْ وَقَعِ السَّلَاحِ بِنَافِرِ
أَنَا كَمْ بَمَا جَاءَ النَّبِيُّونَ قَبْلَهُ وَمَا ابْنُ أَخِي الْبَرُّ الصَّدُوقُ بِشَاعِرِ
سَيَكْفِي الَّذِي ضَيَعْتُمْ مِنْ نَبِيِّكُمْ وَيَنْصُرُهُ الْحَيَّانُ عَمْرُو وَعَامِرُ

وقال طالب بن أبي طالب يمدح رسول الله صلى الله عليه وسلم ويرثي أصحاب القليب
من قريش الذين قتلوا يومئذ من قومه ، وهو بعد على دين قومه إذ ذاك :

أَلَا إِنَّ عَيْنِي أَنْفَدَتْ دَمْعَهَا سَكْبًا تَبَكَّى عَلَى كَمَبٍ وَمَا إِنَّ تَرَى كَعْبًا
أَلَا إِنَّ كَعْبًا فِي الْحُرُوبِ تَخَاذَلُوا وَأَرَادَاهُمْ ذَا الدَّهْرِ وَاجْتَرَحُوا ذَنْبًا
وَعَامِرُ تَبَكَّى لِلْمَلِمَاتِ غُدُوَّةً فَيَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَرَى^(٢) لَهُمْ قُرْبًا

(١) المطبوعة : تجربتها . وهو تحريف . (٢) ابن هشام : لها .

[هـ أخوأي لن يُعدّا لغيةً تُعدّ ولن يُستام جارهما غضباً^(١)]
 فيا أخويناعبد شمسٍ ونوفلاً^(٢) فداً لكما لا تبعثوا بيننا حرباً
 ولا تُصبحوا من بعدٍ ودٍ وألفة أحاديث فيها كلُّكم يشتكي النكبا
 ألم تعلموا ما كان في حربٍ داحسٍ وحرب^(٣) أبي يكسوم إذ ملأوا الشعبا
 فلولاً دفاعُ الله لا شيءَ غيرُهُ لأصبحتم لا تمنعون لكم ميرباً
 فما إن جنينا في قريشٍ عظيمةً سوى أن حميناً خير من وطى الثربا
 أختاً ثقةً في النائباتِ مُرّزاً كريماً نثاه لا بخيلاً ولا ذرباً^(٤)
 يُطيف به العافون يَفشون بابه يؤثمون نهراً لا نزوراً ولا صرباً^(٥)
 فوالله لا تنفكُ نفسى حزينَةً تَمَلَمَل حتى تصدقوا الخرجَ الصرباً

فصل

وقد ذكر ابن إسحاق أشعاراً من جهة المشركين قوية الصنعة يرثون بها قتلاهم يوم بدر .

فمن ذلك قول ضِرَار بن الخطّاب بن مِرْداس أخى بنى مُحارب بن فهر ، وقد أسلم بعد ذلك ، والسهيلي في روضه يتكلم على أشعار من أسلم منهم بعد ذلك :

عجبتُ لفخر الأوس والخبزِ دأثر عليهم غداً والدهرُ فيه بصائرُ
 ونخري بني النّجار إن كان معشراً أصيبوا بيدٍ كلهم ثم صائرُ
 فإنّ تك قتلَى غودرت من رجالنا فإنّا رجالاً بعدهم سنغادرُ

(١) من ابن هشام . (٢) الأصل : ونوفل . وهو تحريف .

(٣) ابن هشام : وجيش أبي يكسوم . (٤) النثا : العطاء . والذرب : الفاسد .

(٥) الصرب : المنقطع .

وَتُرْدَى بِنَا الْجُرْد الْعَنَاجِيحَ ^(١) وَسَطَكُمْ
ووسط بنى النجار سوف نكرها
فَنَتْرِكْ صَرَغَى تَعْصِبُ الطَّيْرُ حَوْلَهُمْ
وَتَبْكِيهِمْ مِنْ أَرْضٍ يَثْرِبُ نِسْوَةٌ
وَذَلِكَ أَنَا لَا تَزَالُ سَيُوفُنَا
فَإِنْ تَظْفَرُوا فِي يَوْمٍ بِدْرِ فَإِنَّمَا
وَبِالنَّفَرِ الْأَخْيَارِ هُمْ أَوْلِيَاؤُهُ
يُعِدُّ أَبُو بَكْرٍ وَحِزَّةٌ فِيهِمْ
أُولَئِكَ لَا مَنَ تَنْجَتُ مِنْ دِيَارِهَا
وَلَسَكُنْ أَبُوهُمْ مِنْ لَوْىٍّ بَنٍ غَالِبٍ
هَمُّ الطَّاعِنُونَ الْخَلِيلَ فِي كُلِّ مَعْرَكٍ
بَنِي الْأَوْسِ حَتَّى يَشْفَى النَّفْسَ ثَائِرُ
لَهَا بِالْقَنَا وَالْدَارِعِينَ زَوَافِرُ
وَلَيْسَ لَهُمْ إِلَّا الْأَمَانِيُّ نَاصِرُ
لَهُنَّ بِهَا لَيْلٌ عَنِ النَّوْمِ سَاهِرُ
بِهِنَّ دَمٌ مِمَّنْ يَحَارِبُنْ مَائِرُ ^(٢)
بِأَحْمَدَ أَمْسَى جَدَّكُمْ وَهُوَ ظَاهِرُ
يُحَامُونَ فِي اللَّأْوَاءِ ^(٣) وَالْمَوْتُ حَاضِرُ
وَيُدْعَى عَلَى وَسْطٍ مِنْ أَنْتَ ذَا كَرُ
بَنُو الْأَوْسِ وَالنَّجَارِ حِينَ تَفَاخَرُ
إِذَا عَدَّتْ الْأَنْسَابُ كَعْبٌ وَعَامِرُ
غَدَاةُ الْهَيَاجِ الْأَطْيَبُونَ الْأَكَابِرُ

فأجابه كعب بن مالك بقصيدته التي أسلفناها وهي قوله :

عَجِبْتُ لِأَمْرِ اللَّهِ وَاللَّهُ قَادِرُ عَلَى مَا أَرَادَ لَيْسَ اللَّهُ قَاهِرُ
قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ وَاسْمُهُ شَدَادُ بْنُ الْأَسْوَدِ بْنِ شُعُوبَ .

قلت : وقد ذكر البخاري أنه خلف على امرأة أبي بكر الصديق حين طلقها الصديق
وذلك لما حرم الله المشركات على المسلمين واسمها أم بكر :

تَحْيَى بِالسَّلَامَةِ أُمَّ بَكْرٍ وَهَلْ لِي بَعْدَ قَوْمِي مِنْ سَلَامٍ
فَمَاذَا بِالْقَلِيبِ قَلِيبِ بَدْرِ مِنْ الْقَيْنَاتِ وَالنَّشْرِبِ الْكَرَامِ

(٢) المائر : السائل .

(١) العناجيج : جياذ الخيل .

(٢) اللأواء : شدة البأس .

وماذا بالقلبِ قلبِ بَدْرِ من الشَّيْزَى تكلَّل بالسنام^(١)
 وكم لك بالطَّوى طَّوى بَدْرِ من الحَوَمَات والنَّعم المُسام^(٢)
 وكم لك بالطَّوى طَّوى بَدْرِ من الغايات والدُّسُع^(٣) العِظامِ
 وأصحاب الكريم أبي عليٍّ أخی الكأسِ الكریم والنَّدَامِ
 وإنك لو رأيت أبا عَقيـلٍ وأصحاب الثَّنِيَّة من نَعَامِ^(٤)
 إذا لَظَلَّت مِن وَجْدٍ عليهم كَأَمِّ السَّقْبِ جائلة المرامِ^(٥)
 يخبرنا الرسولُ لسوف نَحْيَا وكيف حياءُ أضْدَاء وهامِ

قلت : وقد أورد البخارى بعضها فى صحيحه ليعرف به حال قائلها .

قال ابن إسحاق : وقال أمية بن أبى الصَّلْت يرنى من قُتل من قريش يوم بدر :

ألا بَكَيْت على السِّكْرَا م بنى الكرام أولى الممَادِحِ
 كِبْكَا الحِمَام على فرو ع الأيْكَ فى الفِصْنِ الجَوَانِحِ^(٦)
 يَبْكِي حَرَّى مستكِي نَاتٍ يَرُحْنَ مع الروائِحِ
 أمناهن الباكيا تُ المَعُولَات مِن النَوَائِحِ
 مَن يَبْكِيهْمُ يَبْكِي على حُزْنٍ وَيَصْدُقُ كلَّ مَادِحِ
 ماذا بِيَدِ فالعَقْنُ قَل مِن مَرَازِبَةٍ جِجَاجِجِ^(٧)
 فمدافع البرقين فالحنَّان من طَرَفِ الأَوَاشِحِ^(٨)

(١) الشيزى : جفان من خشب . والسنام لحم ظهر البعير . وأراد أصحابها الطمعين فيها .

(٢) الحومات : جمع حومة ، وهى القطعة من الإبل . (٣) الدسُع : العطايا .

(٤) النعام : موضع . (٥) السقب : ولد الناقة حين تضعه . (٦) الجوانح : الموائل .

(٧) العنقل : الكشيبة المنقذة من الرمل . والمرازبة : الرؤساء . والججاجج : السادة .

(٨) البرقين والحنان والأواشح : مواضع .

مُشْمَطٌ وَشُبَّانٌ بِهَا لَيْلٌ مَغَاوِيرٌ وَحَاوِحٌ ^(١)
 أَلَّا تَرَوْنَ لِي أَرَى وَلَقَدْ أَبَانَ لِكُلِّ لَامِحٍ
 أَنْ قَدْ تَفَرَّ بَطْنُ مَكَّةَ فَهِيَ مُوحِشَةُ الْأَبَاطِحِ
 مِنْ كُلِّ بِطْرِيْقٍ لِبَطْرِيْقٍ نَقَى الْوَدَّ ^(٢) وَاضِحٌ
 دُعْمُوْسٌ أَبْوَابُ الْمَلِكِ وَجَائِبٌ لِلْخَرْقِ فَاتِحٌ ^(٣)
 وَمِنْ السَّرَاطِمَةِ الْخَلَا جَمْعُ الْمَلَاوِثَةِ الْمَنَاجِحِ ^(٤)
 الْقَائِلِينَ الْفَاعِلَ بَيْنَ الْأَمْرَيْنِ بِكُلِّ صَالِحٍ
 الْمَطْعَمِينَ الشَّخْمَ فَوْقَ الْخَبِزِ شَحْمًا كَالْأَنَافِحِ ^(٥)
 تُنْقَلُ الْجَفَانُ مَعَ الْجَفَانِ إِلَى جَفَانٍ كَالْمَنَاضِحِ ^(٦)
 لَيْسَتْ بِأَصْفَارٍ لِمَنْ يَغْفُو وَلَا رُوحَ رَحَارِحٍ ^(٧)
 لِلضَّيْفِ ثُمَّ الضَّيْفِ بَعْدَ الضَّيْفِ وَالْبُسْطُ الشَّلَاطِحُ ^(٨)
 وَهَبَ الْمَثْنَيْنِ مِنَ الْمَثْنَيْنِ إِلَى الْمَثْنَيْنِ مِنَ الْوَقَائِحِ
 سَوَقٌ الْمَوْزِلُ الْمَوْزِلُ صَادِرَاتٍ عَنْ بِلَادِحٍ ^(٩)
 لِكِرَامِهِمْ فَوْقَ الْكِرَامِ مِزْيَةٌ وَزَنَ الرُّوَاجِحِ
 كَمَشَاقِلِ الْأَرْطَالِ بِالْقَسَاسِ بِالْأَيْدِي الْمَوَاضِحِ
 خَذَلْتَهُمْ فَتَةً وَهُمْ يَحْمُونَ عَوْرَاتِ الْفَضَائِحِ

- (١) الوحاوح : جمع وحاوح وهو القوى . (٢) ابن هشام : ققى اللون .
 (٣) الدعْموس : دويبة تغوص في الماء . يصفهم بكثرة الدخول على الملوك . والخرق : الفلاة الواسعة .
 (٤) السرامطة : جمع سرطم وهو الواسع الخلق . والخلاجة : جمع خلجيم وهو الضخم الضويل .
 (٥) الأنافح : جمع لافحة . وهو شجر كالباذنجان . واللافحة أيضا : شيء يستخرج من بطن الجدى
 الرضيع أصفر فيعصر في صوفة فيغسل كالجن .
 (٦) المناضح : الحياض . (٧) الرح : الجفان الواسعة . والرحارح : جمع رحراح ، وهو الواسع
 المنبسط ، يريد أنها عميقة . (٨) السلاطح : العريضة . (٩) بلادح : موضع .

الضَّارِبِينَ التَّقَدِّمِيَّةَ بِالْمُهَنْدَةِ الصَّفَائِحِ ^(١)
 وَلَقَدْ عَنَّا صَوْتَهُمْ مِنْ بَيْنِ مُسْتَسْقٍ وَصَائِحِ
 اللَّهُ دَرُّ بَنِي عَلَى أَيَّمِ مِنْهُمْ وَنَاكِحِ
 إِنْ لَمْ يُغَيِّرُوا غَارَةَ شِعْوَاءَ تَحْجَرُ كُلَّ نَابِغِ
 بِالْمُقَرَّبَاتِ الْمُبْعَدَاتِ الطَّاحَاتِ مَعَ الطَّوَامِغِ
 مُرْدَاً عَلَى جُرْدٍ إِلَى أُسْدٍ مُكَالِبَةٍ كَوَالِحِ ^(٢)
 وَيُلَاقِ قِرْنَ قِرْنَهُ مَشَى الْمُصَافِحِ لِلْمَصَافِحِ
 بَرْهَاءَ أَلْفٍ ثُمَّ أَلْفٍ بَيْنَ ذِي بُذْنٍ وَرَامِغِ
 قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : تَرَكْنَا مِنْهَا بَيْتَيْنِ نَالَ فِيهِمَا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

قلت : هذا شعر الخذول المعكوس المنكوس ، الذي حمَّله كثرة جهله وقلة عقله على أن مدح المشركين وذم المؤمنين .
 واستوحش بمكة من أبي جهل بن هشام وأضرابه من الكفرة اللثام والجهلة الطغام ولم يستوحش بها من عبد الله ورسوله وحبيبه وخليله ، فَخَّرَ الْبَشَرَ وَمِنْ وَجْهِهِ أَنْوَرُ مِنَ الْقَمَرِ ، ذِي الْعِلْمِ الْأَكْمَلِ وَالْعَقْلِ الْأَشْمَلِ ، وَمِنْ صَاحِبِهِ الصَّدِيقِ الْمُبَادِرِ إِلَى التَّصَدِيقِ ، وَالسَّابِقِ إِلَى الْخَيْرَاتِ وَفَعَلَ الْمَكْرَمَاتِ ، وَبَذَلَ الْأَلُوفَ وَالْمِائَاتِ فِي طَاعَةِ رَبِّ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ .

وكذلك بقية أصحابه الغرِّ الكرام ، الذين هاجروا من دار الكفر والجهل إلى

(١) التقديمية : المقدمة . يصفهم بالتقدم في القتال أول الجيش .

(٢) المكالبة : بهم الشره والحدة . والكوالح : جمع كالح . وهو المتجهم العابس .

دار العلم والإسلام . رضى الله عن جميعهم ما اختلط الضياء والظلام . وما تعاقبت الليالى والأيام .

وقد تركنا أشعاراً كثيرة أوردتها ابن إسحاق رحمه الله خوف الإطالة وخشية الملالة . وفيما أوردنا كفاية . والله الحمد والمنة .

وقد قال الأموى فى مغازيه : سمعت أبى ، حدثنا سليمان بن أرقم ، عن ابن مسعود ، عن أبى هريرة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عفا عن شعر الجاهلية .

قال سليمان : فذكر ذلك الزهري فقال : عفا عنه إلا قصيدتين ؛ كلمة أمية التى ذكر فيها أهل بدر ، وكلمة الأعشى التى يذكر فيها الأخص .

وهذا حديث غريب ، وسليمان بن أرقم هذا متروك . والله أعلم .

فصل

فى غزوة بنى سليم فى سنة ثنتين من الهجرة النبوية

قال ابن إسحاق : وكان فراغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من بدر فى عقب شهر رمضان ، أو فى شوال .

ولما قدم المدينة لم يقيم بها إلا سبع ليال حتى غزا بنفسه يريد بنى سليم .

قال ابن هشام : واستعمل على المدينة سباع بن عُرْفطة الغِفَارى ، أو ابن أم مكتوم الأعمى .

قال ابن إسحاق : فبلغ ماء من مياههم يقال له الكدر ، فأقام عليه ثلاث ليال ثم رجع إلى المدينة ولم يلق كيداً ، فأقام بها بقية شوال وذا القعدة ، وأفدى فى إقامته تلك جُلَّ الأسارى من قريش .

فصل

[في] غزوة السَّوَيْق في ذى الحجة منها ، وهي غزوة قَرْقَرَةَ الكَدْر

قال السهيلي : والقَرْقَرَةُ : الأرض الملساء . والكَدْر : طير في ألوانها كُدْرَة .

قال ابن إسحاق : وكان أبو سفيان كما حدثني محمد بن جعفر بن الزبير ويزيد بن رومان ، ومن لاأتهم ، عن عبد الله بن كعب بن مالك ، وكان من أعلم الأنصار ، حين رجع إلى مكة ورجع فل قريش من بَدْر ، نذر ألاَّ يمسَّ رأسه ماء من جَنَابَة حتى يَفْزَوْ مُحَمَّدًا .

فخرج في مائتي راكب من قريش لتبرَّ يمينه ، فسلك النَّجْدِيَّة حتى نزل بصدر قناة إلى جبل يقال له نَيْب من المدينة على بَرْد أو نحوه .

ثم خرج من الليل حتى أتى بني النضير تحت الليل فأتى حُيَّ بن أخطب فضرب عليه بابه ، فأبى أن يفتح له وخافه ، فانصرف عنه إلى سَلَام بن مِسْكُمْ ، وكان سيد بني النضير في زمانه ذلك وصاحب كنزهم ، فاستأذن عليه فأذن له فقراه وسقاه وبطن له من خَبَر الناس .

ثم خرج في عقب ليلته حتى أتى أصحابه ، فبعث رجلا من قريش ، فأتوا ناحية منها يقال لها العُرَيْض فحرقوا في أضواء من نخل بها ، ووجدوا رجلا من الأنصار وحليفاً له في حرث لها فقتلوهما ، وانصرفوا راجعين .

فَنَذِرَ بهم الناس ، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في طلبهم .

قال ابن هشام : واستعمل على المدينة أبا لُبَابَة بشير بن عبد المنذر .

قال ابن إسحاق : فبلغ قَرْقَرَةَ الكَدْر ، ثم انصرف راجعا وقد فاته أبو سفيان وأصحابه .

ووجد أصحابُ رسول الله صلى الله عليه وسلم أزواداً كثيرة قد ألقاها المشركون يتخفّفون منها وعامّتها سَويق ، فسَمّيت غزوة السَويق

قال المسلمون : يارسول الله أنْطمع أنْ تكون هذه لنا غزوة ؟ قال : نعم .

قال ابن إسحاق : وقال أبو سفيان فيما كان من أمره هذا ، ويمدح سَلام بن

مِشْكَم اليهودى :

وإني تخيرتُ المدينةَ واحداً	لِحلفٍ فلم أندمَ ولم أتلوّم
سَقاني فرواًنى كُميّاً ^(١) مُدّامةً	على عَجَلٍ مَنى سَلام ^(٢) بنِ مِشْكَم
ولما تولىّ الجيشُ قلتُ ولم أكن	لأُفرِحِه ^(٣) : أبشِرْ بعزٍّ ومغِمْ
تأملُ فإنّ القومَ سِرٌّ وإنهم	صريحٌ لثوى لا شِماطيّ ^(٤) جُرم
وما كان إلا بعضُ ليلةٍ راكبٍ	أتى ساعياً من غيرِ خَلَّةٍ مُعْدَم

فصل

في دخول علي بن أبي طالب رضى الله عنه على زوجته

فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم

وذلك في سنة ثنتين بعد وقعة بدر، لما رواه البخارى ومسلم من طريق الزهري ، عن علي بن الحسين ، عن أبيه الحسين بن علي ، عن علي بن أبي طالب قال : كانت لى شارف من نصيبي من المغنم يوم بدر ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم أعطاني شارفاً مما أفاء الله من الخمس يومئذ ، فلما أردت أبتنى فاطمة بنت النبي صلى الله عليه وسلم واعدت رجلاً

(١) الكميّت : الحمر التي فيها سواد وحمرة . (٢) خففت اللام لضرورة الشعر .

(٣) لأفرحه : لأثقل عليه .

(٤) الشماطيّ : القوم المفرقة .

صَوَّأْنَا مِنْ بَنِي قَيْنَقَاعٍ أَنْ يَرْتَحِلَ مَعِيَ فَنَأْتِيَ بِإِذْخَرٍ ، فَأَرَدْتُ أَنْ أُبِيعَهُ مِنَ الصَّوَّأَغِينِ
فَاسْتَمَعِينَ بِهِ فِي وَلِيْمَةِ عُرْسِي ، فَبَيَّنَّا أَنَا أَجْمَعُ لِبَشَارَتِي مِنَ الْأَقْتَابِ وَالْغَرَائِرِ وَالْجِبَالِ ، وَشَارَفَايَ
مُنَاخَتَانِ إِلَى جَنْبِ حَجَرَةِ رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ حَتَّى جَمَعْتُ مَا جَمَعْتُ ، فَإِذَا أَنَا بِشَارَفِي
قَدْ أُحِيتِ أَسْنَمَتُهُمَا وَبُقِرَتْ خَوَاصِرُهُمَا وَأُخِذَ مِنْ أَكْبَادِهِمَا ، فَلَمْ أَمْلِكْ عَيْنِي حِينَ رَأَيْتُ
الْمَنْظَرَ ، فَقُلْتُ : مَنْ فَعَلَ هَذَا ؟ قَالُوا : فَعَلَهُ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمَطْلَبِ ، وَهُوَ فِي هَذَا الْبَيْتِ وَهُوَ
فِي شَرِبٍ مِنَ الْأَنْصَارِ وَعِنْدَهُ قَيْنَتُهُ وَأَصْحَابُهُ ، فَقَالَتْ فِي غَنَائِهَا :

* أَلَا يَا حَمْزُ لِلشَّرَفِ النَّوَاءُ *

فَوُثِبَ حَمْزَةُ إِلَى السَّيْفِ فَأُجِبَّ أَسْنَمَتُهُمَا وَبُقِرَ خَوَاصِرُهُمَا وَأُخِذَ مِنْ أَكْبَادِهِمَا .
قَالَ عَلِيٌّ : فَاذْطَلَقْتُ حَتَّى أَدْخُلَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعِنْدَهُ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ ،
فَعَرَفَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّذِي لَقِيتُ ، فَقَالَ : مَا لَكَ ؟ فَقُلْتُ : يَارَسُولَ اللَّهِ مَا رَأَيْتُ
كَالْيَوْمِ ! عَدَا حَمْزَةُ عَلَى نَاقَتِي فَأُجِبَّ أَسْنَمَتُهُمَا وَبُقِرَ خَوَاصِرُهُمَا ، وَهَـا هُوَ ذَا فِي الْبَيْتِ
مَعَهُ شَرِبٌ .

فَدَعَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِرِدَائِهِ فَأَرْتَدَّاهُ ، ثُمَّ انْطَلَقَ يَمْشِي وَاتَّبَعْتُهُ أَنَا وَزَيْدُ بْنُ
حَارِثَةَ ، حَتَّى جَاءَ الْبَيْتَ الَّذِي فِيهِ حَمْزَةُ فَاسْتَأْذَنَ عَلَيْهِ فَأُذِنَ لَهُ ، فَطَفِقَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ يُلَوِّمُ حَمْزَةَ فِيمَا فَعَلَ ، فَإِذَا حَمْزَةُ تَمْلُ حُمْرَةَ عَيْنَاهُ ، فَنَظَرَ حَمْزَةُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ ثُمَّ صَعَّدَ النَّظَرَ فَنَظَرَ إِلَى رُكْبَتَيْهِ ثُمَّ صَعَّدَ النَّظَرَ فَنَظَرَ إِلَى وَجْهِهِ ثُمَّ قَالَ حَمْزَةُ : وَهَلْ
أَنْتُمْ إِلَّا عَبِيدُ لِأَبِي !

فَعَرَفَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ تَمْلُ ، فَانْكَصَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
عَلَى عَقْبِيهِ الْقَهْقَرَى فَنَجَحَ وَخَرَجْنَا مَعَهُ .

هَذَا لَفْظُ الْبُخَارِيِّ فِي كِتَابِ الْمَغَازِي ، وَقَدْ رَوَاهُ فِي أَمَّا كُنْ آخِرُ مَنْ صَحَّحَهُ
بِالْفَاطَةِ كَثِيرَةً .

وفي هذا دليل على ما قدمناه من أن غنائم بدر قد حُصِّت ، لا كآزعمه أبو عُبَيْد القاسم بن سلام في كتاب « الأموال » من أن الخمس إنما نزل بعد قسمتها ، وقد خالفه في ذلك جماعة منهم البخارى وابن جرير ، ويَبْدُو غلطه في ذلك في التفسير وفيما تقدم والله أعلم .

وكان هذا الصنع من حمزة وأصحابه رضى الله عنهم قبل أن تحرّم الخمر ، بل قد قتل حمزة يوم أحد كما سيأتى ، وذلك قبل تحریم الخمر . والله أعلم .

وقد يستدل بهذا الحديث من يرى أن عبسارة السكران مسلوبة لا تأثير لها لا في طلاق ولا إقرار ولا غير ذلك ، كما ذهب إليه من ذهب من العلماء ، كما هو مقرر في كتاب الأحكام .

وقال الإمام أحمد : حدثنا سفيان ، عن ابن أبي نجيح ، عن أبيه ، عن رجل سمع عليًّا يقول : أردت أن أخطب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ابنته فقلت : ما لي من شيء ، ثم ذكرت عائده وصلته فخطبتها إليه ، فقال : « هل لك من شيء ؟ » قلت : لا قال : « فأين درعك الحطمية ^(١) التي أعطيتك يوم كذا وكذا ؟ قال : هي عندي . قال فأعطينيها . قال : فأعطينيها إياه .

هكذا رواه أحمد في مسنده ، وفيه رجل مُبْهَم .

وقد قال أبو داود : حدثنا إسحاق بن إسماعيل الطالقاني ، حدثنا عبدة ، حدثنا سعيد ، عن أيوب ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : لما تزوج عليُّ فاطمة رضى الله عنهما قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : أعطها شيئًا . قال : ما عندي شيء . قال : أين درعك الحطمية ؟

ورواه النسائي ، عن هارون بن إسحاق ، عن عبدة بن سليمان ، عن سعيد بن أبي عروبة عن أيوب السخّتياني به .

(١) منسوبة إلى بطن من عبد القيس يقال لهم حطمة بن محارب كانوا يعملون الدروع .

وقال أبو داود : حدثنا كثير بن عبيد الحمصي ، حدثنا أبو حيوة ، عن شعيب بن أبي حمزة ، حدثني غيلان بن أنس ، من أهل حمص ، حدثني محمد بن عبد الرحمن بن ثوبان عن رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، أن عليا لما تزوج فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم أراد أن يدخل بها فمنعه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يعطيها شيئا ، فقال : يا رسول الله ليس لي شيء . فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : « أعطها درعك » فأعطاه درعه ثم دخل بها .

وقال البيهقي في الدلائل : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب الأصم ، حدثنا أحمد بن عبد الجبار ، حدثنا يونس بن بكير ، عن ابن إسحاق ، حدثني عبد الله بن أبي نجیح ، عن مجاهد ، عن علي ، قال : خطبت فاطمة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت مولاة لي : هل علمت أن فاطمة قد خطبت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قلت : لا . قالت : فقد خطبت ، فما يمنعك أن تأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فيزوجك . فقلت : وعندي شيء أتزوج به ! فقالت : إنك إن جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم زوجك .

قال : فوالله ما زالت ترجيني حتى دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم . فلما أن قعدت بين يديه أحنمت فوالله ما استطعت أن أتكلم جلالة وهيبه . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما جاء بك ؟ ألك حاجة ؟ » فسكت فقال : « لعلك جئت تخطب فاطمة ؟ » ، فقلت : نعم . فقال : « وهل عندك من شيء تستحلها به ؟ » فقلت : لا والله يا رسول الله . فقال « ما فعلت درع سَلَحْتَكِها ؟ » .

فوالذي نفس علي بيده إنها لخطمية ما قيمتها أربعة دراهم ، فقلت : عندي . فقال : « قد زوجتكمها فابعث إليها بها فاستحلها بها » . فإن كانت لصادق فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال ابن إسحاق : فولدت فاطمة لعلي حسنا وحسينا ومحسنا - مات صغيراً - وأم كلثوم وزينب .

ثم روى البيهقي من طريق عطاء بن السائب ، عن أبيه عن علي قال : جهز رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطمة في خميل وقربة ووسادة آدم حشوها إذ خَر .

ونقل البيهقي عن كتاب المعرفة لأبي عبد الله بن منده ، أن عليا تزوج فاطمة بعد سنة من الهجرة وابتنى بها بعد ذلك بسنة أخرى .

قلت : فعلى هذا يكون دخوله بها في أوائل السنة الثالثة من الهجرة ، فظاهر سياق حديث الشارفين يقتضى أن ذلك عقب وقعة بدر بيسير ، فيكون ذلك كما ذكرناه في أواخر السنة الثانية . والله أعلم .

فصل

في ذكر جُل من الحوادث في سنة ثنتين من الهجرة

تقدم ما ذكرناه من تزويجه عليه السلام بعائشة أم المؤمنين رضى الله عنها ، وذكرنا ماسلف من الغزوات المشهورة ، وقد تضمن ذلك وفيات أعيان من المشاهير من المؤمنين والمشركين .

فكان ممن توفى فيها : الشهداء يوم بدر ، وهم أربعة عشر مابين مهاجرى وأنصارى ، تقدم تسميتهم ، والرؤساء من مشركى قريش وقد كانوا سبعين رجلا على المشهور ، وتوفى بعد الوقعة بيسير أبو لهب عبد العزّى بن عبد المطلب ، لعنه الله . كما تقدم .

ولما جاءت البشارة إلى المؤمنين من أهل المدينة مع زيد بن حارثة وعبد الله بن رَوَاحَة بما أحلّ الله بالمشركين وبما فتح على المؤمنين ، وجدوا رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم قد توفيت وساواها عليها التراب .

وكان زوجها عثمان بن عفان قد أقام عندها يمرّضها بأمر النبي صلى الله عليه وسلم له بذلك . ولهذا ضرب له بسهمه في منافع بدر وأجره عند الله يوم القيامة .

ثم زوجه بأختها الأخرى أم كلثوم بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولهذا كان يقال لعثمان بن عفان ذو النورين . ويقال : إنه لم يُعْلَقْ أحدٌ على ابنتي نبي واحدة بعد الأخرى غيره رضى الله عنه وأرضاه .

وفيهما حُوت القبلَة كما تقدم ، وزيدٌ في صلاة الحضر ، على ماسلف .
وفيهما فرض الصيام ، صيام رمضان ، كما تقدم . وفيها فرضت الزكاة ذات النصب وفرضت زكاة الفطر .

وفيهما خضع المشركون من أهل المدينة واليهود الذين هم بها من بنى قينقاع وبنى النضير وبنى قريظة ويهود بنى حارثة وصانعوا المسلمين ، وأظهر الإسلام طائفة كثيرة من المشركين واليهود وهم في الباطن منافقون ، منهم من هو على ما كان عليه ، ومنهم من انحَلَّ بالكلية فبقى مُدْبِذًا لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ، كما وصفهم الله في كتابه .

قال ابن جرير : وفيها كتب رسولُ الله صلى الله عليه وسلم المعاقِلَ^(١) وكانت معلقةً بسيفه .

قال ابن جرير : وقيل إن الحسن بن علي ولد فيها .
قال : وأما الواقدي فإنه زعم أن ابن أبي سبرة حدثه عن إسحاق بن عبد الله عن أبي جعفر ، أن علي بن أبي طالب بنى بقاطمة في ذى الحجة منها .
قال : فإن كانت هذه الرواية صحيحة فالقول الأول باطل .

وإلى هنا ينتهى الجزء الثانى من السيرة النبوية لابن كثير
وبليه الجزء الثالث ، وأوله سنة ثلاث من الهجرة

(١) كتب الرسول بين قريش والأنصار كتابا فيه : أنهم يتعاقلون بينهم معاقلهم الأولى ، أى يكونون على ما كانوا عليه في الديات .

فهرسالموضوعات

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
٢٧	كان يُرى على قبر النجاشى نور	٣	باب الهجرة إلى أرض الحبشة :
٢٨	الحبشة تخرج على النجاشى فيحتال عليهم	٣	متى كانت - المهاجرون يركبون سفينة
٢٩	الرسول يعنى النجاشى ويصلى عليه		إلى الحبشة .
٢٩	اسم النجاشى والخلاف فيه .	٣	أسماء المهاجرين ، وعددهم .
٣٠	لماذا صلى الرسول على النجاشى ؟	٤	سبب الهجرة - كانت أول هجرة فى
٣٠	متى توفى النجاشى .		الإسلام .
٣١	قدوم وفد النجاشى على الرسول	٤	عثمان أول من هاجر - أسماء المهاجرين
	وإكرامه لهم		الأوائل
٣٢	إسلام عمر بن الخطاب	٥	رأى موسى بن عقبة فى تلك الهجرة .
٣٢	متى أسلم عمر - رواية أم عبد الله بنت	٦	المهاجرون مع جعفر بن أبى طالب
	أبى حنيفة	٩	رواية الإمام أحمد فى الهجرة إلى الحبشة
٣٣	رواية ابن إسحق عن أهل المدينة فى	١١	رواية أبى نعيم
	إسلام عمر .	١٣	التحقيق فى شأن هجرة أبى موسى
٣٦	رواية أخرى عن أهل مكة		الأشعرى إلى الحبشة
٣٨	عمر يعلن إسلامه لجميل بن معمر	١٤	قصة جعفر مع النجاشى
٤٠	وفد نصارى أنجران يسلم ، وينزل فيهم	١٥	رواية ابن عساكر عن جعفر .
	القرآن	١٧	رواية أم سلمة
٤١	كتاب النبى (ص) إلى النجاشى	٢٦	الرسولان اللذان أرسلتهما قريش إلى
٤٢	رواية أخرى للبيهقى		النجاشى
٤٣	قصة الشعب وحصار بنى هاشم والمطلب	٢٧	آيات منسوبة لأبى طالب أرسلها إلى
٤٤	نقض الصحيفة ، وما ظهر فيها .		النجاشى

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
٨٢	مصارعة الرسول (ص) لركانة	٤٧	رواية للبيهقي في ذلك
٨٣	بعض قصص المستهزئين ، وما نزل فيهم	٤٧	رواية ابن إسحق
٨٦	عطاء المستهزئين ، وعاقبتهم	٤٨	أبو لهب يظاهر قريشا على الرسول
٨٧	الوليد بن المغيرة يوصي بنيه عند موته	٤٩	قصيدة أبي طالب في تحالف قريش
٨٩	دعاء الرسول على قريش	٥٠	بين حكيم بن حزام وأبي جهل
٩١	بين فارس والروم	٥١	المستهزئون وما نزل فيهم من القرآن
٩٣	قصة الإسراء والمعراج .	٥٦	عودة المهاجرين من الحبشة وسببها
٩٣	متى كان الإسراء	٥٩	عثمان بن مظعون يدخل مكة في جوار
٩٤	رواية ابن إسحق في قصة الإسراء		الوليد بن المغيرة ثم يرده . .
٩٨	رواية ابن إسحق عن المعراج	٦١	وأبو سلمة يستجير بأبي طالب .
٩٨	الجواب عن وجوه غريبة في حديث	٦٢	أبيات لأبي طالب يحرض أبا لهب على
	الإسراء		نصرته
٩٩	بقية حديث المعراج		أبو بكر الصديق يعزم على الهجرة إلى
١٠٠	رؤية الرسول لجبريل		الحبشة فيجيره ابن الدغنة ، ثم يرد جواره
١٠١	فرض الصلاة ليلة الإسراء	٦٤	رواية البخاري في ذلك
١٠١	الاتفاق على تكليم الرسول لربه ليلة	٦٧	رواية ابن إسحق في نقض الصحيفة
	المعراج	٧٠	قصيدة أبي طالب في نقض الصحيفة
١٠١	الخلاف في رؤية الرسول لربه	٧١	متى خرج بنو هاشم من الشعب
١٠٢	عودة الرسول إلى مكة	٧٢	قصة إسلام الطفيل بن عمرو
١٠٢	إخبار الرسول لأبي جهل بالإسراء	٧٦	رواية الإمام أحمد في ذلك
١٠٤	كان الإسراء بالروح والجسد	٧٧	الخلاف في شأن قاتل نفسه
١٠٥	رأى عائشة ومعاوية في الإسراء	٧٨	قصة أعشى بن قيس ، وقصيدته
١٠٥	توجيه المؤلف لرأى عائشة		

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
١٢٦	رواية البخارى فى وفاة أبى طالب	١٠٦	لايفكر تقدم الإسراء مناما
١٢٧	رواية أخرى لمسلم وأحمد	١٠٦	يجوز تعدد الإسراء
١٢٧	أبو طالب فى ضحضاح من جهنم	١٠٧	رواية البخارى عن الإسراء
١٢٩	رواية أبى داود فى وفاة أبى طالب	١٠٨	رواية البخارى عن المعراج
١٢٩	الرسول يقول : « وصلّتك رحم	١١٢	جبريل يعلم الرسول الصلاة
	وجزيت خيرا يا عم »	١١٢	توجيه حديث عائشة : فرضت
١٣٠	موقف أبى طالب من الرسول ،		الصلاة ركعتين
	والفرق بين العلم والتصديق	١١٣	(فصل فى انشقاق القمر)
١٣١	هل نزلت فيه « وهم يبهون عنه	١١٤	رواية عن أنس ، وجبير بن مطعم
	ويأنون عنه » ؟	١١٥	روايات عن خديفة بن اليمان ، وابن عباس
١٣٢	(فصل فى موت خديجة)	١١٨	رواية عن ابن عمر وابن مسعود
١٣٢	متى توفيت خديجة ؟	١٢٠	هذه الطرق تفيد القطع
١٣٢	جبريل يبشر خديجة	١٢١	معنى انشقاق القمر
١٣٢	منزلتها عند الرسول	١٢٢	(فصل فى وفاة أبى طالب وخديجة)
١٣٦	الخلافا فى المفاضلة بين خديجة وعائشة	١٢٢	توفيت خديجة بعد أبى طالب ،
١٣٧	الفصل فى ذلك		وقيل قبله
١٣٩	(فصل فى تزويجه عليه السلام بعائشة)	١٢٢	قريش تطمع فى الرسول
١٣٩	رواية البخارى فى ذلك	١٢٣	قريش تسكلم أبا طالب عند مرضه
١٤١	متى تزوجها الرسول ؟		فى شأن الرسول
١٤١	كيف بنى بها رسول الله	١٢٤	الرسول يدعو عمه إلى الإسلام
١٤٢	رواية الإمام أحمد فى زواجه بعائشة	١٢٥	بعض الشيعة يدعى إسلام أبى طالب
	وسودة		والرد عليهم

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
١٥٨	الوفود ترفض دعوة الرسول	١٤٥	رواية أخرى في ذلك
١٥٩	الرسول يخرج مع العباس ليعرض دعوته .	١٤٦	اجتراء سفهاء قريش على الرسول بعد وفاة عمه
١٦٠	رواية الكلبي عن بني عامر بن صعصعة	١٤٧	أبو لهب يحمي الرسول ، ثم يتخلى عنه
١٦٣	رواية أبي نعيم عن خروج الرسول مع أبي بكر يعرض نفسه	١٤٨	النفر الذين كانوا يؤذون رسول الله في بيته
١٧٠	ميسرة بن مسروق يدعو قومه إلى اتباع الرسول فيأبون	١٤٩	(فصل في ذهابه عليه السلام إلى الطائف)
١٧٢	رواية الإمام أحمد عن رجل من همدان	١٤٩	رواية ابن إسحاق في ذلك
١٧٣	(فصل في قدوم وفد الأنصار)	١٥١	رواية موسى بن عقبة وأحمد
١٧٣	حديث سويد بن صامت الأنصاري	١٥٢	« هل أتى عليك يوم أشد من يوم أحد ؟ »
١٧٤	إسلام إياس بن معاذ	١٥٣	سماع الجن لقراءة الرسول
١٧٦	بدء إسلام الأنصار	١٥٣	الرسول يدخل مكة في جوار المطعم
١٧٧	أسماء المسلمين الأوائل من الأوس والخزرج	١٥٤	من رثاء حسان بن ثابت لمطعم بن عدي
١٧٨	بيعة العقبة الأولى ومن شهدها	١٥٥	(فصل في عرض رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه على أحياء العرب)
١٨٠	الرسول يبعث مع الأنصار مصعب ابن عمير	١٥٥	الرسول يعرض دعوته وأبو لهب يحذر الناس منه
١٨١	إسلام أسيد بن حضير وسعد بن معاذ	١٥٧	الرسول يأتي كندة وكتابوا بني حنيفة ✓
١٨٤	الإسلام يفشو في دور الأنصار	١٥٧	بنو عامر بن صعصعة يساومون الرسول فيرفض
١٨٥	قصيدة أبي قيس بن الأسلت يحذر قريشاً من الاختلاف		

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
٢٠٧	هاتف يهتف بقريش	١٨٧	حرب داحس وحرب حاطب
٢٠٧	صنم عمرو بن الجوح	١٨٨	لم يسلم أبو قيس بن الأسلت
٢٠٩	أسماء من شهد بيعة العقبة الثانية	١٩٠	رواية لابن إسحاق في إسلام قيس
٢٠٩	شهدها من الأوس أحد عشر رجلا	١٩٠	من أشعار قيس بن الأسلت
٢٠٩	ومن الخزرج اثنان وستون رجلا	١٩٢	قصة بيعة العقبة الثانية
٢١٣	(باب بدء الهجرة من مكة إلى المدينة)	١٩٢	مخالفة كعب بن مالك لقومه في القبلة
٢١٣	« قد أريت دار هجرتكم »	١٩٤	إسلام عبد الله بن حرام أبو جابر
٢١٤	حديث غريب في دار الهجرة	١٩٥	رواية الإمام أحمد في العقبة
٢١٤	الإذن بالحرب	١٩٦	بقية. رواية ابن إسحاق عن كعب
٢١٥	الرسول يأمر أصحابه بالخروج إلى المدينة .	١٩٨	أسماء النقباء من الأوس والخزرج
٢١٥	أول من هاجر من المسلمين	١٩٩	شعر لأبي زيد الأنصاري في النقباء
٢١٥	هجرة أم سلمة	٢٠٠	رواية للبيهقي عن النقباء
٢١٧	من هاجر بعد أبي سلمة	٢٠١	أنتم على قومكم كفلاء
٢١٧	هجرة بني جحش	٢٠١	إنكم تباعون على حرب الأحمر والأسود
٢١٨	هجرة بني غنم بن دودان	٢٠١	لماذا قال العباس بن عباد ذلك ؟
٢١٩	قصيدة أبي جحش	٢٠٢	أول من ضرب على يد الرسول يبايعه
٢١٩	هجرة عمر بن الخطاب وعياش	٢٠٢	سَلِّ يا محمد لربك ما شئت
٢٢٠	هشام بن العاص يرجع من الهجرة ويفتن .	٢٠٣	عبادة بن الصامت يبين ما بايعوا عليه
٢٢١	منازل المهاجرين بالمدينة	٢٠٤	الشيطان يصرخ بأهل مكة بعد البيعة
		٢٠٤	المشركون يأتون الخزرج ليتحققوا من البيعة
		٢٠٦	المشركون يظفرون بسعد بن عباد

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
٢٤٤	رواية البخارى عن الهجرة	٢٢٣	صهيب يترك ماله للمشركين ويهاجر
٢٤٦	حديث البخارى عن سراقه	٢٢٤	منازل المهاجرين بالمدينة
٢٤٨	رواية ابن إسحاق عن سراقه	٢٢٦	(فصل فى سبب هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه)
٢٤٩	أبيات لأبى جهل وجوابها لسراقه	٢٢٦	إقامة الرسول بمكة ينتظر الإذن بالهجرة
٢٤٩	الزبير يلقى الرسول فى الطريق	٢٢٧	حديث دار الندوة
٢٥٠	الأنصار يستقبلون الرسول	٢٣٠	الرسول يخرج من داره ولا يراه الكافرون
٢٥٠	الرسول يؤسس مسجده بقاء	٢٣٢	باب هجرة رسول الله ومعه أبو بكر
٢٥١	رواية الإمام أحمد عن البراء بن عازب	٢٣٢	متى كانت الهجرة
	فى الهجرة	٢٣٣	حديث عائشة عن الهجرة
٢٥٤	رواية ابن إسحاق عن الهجرة	٢٣٤	دعاء الرسول عند الهجرة
٢٥٧	قصة أم معبد الخزاعية	٢٣٥	دخول الفار
٢٦٤	قصة لعبد الله بن مسعود	٢٣٦	موقف أسماء فى الهجرة
٢٦٥	رواية للإمام أحمد	٢٣٧	من جهاد أبى بكر فى الهجرة
٢٦٧	دخوله عليه السلام المدينة ومنزله بها	٢٣٩	رواية الإمام أحمد
٢٦٧	متى قدم عليه السلام وأين نزل	٢٣٩	خبر الليهقى عن الهجرة
٢٦٨	حديث ابن إسحاق عن قدوم الرسول	٢٤٠	رواية للحافظ بن عساكر
٢٦٩	فرح المسلمين بقدوم الرسول	٢٤٢	تفسير آية : « إلا تنصروه »
٢٧٠	منزل الرسول بالمدينة أول قدومه	٢٤٣	ما ظنك باثنين الله ثالثهما
٢٧١	أول جمعة صلاها الرسول بالمدينة	٢٤٤	أبيات منسوبة لأبى بكر
٢٧٢	خلوا سبيلها فإنها مأمورة	٢٤٤	رواية عن عروة بن الزبير
٢٧٢	رواية لموسى بن عقبة		
٢٧٤	رواية للبيهقى فى قدوم الرسول		

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
٣٠٦	رواية ابن إسحق في بناء المسجد	٢٧٥	رواية للإمام أحمد
٣٠٦	حديث عمار « تقتلك الفئة الباغية »	٢٧٧	الرسول في منزل أبي أيوب
٣٠٩	حديث « هؤلاء ولالة الأمر بعدى »	٢٧٩	أول هدية أهديت إلى رسول الله بالمدينة
٣١١	فضل المسجد الشريف	٢٧٩	النبي يرسل زيد بن حارثة وأبا رافع
٣١٣	بناء الحجرات		إلى مكة
٣١٤	قدوم فاطمة وأم كلثوم وعائشة	٢٧٩	رواية للبيهقي في نزول الرسول بدار
٣١٥	فصل في ما أصاب المهاجرين من حمى المدينة		أبي أيوب
٣١٩	عقده عليه السلام الألفة بين المهاجرين والأنصار	٢٨٠	منقبة عظيمة لأبي أيوب وبنى النجار
		٢٨١	ثبت للأنصار الشرف والرفعة
		٢٨٢	قصيدة أبي قيس صرمة بن أبي أنس في فضل الأنصار
٣٢٠	كتاب المواعدة بين المؤمنين واليهود		
٣٢٤	مؤاخاة النبي بين المهاجرين والأنصار	٢٨٤	شرفت المدينة بهجرة الرسول إليها
٣٢٩	موت أسعد بن زرارة	٢٨٥	المفاضلة بين مكة والمدينة
٣٣١	ميلاد عبد الله بن الزبير	٢٨٧	وقائع السنة الأولى من الهجرة
٣٣٢	بناء الرسول بعائشة	٢٨٧	مبدأ التاريخ الإسلامى
٣٣٣	زيادة الصلاة في الحضر	٢٨٩	حوادث السنة الأولى من الهجرة
٣٣٤	مشروعية الأذان	٢٩٠	مدة إقامة الرسول بمكة والخلاف فيها
٣٣٨	سرية حمزة بن عبد المطلب	٢٩٢	المسجد الذى أسس على التقوى
٣٣٨	سرية عبيدة بن الحارث	٢٩٤	إسلام عبد الله بن سلام
٣٣٩	الرسول يعقد لواء لسعد بن أبي وقاص	٢٩٩	أول جمعة صلاها الرسول بالمدينة
٣٤٠	من ولد في السنة الأولى للهجرة	٢٩٩	خطبة الرسول في أول جمعة
٣٤٣	ذكر ما وقع في السنة الثانية	٣٠١	رواية البيهقي عن تلك الخطبة
٣٤٢	أخبار اليهود الذين نصبوا العداوة للرسول	٣٠٢	بناء المسجد الشريف

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
٣٧٢	تحويل القبلة في سنة اثنتين من الهجرة	٣٤٤	إسلام مخيريق
٣٧٥	موقف أهل الكتاب من تحويل القبلة	٣٤٤	من مال إلى اليهود من المنافقين
٣٧٧	فريضة رمضان ، قبل بدر	٣٤٩	من أسلم من أحبار اليهود تقية
٣٧٨	أحوال الصيام وأحوال الصلاة	٣٤٩	ما كان يفعله المنافقون في المسجد
٣٧٩	فرض زكاة الفطر	٣٥٢	غزوة الأبواء ، وهي أول المغازي
٣٨٠	غزوة بدر العظمى	٣٥٢	عدد غزوات الرسول
٣٨١	رؤيا عاتكة بنت عبد المطلب	٣٥٦	غزوة ودان
٣٨٣	أمية بن خلف يخرج مكرها	٣٥٧	قصيدة منسوبة لأبي بكر
٣٨٦	إبليس يتبدى للكفار في صورة سراقاة	٣٥٧	جوابها لابن الزبيري
٣٨٧	خروج قريش	٣٥٨	آيات لسعد بن أبي وقاص
٣٨٧	خروج الرسول والمسلمين	٣٥٩	بعث الرسول لحمة
٣٩٠	الطريق الذي سلكه المسلمون	٣٥٩	أول راية عقدت في الإسلام
٣٩١	استشارة الرسول لأصحابه	٣٥٩	آيات لحمة في ذلك
٣٩٢	موقف الأنصار	٣٦٠	أبو جهل يحيب حمزة
٣٩٦	طريق المسلمين إلى بدر	٣٦١	غزوة بواط
٣٩٧	المسلمون يظفرون بغلامين لقريش	٣٦١	غزوة العشيرة
٣٩٨	الرسول يرسل عيين بن يستخبران	٣٦٣	تسمية الرسول لعلي أبا تراب
٣٩٨	رؤيا لجهم بن الصلت	٣٦٤	غزوة بدر الأولى
٣٩٩	أبو سفيان يحاول الرجوع بالناس	٣٦٦	سرية عبد الله بن جحش
٣٩٩	الأخنس بن شريق يرجع ببني زهرة	٣٧٠	كان عبد الله بن جحش أول أمير في الإسلام
٤٠٠	طالب بن أبي طالب يرجع		
٤٠٠	قريش تنزل بالعدوة القصوى	٣٧٢	آيات لأبي بكر في تلك السرية

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
٤١٤	« هذان خصمان اختصموا في ربهم »	٤٠١	المطر ينزل على المسلمين - الرسول
٤١٥	هند ترثي قتلى المشركين		بيئت يصلى
٤١٥	إصابة عبيدة ووفاته - أول قتييل	٤٠٢	الحباب بن المنذر يشير على الرسول
	قتل من المسلمين		فيتسمع رأيه
٤١٦	التحام الصفوف	٤٠٣	بناء عريش لرسول الله
٤١٧	الرسول يدعو عند التحام الصفوف	٤٠٤	قريش تقبل بخيلائها
٤١٨	نزول الملائكة وعددهم	٤٠٥	عدد المسلمين يومئذ
٤١٩	من مناشدة الرسول لربه	٤٠٦	معنى « ويقال لكم في أعينهم »
٤٢٠	سيهزم الجمع ويولون الدبر	٤٠٦	عمير بن وهب يقدر عدد المسلمين
٤٢١	عمير بن الحمام يرمى التمرات ويتقدم	٤٠٧	حكيم بن حزام يحاول الرجوع
٤٢٢	خبر مفصل للإمام أحمد عن غزوة بدر		بقريش فيأبى أبو جهل
٤٢٤	الرسول يحرّض على القتال	٤٠٨	حكيم بن حزام يحدث مروان بن
٤٢٥	شجاعة الرسول		الحكم حديث بدر
٤٢٦	قتال الملائكة في بدر	٤٠٩	الرسول يسوئ الصفوف
٤٣٣	الرسول يرمى بالتراب في وجوه المشركين	٤١٠	« ما يضحك الرب من عبده »
٤٣٣	إبليس يفرّ حين يرى الملائكة	٤١٠	الرسول مع أبي بكر في العريش
٤٣٤	أبو جهل يستفتح	٤١١	أبو بكر أشجع الناس
٤٣٥	الرسول يقول « شأهت الوجوه »	٤١١	الرسول يكثر الابتهاال لربه
٤٣٦	سعد بن معاذ يحب الإثخان في القتال	٤١٢	مقام الخوف ومقام الرجاء
٤٣٦	الرسول يأمر بتجنّب قتل بعض قريش	٤١٢	التقاء الجمعين - أول من قتل من المشركين
		٤١٣	المبارزة بين المسلمين والمشركين

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
٤٦٥	الخلاف في اليوم الذي وقعت فيه بدر	٤٣٦	مقتل أبي البختري بن هشام
٤٦٥	خبر عن قباث بن أشيم	٤٣٨	مقتل أمية بن خلف
٤٦٦	اختلاف الصحابة في المغام	٤٤٠	مقتل أبي جهل
٤٦٩	رجوعه عليه السلام من بدر إلى المدينة	٤٤٧	ردّه عليه السلام عين قتادة
٤٧٠	قدوم البشيرين إلى أهل المدينة	٤٤٨	قصة أخرى شبيهة بها
٤٧٢	وصول الرسول إلى الروحاء	٤٤٨	بين أبي بكر وابنه عبد الرحمن
٤٧٣	مقتل النضر بن الحارث وعقبة بن أبي معيط	٤٤٩	طرح رموس الكفر في القليب
٤٧٤	قتيلة بنت الحارث ترضى النضر أخاها	٤٥٢	قصيدة حسان في ذلك
٤٧٥	الرسول يوصى بالأسارى خيرا	٤٥٣	حذيفة بن عتبة يحزن على أبيه
٤٧٦	فرح النجاشي بوقعة بدر	٤٥٤	قصيدة لحسان بن ثابت في فضل الأنصار
٤٧٧	وصول خبر مصاب بدر إلى مكة	٤٥٥	الحكمة في شرع الجهاد
٤٧٨	بين أبي لهب وأبي رافع	٤٥٦	من قتل من المستضعفين
٤٨٠	أبيات للأسود بن المطلب في رثاء قتلى بدر	٤٥٦	جملة الأسارى
٤٨١	بعث قريش إلى رسول الله فداء أسراهم	٤٥٧	اختلاف الصحابة في الأسرى وحكم الله في ذلك
٤٨١	أول أسير فدى من المشركين	٤٦١	معنى : « لولا كتاب من الله سبق »
٤٨٢	أبوسفيان يحبس سعد بن النعمان بمكة	٤٦٢	العباس بن عبد المطلب يفدى نفسه
٤٨٤	زينب تفدى زوجها أبا العاص	٤٦٣	عدد القتلى والأسرى من المشركين وعدد القتلى من المسلمين
٤٨٤	الذين من عليهم الرسول بغير فداء	٤٦٤	عدد من شهد بدرا من المشركين
٤٨٥	الرسول يمن على أبي عزة الجمحي	٤٦٥	وعدد من شهداها من المسلمين

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
٥٠٧	جملة من شهد بدرا من المسلمين	٤٨٦	قدوم عمير بن وهب المدينة وإسلامه
٥٠٩	من تخلفوا عن بدر بعذر	٤٩٠	أسماء أهل بدر مرتبة على حروف المعجم .
٥١٠	الذين استشهدوا من المسلمين ببدر	٤٩٠	حرف الألف
٥١٠	جمع المشركين والخلاف فيه	٤٩١	حرف الباء - حرف التاء
٥١٢	فضل من شهد بدرا من المسلمين	٤٩٢	حرف الثاء - حرف الجيم
٥١٦	قدوم زينب بنت الرسول من مكة مهاجرة .	٤٩٣	حرف الحاء
٥٢٠	إسلام أبي العاص بن الربيع	٤٩٤	حرف الخاء
٥٢٢	ما في قصة زينب من الفقه	٤٩٥	حرف الذال - حرف الراء - حرف الزاي .
٥٢٤	ما قيل من الأشعار في غزوة بدر	٤٩٦	حرف السين
٥٢٤	قصيدة لحرمة بن عبد المطلب	٤٩٧	حرف الشين - حرف الصاد - حرف الضاد .
٥٢٥	قصيدة لعل بن أبي طالب	٤٩٩	حرف الطاء - حرف الظاء
٥٢٦	قصيدة لكعب بن مالك	٥٠٣	حرف العين
٥٢٨	قصيدة لحسان بن ثابت	٥٠٣	حرف الفين - حرف الفاء - حرف القاف .
٥٢٨	قصيدة لعبيدة بن الحارث	٥٠٤	حرف الكاف - حرف الميم
٥٢٩	قصيدة لحسان بن ثابت	٥٠٦	حرف النون - حرف الهاء - حرف الواو - حرف الياء
٥٣١	أبيات للحارث بن هشام	٥٠٧	باب الكنى
٥٣١	قصيدتان لحسان بن ثابت		
٥٣٢	أبيات لهند بنت أثاثة ترثي عبيدة بن الحارث .		
٥٣٢	قصيدة لعاتكة بنت عبد المطلب		

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
٥٣٨	تعليق المؤلف على قصيدة أمية	٥٣٣	أبيات أخرى لعاتكة
٥٣٩	غزوة بني سليم	٥٣٣	طالب بن أبي طالب يمدح الرسول
٥٤٠	غزوة السويق ، وهي قرقرة الكدر		ويرثي أصحاب القليب
٥٤١	دخول علي بن أبي طالب على فاطمة	٥٣٤	قصيدة لضرار بن الخطاب
٥٤٥	ذكر جمل من الحوادث في سنة ٥٤٥	٥٣٥	قصيدة لشداد بن الأسود
	اثنتين من الهجرة	٥٣٦	قصيدة لأمية بن أبي الصلت

فهرس القوافى

قافية الهمزة

٥٢٧	كعب بن مالك	واتخاه
٥٤٢	—	النواء

(ب)

٤٠٠	طالب بن أبى طالب	محارب
٤١٥	هند	ينقلب
٤٤٨	عبد الرحمن بن أبى بكر	الشيب
٢٧	أبو طالب	الأقارب
٥٣٢	عاتكة بنت عبد المطلب	هارب
٢١٩	أبو أحمد بن جحش	وأرهب
٥٣٣	طالب بن أبى طالب	كعباً
٥٣١	حسان بن ثابت	الأحساب
١٨٥	أبو قيس بن الأسلت	غالب
٤٩	أبو طالب	كعب
٤٥٢	حسان بن ثابت	القشيب

(ت)

١٦٩	الأعشى	وقلت
٢٢١		لقيت
٢٤٠		للعنكبوت

(ث)

٣٥٧	عبد الله بن الزبيري	لابث
٣٥٧	أبو بكر	حادث

(ح)

٥٣٦	أمية بن أبي الصلت	المادخ
-----	-------------------	--------

(د)

٣٧٢	عبد الله بن جحش	راشد
٤٨٥	حسان بن ثابت	ومحمد
٧٠	أبو طالب	أزود
٥١١	كعب بن مالك	والأسود
٤٨٠	الأسود بن المطلب	السهود
١٣٨	بعض الشعراء	الثريد
٤٨٥	أبو عزة الجحى	حميد
٧٩	أعشى بن قيس	مسهدا
٤٢٢	عمير بن الحمام	المعاد
٢٦٢، ٢٥٥	الماتف	معبد
٢٦٢	حسان بن ثابت	ويقتدي
٤٨٥	حسان بن ثابت	الموارد
٤٤٨	عاصم بن عمر	رد
٢٤٩	أبو جهل	محمد
٥٣١	حسان بن ثابت	الشديد
٥٢٨	حسان بن ثابت	رديد

(ر)

٣٠٤، ٢٥١		وأطهرُ
٥٣٤	ضرار بن الخطاب	بصائرُ
٤٥٤	حسان بن ثابت	كفارُ
٥٢٦	كعب بن مالك	قاهرُ
٤٧٨	الهاتف	وقيصرًا
٣٣٦	عبد الله بن زيد	كبيرًا
٢٧٥، ٢٧٤		جارٍ
٢٤٤	أبو بكر	الغارِ
٥٣٣	عاتكة بنت عبد المطلب	صابرٍ
٥٢٨	حسان بن ثابت	العُسرِ
١٧٣	سويد بن الصامت	يفرّى -
٥٢٤	حمزة بن عبد المطلب	الأمرِ
١٦٤	الشاعر	فهرٍ

(س)

٤٧٢	عدى بن أبي الزغباء	معسرُ
-----	--------------------	-------

(ض)

٢٤٠	الصرصرى	يببيضُ
-----	---------	--------

(غ)

١٩٩	أبو زيد الأنصارى	واقعُ
٣١٨	الشاعر	لجزوعُ
١٦٥	دغفل بن حنظلة	برفعة

(ف)

١٦٤	الشاعر	عجاف
٢٠٧	الماتف	القطارف
٢٠٧	»	المخالف

(ق)

٤٧٤	قتيلة بنت الحارث	موقف
٣١٦	عامر بن فهيرة	فوقه

(ك)

٧٥	الطفيل بن عمرو	عبادكا
٥١٧	زينب بنت الرسول	العوارك

(ل)

٣٠٦	—	المضلل
٦٠	لبيد بن أبي ربيعة	باطل
١٨٩	أبو قيس بن الأسلت	فافعوا
٣١٧، ٣١٦، ٣١٥	بلال	وجايل
٤٤٨	أمية بن أبي الصلت	أبو الـ
٤٨٣	حسان بن ثابت	القتلا
٤٨٣	أبو سفيان	الكهلا
١٦٤	دغفل بن حنظلة	يحماله
٤٣٧	أبو البختری	سبياله
١٩٠	أبو قيس بن الأسلت	هلال
٣٥٨	سعد بن أبي وقاص	نبلي
٥٢٥	علي بن أبي طالب	فضل

٣٦٠	أبو جهل	وبالطل
٣٥٩	حمزة	وللعقل
٥٣٢	هند بنت أثانة	والعقل
٣١٧، ٣١٦، ٣١٥	أبو بكر الصديق	نعله
	(م)	
٤٨١	مالك بن الدخشم	الأمن
٢٤٩	سراقة بن مالك	قوائمه
٥٢٧	كعب بن مالك	عليهها
١٥٤	حسان بن ثابت	مطعما
٦٢	أبو طالب	المظالما
٤٤٩		أظلاما
٥٢٩	حسان بن ثابت	بسام
٥٣٥	شداد بن الأسود	سلام
٥١٨	عبد الله بن رواحة	مأثم
٥٤١	أبو سفيان	أتلوم
	(ن)	
٢١٨	عمرو بن الجحوح	قرن
	(هـ)	
٣٠٦، ٣٠٤، ٢٥١	—	والمهاجرة
	(ي)	
٥٢٨	عبيدة بن الحارث	ناثيا
٢٩٠، ٢٨٢، ١٩١	أبو قيس بن أنس	مواتيا
٤٣٧	المجذر بن زياد	بلي
٤٣٤	أبو جهل	منى

« تصويبات »

الصفحة	السطر	الصواب	الصفحة	السطر	الصواب
٤١	٨	يَتَّخِذَ	٢٤١	هامش	يحرك جناحيه وزجليه
٦٥	هامش	ولهم يقال	٤١٧	٦	فويق الأرض
٩٧	١٨	البهقي	٤٤٣	٦	مناشتك
١٠٣	٢٠	فقالوا	٥٢٧	٦	أعد
١٩٢	١	ثم إن			عداوة
٢٠٩	٣	وقش			

« استدراكات »

١ - في ص ٣ س ١٢ قال المؤلف : « وقد تقدم عن أبي الأشدين أنه صارع النبي » ولكنه لم يتقدم ذلك . ولعله وهم وتابع السهيلي حيث أشار في الروض ١ / ٢٣٨ إلى تقدم ذلك أيضا .

٢ - في ص ٢٢١ س ١٣ « الوليد بن المغيرة » كذا بالأصل . والصواب : الوليد بن الوليد بن المغيرة . كما في ابن هشام .

٣ - في ص ٤٤٢ س ٥ الصواب : بَيَّنَّ أَضْلَعَ مِنْهُمَا . هكذا الرواية في الصحيحين . ومعنى أضلع : أقوى وأشدَّ . وقد فسرتها في الهامش بناء على تحريف الأصل : أظلم : أضعف . وهذه آفة التعويل على النسخ .

٤ - في ص ٥٢٢ س ١٠ « قضية زينب » كذا بالأصل ولعلها قصة .

« من تصويبات الجزء الأول »

١ - في صفحات ٣٤٤ ، ٣٤٥ ، ٣٤٨ الصواب : وتَظْلَاهَا ، وتَحْبَارَهَا - وتَجَسَّسَهَا وتَنَفَّازَهَا . بفتح أوائل الكلمات .

٢ - في ص ٣٣٥ س ١٥ الصواب : واحتَجَّنَاهُ . ويحذف الهامش ، وكان نتيجة خطأ في القراءة .

٣ - ص ٣٤١ س ٥ الصواب : على الرجل .